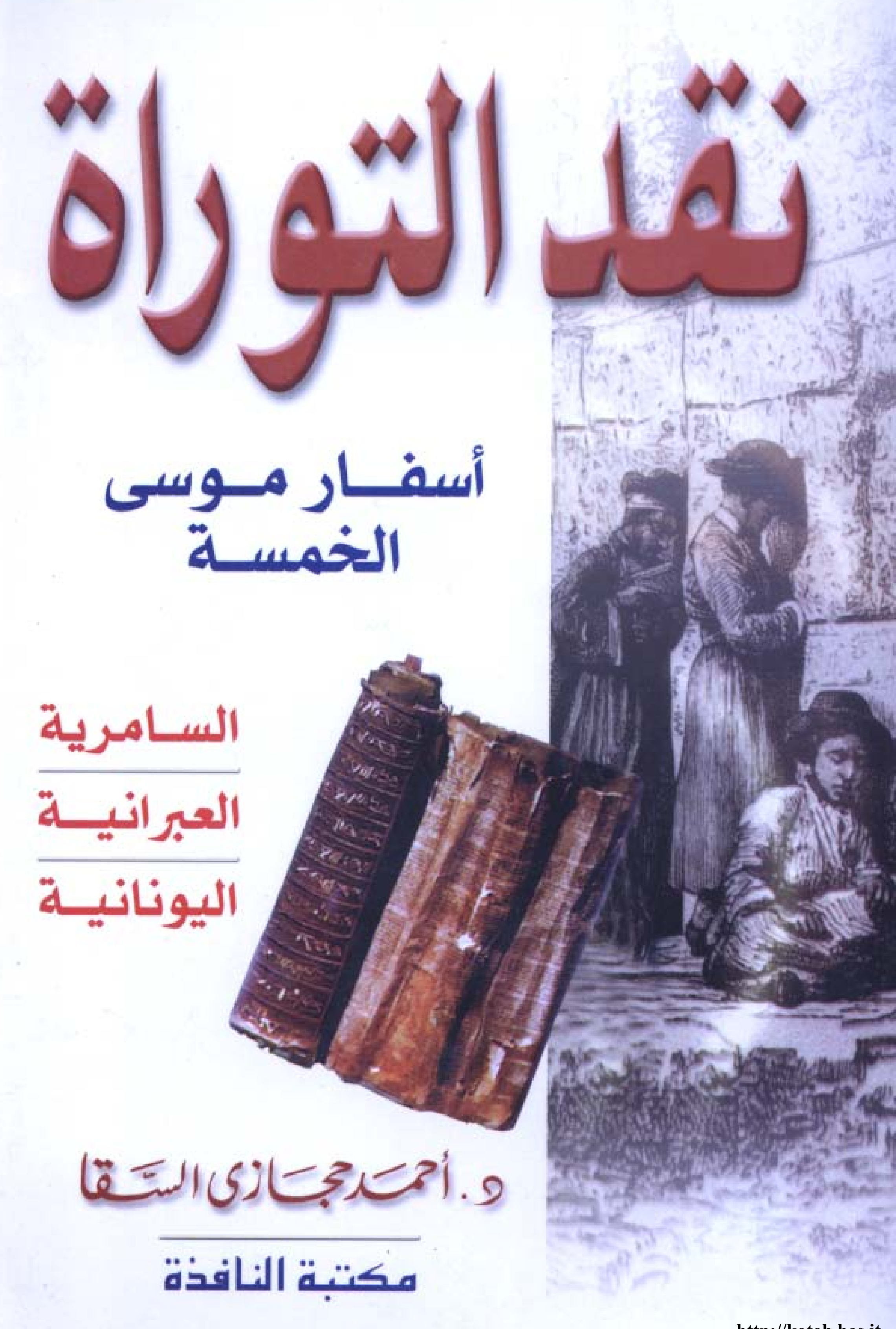

نقد التوراة
أسفار موسى
الخمسة
السامرية
العبرانية
اليونانية
د. أحمد حجازى السقا
مكتبة النافذة

التقديم للكتاب

بقلم الأستاذ الدكتور
عبد القادر سيد أحمد
مؤلف كتاب «أفلا يتدبرون القرآن»؟
وعميد كلية الصيدلة بجامعة القاهرة - سابقًا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين.

وبعد

﴿ الٓر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم : ١).

أنزل الله التوراة على قلب موسى رسول الله ﷺ. وبعد زمان من موته حرفها علماء بني إسرائيل. فصارت ظلمات وقد كانت نورًا. ولم يعرفها الناس باسم العهد القديم إلا من بعد ما سمى المسيحيون[1] أناجيلهم بالعهد الجديد. وسبب هذه التسمية : هو أن موسى رسول الله قال بصريح العبارة إن نبيًا سوف يظهر مثلي. يحل محلِّي في السير أمام الله[تث ١٨ : ١٥ - ٢٢]

وإذا أتى هذا النبي المصطفى من الله؛ فإنه يُعطِي للعالم شريعة، ويعلن إبطال العمل بشريعة التوراة. والشريعة المعطاة للعالم تكون عهدًا جديدًا. وتكون التوراة عهدًا قديمًا.

فهل يكون عصر الإنجيل من المسيح عليه السلام إلى انتهاء هذه الحياة هو عصر العهد الجديد؟ أنا لا أصدق ذلك. وذلك لأنه ليس شريعة، والنبي محمد ﷺ هو النبي الذي هو مثل موسى ﷺ وذلك لأنه قدم للعالم شريعة عظيمة. أفيعيب عليَّ إنسان إذا قلت إنه هو صاحب العهد الجديد؟

---

(١) النصارى: هم من زمن عيسى إلى زمن تحريف الإنجيل في مجمع نيقية.
والمسيحيون: هم من زمن تحريف الإنجيل إلى هذا الزمان.

لقـد جاء في سـفر إرمـيـاء النبي : «ها أيام تأتي. يقـول الرب. وأقطع مع بيت إسرائيل، ومع بيت يهـوذا؛ عهدًا جديدًا. ليس كـالعهد الذي قطعـته مع آبائهم يوم أمسكتـهم بيدهم لأخرجهم من أرض مـصر حين نقضوا عـهدي. فرفضتـهم. يقول الرب. بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام. يقول الرب. أجعل شريعتي في داخلهم، وأكتـبها على قلوبهم،وأكون لهم إلهًا، وهم يكونون لي شعبًا ولا يعلِّمون بعد كل واحد صاحـبه وكل واحد أخاه قائلين اعرفوا الرب؛ لأنهم كلهم سيعرفـونني من صغيرهم إلى كبيرهم. يـقول الرب. لأني أصفح عن إثمهم، ولا أذكر خطيتهم بعد» [إر ٣١ : ٣١ +]

إن بني إسرائيل المنقـسمين إلى قسمين همـا بيت إسرائيل. أي اليهود الـسامريين. وبيت يهوذا. أي اليهود العبرانيين. سوف تكون لهم شريعة.

ومحرف هذا النص جعل العهد في الســامريين. واستثنى منه العبرانيين. لماذا؟ لأن العبرانيين يزعمـون أن النبي الآتي سيأتي منهم؛ فلا يكون له عهـد جديد؛ لأن عهد التوراة سيـشمل عهد. ولأن السامريين تصـرح توراتهم بأن النبي المنتظر لن يظهر من بني إسرائيل جميعًا.

وفي الرسـائل المنسوبة إلى بولس أن أقنـع العبـرانيين أهل بيت يهوذا بالقـول بأن عيسى عليـه الصلاة والسلام هو النبي المنتظر وجعل له نسبًـا في العبرانيين. وليس له أب. ولفت النظر إلى أن سبط يهوذا لم يرد ذكر عنه في التوراة أنه سيخرج منه النبي المنتظر. وتلك إشـارة عظيمـة منه إلى أن المسيح عـيسى ليس هو النبي المنتـظر. وقد وردت إشارات عظيمة كثيرة إلى أن نسل إسـماعيل سيخرج منه هذا النبي. أليس هو الساكن في فاران في أرض الجنوب؟ أليس هو مبارك من الله؟

يقول في الرسالة إلى العبرانيين:

« فلو كان بالكهنوت الـلاوي كمالٌ. إذ الشعب أخـذ الناموس عليه. مـاذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخـر على رتبة مَلْكِي صَادَق ولا يقال عى رتبة هرون. لأنه إن تغير الكهنوت فبالضرورة يصيـر تغير للناموس أيضًا. لأن الذي يقال عنه هذا كان شريكًـا في سبط آخر لم يلازم أحد منه المذبح. فـإنه واضح أن ربنا قد طلع من

سبط يهوذا الذي لم يتكلم عنه موسى شيئًا من جهةِ الكهنوت. وذلك أكثر وضوحًا أيضًا إن كان على شبه ملكي صادق يقوم كاهن آخر. قد صار ليس بحسب ناموس وصية جسدية بل بحسب قوة حياة لا تزول. لأنه يشهد أنك كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق.

فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها. إذ الناموس لم يكمل شيئًا. ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب إلى الله . .

فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب لما طُلب موضع لثان. لأنه يقول لهم لائمًا: هوذا أيام تأتي يقول الرب حين أُكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا. لا كالعهد الذي عملته مع آبائهم يوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر لأنهم لم يثبتوا في عهدي وأنا أهملتهم. يقول الرب. لأن هذا هو العهد الذي أعهده مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام. يقول الرب. أجعل نواميس في أذهانهم وأكتبها على قلوبهم وأنا أكون لهم إلهًا وهم يكونون لي شعبًا. ولا يعلّمون كل واحد قريبه وكل واحد أخاه قائلاً اعرف الرب لأن الجميع سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم. لأني أكون صفوحًا عن آثامهم ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد. فإذ قال جديدًا عتّق الأول. وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال. . . » الخ [عب٧].

وإن من يطّلع على التوراة يقرأ فيها ما لا يصح أن يُقرأ. ويستحي ويخجل من اطلاع أبنائه وبناته عليه. ناهيك عن امرأته التي إن هي اطلعت عليه؛ فإنها ستنشد رجلاً فتيًا ليزني بها بعد الفراغ مباشرة من القراءة. وإن كانت عفيفة فسوف تطلع زوجها على الكلام ليفهم منه أنها تريده فوق صدرها. أهذا دين يتعبّد به الإنسان، ويكون له بكل حرف حسنة؟

في سفر الأمثال - الأصحاح السابع:

«لأني من كوة بيتي من وراء شباكي تطلعت؛ فرأيت بين الجهال، لاحظت بين البنين غلامًا عديم الفهم عابرًا في الشارع عند زاويتها وصاعدًا في طريق بيتها في العشاء في مساء اليوم في حدقة الليل والظلام. وإذا بامرأة استقبلته في زي زانية

وخبيثة القلب. صخابة هي وجامحة. **في بيتها لا تستقر قدماها**. تارة في الخارج وأخرى في الشوارع. وعند كل زاوية تكمن . **فأمسكته وقبّلته. أو قحت وجهها** وقالت له: لعي ذبائح السلامة. اليوم أوفيتُ نذروي. فلذلك خرجت للقائك؛ لأطلب وجهك حتى أجدك. بالديباج فرشت سريري. بموشّى كتّان من مصر. عطرت فراشي بمر وعود وقرفة. هلم نرتو ودًا إلى الصباح. نتلذذ بالحب. **لأن الرجل ليس في البيت. ذهب في طريق بعيدة. أخذ صرة الفضة بيده. يوم الهلال يأتي إلى بيته**. أغوته بكثرة فنونها. بملث شفتيها طوحته. ذهب وراءها لوقته كثور يذهب إلى الذبح أو كالغبي إلى قيد القصاص. حتى يشق سهم كبده. كطير يسرع إلى الفخ ولا يدري أنه لنفسه» [أمثال ٧ : ٦ - ٢٣]

وفي العهد القديم آيات كثيرة من هذه المواضيع المخزية. تظهر أن المؤلفين كانوا يؤلفون للدعارة وسوء الخلق. وأعتقد أن علماء اليهود يريدون نشر هذه النصوص لإفساد الأخلاق والأديان. وأنا أنبه عليها ليعلم العالم أجمع أن العهد القديم يدعو إلى أن يتشبه الإنسان بالحيوانات ويسكر ويتعرى. أي عاقل يصدق أن هذا الكتاب كتاب الله وهو يقرأ فيه هذه الهذيانات؟

وإن أردتم أمثلة فهذا مثال آخر من سفر حزقيال- الأصحاح الثالث والعشرون:

«وكان إليّ كلام الرب قائلاً. يا ابن آدم كان امرأتان ابنتا أم واحدة. وزنتا بمصر. في صباهما زنتا. هناك دغدغت ثديّهما وهناك تزغزغت ترائب عذرتهما. واسمهما أهولة الكبيرة وأهوليبة أختها. وكانتا لي وولدتا بنين وبنات. وإسماهما السامرة أهولة وأورشليم أهوليبة. وزنت أهولة من تحتي وعشقت محبيها أشُّور الأبطال اللابسين الأسما نجوني ولاة وشحنًا كلهم شبان شهوة فرسان راكبون الخيل. فدفعت لهم عقرها لمختاري بني أشور كلهم وتنجست بكل من عشقتهم بكل أصنامهم.

ولم تترك زناها من مصر أيضًا لأنهم ضاجعوها في صباها وزغزغوا ترائب عذرتها وسكبوا عليها زناهم. لذلك سلمتها ليد عشاقها ليد بني أشور الذين عشقتهم. هم كشفوا عورتها. أخذوا بنيها وبناتها وذبحوها بالسيف فصارت عبرة للنساء وأجروا عليها حكمًا.

فلما رأت أختها أهلويبة ذلك أفسدت في عشقها أكثر منها وفي زناها أكثر من زنا أختها. عشقت بني أشور. الولاة والشحن الأبطال اللابسين أفخر لباس. فرسانًا راكبين الخيل كلهم شبان شهوة. فرأيت أنها قد تنجست ولكلتيهما طريق واحدة. وزادت زناها. ولما نظرت إلى رجال مصورين على الحائط صور الكلدانيين مصورة بمغرة. منطقين بمناطق على أحقائهم. عمائمهم مسدولة على رءوسهم.

كلهم في المنظر رؤساء مركبات شبه بني بابل الكلدانيين أرض ميلادهم. عشقتهم عند لمح عينيها إياهم وأرسلت إليهم رسلاً إلى أرض الكلدانيين. فأتاها أبوها بنو بابل في مضجع الحب ونجسوها بزناهم فتنجست بهم وجفتهم نفسها. وكشفت زناها وكشفت عورتها فجفتها نفسي كما جفت نفسي أختها. وأكثرت زناها بذكرها أيام صباها التي فيها زنت بأرض مصر. وعشقت معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير ومنيّهم كمني الخيل. وافتقدت رذيلة صباك بزغزغة المصريين ترائبك لأجل ثدي صباك.

لأجل ذلك يا أهوليبة هكذا قال السيد الرب. هأنذا أهيج عليك عشاقك الذين جفتهم نفسك وآتي بهم عليك من كل جهة. بني بابل وكل الكلدانيين فقود وشوع وقوع ومعهم كل بني أشور شبان شهوة. ولاة وشحن كلهم رؤساء مركبات وشهراء. كلهم راكبون الخيل. فيأتون عليك بأسلحة مركبات وعجلات وبجماعة شعوب يقيمون عليك الترس والمجن والخوذة من حولك وأسلم لهم الحكم فيحكمون عليك بأحكامهم. وأجعل غيرتي عليك فيعاملونك بالسخط. يقطعون أنفك وأذنيك وبقيتك تسقط بالسيف. يأخذون بنيك وبناتك وتؤكل بقيتك بالنار. وينزعون عنك ثيابك ويأخذون أدوات زينتك. وأبطل رذيلتك عنك وزناك من أرض مصر؛ فلا ترفعين عينيك إليهم ولا تذكرين مصر بعد.

لأنه هكذا قال السيد الرب: هأنذا أسلمك ليد الذين أبغضتهم. ليد الذين جفتهم نفسك. فيعاملونك بالبغضاء ويأخذون كل تعبك ويتركونك عريانة وعارية فتنكشف عورة زناك ورذيلتك وزناك. أفعل بك هذا لأنك زنيت وراء الأمم لأنك تنجست بأصنامهم. في طريق أختك سلكت فأدفع كأسها ليدك. هكذا قال السيد الرب. إنك

تشربين كأس أختك العميقة الكبيرة. تكونين للضحك وللاستهزاء. تسع كثيراً. تمتلئين سكراً وحزناً كأس التحير والخراب كأس أختك السامرة. فتشربينها وتمتصينها وتقضمين شقفها وتجتثين ثدييك لأني تكلمت. يقول السيد الرب. لذلك هكذا قال السيد الرب: من أجل أنك نسيتني وطرحتني وراء ظهرك؛ فتحملي أيضاً رذيلتك وزناك.

وقال الرب لي: يا ابن آدم أتحكم على أهولة وأهوليبة. بل أخبرهما برجاساتهما لأنهما قد زنتا وفي أيديهما دم. وزنتا بأصنامهما. وأيضاً أجازتا بنيهما، الذين ولدتاهم لي النار أكلاً لها. وفعلتا أيضاً بي هذا. نجسا مقدسي في ذلك اليوم ودنستا سبوتي. ولما ذبحتا بنيهما[1] لأصنامهما أتتا في ذلك اليوم إلى مقدسي لتنجساهُ. فهوذا هكذا فعلتا في وسط بيتي. بل أرسلتما إلى رجال آتين من بعيد. الذين أرسل إليهم رسول فهوذا جاءوا.

هم الذين لأجلهم استحممت وكحّلت عينيك وتحليت بالحلي. وجلست على سرير فاخر أمامه مائدة منضضة ووضعت عليها بخوري وزيتي. وصوت جمهور مترفهين معها مع أناس من رعاع الخلق أتي بسكارى من البرية الذي جعلوا أسورة على أيديهما وتاج جمال على رءوسهما. فقلت عن البالية في الزنا: الآن يزنون زنًا معها. وهي. قدخلوا عليها كما يُدخل على امرأة زانية. هكذا دخلوا على أهولة وعلى أهوليبة المرأتين الزانيتين. والرجال الصديقون هم يحكمون عليهما حكم زانية وحكم سفاكة الدم لأنهما زانيتان وفي أيديهما دم.

لأنه هكذا قال السيد الرب: إني أصعد عليهما جماعة وأسلمهما للجور والنهب. وترجمهما الجماعة بالحجارة ويقطعونهما بسيوفهم ويذبحون أبناءهما وبناتهما ويحرقون بيوتهما بالنار. فأبطل الرذيلة من الأرض فتتأدب جميع النساء ولا يفعلن مثل رذيلتكما. ويردون عليكما رذيلتكما؛ فتحملان خطايا أصنامكما وتعلمان أني أنا السيد الرب»

---

(١) في القرآن الكريم: ﴿وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت﴾ (التكوير ٨ - ٩) فاليهود هم الذين وأدوا بنيهم وبناتهم إرضاء للأصنام.

وأما عن نسخ الشريعة الموسوية:

فإن الله عز وجل يقول في القرآن العظيم: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

يقول لليهود: إذا أردنا أن نسخ شريعة - بمعنى إزالة رسومها - فإننا نقدر على إنزال شريعة غيرها. أليس العالم كله نحن المنشئون له إنشاء؟

وها هو القرآن العظيم قد أنزلناه ليحل محل التوراة؛ فبأي حق تقولون عنه: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾

ولنا رأي آخر في معنى ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قد ذكرناه في كتابنا «أفلا يتدبرون القرآن»؟ مرجعه إلى النسخ بمعنى الكتابة على حد قوله عز وجل: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

وعلماء بني إسرائيل يحتجون من التوراة - العهد القديم - على أنها لا تزول أحكامها إلى يوم القيامة. بهذه الفقرة وما يماثلها:

«ويكون لكم فريضة دهرية أنكم في الشهر السابع في عاشر الشهر؛ تذللون نفوسكم وكل عمل لا تعملون. الوطني والغريب النازل في وسطكم. لأنه في هذا اليوم يكفر عنكم لتطهيركم. من جميع خطاياكم. أمام الرب تطهرون. سبت عطلة هو لكم وتذللون نفوسكم فريضة دهرية. ويكفّر الكاهن الذي يمسحه والذي يملأ يده للكهانة عوضًا عن أبيه. يلبس ثياب الكتان الثياب المقدسة. ويكفر عن مقدس القدس. وعن خيمة الاجتماع، والمذبح؛ يكفر. وعن الكهنة وكل شعب الجماعة يكفر. وتكون هذه لكم فريضة دهرية للتكفير عن بني إسرائيل من جميع خطاياهم؛ مرة في السنة . ففعل كما أمر الرب موسى» [اللاويين ١٦]

والفريضة الدهرية:

هي فريضة إلى اليوم الذي يظهر فيه محمد رسول الله ﷺ لأنه في التوراة أن نبيًا سيرسله الله من بعد موسى عليه الصلاة والسلام بشريعة غير شريعته[١].

---

(١) «يقيم لك الرب إلهك نبيًا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون» [تث ١٨ : ١٥ - ٢٢]

وقد جاء في نصوص العهد القديم والجديد أن لفظ الأبد مؤقت وغير مؤبد. ومن تلك النصوص قوله عن مدينة «صور» إنها لا تعمر أبدًا، وفي النصوص أنها عمرت بعد سبعين سنة من التنبؤ بخرابها.

أولاً: من الأصحاح الثامن والعشرين من سفر حزقيال:

«وكان إليّ كلام الرب قائلاً. يا ابن آدم ارفع مرثاة على ملك صور وقل له: هكذا قال السيد الرب. أنت خاتم الكمال ملآن حكمة وكامل الجمال. كنت في عدن جنة الله. كل حجر كريم ستارتك عقيق أحمر وياقوت أصفر وعقيق أبيض وزبرجد وجذع ويشب وياقوت أزرق وبهرمان وزمرد وذهب. أنشأوا فيك صنعة صيغة الفصوص وترصيعها يوم خلقت. أنت الكروب المنبسط المظلل. وأقمتك على جبل الله المقدس. كنت بين حجارة النار تمشيت. أنت كامل في طرقك من يوم خلقت حتى وجد فيك إثم. بكثرة تجارتك ملأوا جوفك ظلمًا فأخطأت. فأطرحك من جبل الله وأبيدك أيها الكروب المظلل من بين حجارة النار. قد ارتفع قلبك لبهجتك. أفسدت حكمتك لأجل بهائك. سأطرحك إلى الأرض وأجعلك أمام الملوك لينظروا إليك. قد نجست مقادسك بكثرة آثامك بظلم تجارتك. فأخرج نارًا من وسطك فتأكلك وأصيرك رمادًا على الأرض أمام عيني كل من يراك. فيتحير منك جميع الذين يعرفونك بين الشعوب وتكون أهوالاً **ولا توجد بعد إلى الأبد**»

ثانيًا: من سفر إشعياء: ٢٣

«ويكون في ذلك اليوم أن صور تنسى سبعين سنة كأيام ملك واحد. من بعد سبعين سنة يكون لصور كإغنية الزانية. خذي عودًا. طوفي في المدينة أتيها الزانية المنسية. أحسني العزف أكثري الغناء لكي تذكري. ويكون من بعد سبعين سنة أن الرب يتعهد صور؛ فتعود إلى أجرتها وتزني مع كل ممالك البلاد على وجه الأرض. وتكون تجارتها وأجرتها قدسًا للرب. لاتُحزنُ ولا تكنز بل تكون تجارتها للمقيمين أمام الرب لأكل إلى الشبع وللباس فاخر»

ورواة الأحاديث النبوية صرحوا بعبارات لا غموض فيها بأن في متن القرآن العظيم آيات منسوخة حكمًا لا تلاوة. وفي اعتقادي أن اليهود هم الذي فعلوا هذا، وخدعوا

الرواة به. ويجب على العلماء الأفاضل إبعاد الكلام الذي فيه أن في القرآن ناسخ ومنسوخ عن الكتب الإسلامية؛ لأن القرآن كله محكم من أوله إلى آخره ومن الأمثلة:

- ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا﴾

- ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

يتربصن: أمر تشريعي لازم

وصية لمدة سنة: أمر غير لازم.

وعليه. لا تعارض؛ حتى نزيله بنسخ حكم منهما.

فالمرأة مجبورة بأن لا تتزوج بعد موت رجلها إلا بعد الأربعة.

فإن أخرت الزواج إلى تمام السنة؛ فهذا منها باختيارها، ولا حرمة فيه. وهكذا يجب على العلماء الأفاضل إبعاد النسخ في نص القرآن الكريم.

وقد بين المؤلف الدكتور الشيخ أحمد حجازي السقا في كتابه هذا:

أن التوراة مغيرة ومبدلة بسبق إصرار وسوء نية والأناجيل أيضًا مغيرة ومبدلة، وأن في التراث الإسلامي إسرائيليات. وأظهر بالنصوص من هذه الكتب موضع العبث والتلاعب في دين الله. وكل ذلك فعله لتعليم المسلمين طريقة النقد المنظمة. وأيضاً ليدخل المسيحيين في الدين الإسلامي. فإن الله عز وجل أمرنا بقراءة كتب أهل الكتاب والاستشهاد بها على صحة الدين الإسلامي ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

وقد أصاب المؤلف في هدفه ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾

الأستاذ الدكتور
عبد القادر سيد أحمد

رموز أسفار الكتاب المقدس (البَيْبُل)

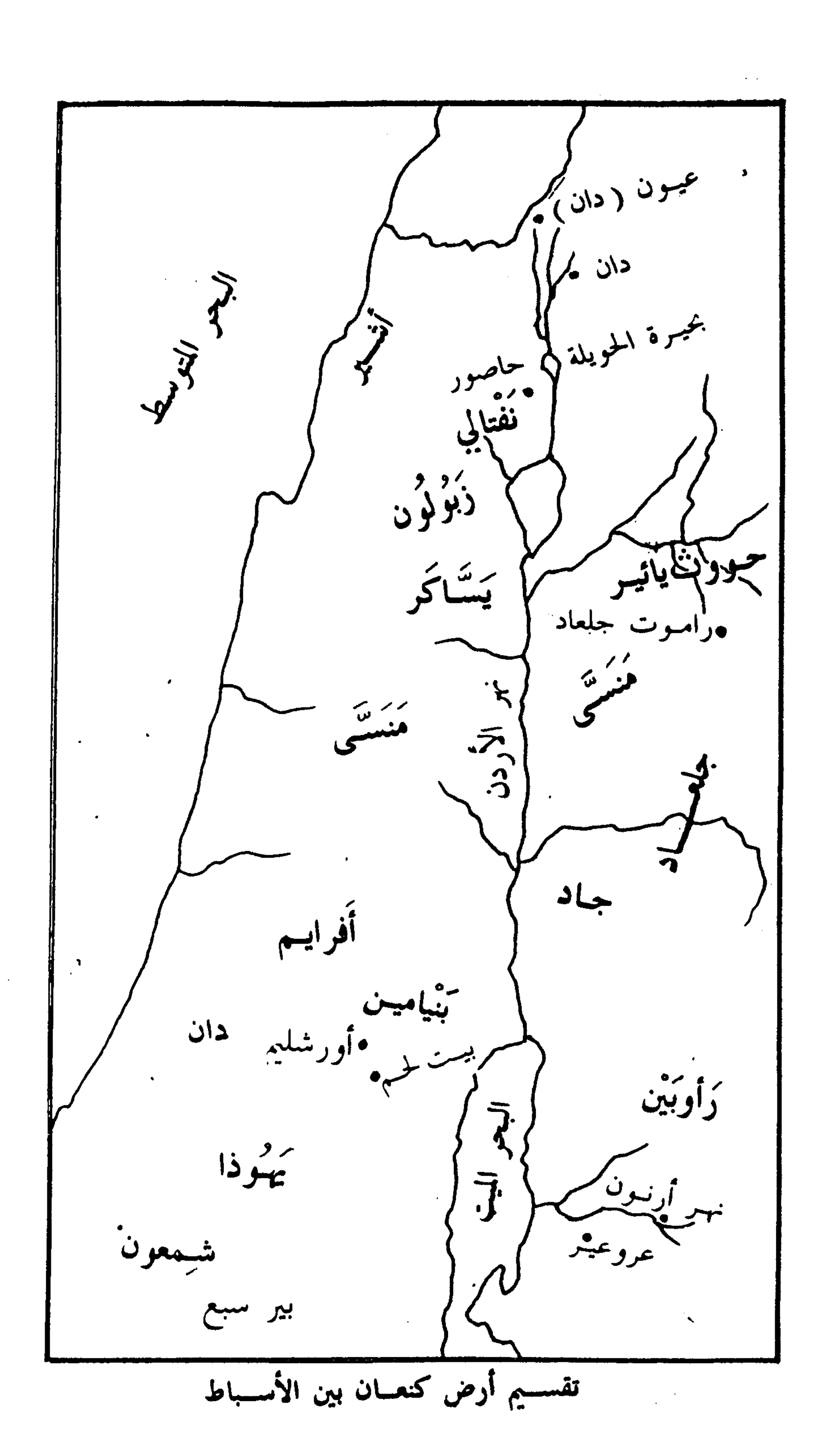
العهد القديم (التوراة وأسفار الأنبياء) العهد الجديد (الإنجيل والأفركسيس والرسائل وسفر الرؤيا)

سفر التكوين	تك
« الخروج	خر
« اللاويين	لا
« العدد	عد
« التثنية	تث
• • •	
« يشوع	يش
« القضاة	قض
« راعوث	را
صموئيل الأول	١ صم
صموئيل الثاني	٢ صم
الملوك الأول	١ مل
الملوك الثاني	٢ مل
أخبار الأيام الأول	١ أي
أخبار الأيام الثاني	٢ أي
عَزْرا	عز
نَحَمْيا	نح
أستير	أس
أيوب	أي
المزامير (الزَّبور)	مز
« الأمثال	أم
« الجامعة	جا
نشيد الأنشاد	نش
«إشَعياء	أش
« إرمياء	إر
« مراثي إرمياء	مرا
« حِزقيال	حز
« دانيال	دان (دا)
« هُوشَع	هو
« يُوئِيل	يؤ
« عَامُوس	عا
« عُوبديا	عو
« يُونان (يونو)	يون
« مِيخا	مي
«نَاحوم	نا
«حَبَقُّوق	حب
« صَفَنْيا	صف
« زكريا	زك
«ملاخِي	مل (ملا)
• • •	
طُوبيا (لقمان)	طو

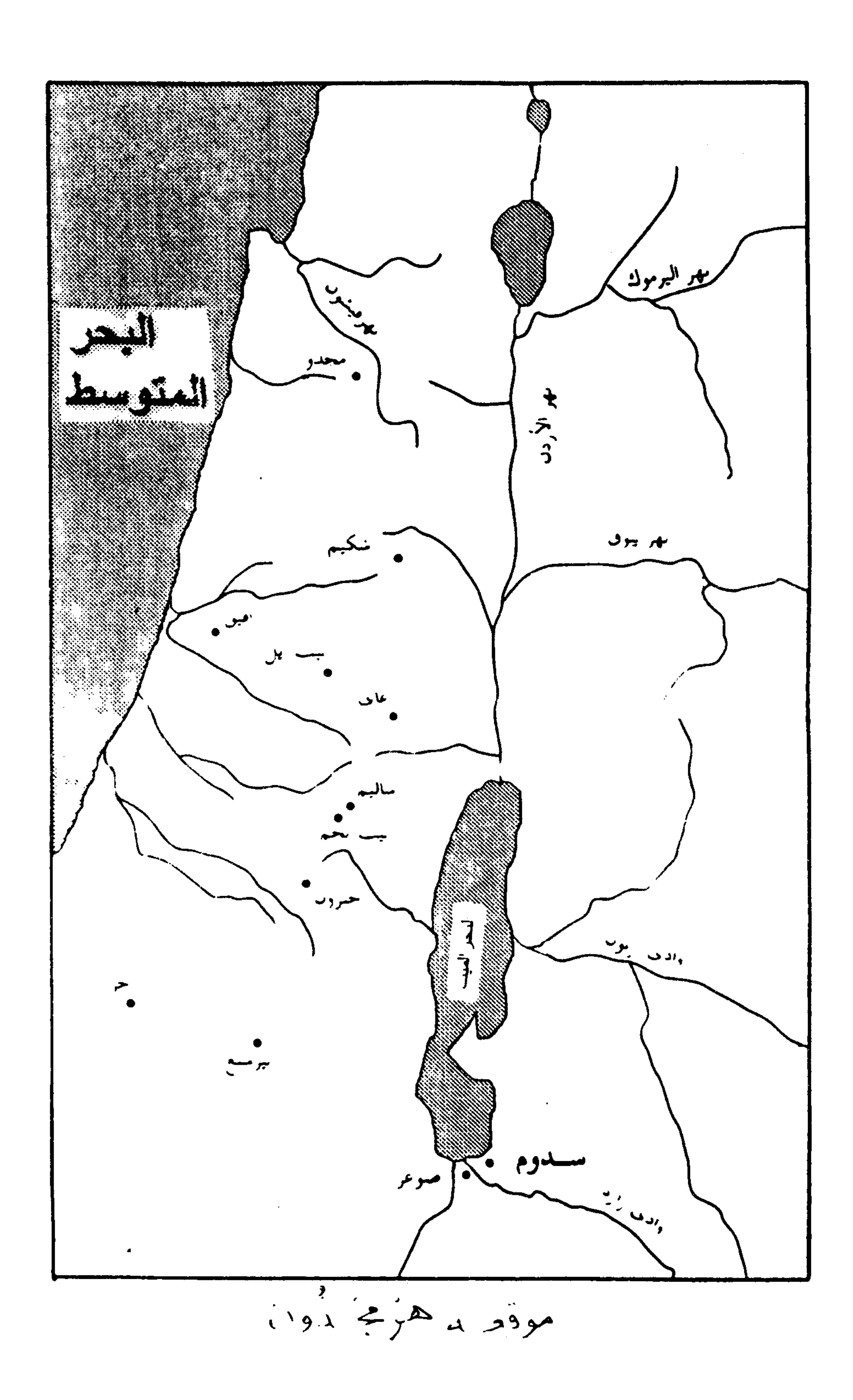
يَهُوديت	يه
الحكمة	حك
يشوع بن سيراخ	سير
باروخ	با
المكَّابِيِّين الأول	امك
المكابيين الثاني	٢مك

• • •

إنجيل متى	مت
» مَرْقُس	مر
» لُوقا	لو
» يوحنا	يو
أعمال الرسل (الأفركسيس)	أع
الرسالة إلى أهل رومية	رو
«الأولى إلى أهل كورنثوس	١ كو
» الثانية إلى أهل كورنثوس	٢ كو
إلى أهل غَلاطِيَة	غل
إلى أهل أَفسُس	أف
» فِيلبِّي	في
» إلى أهل كُولُوسِّي	كل (كو)
» الأولى إلى أهل تَسَالونيكي	١ تس
» الثانية » »	٢ تس
» الأولى إلى تِيمُوثاوس	٢ تي
» الثانية » »	١ تي
» إلى تِيطُس	تي
» » فيليمُون	فل
» » العِبرانيين	عِبُ
رسالة يعقوب	يع
بطرس الأولى	١ بط
» الثانية	٢ بط
» يوحنا الأولى	١ يو
» » الثانية	٢ يو
» » الثالثة	٣ يو
» يَهُوذا	يه
رؤيا يوحنَّا	رؤ



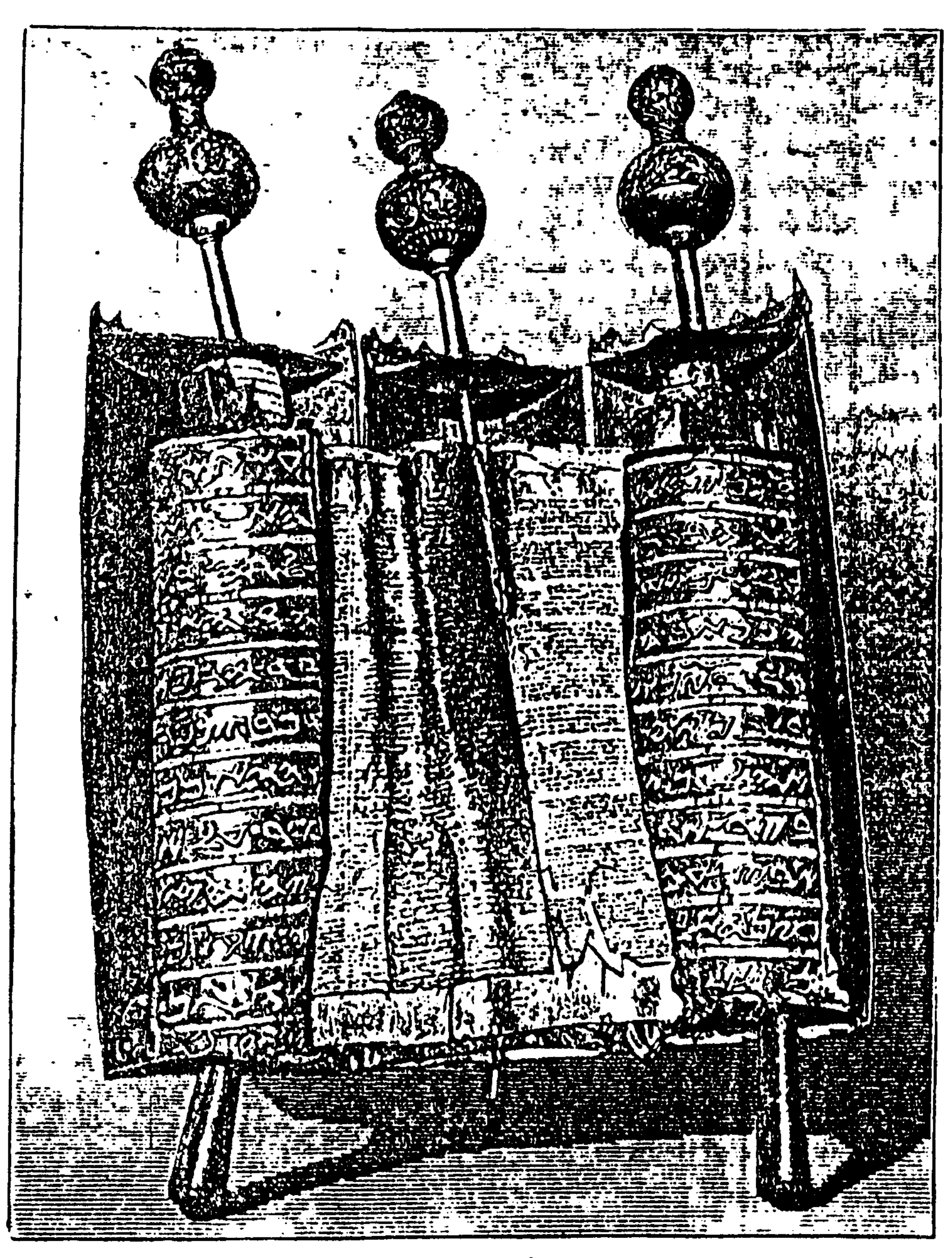
تقسيم أرض كنعان بين الأسباط



موقعة هرمجدون



خريطة لليهودية



صورة دَرْج قديم للتوارة



صورة للتوراة السامرية وكاهن سامري

بسم الله الرحمن الرحيم

هدف الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم بخير وإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

قرأت في التفسير الجامع لأحكام القرآن: روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: من أراد أن يعلم جهل العرب؛ فليقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام إلى قوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾

قال ابن العربي: وهذا الذي قاله كلام صحيح... إلخ

ولما قرأت وعلمت أن الرواة قد خدعوا المسلمين بهذا التفسير؛ أردتُ أن أُظهر الصواب. ليس في هذا الموضوع فحسب. بل في مواضيع أخرى، قد جاءت في التفسير بخدع الرواة.

وغرضي من هذا: هو أن كتب تفاسير القرآن الكريم فيها إسرائيليات؛ يجب أن ينبه عليها كل عالم في مجال تخصصه. ويُعتبر عملنا هذا منبها أذهان المسلمين؛ أميين وعلماء إلى أن ما في التفاسير إلى هذا اليوم، يجبُ أن يحل محلّه تفسير يسمى بأول التفاسير.

وسيجد قارئ هذا الكتاب كل ما يتعلق بتاريخ بني إسرائيل والأسفار الضائعة وأسفار موسى الخمسة، والمركز الديني لتفسير التوراة بعد السبي البابلي، كما سنتكلم عن دلالة نصوص التوراة على أن كاتبها ليس موسى عليه السلام و أن كاتب التواة هو عَزرا ثم نتحدث عن أخطاء في التوراة، ثم نعقد مقارنة بين التوراة العبرانية والسامرية وبين التوراة العبرانية واليونانية، كما سنتحدث عن أنواع التحريف في التوراة.

وسنذكر أمثلة لأنواع التحريف في أسفار موسى الخمسة، ونبين كيفية تحريف التوراة، ثم نذكر شك أنبياء بني إسرائيل وكتَّاب الأناجيل في توراة موسى، ثم نتكلم عن عصمة الأنبياء وعصمة الروح القدس.

ونتحدث عن نَسْخ شريعة موسى، والأدلة على عالمية دعوات الأنبياء السابقين على الإسلام؛ لكي نتطرق بعد ذلك لوحدة الدين وتعدد شرائع النبيين.

ونعقد مقارنة للأحكام الفقهية بين القرآن والتوراة.

ونذكر تحريف النصارى في مُلْك محمد ﷺ على اليهود والأمم، وكذلك تحريف الإنجيل في كَلِمَته التي ألقاها إلى مريم، وكيفية تأليه الابن والروح في المجامع النصرانية، وما هي الصلة بين التوراة والإنجيل؟ وما هي الأدلة الكتابية من الأناجيل على أن المسيح عيسى لم يُقتل ولم يصلب؟

وإن ما كتبته في كتابي «التوراة -أسفار موسى الخمسة» هذا. يُرشد إلى كيفية تأليف «أول التفاسير».

والله ولي التوفيق.

٧ / ١١ / ٢٠٠١ م

د / أحمد حجازي أحمد علي السقا

ميت طريف - دقهلية

بســـم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ (٧) ﴾

وصلِّ اللهم وسلِّم على النبي الأمي، الكريم، محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى الرسل السابقين، والتابعين لهم بخير إلى يوم الدين.

أما بعد

فقد شاءت إرادة الله - عز وجل - أن ينزل للبشر جميعاً شرائع تنظم حياتهم، وتصلح أحوالهم، وشاءت إرادته تعالى أن يختار ذرية إبراهيم عليه السلام لتتولى نشر هذه الشرائع بين البشر، بعدما كثروا في الأرض وعمروها. وكان من ذريته موسى عليه السلام. اصطفاه الله على الناس برسالاته وبكلامه، وأنزل عليه التوراة ﴿ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾

وأمر الله تعالى قوم موسى عليه السلام أن يهدوا بالحق - إلى مُدَّة - وبه يعدلون، وأن ينتشروا في الأرض، مجاهدين في سبيله. ووعدهم بالجنة إن فعلوا ذلك. ففي القرآن الكريم. يقول تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

ولما استلم موسى التوراة. أنبأه الله أن يقول لبني إسرائيل ما معناه: ﴿ يَا قَوْمِ

ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [المائدة: ٢١] وهي أرض كنعان. فلسطين وما حولها من القرى [١]. وسبب هذا الأمر: أن أهل كنعان في ذاك الزمان كانوا قوما جبّارين، يعبدون الأصنام من دون الله. ولا خلاق لهم ولا دين. فأراد الله أن يفتح بنو إسرائيل بلادهم لينشروا التوراة فيها، وليستقر فيها بنو إسرائيل، آمرين بالحق وبالعدل. ومنها ينطلقون إلى بلاد العالم، وإليها يرجعون.

وإرادة الله في موضعها ما في ذلك ريب. لأن هذه الأرض تقع في ملتقى طرق بلاد العالم، وتتوسط بلاد الدنيا، وعليها يمر التجار من جميع البلاد. فإذا ما استقرت فيها شريعة الله وقتئذ، فإن نشرها في العالم يكون سهلاً ميسوراً، مع التجار الآتين إليها، والخارجين منها، والمارين بها، ومع الغزاة الفاتحين، الذين لا تخلو منهم الأرض في زمن من الأزمان.

وقد تم فتح الأرض المقدسة من بعد موسى على يد طالوت وداود عليهما السلام، وأصبحت هذه الأرض مباركة لتلاوة كتاب موسى فيها.

وعمت بركتها العالم أجمع، لانتشار كتاب موسى منها، ذلك الكتاب الذي كان قبل القرآن الكريم إماما ورحمة. يدلك على ذلك:

أنه لما جاء «نَبُوخَذ نَصَّر» ملك بابل [٢] ٥٨٦ ق.م. واحتل الأرض المقدسة، وساق وجهاء بني إسرائيل أسرى إلى بابل. عرف عن طريق ذلك أهل فارس بعد أن ورثوا ملك بابل: أن الله واحد لا شريك له. ففي سفر دانيال: «كتب الملك داريوس[٣] إلى كل الشعوب والأمم والألسنة، الساكنين في الأرض كلها: ليكثر

---

(١) أرض كنعان: حوالي سنة ٢٥٠٠ ق. م. نزلت قبائل عربية في الضفة الغربية لنهر الأردن نحو البحر الأبيض المتوسط فسميت هذه المنطقة باسمهم. فأصبحت تدعى أرض كنعان وحوالي سنة ٢٠٠٠ ق.م نزلت بالساحل المطل على البحر الأبيض جماعات من جزيرة كريت تسمى قبائل فلسطينية وقد نزلت بين يافا وغزة، واختلط الكنعانيون بالقبائل الوافدة من كريت وغلب الاسم الأخير فلستين على سكان المنطقة فأصبحت تدعى فلسطين [صفحة ٣٥ اليهودية للدكتور احمد شلبي]

(٢) بابل: هذه البلاد محاطة بنهري دجلة والفرات وتمتد من هذين النهرين غربا حتى البادية ومساحتها نحو ٤٠٠ ميل طولا و ١٠٠ عرضاً وأراضيها بطاح سهلة [قاموس الكتاب المقدس - جورج بوست]

(٣) هو المسمى: دارا.

سلامكم. من قبلي صدر أمر بأنه: في كل سلطان مملكتي يرتعدون ويخافون قدام إله دانيـال. لأنه هـو الإله الحي القـيـوم إلـى الأبد. وملكوته لن يزول. وسـلطانه إلى المنتـهى، وهو ينجي وينقذ، ويعـمل الآيات والعجـائب في السمـوات وفي الأرض»
[دانيال ٦:٢٥ - ٢٧]

وأنه لما احـتل اليونان هذه الأرض بعـد الفُرْس ٣٣٣ ق.م. ترجـموا التـوراة إلى لغتهم في زمن «بطليموس فيلادلفيوس» ٢٨٥ - ٢٤٧ ق.م.

وأنه لما جـاء الرومان بعـدهم ٦٣ ق.م. وأراد «تِيطُوس» هدم هيكل سليمـان في أورشليم «القدس» خاطب اليهود بـقوله: «وقروا قدس الله. ونزهوه عن الحرب. ولا تنجسوه بسفك الدماء. ولا تعطلوا منه القرابين (١) . والعبادة. فإنّا لا نريد ذلك ولا نختاره. ولا نقصد محاربتكم من أجله» (٢)

وقـد قام بنو إسـرائيل الأوائل بعـالمية الدعـوة إلى الأمم، فـأسلمت ملكة «سـبـأ» مع سليمان لله رب العالمين. وآمن أهل نينوي في العـراق برسالة يونس عليه السلام وهو من أنبياء أورشليم. يـقول الله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٦٨) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ؟﴾

ثم إن شرذمة منهم جرؤت على كتاب الله، فأعادوا كتابته من جديد، وبدلوه تبديلاً، ولبـسوا الحق بالبـاطل. والسـبب في ذلك: أن «نبـوخذ نصـر» لما سـاق وجهـاءهم وأعـيانهم، أسـرى إلى بابل؛ ظنوا أن العـرب بني إسمـاعيل عليـه السلام كـان في استطاعتـهم مساعدتهم ليخلصـوا من الهزيمة. واعتقدوا أن النبـي المنتظر الذي سيأتي منهم قد اقـترب زمنه، وإذا أتى فسوف تكون لبني إسـماعيل الغلبة علـيهم. وإذا ما غلبوا على أمرهم، فإنهـم سيذوبون في المجتمع العالمي الجديد، مـجتمع نبي الإسلام

(١) القرابين: هي ما يقـربه الإنسان إلى الله من الغنم أو البقر أو الإبل مثـلا ويذبح القربان ويقطع على نيران توضع داخل مذبح في داخل الهيكل.

(٢) صفحة ٢٩٦ تاريخ يوسيفوس اليهودي.

والذين معه. لذلك عمدوا إلى صياغة التوراة بحيث تكون شريعة لهم وحدهم. مستبعدين الأمم من الدخول في دينهم. ليحافظوا على كيانهم أبد الدهر. وقد اعترف أنبياؤهم بذلك التحريف المتعمد فقد كتب إرمياء في سفره: «قد حرفتم كلام الإله الحي» [إرميا ٢٣:٣٦] وكتب: «من عند أنبياء أورشليم خرج نفاق في كل الأرض» [إرميا ٢٣:١٥]

وكان من رحمة الله بهم أن أرسل إليهم رسلاً، ليردوهم إلى الحق فكان: ﴿ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٠] وهؤلاء الرسل لم يكونوا أصحاب شريعة مستقلة عن شريعة موسى. بل جاؤوا يدعون بها، ويبينون للناس ما كانوا فيه يختلفون.

ومن هؤلاء الرسل عيسى عليه السلام. ولم يكن صاحب شريعة مستقلة عن شريعة موسى، وإنما أتى كما أتى من قبله، ليصحح ويبين ما كانوا فيه يختلفون. وقد أعطاه الله الإنجيل. أي البشرى المفرحة والخبر السار. وفيه مكتوب: أنه متبع لشريعة موسى، وأنه يبشر بنبي الإسلام ﷺ الذي إذا جاء فإنه سينسخ كتاب موسى. جاء في إنجيل متى عن عيسى عليه السلام: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض، بل لأكمل [1] فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل» [متى ٥:١٧ - ١٨] إنه ما جاء لينقض كتاب موسى، ولا كتب الأنبياء الذين أتوا من بعده. وإنما جاء ليصحح؛ حتى يكون الكل. أي مجيء الشريعة الكاملة مع النبي المبشر به. وإنه إذا جاء تكون كل أحكام التوراة قد كلمت. يقول متى هنري المفسر: «الإنجيل هو وقت الإصلاح ولم يقصد به نقض أو نسخ الناموس. بل إصلاحه» [2] وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى عن الجن: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا ﴾ [الأحقاف: ٣٠] فلو كان لعيسى شريعة، لقالوا من بعد عيسى. ولا يقولن قائل: إن قوله تعالى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ [المائدة: ٤٧] يثبت أن الإنجيل شريعة مستقلة. فإن المعنى: ليعلموا بما فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة.

(١) الترجمة الصحيحة «بل لأصحح».

(٢) تفسير إنجيل متى لمتى هنري ج ١ ص ٢١٠.

ويؤكد ذلك : قول المسيح نفسه لأتباعه ولليهود: «على كرسي موسى: جلس الكتبة والفَرّيسيُّون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه».

ومن الكتبة والفربسين - وهم علماء اليهود - من يؤمن به ومن لا يؤمن به «ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون» [متى ٢٣ - ١ - ٣]

لقد جاء عيسى - عليه السلام - في الوقت الذي أهمل فيه اليهودُ الأممَ، محرفين ما في التوراة الجديدة - توراة بابل - وفيها يقول الكاتب على لسان الله عز وجل: «إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي، تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب. فإن لي كل الأرض وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة» [خروج ١٩:٥ - ٦] ووجه التحريف: هو أنهم مختارون من جميع الشعوب للدعوة إلى الله. فجعلوا الاختيار امتيازًا لهم عنهم بلا دعوة . فحث تلاميذه أن ينطلقوا إلى العالم أجمع، مبشرين باقتراب ملكوت السموات [١]، وعاملين بشريعة موسى إلى أن يأتي النبي المبشر به [متى ١٥:٢٤ مرقس ١٦ - ١٥] لكن اليهود اندسوا بين أتباع المسيح المخلصين، وحرفوا تعاليم الإنجيل عمداً، كما حرفوا التوراة من قبل عمداً، وأضلوا النصارى حتى عبدوا المسيح من دون الله، وانتشرت عقيدة التثليث بين الرومان - وبواسطتهم - في العالم منذ سنة ٣٢٥ ميلادية.

---

(١) ملكوت السموات: أصل التعبير من سفر دانيال. ذلك أنه تحدث عن رجوع اليهود من سبي بابل ثم أشار إلى مملكة اليونان، ثم الرومان، ثم قال سيأتي من يقيم ملكوت السموات عقب انحلال الرومان وسيظل ملكه إلى يوم القيامة، يقول دانيال: «كنت أرى في رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء. مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه، فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته مالا ينقرض» [دانيال٧: ١٣ - ١٤] ولما ظهر المسيح ويوحنا المعمدان كرزا في برية اليهودية: «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [مت، ٣: ١] «من ذلك الزمان، ابتدأ يسوع يكرز، ويقول: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٤: ١٧] وحيث إن عيسى يدعو إلى اقترابه فإنه يكون ملكوت نبي يأتي من بعده لا ملكوت عيسى نفسه.

وقد عبر عيسى كثيراً عن نبي الإسلام: بابن: الإنسان إشارة إلى كلام دانيال هذا. فقد قال لتلاميذه: «إنكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان» [متى ٢٠: ٥ - ٤٢] إشارة إلى قرب مجيئه.

لقد فسدت الشريعة وضلّ العالم . وأصبح الناس في حاجة ماسة إلى منقذ ومخلص. أصبحت شريعة التوراة غير ملائمة لهداية الناس، وأصبح اليهود عاجزين عن نشر الدعوة. وليتهم اكتفوا بهذا بل سعوا في الأرض فسادا. ووقفوا حجر عثرة في طريق الإصلاح. وصدوا عن سبيل الله من آمن ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [هود:١٩] .

كان لابد من منقذ ومخلص. ومن أجل ذلك أرسل الله رسوله محمدا بن عبد الله من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام ﴿شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الاحزاب:٤٥،٤٦] وأمره أن يقول للناس جميعاً: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الاعراف:١٥٨] .

أريد أن أُبيِّن في هذا الكتاب: ما هي التوراة؟ وكيف حرفت؟ وفي أي زمن كان هذا التحريف؟ ومن الذي قام بهذا العمل الخطير؟ ولماذا؟

أو بعبارة أخرى: أريد أن أبين: أن التوراة المتداولة الآن بيد اليهود والنصارى، قد كتبها علماء بني إسرائيل في بابل. وليست هي التي تركها موسى. كما يدعي أهل الكتاب.

وغرضي من هذا البيان: هو أن أبين أن مجيء نبي الإسلام ﷺ في زمنه، كان رحمة من الله للناس جميعاً. للعرب وغيرهم، من مصريين وفارسيين وشاميين وسائر الأمم، ولأهل الكتاب أيضاً. فقد بيَّن لهم الحق وردهم إلى الصواب. كما يقول تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة ١٥ - ١٦] .

ومنهجي في البحث قائم: على كتاب موسى وحده «الأسفار الخمسة» لا على أسفار الأنبياء من بعده. لأنه إذا ثبت الشك في كتاب موسى - الذي يقدسه اليهود والنصارى اليوم - فالشك في غيره بالتبعية يسري. وإذا ثبت الشك، ينهار الدين اليهودي من الأساس. وينهار مذهب النصارى أيضاً. لماذا؟ لأن «الكتاب المقدس» الذي يعظمه النصارى، هو كتاب يضم بين دفتيه ١ - الأسفار الخمسة العبرانية ٢ - وأسفار الأنبياء - ومنها سفر الزبور المنسوب لداود عليه السلام - ٣ - والأناجيل الأربعة ٤ - وسفر أعمال الرسل - وهو كتاب يؤرخ للنصارى من بعد رفع عيسى

عليه السلام - إلى مدة - ٥ - ورسائل الحواريين.

وسبب تعظيم النصارى لكتاب موسى: هو أن عيسى كان يحتج به، ويعلم منه. ففي الأصحاح الثاني عشر من إنجيل «مارقوس» يقول عيسى عليه السلام: «وأما من جهة قيامة الأموات [1] إنهم يقومون: أفما قرأتم في كتاب موسى، في أمر العليقة [2]. كيف كلّمه الله قائلاً: أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب، ليس هو إله أموات. بل إله أحياء. فأنتم إذًا تضلون كثيراً» فقوله: «أفما قرأتم في كتاب موسى»؟ يدل على أنه كان يحتج به، ويعلم منه.

وشهادتنا بتحريف التوراة ليست قائمة على إنكار كل ما فيها. وإنما هي قائمة على أنهم نسوا تدوين بعض التعاليم، وأعادوا صياغة البعض، وأضافوا عليه جديداً. فقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران:٢٣] وقال تعالى: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ لم يقل - عز وجل - أوتوا الكل، ولم يقل: نسوا الكل.

بل قال: عندهم شيء من الكل. وبيّن أنهم لم ينسوا الكل. وشهادة القرآن بصحة البعض: مصروفة إلى المعنى، لا إلى اللفظ الأصلي الذي أملاه الله على موسى بن عمران. بدليل قوله تعالى: ﴿النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ [3] الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ

---

(١) البعث من القبور يوم القيامة.

(٢) العليقة: لما اقترب موسى من جبل الطور آنس من جانب الطور نارا. يقولون: إنها كانت في أغصان نبت شائك يثمر ثمرا كنبت التوت.

(٣) الأمي: منسوب إلى الأمة الأمية التي هي على أصل ولادتها، لم تتعلم الكتابة ولا قراءتها، وهذا على الحقيقة. ويطلق لفظ الأمي مجازا على ناقص الثقافة حتى ولو كان قارئا كاتبا. فيقال شعب أمي، أي فيه تعليم ليس لكل الشعب بل لقلة قليلة. واليهود يطلقون على سائر الشعوب حتى ولو كانوا عباقرة لفظ الأميين، استهانة بهم. والأمي بالنسبة لمحمد ﷺ معناه أنه ما كان يكتب، وما كان يقرأ إلى أن لحق بالرفيق الأعلى. فقد روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: «كان نبيكم ﷺ أميا. لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب» وقال النبي ﷺ: «نحن امة أمية. لا نكتب ولا نحسب» وما رواه الخازن في تفسير سورة العنكبوت عن بعض الأئمة: أن النبي ﷺ ما مات حتى قرأ وكتب. فهو مردود بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ لأن ارتياب المبطلين يبقي. من بعد موته، إذا علموا أنه قرأ وكتب، لأن من أوصافه في التوراة: أن الله سيجعل كلامه في فمه أي يكون غير قارئ ولا كاتب. وما روى في صلح الحديبية=

وَالإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧] فإنه لم يبين: أنه كتب نفس النص - الذي يجدونه - أو أملاه عليهم، وإنما بيَّن أنه كان قد كتب لهم النص في زمان موسى. وأنهم هم الذين صاغوا النص بأسلوب من عندهم في زمان سبي بابل.

والقرآن على التوراة حكم عدل وشاهد أمين. فقد قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨].

واعتمادي في الأدلة والبراهين على نقد الأسفار الخمسة: قائم على أمثلة من التوراة نفسها، لا على كلام مفسرين منهم أو ناقدين، لاحتمال عدم الدراية من المفسر، واحتمال أن الناقد مغرض.

وسوف بعون الله - تعالى - أبذل أقصى ما في وسعي، لبسط الشرح وتوضيحه، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

وإني اعترف بالتقصير بادئ ذي بدء. فالكمال لله وحده، ولكتابه - الذي هو القرآن - ولرسله. وحسبي أني وضعت منهجاً منظماً للدارسين من بعدي، وعليهم أن يصلحوا ما وقعت فيه من سهو أو خطأ، وأن يوضحوا ما قصرت عن توضيحه، متحرين الحق والعدل، غافرين لنا ما سهونا عنه، أو أخطأنا فيه.

﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦]. وكتب في غرة ربيع الأول سنة ست وتسعين وثلثمائة وألف هجرية

ونقدم خالص الشكر للأستاذ الشيخ محمود مصطفى بدوي .شيخ معهد شربين الديني، التابع للأزهر، على تفضله بالمراجعة والتوجيهات، والمشاركة في الرأي.

والله أسأل أن يوفقنا لخدمة العلم والدين.

د/ أحمد حجازي أحمد علي السقا

ميت طريف - دقهلية

=أنه ﷺ عرف موضع الكتابة التي هي محل الخلاف بين «علي» رضي الله عنه وبين سهيل بن عمرو ومحاها فهي رواية تاريخية إن لم تحمل على معجزة حسية - على رأي مثبتي المعجزات الحسية فهي- روايات وردت بطريق الآحاد.

الفصل الأول

تاريخ بني إسرائيل

أنجب إبراهيم النبي عليـه السلام بعد استقـراره في أرض كنعان[(١)] مـهاجـراً من العراق: إسماعيل وإسحق عليهما السـلام. إسماعيل من جارية مصرية تسمى هاجر. ومن ذريته نبي الإسلام ﷺ وإسحق من أخته لأبيه سارة - وكان نكاح الأخت جائزاً من قبل أن تنزل التوراة - وقـد أنجب إسحق ولدين هما عيسو وإسـرائيل وسمي بعد ذلك بيعقـوب. وقد أنجب يعقوب عليه السلام اثنى عـشر ولداً. وكل ولد وما تناسل منه يلقب بسبط. وأسماؤهم على الترتيب: ١ - رأوبين. ٢ - شِمعون. ٣ - لاوي. ٤ - يهوذا. ٥ - زَبُولون. ٦ - يسـاكر. ٧ - دان ٨ - جاد. ٩ - أشـير. ١٠ - نفتالي. ١١ - يوسف. ١٢ - بنيامين.

ووصل يوسف عليه السلام إلى مصر عبدا رقـيقا، بسبب مؤامرة عليه من إخوته. لكن الله رفع منزلته، وأعلى شأنه. فأصـبح على خزائن الأرض. وبعد ذلك أتى إليه أبوه وأهله أجمعـون. وبعد مائتين وخمس عشرة من يعـقوب، أرسل الله موسى إلى فرعون، وإلى بني إسرائيل. ومن ذلك الحين خـرج بنو إسرائيل من مصر وسكنوا في صحراء سيناء.

ثم إن موسى وبنـي إسرائيل حاربوا كـثيـراً من سكان سيناء واستـولوا على بعض

---

(١) يقول أهل الكتاب بهجرة إبراهـيم إلى أرض كنعان التي هي فلسطين. والحق: أنه لم تطأ قدماه أرض فلسطين ولامـصر. وذلك لأن هجرته كـانت إلى مكة. وهي في التوراة أرض الجنـوب. وفي القرآن أنه هاجر مع لوط إلى الأرض المباركة. وهي أرض مكة لقوله: ﴿للذي ببكة مـباركًا﴾ وقد كان إبراهيم ملكًا على أرض مكة لقوله: ﴿وإذ بوأنا لإبراهـيم مكان البيت﴾ أي ملكناه. والملك لا يترك مملكتـه ويعيش في أرض غيرها.

المدن، وأمر موسى بني إسرائيل أن يفتحوا الأرض المقدسة، أرض كنعان، فجبنوا وخافوا. وبعد موته استولوا على بلاد من الأرض المقدسة عبر نهر الأردن. وطلب بنو إسرائيل من نبي لهم [١]: أن يولي عليهم ملكاً فولى عليهم طالوت - شاول Saül وتوجه ببني إسرائيل إلى قتال أهل فلسطين، وبرز من صفوف بني إسرائيل داود عليه السلام David وقتل جالوت (Goliath) رئيس جيش فلسطين. ثم أصبح داود ملكاً على بني إسرائيل جميعاً، وتمت له السيطرة الكاملة على كل أرض كنعان.

وكان يعقوب عليه السلام قد حسب سبط يوسف بسبطين نظير فضله على إخوته. وأصبح ولداه أفرايم ومَنَسَّى بمثابة أولاد ليعقوب. وأوصى موسى في التوراة أن يكون سبط لاوي متفرقاً وسط بني إسرائيل ليعلموهم الشريعة ويفقهوهم في الدين. وقد أنجب لاوي: جرشون وقهات ومراري. وأنجب قهات: عمرام، وعمرام أنجب هرون وموسى عليهما السلام. وأوصى موسى أن يكون الكهنة العظام من ذرية هرون وحده.

وبعد موت سليمان عليه السلام انقسم بنو إسرائيل إلى فريقين:

(أ) العبرانيين: وهم سبطا يهوذا وبنيامين، ومعهم نفر من اللاويين والكهنة - العلماء - من بني هرون. هؤلاء جميعاً استقلوا بأنفسهم في مملكة واحدة عاصمتها أورشليم التي يسميها مفسرو القرآن: إيلياء، أو بيت المقدس أو مدينة القدس، وحكمهم ملوك من نسل داود من سبط يهوذا، وسميت مملكتهم: مملكة يهوذا أو أورشليم أو المملكة الجنوبية، وسميت توراتهم بالتوراة العبرانية.

(ب) والسامريين: وهم بقية الأسباط، ومعهم نفر من اللاويين والكهنة، وسميت مملكتهم: مملكة الأسباط العشرة أو بني إسرائيل أو المملكة الشمالية. وأطلق عليها فيما بعد مملكة السامرة [٢] وسميت توراتهم: بالتوراة السامرية.

---

(١) تقول التوراة العبرانية أن اسمه صموئيل وتقول التواريخ السامرية أن اسمه: إيلي بن يفَني.

(٢) سميت السامرة: لأن عمري ملك إسرائيل اشترى مدينة على جبل من رجل اسمه شامر «ودعا اسم المدينة التي بناها باسم شامر صاحب الجبل: السامرة» [الملوك الأول ١٦: ٢٤] ويقول ابو الفتح في تاريخ «وتوجه شخص من السامرة إلى سبسطية، واشتراها بقنطارين ذهبا وبناها ولهذا سميت سامرية» (ص ٥٤ التاريخ مما تقدم عن الآباء) ويقول الانبا اثناسيوس «أما موقع مدينة السامرة الآن فمدينة=

وبعد زمن داود بمدة طويلة وقع بنو إسرائيل جميعاً في قبضة «نبوخذ نصر» ملك بابل، وتم ذلك كم يلي:

نحو سنة ٧٤٠ ق.م. جاء تغلث فلاسّر ملك أشُّور[1]، وسبى الأسباط القاطنة شرقي نهر الأردن، وهي رأوبين وجاد ومنسى. ثم أغار سرجون ملك أشور على الأسباط الباقية في مملكة بني إسرائيل. وسنة ٧١٣ق.م. جاء سنحاريب ليحارب مملكة يهوذا فلم يقدر، ثم جاء نبوخذ نصر ٥٨٦ أو سنة ٥٨٨ ق.م. واستولى على مملكة يهوذا، واستولى أيضاً على مملكة أشور. فصار جميع بني إسرائيل تحت نفوذ «نبوخذ نصر» ملك بابل. **ثم أطلق الفارسيون: اسم اليهود على جميع بني إسرائيل. ليتميزوا عن بقية الشعوب الواقعين في أسرهم.** وذلك نسبة إلى يهوذا بن يعقوب، باعتبار أن نسله أشهر من ملك، وأن «أستير» كانت منهم. ثم سمحوا لهم بالعودة إلى فلسطين، بعد سبعين سنة من الأسر تقريباً. كما قال إرمياء، **على أن يؤدوا الجزية لملوك فارس.**

وفي سنة ٣٣٣ق.م. استولى «الاسكندر الأكبر» على كل أرض كنعان، ووقع اليهود تحت الاحتلال اليوناني. وفي سنة ٦٣ق.م. استولى الرومان على كل أرض كنعان، ووقع اليهود تحت الاحتلال الروماني. وفي عهدهم ولد عيسى عليه السلام. ولم يقاوم الرومان ولم يناوئهم. بل قال: «أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله» [مرقس ١٢:٧] وفي سنة ٧٠ م جاء تِطوس. ثم جاء «أدريانوس» في سنة ١٣٢م. فهدم الهيكل تماماً. وفي سنة ٦١٦ بعد الميلاد غزا الفرس بلاد الروم، وانتصروا عليهم وفي سنة ٦٢٧م انتصر الرومان على الفرس. وفي سنة ٦٣٦م جاء المسلمون إلى أرض كنعان، وحرروا الأرض المقدسة، من شرور الرومان، وفساد أهل الكتاب، ونشروا

=سباسطية، وهي مشتقة من لفظ Sebaestos اليوناني ومعناه «موقر» أو «مكرم» وهو مرادف للفظ Augustus اوغسطس وهو اسم الامبراطور الذي وهب المدينة لهيرودس الكبير فأعاد بناءها وسماها بمعنى اسم الامبراطور. ولا يزال في مدينة نابلس بفلسطين إلى الآن جماعة قليلة منهم» (تفسير متى ص ٣٩ - ٤٠).

(١) أشور بتشديد الشين مضمومة: واقعة على نهر دجلة يحدها من الشمال جبال أرمينية ومن الجنوب بغداد وجوارها. ومن الشرق سلسلة جبال الزاكروس. ومن الغرب ما بين النهرين والفرات (قاموس الكتاب المقدس).

دعوة الإسلام، وقاموا بالحق وبالعدل، بدل الضالين، و المغضوب عليهم من الله والناس - وهم اليهود - وبدل الضالين - وهم النصارى -

وفيما يلي بيان بتواريخ الأنبياء حسب المكتوب في كتب النصارى:

نوح	نحو سنة ٢٩٤٨	قبل الميلاد
إبراهيم	نحو سنة ١٩٩٦	قبل الميلاد
يعقوب	نحو سنة ١٨٣٧	قبل الميلاد
يوسف	نحو سنة ١٧٤٥	قبل الميلاد
أيوب	نحو سنة ١٥٧١	قبل الميلاد
موسى	نحو سنة ١٥٧١	قبل الميلاد
داود	نحو سنة ١٠٥٦	قبل الميلاد
يوس (يونان) ويوئيل	نحو سنة ٨٣ - ٨٠٠	قبل الميلاد
عاموس وهُوشَع وعوبيديا	نحو سنة ٧٨٤	قبل الميلاد
إشَعياء	نحو سنة ٧٦٠	قبل الميلاد
ميخا	نحو سنة ٧٥٨	قبل الميلاد
ناحوم	نحو سنة ٧٢٣	قبل الميلاد
صَفنيا وحَبَقُّوق	نحو سنة ٧٢٦	قبل الميلاد
حزقيال ودانيال	نحو سنة ٥٩٤	قبل الميلاد
حجى وزكريا (ليس والد يحيى عليه السلام)	نحو سنة ٥٢٠	قبل الميلاد
ملاخى	نحو سنة ٤٣٥	قبل الميلاد
عيسى	أول التاريخ الميلادي	غير محقق
	٥٧ نبـي الإســلام	بعد الميلاد

وقبل ظهور الإسلام كان اليهود العبرانيون طوائف متميزة. منها: ١ - الكتبة: وعملهم نسخ الكتب. ٢ - الفَرِّيسيون: وهم طائفة من الكتبة تدعى الغيرة على الشريعة اليهودية، ويؤمنون بقيامة الأموات. وكان منهم عيسى عليه السلام. وقد وبخهم كثيراً على تشددهم وتعنتهم في الدين. والنصارى هم الطائفة التي أشار إليها القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ٣ - الصدُّوقيون: وهم لا يؤمنون بقيامة الأموات، وينادون بفصل الدين عن السياسة.

وبعد ظهور الإسلام كان اليهود العبرانيون: طوائف. منها: ١ - الربانيون: ويتمسكون بالتوراة وبالتلمود. ٢ - القراؤون: ويتمسكون بالتوراة فقط، ويعرفون بالعنانية أيضاً. ٤ - العيسوية: ويقولون: إن محمدا ﷺ نبي مرسل، ولكن إلى العرب خاصة [1].

---

(١) انظر في هذا الفصل: تاريخ يوسيفوس وتاريخ الإسرائيليين لشاهين مكاريوس واليهودية للدكتور أحمد شلبي والقدس الخالدة للدكتور عبد الحميد زايد.

الفصل الثاني
في
التوراة والتَّلمود

١ - يقول اليهود السامريون: إن كتاب موسى عليه السلام يشتمل على خمسة أسفار هي: ١ - التكوين. ٢ - الخروج. ٣ - اللاويون. ويسمى الأحبار. ٤ - العدد. ٥ - التثنية. ويسمى تثنية الاشتراع. وهم لا يعترفون بغير ذلك، ولا يقرون بأن يأتي من بني إسرائيل نبي مشرع مثل موسى، لينسخ شريعة موسى، ويلغي ما فيها من أحكام وتشريعات. يقول واحد منهم عن مناقشة جرت بين فريق من علماء السامريين، وفريق من علماء أهل أورشليم بحضرة الملك «فلطمة» - وهو من ملوك اليونان بعد الاسكندر الأكبر - ويذكر أن الملك وجه السؤال للسامريين قائلاً: «ماذا تقولون في هؤلاء الذين ادعوا اليهود - العبرانيون - بأنهم أنبياء ولهم هذه الأسفار؟ فقالوا: أما هؤلاء فما نعرف بنبوتهم، ولا بأسفارهم، لأنها أيها الملك إما أن تكون وردت على يد أنبياء أو غير أنبياء، فإن كانت على يد أنبياء، **فقد منعت الشريعة الموسوية أن يقوم بعد موسى نبي**... ولو صادرناهم على ادعائهم مع منعها عندنا، لكانت إما ترد بمثل ما في التوراة سواء، فلا حاجة إليها، أو بأنقص مما فيها، فاتباع الأفضل أوجب. أو بأزيد مما فيها، وقد نهى الشرع عندنا وعندهم من قبوله. بمعنى أنها شريعة كاملة، أو بما ليس فيها فيكون ذلك نسخاً، والنسخ فغير جائز عندنا. فقال الملك: يا من حضر عند الملك: إن حجة اليونان في النسخ: أن ما حرم في وقت، وما هو قبيح في وقت، يجوز أن يصير حسناً في وقت آخر. وذلك يتبع غرض الشارع، وأخلاق المكلفين، وليست هذه الأشياء مما يكون الحكم قد تعلق بها. بحيث يكون

الوصف لازما لها. مادامت تلك العين موجودة. بل هذا تكليف يتعلق بمصالح المكلفين في وقت مّا، بحسب أخلاقهم وأحوالهم»[١]

ويقصد المؤرخ بقوله والنسخ فغير جائز عندنا، أي لا يجوز عندنا من نبي من بني إسرائيل. وقصده هذا يعلم من سياق الكلام في الاجتماع لأن الاجتماع كان بشأن قبول أسفار الأنبياء أو ردها. أما النسخ على يد نبي غير إسرائيلي، فهو جائز إذا كان من نسل إسماعيل، لأن له بركة.

٢ - ويقول اليهود العبرانيون: إن كتاب موسى يسمى التوراة حقيقة. وهو يشتمل على التكوين والخروج واللاويين والتثنية، ويطلق اسم التوراة مجازاً من باب إطلاق اسم الجزء على الكل على كتب أخرى تسمى أسفار الأنبياء، والتقسيم هكذا:

(أ) الأسفار الخمسة. (ب) أسفار الأنبياء المتقدمين أي القريبين لموسى في الزمن وهي: يشوع - القضاة - صموئيل الأول والثاني - الملوك الأول والثاني - إشعياء - إرمياء - حزقيال.

(ت) أسفار الأنبياء المتأخرين. أي البعيدين في الزمن عن عهد موسى. وهي هوشع - يوئيل - عاموس - عوبديا - يونان - ميخا - ناحوم - حبقوق - صفنيا - حجى - زكريا - ملاخى. ويطلق على هذه الأسفار أيضاً: كتب الأنبياء الصغار لقلة أصحاحاتها. كما يطلق على إشعياء وإرمياء وحزقيال ودانيال، كتب الأنبياء الكبار لكثرة أصحاحاتها.

(ث) الكتب العظيمة. وهي: المزامير (الزبور) - الأمثال - أيوب.

(ج) الكتابات. وهي: دانيال - عَزرا - نَحَمْيا - أخبار الأيام الأول والثاني.

٣ - ويقول النصارى البروتستانت: إن التوراة العبرانية هي الصواب، ويرتبون أسفارها كالآتي:

---

(١) ص ٧٤ التاريخ مما تقدم عن الآباء - ترتيب الشيخ أبي الفتح بن أبي الحسن السامري، يهودي سامري لم يسلم. طبع الكتاب بألمانيا سنة ١٨٦٥م وله أصل ألماني. ومقدمة باللاتينية، وملاحظات باللغة العبرية للمسيو إدوارد دلمار، وترجمته العربية ركيكة، ويقول المؤلف: إنه كتبه في نابلس سنة ٧٥٦ هـ.

١ - التكوين. ٢ - الخروج. ٣ - اللاويون. ٤ - العدد. ٥ - التثنية. ٦ - يشوع. ٧ - القضاة. ٨ - راعوث. ٩ - صموئيل الأول. ١٠ - صموئيل الثاني. ١١ - الملوك الأول. ١٢ - الملوك الثاني. ١٣ - أخبار الأيام الأول. ١٤ - أخبار الأيام الثاني. ١٥ - عزرا. ١٦ - نحميا. ١٧ - أستير. ١٨ - أيوب. ١٩ - المزامير. ٢٠ - الأمثال. ٢١ - الجامعة. ٢٢ - نشيد الأنشاد. ٢٣ - إشعياء. ٢٤ - إرمياء. ٢٥ - مراثي إرمياء. ٢٦ - حزقيال. ٢٧ - دانيال. ٢٨ - هوشع. ٢٩ - يوئيل. ٣٠ - عاموس. ٣١ - عوبديا. ٣٢ - يونان. (يونس). ٣٣ - ميخا. ٣٤ - ناحوم. ٣٥ - حبقوق. ٣٦ - صفنيا. ٣٧ - حجي. ٣٨ - زكريا - وليس هو والد يحيى عليه السلام - ٣٩ - ملاخي.

٤ - **ويقول النصارى الأرثوذكس والكاثوليك**: إن التوراة العبرانية كانت قد ترجمت إلى اللغة اليونانية سنة ٢٨٥ - ٢٤٧ ق.م، ويقولون نحن نعتبر التوراة اليونانية مقدسة. وهي تزيد عن التوراة العبرانية: الأسفار والأصحاحات والآيات الآتية:

اسم السفر	عدد الأصحاحات	موضع السفر من أسفار العهد القديم
١ - طوبيا	١ - ١٤	بعد سفر نحميا
٢ - يهوديت	١ - ١٦	بعد سفر طوبيا
٣ - تتمة أستير	١٠ - ١٦	مع سفر أستير
٤ - الحكمة	١ - ١٩	بعد نشيد الأنشاد
٥ - يشوع بن سيراخ	١ - ٥١	بعد سفر الحكمة
٦ - باروخ	١ - ٦	بعد مراثي إرمياء
٧ - تتمة دانيال	٣و١٣ - ١٤	مع سفر دانيال
٨ - المكّابين الأول	١ - ١٦	بعد سفر ملاخي
٩ - المكّابين الثاني	١ - ١٥	بعد المكّابيين الأول

٥ - وعندما ترجمت التوراة إلى اللغة اليونانية، أطلقوا على أسفار موسى الخمسة: لفظ «بانتاتيكوس» أي الكتاب ذو الأسفار الخمسة «وقد انتقلت هذه اللفظة إلى اللاتينية، وإلى معظم اللغات العصرية» [١] وجميع النصارى يسمون كتب التوراة: العهد العتيق أو العهد القديم، ويسمون كتب الأناجيل: العهد الجديد. ويسمون مجموع كتب العهدين: الكتاب المقدس، ويسمونه أحياناً: بيبل - بسكون الياء - وهو لفظ يوناني أطلق على مجموع العهدين.

---

(١) ص ٣ مقدمة الكتاب المقدس للآباء اليسوعيين (الكاثوليك).

الأسفار الضائعة

بعدما قدمنا أسماء الكتب القانونية عند الجميع، نشير إلى كتب مقدسة، ضاعت من أيدي اليهود، وجاء ذكرها في الأسفار القانونية السالفة الذكر وهي:

١ - سفر حروب الرب (عدد ٢١:١٤) ٢ - سفر ياشر (يشوع ١٠:١٣) ٣ - الثلاثة آلاف مثل لسليمان ٤ - الألف والخمسة مزامير. ٥ - تاريخ المخلوقات (الملوك الأول ٤:٣٠ - ٣٤) ٦ - قضاء المملكة لصموئيل (١صم ١٠:٢٥) ٧ - أخبار صموئيل الرائي. ٨ - أخبار ناثان النبي. ٩ - أخبار جاد الرائي (أخ ٢٩:٣١) ١٠ - شمعيا النبي ١١ - عدّو الرائي (٢ أخ ١٢:١٥) ١٢ - أخيا النبي الشيلوني ١٣ - رؤى يعدو الرائي (٢ أخ ٩:٢٩) ١٤ - أخبار ياهو بن حناني (٢ أخ ٢٠:٣٤) ١٥ - إشعياء النبي الذي كتب فيه أخبار عزّيا ملك أورشليم (٢ أخ ٣٢:٣٢) ١٦ - سفر رؤيا إشعياء النبي الذي كتب فيه أمور حزقيا ملك أورشليم (الأيام الثاني ٣٢:٣٤) ١٧ - مرثية أرمياء النبي على يوشيا. ملك أورشليم (٢ أخ ٣٥:٢٥) ١٨ - اخبار الأيام إلى أيام يوحانان بن الياشيب (نحميا ١٢:٢٣) ١٩ - كتاب العهد لموسى عليه السلام (خروج ٢٤:٧) - وسنناقش أمره مع «سبينوزا» فيما بعد - ٢٠ - أمور سليمان (الملوك الأول ١١:٤١)

أسفار الأبو كريفا وبسيدا بيجرافن

والكتب التي هي زائدة في التوراة اليونانية عن العبرانية، تسمى (الأبو كريفا) في نظر من يقدسون التوراة العبرانية. وغير ما جاء في اليونانية تجد أسفاراً أخرى منسوبة خطأً إلى غير مؤلفيها وتسمى (بسيدا بيجرافن) وقد حفظت مترجمة فقط. مثل سفر أخنوخ وحنوك. هذا، وقد ظهرت مخطوطات البحر الميت، وجزيرة قُمران سنة ١٩٤٧ ميلادية، ووجد منها أسفار وكتابات غير ما قدمنا. ولم تظهر النتائج الكاملة حتى الآن.

التلمود

يسميه اليهود العبرانيون: التوراة الشفاهية، وهو يشتمل على المشنة والجمارة. والمشنة معناها: تفسير موسى عليه السلام لبعض نصوص في التوراة بأحاديث شفاهية، وهذه الأحاديث النبوية الشفاهية ظلت متداولة بين العلماء وعامة الشعب، إلى أن وصلت للربى «يهوذا هناسي» [1] فدون السنة النبوية، في ستة مجلدات، وسماها: «شيشه سيدريه مشنه» أي كتب المشنة الستة، ثم جاء العلماء من بعده فشرحوا هذه السنة النبوية. وسموا شرحهم: الجمارة، أي التتمة. وفيما يلي نماذج للمشنة:

المشنة الأولى: «موسى تلقى التوراة من سيناء، وسلمها ليشوع، ويشوع للشيوخ، والشيوخ للأنبياء، والأنبياء سلموها لرجال الكنيسة الكبرى. والمأثور عنهم ثلاث وصايا: تأنوّا في الحكم، وأقيموا تلامذة كثيرين، واعملوا سياجا للتوراة»

المشنة الثانية: «شمعون الصديق. كان من بقايا الكنيسة الكبرى. والمأثور عنه: أن العالم قائم على ثلاثة أمور: العلم، والعبادة، والمعروف» .

المشنة الثالثة: «انطيجنوس رجل سوخو. استلم من شمعون الصديق، والمأثور عنه هذا القول: لا تكونوا كالخدم، الذين يخدمون سيدهم لنوال الأجر، بل كونوا كالخدم الذين يخدمون سيدهم لغير غاية، وليكن خوف الله نصب أعينكم».

المشنة الرابعة: «يوسي بن يوعيزر، رجل صريدة، ويوسي بن يوحنان رجل أورشليم استلما منه، قال يوسي بن يوعيزر: ليكن بيتك مجمعا للحكماء، وعفِّر نفسك بتراب أرجلهم، وتشرب كلامهم كالظمآن».

المشنة الخامسة: «قال يوسي بن يوحنان: ليكن بيتك مفتوحاً على الرحب والسعة، ولتكن الفقراء كبني بيتك، ولا تكثر الحديث مع المرأة، وخصوصاً امرأة قريبك. وقد استند الأئمة على هذا الكلام فقالوا: كل من أطال الكلام مع المرأة، يسبب الضرر لنفسه، ويلتهي عن درس الناموس. وآخرته ميراث جهنم».

---

(١) اسمه: الربى «يوضاس» في كتاب الكنز المرصود ص ٢٩ واقرأ عنه في الجزء الثاني من كتاب إظهار الحق.

المشنة السادسة: «يهوشاع بن براخيا» ونتاي الأربيلي. استلم منهما: يهوشاع بن براخيا. قال: اتخذ لك أستاذا واكتسب لنفسك رفيقاً، وليكن ظنك في الناس حسناً».

* * *

وفيما يلي نموذج للمشنة والجمارة:

المشنة الثامنة عشرة:«قال ربي شمعون: احترس بقراءة شيماع، وبالصلاة. فمتى صليت فلا تكن صلاتك مرسومة، بل ضمنها طلب الرحمة، وتذلل أمام المقام الأكبر، ولا تكونن رديئاً متى خلوت بنفسك».

الجمارة:

«ربى شمعون: هو شمعون بن نتانئيل

احترس بقراءة شيماع، وبالصلاة: شيماع هي أهم أركان صلاتي الصباح والغروب. والصلوات الثلاث وهي: صلاة الصبح، وصلاة الأصيل، وصلاة الغروب. ومتى صليت.. إلخ. أي لا يجب أن تكتفي بالصلاة الرسمية المدونة في الكتب، بل ضمنها ما يحضرك من عبارات الاستغفار والتندم على مساويك أمام مقام الإله.

ولا تكونن رديئاً متى خلوت بنفسك: أي كن في نفس الجودة التي تتظاهر بها أمام الناس» [١].

التلمود الأورشامي، والتلمود البابلي

ويوجد في العالم نسختان متداولتان من التلمود هما:

١ - التلمود الأورشامي: وهو الذي كان موجوداً بفلسطين سنة ٢٣٠ ميلادية.

٢ - التلمود البابلي: وهو الذي كتب في بابل سنة ٥٠٠ ميلادية، وتلمود بابل هو

(١) التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص ٦ - ١١٢ .

المتداول بين اليهود العبرانيين وإذا أطلق كان هو المراد، وهو ستة أقسام:

الأول خاص بالزراعة ويشمل أحكام الصلوات والبركات.

والثاني: خاص بالأعياد والسبوت.

والثالث: خاص بالنساء عن أحكام الزواج والطلاق.

والرابع: خاص بالأضرار وهي أحكام المالية والجنح.

والخامس: مقدمات عن القرابيين والذبائح.

والسادس: عن الطهارة والنجاسة. وطبعت الطبعة الأولى في «نابولي» سنة ١٤٩٢م والطبعة الكاملة هي التي طبعت في البندقية.

* * *

وبالإضافة إلى ذلك نجد في التلمود كثيراً من عبارات السفه والمجون. مثل: «إن يسوع الناصري - عيسى عليه السلام - موجود في لجات الجحيم بين الزفت والنار، وأن أمه مريم أتت به من العسكري باندارا بمباشرة الزنا. وإن الكنائس النصرانية بمقام قاذورات، وإن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة، وإن قتل المسيحي من الأمور المأمور بها، وأن العهد مع مسيحي، لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهودي القيام به، وأنه من الواجب ديناً: أن يلعن ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة ضد بني إسرائيل» (١)

---

(١) التلمود شريعة إسرائيل ص ٥ - ١١ والكنز المرصود في قواعد التلمود ص ١١ .

الفصل الثالث
في
أسفار موسى الخمسة
تعريف بها وبأماكن تفسيرها

أولاً: التعريف بالتوراة:

١ - سفر التكوين: Genesis

يسمى بالعبرية (براشيت) أي في البدء، نسبة إلى الكلمة الأولى التي يبتدأ بها، وفي اليونانية واللاتينية (جينزيز) أي خلق أو تكوين. وبهذه التسمية يعرف في الترجمة العربية.

وقد بدأه الكاتب بقوله: «في البدء خلق الله السموات والأرض» ثم ذكر **قصة آدم عليه السلام** ومما قال: «وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفسا حية» - «وأوصى الرب الإله آدم قائلا: من جميع شجر الجنة تأكل أكلا، وأما شجرة معرفة الخير والشر، فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها، موتا تموت» - «وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية، وكل طيور السماء، فأحضرها إلى آدم، ليرى ماذا يدعوها؟ وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية، فهو اسمها». ثم ذكر **قصة قايين وهابيل ابني آدم**. ومما قال: «وكان هابيل راعيا للغنم، وكان قايين عاملاً في الأرض. وحدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب، وقدم هابيل أيضاً من أبكار غنمه، ومن سمانها. فنظر الرب إلى هابيل

وقربانه. ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر» - «وكلم قايين هابيل أخاه، وحدث إذ كانا في الحقل، أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله» - «لذلك كل من قتل قايين فسبعة أضعاف ينتقم منه».

ثم ذكر قصة إدريس عليه السلام.. وأنه عاش ثلاثمائة وخمسًا وستين سنة، ثم رفع إلى الله تعالى: «وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد. لأن الله أخذه».

ثم ذكر قصة نوح عليه السلام فقال: «قال الله لنوح: نهاية كل بشر قد أتت أمامي، لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم. فها أنا مهلكهم مع الأرض، اصنع لنفسك فلكاً من خشب جفر.. فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض، لأهلك كل جسد، فيه روح حياة، من تحت السماء. كل ما في الأرض يموت، ولكن أقيم عهدي معك. فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك. ومن كل حي من كل ذي جسد، اثنين من كل تدخل إلى الفلك، لاستبقائها معك تكون ذكراً وأنثى» وبالطوفان «محا الله كل قائم كان على وجه الأرض... وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط» - «وعاش نوح بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، فكانت كل أيام نوح تسعمائة وخمسين سنة ومات».

ثم ذكر قصة إبراهيم عليه السلام. وبين أنه ولد في «أور الكلدانيين» (١) وأنه رحل إلى أرض كنعان، مع لوط عليه السلام «فذهب إبرام كما قال له الرب، وذهب معه لوط» ابن أخيه، ثم إن سارة زوجة إبراهيم. يقول الكاتب عنها على لسان إبراهيم: «وبالحقيقة أيضا هي أختي. ابنة أبي. غير أنها ليست ابنة أمي، فصارت لي زوجة» [تك ٢٠:١٢] وسارة هذه كانت عاقراً، وكان لها جارية تسمى هاجر، وهبتها لإبراهيم، فأنجب منها إسماعيل عليه السلام، وكان إبراهيم وقتئذ في السادسة والثمانين من العمر وعللت الهبة بقولها: «لعلي أرزق منها بنين» فلما ولدت هاجر إسماعيل؛ صار

(١) أور الكلدانيين: يقول الدكتور جورج بوست (هي مسقط رأس إبراهيم وللجغرافيين ثلاثة آراء بخصوص موضعها ١ - أنها أورفا مدينة واقعة شرقي نهر الفرات على بعد ٢٠ ميل شمالي حاران ٢ - أنها ورقة الواقعة على بعد ١٢٠ ميلا إلى الجنوب الشرقي من بابل و٤ أميال شرقي الفرات ٣ - أنها مغير في كلدية على بعد ١٢٥ ميلا إلى الشمال الغربي من رأس خليج العجم بالقرب من ملتقى الفرات ودجلة) (قاموس الكتاب المقدس).

وحيداً لسارة ووحيداً لهاجـر ووجيداً لإبراهيم. ولما كان الذبيح هو الوحيد؛ يكون هو إسماعـيل. لا إسحقق. «**وقال إبراهيم لله: ليت إسمـاعيل يعيش أمامك**» أي يدعـو الناس إلى معرفتك وقال الله عن إسماعيل: «وأما إسـماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً، اثنى عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة»

وجاء الملائكة ضـيوفا عند إبراهـيم «فأسرع إبراهيم إلى الخـيمة، إلى سـارة وقال أسرعي بثلاث كيلات دقيقاً سميذا. اعجني واصنعي خبز ملّة، ثم ركض إبراهيم إلى البقر، وأخذ عـجلا رخصاً وجيداً، وأعطاه للغلام فأسـرع ليعمله... وقالوا له: أين سارة امـرأتك! فقال: ها هي في الخـيمة. فقـال: إني أرجع إليك نحو زمان الحـياة ويكون لسارة امرأتك ابن. وكـانت سارة سامعة في باب الخيـمة. وهو وراءه، وكان إبراهيم وسارة شيخين متقدمين. وقـد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء. فضحكت سـارة في باطنها قـائلة: أبعد فنـائي يكون لي تنعم وسيـدي قد شـاخ؟ فقـال الرب لإبراهيم: لماذا ضحكت سـارة قائلة: أفبـالحقيقـة ألد، وأنا قد شخت؟ هل يستـحيل على الرب شيء؟»

ثم إن الملائكة الضيوف انطلقوا إلى لوط عليه السلام، وقد أعلموا إبراهيم بعزمهم على هلاك قوم لوط. وقد قال لكبيرهم: «أفتهلك البار مع الأثيم؟... حاشا لك أن تفعل مـثل هذا الأمر. أن تميت البـار مع الأثيم، فيكون البـار كالأثيم، حـاشا لك. أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً؟»

ثم ذكر الكاتب قصة لوط عليه السلام وفيها: «جاء الملاكان إلى سدوم مساء، وكان لوط جالسـاً في باب سدوم... وقبلمـا اضطجعـا أحاط بالبيت رجـال المدينة رجال سدوم من الحدث إلى الشيخ، كل الشـعب من أقصاها. فنادوا لوطا. وقالوا له: أين الرجلان اللذان دخلا إليـك الليلة، أخرجهما إلينا لنعـرفهما. فـخرج إليهم لوط إلى الباب، وأغلق الباب وراءه، وقال: لا تفعلوا شراً يا أخوتي. هوذا لي ابنتان لم تعرفا رجلاً. أخرجهما إليكم .فافعلوا بهمـا كما يحسن في عيونكم. وأما هذان الرجلان، فلا تفعـلوا بهما شيئـاً لأنهما: قد دخـلا تحت ظل سقفي... ولما طلع الفـجر كان الملاكان يعجلان لوطا قائلين: قم خـذ امرأتك وابنتيك لئلا تهلك بإثم المدينة... وإذ أشـرقت الشمس على الأرض، دخل لوط إلـى صوغـر، فأمطر الرب على سـدوم،

وعمـورة كبـريتا ونارا من عـند الرب من السمـاء، وقلب تلك المدن، وكل الدائرة، وجميع سكان المدن، ونبات الأرض، ونظرت امرأته من ورائه، فصارت عمود ملح»

ثم عاد الكاتب إلى قصة إبراهيم عليه السلام. فذكر أن «إبراهيم كان ابن مئة سنة حين ولد له إسحق ابنه» وأن ملاك الله نادى هاجر من السمـاء، وهي تحمل إسماعيل لتذهـب به بعيداً عن سـكنى سارة: «قومي احـملي الغلام، وشـدي يدك به، لأني سأجعله أمة عظيمة، وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء» ويقول الكاتب: أن الله امتحن إيمان إبراهيم فأمره بذبح ابـنه وحيده «وحدث بعد هذه الأمـور إن الله امتحن إبراهيم فقال: يا إبراهيم. فـقال: هأنذا. فقال: خذ ابنك وحيدك الـذي تحبه إسحق، واذهب إلى أرض الْمريَّا [1]، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك... فلما أتيـا إلى المـوضع الذي قـال له الله. بـنى هناك إبراهيم المذبـح ورتب الحطب وربط إسـحق ابنه، ووضعـه على المذبح، ثم مد إبراهـيم يده، وأخذ السكين ليـذبح ابنه، فناداه ملاك الرب من السماء. وقال: إبراهيم، إبراهيم فقال: هأنذا فقال: لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفـعل به شيـئاً. لأني الآن علمت أنك خـائف الله، فلم تمسك ابنك وحيـدك عني، فرفع إبراهيم عينيـه ونظر. وإذا كبش وراءه ممسكا في الغابة بقـرنيه. فذهب إبراهيم وأخـذ الكبش وأصعـده محرقـة عوضاً عن ابنـه» ويقول الكاتب: إن إبراهيم «أخذ زوجة اسـمها قطورة، فولدت له: زمران، ويقشـان، ومدان، ومديان، ويشباق، وشوحا».

ثم يتحدث الكاتب أن إسحـق أنجب يعقوب «إسرائيل» وأن كل الطعام كـان حلا لبني إسرائيل، إلا ما حرم إسرائيل على نفسه [تك ٩: ٢-٣] وقد حرم على نفسه عرق النَّسا. لأن إنساناً صارع يعقوب حتى طلوع الفجر، ولما رأى هذا الإنسان قوة يعقوب ضرب يعقـوب على حق فخذه يقول الكاتب: «فـبقي يعقوب وحده وصـارعه إنسان حتى طلوع الفـجر ولما رأى أنه لا يقدر عليه، ضـرب حق فخذه، فانخلع حـق فخذ

(١) جبل الموريا: بتشديد الياء «هو الجبل الذي بنى سليمان عليه الهيكل في أورشليم (الأخبار الثاني ٣: ١) ويظن الأكثرون: أن موضع الهيكل هو نفس الموضع الذي فيه أمر إبراهيم أن يستعد لتقديم إسحق ابنه للذبح، غير أن التقليد السامري يـقول: أن موضع الذبح لإسحق كان على جبل جرزيم. وبعض العلماء يوافقونهم على ذلك» (قاموس الكتاب المقدس) والحق أن الذبيح كان إسماعيل وكان الذبح في مكة.

يعقـوب في مصارعته مـعه. . . لذلك لا يأكل بنو إسرائيل، عـرق النسا، الذي على حق الفخـذ إلى هذا اليوم» وهذا الإنسان ملاك مـن ملائكة الله. لأن النبي «هوشع» في سفـره يقول عن يعقوب عليـه السلام: «وبقوته جـاهد مع الله. جاهد مع الملاك وغلب» [هوشع ١٢: ٣ - ٤] ولأن التوراة السامرية ترجمت «الله» بالملاك.

ثم ذكر قصــة يوسف عليه السلام، وأطال فيها وبانتـهاء قصته ينتهي السـفر. لقد كتب أنه كان محبوباً من أبيه أكثر من جميع إخوته، وقال لأبيه يوماً: «إني قد حلمت حلماً أيضاً، وإذا الشمس والقـمر وأحد عشر كوكباً سـاجدة لي» وأن أخوته رموه في بئر ليس فيـه ماء ساعة رمـيه، وذهبوا إلى أبيهم بقـميص يوسف ملوثاً بدم تيس من المعزى. وأن تجاراً كانوا متوجهين إلى مصر. وفي مرورهـم على البئر ليستقوا «سحبوا يوسف وأصعـدوه من البئـر» وباعوه في مـصر، وقـالت امـرأة مـربيـه له ذات يوم: «اضطجع معي. فترك ثوبه في يدها وهرب».

ثم سجن بإيعاز من المرأة هذه. وفي السجن لقي ساقي المـلك وخبازه محبوسين، فبشر الساقي بالخروج من السجن سليماً وأنبـأ الخباز بخروجه للقتل، بناء على تفسير رؤياهما، اللتين رأياهما في حلم، وبعد سنتين رأى الملك حـلماً: «سبع بقرات طالعة من النهر حسنة المنظر، سمينة اللحم فـارتعت في روضة، ثم هوذا سبع بقرات أخرى طالعة وراءها، من النهر قـبيحة المنظر ورقـيقة اللحم فوقفت بجـانب البقرات الأولى على شاطئ النهر فأكلت البـقرات القبيحة المنظر والرقيقـة اللحم البقرات الحسنة المنظر والسمـينة، واستيـقظ فرعون ثم نام فحـلم ثانية. وهوذا سبع سنابل طالعـة في ساق واحد سمينة وحسنة ثم هوذا سبع سنابل رقيقـة ومـلفوحة بالريح الشرقية نابتة وراءها فابتلعت السنابل الرقيقة السبعة السمينة الممتلئة. . . إلخ».

وفسر يوسف الرؤيا وخرج من السجـن وأصبح على خزائن الأرض. وجاء إخوته ليشـتروا طعـاماً بعدمـا عم الجوع أرض كنعـان «وعرف يوسف إخوتـه. وأماهم فلم يعرفـوه» ثم طلب منهم إذا أرادوا العودة لشـراء طعام: أن يأتوا بأخ لهم مـن أبيهم. وقد تم ذلك. ثم إنه صنع حيلة لاستبقاء أخيه عنده فوضع السقاية في رحل أخيه«أمر الذي على بيته قائلاً: املأ عدال الرجال طعامـاً حسب ما يطيقون حمله. وضع فضة كل واحـد في عـدله، وطاسي طاس الفـضـة تضع في فم عـدل الصـغـيـر، وثمن

قمحه. . . ولما كانوا قد خرجوا من المدينة، ولم يبتعدوا قال يوسف للذي على بيته: قم اسع وراء الرجال ومتى أدركتهم فقل لهم: لماذا جازيتم شراً عوضاً عن خير؟ أليس هذا هو الذي يشرب سيدي فيه، وهو يتفاءل به؟ أسأتم في ما صنعتم» والمناسب لقوله «الذي يشرب سيدي فيه» كلمة «السقاية» وعليه، فإن الذي وضعوه هو السقاية، المعبر عنها بطاس الفضة. ثم أنه لما نادى، نادى بقوله: «نفقد صواع الملك» وغرضه: التمويه على إخوته. فإنهم إذا فتحوا رحالهم ووجدوا السقاية، لا يظنون أن تلك حيلة من يوسف. بل يظنون أن هذه سرقة ما كان يعلم بها يوسف عليه السلام وما يزال البحث جاريًا عن الصواع ثم إنهم استعطفوا يوسف أن يترك بنيامين، ويأخذ أحدهم مكانه. فأبى، قائلاً: «حاشا لي أن أفعل هذا. الرجل الذي وجد الطاس في يده، هو يكون لي عبداً. وأما أنتم فاصعدوا بسلام إلى أبيكم» ثم إنهم استعطفوه. فلم يستطع يوسف أن يضبط نفسه لدى جميع الواقفين عنده. فاختلى بهم، وعرفهم بنفسه وطلب منهم أن يرجعوا إلى أبيهم، ويطلبوا منه النزول ضيفاً في أرض مصر. وتم ذلك وجاء بأهله أجمعين.

ثم يقول الكاتب: إن يعقوب لما حضره الموت أوصى بنيه وباركهم وأسلم الروح. فحنطه المصريون ثم انطلق به يوسف إلى أرض كنعان فدفنه فيها «ثم مات يوسف وهو ابن مئة وعشر سنين فحنطوه. ووضع في تابوت في مصر» وبهذه الآية انتهى السفر.

٢ - سفر الخروج: **Exodus**

يسمى بالعبرية «وإله شموت» أي: أسماء. وفي اليونانية واللاتينية «أكسودوس» أي: خروج. لتناوله خروج بني إسرائيل من أرض مصر. وفيه ذكر الكاتب طرفاً من قصة موسى عليه السلام وبعض التشريعات. نذكر للإيجاز والاختصار مما ذكره: أن بني إسرائيل كثروا جداً بعد موت يوسف عليه السلام «وامتلأت الأرض منهم» ثم قام ملك جديد على مصر، لم يكن يعرف فضل يوسف عليهم فظلم بني إسرائيل، بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم ليقلل عددهم، خوفاً أن ينضموا إلى أعداء مصر، إذا أتوا لاحتلالها. **وفي ذلك الزمان ولد موسى عليه السلام، ووضعته أمه في صندوق، وألقت الصندوق في اليم** [1] ووقفت أخته من بعيد لتعرف ماذا يفعل به؟ ثم يقول

(١) اليم هو الماء المالح باللغة العبرية ويترجح لدينا أن الصندوق القي في مصرف فاقوس في محافظة الشرقية بمصر وأن امرأة فرعون كانت في صان الحجر على ضفاف بحيرة المنزلة. =

الكاتب: إنه تربى في بيت فرعون، ولما كبر وجد مصرياً يضرب عبرانياً «فقتل المصري وطمره في الرمل» وفي اليوم التالي رأى عبرانيين يتقاتلان.. فقال للمذنب: لماذا تضرب صاحبك؟ فقال: من جعلك رئيساً وقاضياً علينا؟ أمفتكر أنت بقتلي، كما قتلت المصري؟ فخاف موسى وقال: حقا قد عرف الأمر. فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يقتل موسى فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مدين، وجلس عند البئر» وتزوج ابنة كاهن مدين وسكن معه في بيته. وبعد مدة استقل موسى عن حميه وذهب يرعى غنمه عند جبل الطور فرأى ناراً في عليقة، والعليقة لا تحترق. فلما اقترب منها ناداه الله قائلاً: «اخلع حذاءك من رجليك. لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة» ثم أرسله إلى فرعون وأعطاه معجزتي العصا واليد البيضاء. فذهب موسى إلى حميه وأخبره، ثم «أخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير، ورجع إلى أرض مصر، وأخذ موسى عصا الله في يده»

ويقول الكاتب: إن موسى وهارون دخلا على فرعون وطلبا منه: إرسال بني إسرائيل معهما ليعيشا في أرض أخرى. فلم يستمع لهما فرعون وثقَّل على بني إسرائيل. فقالوا: ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ كما جاء في القرآن الكريم، ثم إن فرعون دعا «الحكماء والسحرة ففعل عرافو مصر أيضاً بسحرهم كذلك. طرحوا: كل واحد عصاه، فصارت العصي ثعابين. ولكن عصا هرون ابتلعت عصيهم، فاشتد قلب فرعون فلم يسمع لهما» **ولذلك أنزل الله على المصريين آيات عدّها الكاتب هكذا:**

١ - تحول النهر إلى دم ٢ - أفاض النهر بعد ذلك ضفادع ٣ - صار بعوض في جميع أرض مصر ٤ - صار الذبان الكثير إلى بيت فرعون، وبيوت عبيده، وفي كل أرض مصر ٥ - موت مواشي المصريين التي في الحقل من الخيل والحمير والجمال والبقر والغنم بالوباء الثقيل ٦ - الرماد ينتثر على أجساد المصريين فيحدث لهم دمامل

= وقد أخطأ شوقي الشاعر في قوله:

قف بتلك القصور في اليم غرقى.. ممسكًا بعضها من الذعر بعضًا

لأن القصور كانت في نهر النيل. والنهر لا يطلق عليه «يم»

وفاقوس في التوراة «جاسان» وصان في التوراة «صوعن»

٧ - أرسل الله رعوداً وبرداً ومطراً شديداً «ولكن فرعون لما رأى أن المطر والبرد والرعود انقطعت، عاد يخطئ، وأغلظ قلبه هو وعبيده» وبعد الطوفان هذا، ٨- نزل الجراد «شيء ثقيل لم يكن قبله جراد هكذا مثله» ٩- حل ظلام دامس على كل أرض مصر ثلاثة أيام ١٠ - مات كل بكر «من بكر فرعون الجالس على كرسيه، إلى بكر الجارية التي خلف الرحى، وكل بكر بهيمة»

وقد ذكر القرآن الكريم: أن الآيات كانت تسعا لا عشراً، وذكر منهن خمسة في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ﴾ .

ومن إعجاز القرآن. أنه ذكر كلمات اختلف المفسرون فيها. وبيّن لهم الصواب فيها. مثال ذلك: ١ - «الضفادع» يقول مفسرو التوراة: «أجمع المفسرون القدماء وجمهور المحدثين: على أن الضربة الثانية هي الضفادع، واتفقت على ذلك التراجم القديمة. لكن بعض المحدثين: رأى أنها التماسيح، وهو رأي باطل، لاستحالة صدق صفاتها ومعناها على التماسيح، والضفادع في العبرانية «صفردعيم» وهو جمع «صفردع» ومعنى «صفر»: طفر. ومعنى «ردع»: رداع، أي ردغة، وهي واحدة الرداغ. أي القافزات علوا في الأرضين ذوات الطين والماء. وهذا لا يصدق على غير الضفادع» ٢ - «القمل» يقول مفسرو التوراة: «اختلف العلماء في الضربة الثالثة. فقال بعضهم: إنها ضربة القمل. وقال بعضهم: إنها ضربة البعوض. وذهب يوسيفوس واليهود إلى القول الأول. وذهب إلى الثاني مترجمو السبعينية والفلغاتا وفيلو، وأرتابانوس، وأوريجانوس، والقديس أوغسطينوس في الأزمنة القديمة»[1]

وفي علمنا أن البعوض والذبان: ليستا ضربة واحدة لأنهما مخلوقان غير متشابهين. فالذباب هي الخنافس. وكلمة أروب العبرانية تشير إلى نوع من الخنافس.

وعقب أكثر الآيات كان فرعون يطلب من موسى أن يكشف البلاء، واعداً إياه أن يؤمن به، ولكنه كان يخلف وعده، وأخيراً خرج موسى ببني إسرائيل بأمر الله، لا بأمر فرعون؛ آخذاً معه عظام يوسف عليه السلام، وسار وراءه فرعون وجنوده إلى البحر الأحمر «فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل، وجعل البحر يابسة

---

(١) ص ٣٣٤ - ٣٣٦ جـ١ السنن القويم.

وانشق الماء. فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم، وتبعهم المصريون، ودخلوا وراءهم. جميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه إلى وسط البحر. وكان في هزيع الصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين في عمود النار والسحاب، وأزعج عسكر المصريين، وخلع بكر مركباتهم حتى ساقوها بثقله. فقال المصريون نهرب من إسرائيل. لأن الرب يقاتل المصريين عنهم، فقال الرب لموسى: مد يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين على مركباتهم وفرسانهم. فمد موسى يده على البحر، فرجع البحر عند إقبال الصبح إلى حاله الدائمة، والمصريون هاربون إلى لقائه. فدفع الرب المصريين في وسط البحر، فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر. لم يبق منهم ولا واحد».

يقول مفسرو التوراة «وهنا مسألة ذات شأن، وهي أنه هل دخل فرعون معهم أو بقى مع المشاة؟ المرجح: الثاني. فإن «منفتاح» وهو فرعون الخروج على الراجح، كان جبانا كثير الحذر والحرص على حياته، على ما أفاد بعض المؤرخين»[1] وقد ذكر القرآن الكريم عن فرعون وقومه: ﴿ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴾ وعن فرعون وحده: ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾ .

(١) ص ٣٧٥ جـ ١ السنن القويم.

رواية التوراة عن هرب اليهود
من وجه فرعون أو طرد فرعون لليهود

أولاً: بعدما انتهت الآيات التسع. وهي: ١ - الماء المنقلب دمًا ٢ - الضفادع .
٣ - البعوض ٤ - الذباب ٥ - موت المواشي ٦ - القروح ٧ - البرد ٨ - الجراد
٩ - الظلام ثلاثة أيام قال فرعون لموسى: «اذهب عني. احترز. لا تر وجهي أيضًا. إنك يوم ترى وجهي؛ تموت. فقال موسى: نعمًا قلت. أنا لا أعود أرى وجهك أيضًا {خر: ١ : ٢٨ - ٢٩}

وعند هذا الحد. تمت الآيات التسع. ويكون بعدها خروج اليهود من مصر. والواضح من تهديد فرعون لموسى: أنه لن يسمح لليهود بالخروج من مصر. ويلزم على عدم سماحه ١ - إما الهرب بدون إذن من الله، أو إذن من فرعون. ولابد من القول بأن الله أذن لهم، ووعدهم بحمايتهم من فرعون. وهذا ما حدث.

وقد جاء في القرآن الكريم أن الله أذن لهم. وجاء في التوراة : أنه بعد الآيات التسع، ضرب الله المصريين بموت الأبكار. فلما رأى فرعون رغبة قومه في إبعادهم عن البلاد بعد هذه الضربة. سمح لهم بالخروج مكرًا. حتى أنهم إذا تجمعوا في مكان ما. يسهل عليه قتلهم.

ومفسرو التوراة اضطربوا في حل هذا الإشكال. وهو الهرب أم الطرد. وقالوا ما نصه: «من الصعب التوفيق بين هاتين النظرتين. . إن كان الكلام على مجموعة واحدة من الشعب. أما إن كان الكلام يدور على مجموعتين مختلفتين من الشعب فلكل من النظريتين مبرراتها. يتعلق تقليد الخروج بالهرب بمجموعة موسى التي يلاحقها المصريون وتنجو بفضل معجزة البحر. أما تقليد الخروج بالطرد فقد يتعلق بمجموعة مشابهة قد تكون قد طردت من مصر فيما سبق. وفي إمكاننا أن نتتبع هاتين القصتين في ازدواج سير الخروج من مصر (راجع ١٣ : ١٧ +) والتقليد المتعلق بمجموعة موسى هو الأهم. وقد استقطب ذكريات الخروج بالطرد» {انتهى بنصه}

والضربة العاشرة هي موت الأبكار لا يعدها مفسرو التوراة[1] من الآيات. فعلى تفسيرهم يكون القرآن والتوراة متفقان على التسع: يقول المفسرون: إن الضربة «اصطلاح شائع. غير أن النص لا يستعمله بالمعنى التام إلا في الضربة العاشرة. أما الضربات التسع الأولى فهي «خوارق» أو «آيات».. إلخ.

ويقول المفسرون: إن المزمور ٧٨ : ٤٣- ٥١ فيه تقاليد أخرى عما في التوراة. وكذلك في المزمور ١٠٥ : ٢٧ - ٣٦

ففي المزمور الثامن والسبعين:

١ - الدم ٢ - البعوض ٣ - الضفادع ٤ - الجراد ٥ - البرد

٦ - الحريق ٧ - الوباء ٨ - موت الأبكار.

وفي المزمور المائة والخمس:

١ الظلام ٢ - الدم ٣ - الضفادع ٤ - الذباب والبعوض ٥ - البرد

٦ - النار ٧ - الجراد ٨ - الغوغاء من الحشرات ٩ - موت الأبكار

ثم تحدث الكاتب عن حياة موسى وبني إسرائيل في أرض سيناء، وبيَّن أن الله رزقهم المن والسلوى، وفجر لهم من الصخرة ماء، وأن موسى حارب العماليق وانتصر عليهم، وهم من نسل عيسو بن إسحق النبي عليه السلام، وكانوا يسكنون جهة الأردن مما يلي مصر. ثم إن الله تعالى نادى موسى أن يبلغ بني إسرائيل بميثاق الشريعة، فقالوا: «كل ما تكلم به الرب نفعل» وعلى ذلك صعد موسى إلى جبل الطور، وتلقى شريعة التوراة وفيها: «وإن حصلت أذية، تعطي نفساً بنفس، وعيناً بعين، وسنّاً بسن، ويداً بيد، ورجلاً برجل، وكيّاً بكي، وجرحاً بجرح، ورضّا برضّ» وفيها: «إذا سرق إنسان ثوراً، أو شاة فذبحه أو باعه، يعوض عن الثور بخمسة ثيران، وعن الشاة بأربعة من الغنم. إن وجد السارق وهو ينقب، فضرب ومات، فليس له دم. ولكن إن أشرقت عليه الشمس، فله دم. إنه يعوض، إن لم يكن له بيع بسرقته، إن وجدت السرقة في يده حية، ثوراً كانت أم حماراً أم شاة، يعوض باثنين» ثم تحدث الكاتب عن ١ - صفة «مسكن الرب» (خيمة الاجتماع) ٢ -

(١) الكتاب المقدس - جمعيات الكتاب المقدس في المشرق - لبنان ١٩٨٨ .

ودار مسكن الرب. ولما كانت الكتب الإسلامية - من قبلنا - لم تتعرض لهما بالبيان. وقد يظن أن كاتب التوراة قد نقل الوصف من هياكل المصريين القدماء، وهياكل أشور وبابل، رأيت أن أشير إلى وضعهما، معتمداً على نص التوراة - الذي هو أسبق في الزمان مما في الهياكل - ومسترشداً بأقوال المفسرين:

١ - التابوت: طوله ٢ ١/٢ وعرضه ١ ١/٢ وارتفاعه ذراع واحد ويصنع من خشب السنط، ويغشي من الداخل والخارج بالذهب النقي، وله حلقتان على جانب، وعلى جانبه الثاني حلقتان، وعصوين من خشب السنط، مغشيان بالذهب، ويوضع فيه «العهد».

٢ - غطاء التابوت: طوله ٢ ١/٢ وعرضه ١ ١/٢ ذراع ويصنع من الذهب النقي «وتصنع له كروبين من ذهب، على طرف كروب، وعلى الطرف الثاني كروب». ويكون الكروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق، مظللين بأجنحتهما على الغطاء، ووجهاهما كل واحد إلى الآخر. نحو الغطاء يكون وجها الكروبين.

٣ - المائدة: طولها ٢ وعرضها ١ وارتفاعها ١ ذراع، «وتجعل على المائدة خبز الوجوه، أمامي دائماً».

٤ - المنارة: وتصنع من ذهب نقي، على هيئة نجفة كريستال كبيرة، كالتي نشاهدها في بيوت المصريين الآن.

٥ - مسكن الرب: على هيئة سرادق كبير من القماش. يصنع المسكن من عشر شقق طول الشقة الواحدة ٢٨ ذراعاً، وعرض الشقة ٤ أذرع، وعلى حاشية الشقة تصنع خمسون عروة، ثم توصل كل شقة بالأخرى في العروات، بواسطة شظ من ذهب. والشظ هو كدبوس القميص المعكوف الذي يوضع في عروتي الكم. خمس شقق توصل، وخمس شقق توصل، ثم يصنع سقفها، وهو مكون من إحدى عشرة شقة، طول الشقق ٣٠ والعرض ٤ خمس شقق توصل، وست شقق توصل. ثم تسقف الخيمة والفاضل من السقف يدلى على جانبي المسكن. ويوضع فوق قماش السقف، جلود كباش محمرة. ثم يصنع جدران للمسكن من خشب السنط، طول اللوح ١٠ أذرع وعرض اللوح ١ ١/٢ ذراع. عشرون لوحاً إلى جهة الجنوب، وعشرون

لوحاً إلى جهة الشمال، ونحو[١] الغرب ستة ألواح، ولوحان للزوايا، ويجعل لكل جانب خمس عوارض من الخشب، لضبط الألواح وضمها معاً. والعارضة الوسطى من كل جانب، تمتد من أحد طرفي الخيمة إلى الآخر.

٦ - الحجاب (قدس الأقداس) [١]: يصنع من قماش نفيس على أربعة أعمدة داخل مسكن الرب، وكان يحتل ثلث مساحة المسكن. وما وراء الحجاب يسمى قدس الأقداس، وما هو خارج يسمى: القدس. وفي قدس الأقداس وراء الحجاب يوضع التابوت، وعليه الغطاء. وفي القدس توضع المنارة على الجانب اليمين، والمائدة على الجانب الشمال.

٧ - المذبح: يصنع من خشب السنط على شكل مربع ٥ × ٥ وارتفاعه ٣ أذرع، ومجوف من الوسط، وعلى الزوايا الأربعة قرون، تربط فيها البهائم قبل ذبحها، قرباناً لله [٢] ويصنع له شبكة من النحاس كانت تحيط بالمذبح من نصفه إلى أسفله، لتقي جوانب المذبح من أرجل الكهنة بني هارون. **وأدوات المذبح هي:**

(أ) قدور: لرفع الرماد وفضلات الذبيحة.

(ب) رفوش: أدوات يرفع بها الرماد إلى القدور.

(ت) مراكن: الآنية التي يؤخذ فيها دماء الذبائح.

(ث) المناشل: أدوات مثل الشوكة التي تستخدم في الأكل لترتيب قطع الذبيحة على المذبح.

(جـ) المجامر: الآنية التي يوضع فيها الجمر للتبخير. وكان مذبح النحاس هذا، يشبه التابوت، ومائدة خبز الوجوه، في أن الكهنة كانوا يحملونه في الانتقال من مكان إلى آخر، وكان يوضع في دار المسكن، لا في المسكن نفسه.

---

(١) ما كان لأحد أن يدخل قدس الأقداس، إلا أن يكون الكاهن الأعظم، رئيس الكهنة، من بني هرون. ولا يدخله إلا مرة واحدة في السنة.

(٢) وقد أشار داود عليه السلام إلى قوله تعالى: ﴿ ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ إلى إنهاء الشريعة اليهودية، ومجيء نبي الإسلام ﷺ بقوله «أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح» [مزمور ١١٨ :٢٧] كناية عن أن محل ذبح الهدي هو الكعبة في مكة. والكعبة في لغتهم هي «المذبح»

٨ - مذبح البـخور: مربع ذراع × ذراع، وارتفاعه ذراعـان، وله قرون، ويحمل بعصوين كالتابوت، ويوضع قدام الحجاب الذي أمام التابوت.

٩ - المرحضة: على هيئة قدح ذي قاعدة مستديرة، تملأ ماء لغسل الكهنة، وغسل بعض أجزاء الذبائح، وتوضع بين مسكن الرب وبين المذبح في دار المسكن.

١٠ - دار المسكن: ما قدمناه عن مسكن الرب بما فيه من قدس الأقداس والقدس، وما فيهما. هذا المسكن يوضع بجملته في دار تسمى «دار المسكن» ومساحتها:

جهـتا الجنوب والشمال، كل جـهة مائة ذراع، جهـتا المشرق والمغرب، كل جـهة خمسون، وفي جهتي الجنوب والشمال أربعون عودا، لكل جهة عشرون. وفي جهتي الغرب والشـرق، عشرون. لكل جـهة عشرة ولبـاب الدار سجف، عشـرون ذراعاً. وارتفاع جدار الدار خمسـة أذرع، فتكون المساحة: ١٠٠ × ٥٠ × ٥٠ ودار المسـكن هذه، كانت كسور مقدس، لمسكن الرب، وكانت مكشوفة غير مسقوفة، إلا من جهة مسكن الرب. وقد حل هيكل سليمان في أورشليم. محل المسكن ودار المسكن.

٣ - سفر اللاويين: Leviticus

اسمه في العبـرية: (ويقرا) وفي اليونانية واللاتينية (لفيـتيكوس) أي: لاويين نسبة إلى أسرة لاوي بن يعـقوب عليه السلام ولاوي ينطق في بعض اللغـات «ليفي» وهذا السفـر يتحدث عن شريعـة القرابين والنذور والتبرعـات وأحكام عملية كثـيرة. ويبين الكاتب: أن الله حـرم على اليـهـود من البقـر والغنم شـحـومهـمـا إلا ما حـملت ظهورهما، أو الحوايا أو ما اختلط بعظم. فيقول: «وإن كان قربانه ذبيحة سلامة. فإن قرب من البقر ذكراً أو أنثى؛ فصحـيحا يقربه أمام الرب. يضع يده على رأس قربانه، ويذبحـه لدى باب خـيـمـة الاجتـمـاع، ويرش بنو هرون الكهـنة، الدم على المذبح مسـتديراً، ويقرب من ذبيـحة السلامة وقـوداً للرب: الشحم الذي يغشي الأحـشاء، وسائر الشـحم الذي على الأحشاء، والكليـتين، والشحم الذي عليهـما، الذي على الخاصـرتين، وزيادة الكبد مع الكليتين ينـزعهما، ويوقـد بنو هرون على المذبح على المحرقـة، التي فـوق الحطب، الذي على النار، وقود رائحـة سرور للـرب. وإن كان قربانه من الغنم ذبيحة سلامة للرب ذكراً أو أنثى. . .» إلخ.

وأن الله حرم على الذين هادوا كل ذي ظفر: «وهذه تكرهونها من الطيور، لا تؤكل إنها مكروهة: النسر والأنوق والعقاب والحدأة والباشق على أجناسه، وكل غراب على أجناسه. . .» ثم يتحدث عن حيض المرأة وولادتها: «إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام. كما في أيام طمث علتها تكون نجسة» ثم يقول عن الغسل من الجنابة: «وإذا حدث من رجل اضطجاع زرع يرحض كل جسده بماء. . والمرأة» ويبين أن الله حرم الدم، فيقول عن الله تعالى: «أجعل وجهي ضد النفس الآكلة الدم» ثم يذكر الكاتب أن الله حرم نكاح الأم وزوجة الأب والأخت وابنة الابن، وابنة البنت، وبنت امرأة الأب المولودة من الأب، والعمة والخالة، وزوجة العم، وزوجة الابن، وزوجة الأخ، وحرم الجمع بين الأختين، ووطء المرأة في الحيض، ووطء الرجل للرجل «إنه رجس» وبيّن الكاتب العقوبات المقدرة على المخالفين فقال: «كل إنسان سب أباه أو أمه فإنه يقتل، قد سب أباه أو أمه، دمه عليه، وإذا زنى رجل مع امرأة فإذا زنى مع امرأة قريبه، فإنه يقتل الزاني والزانية. . . إلخ» ثم يتحدث الكاتب عن الأعياد المقدسة فيذكر:

١ - يوم السبت.

٢ - عيد الفِصح.

٣ - عيد أول الحصيد.

٤ - عيد الخمسين.

٥ - عيد الكفارة.

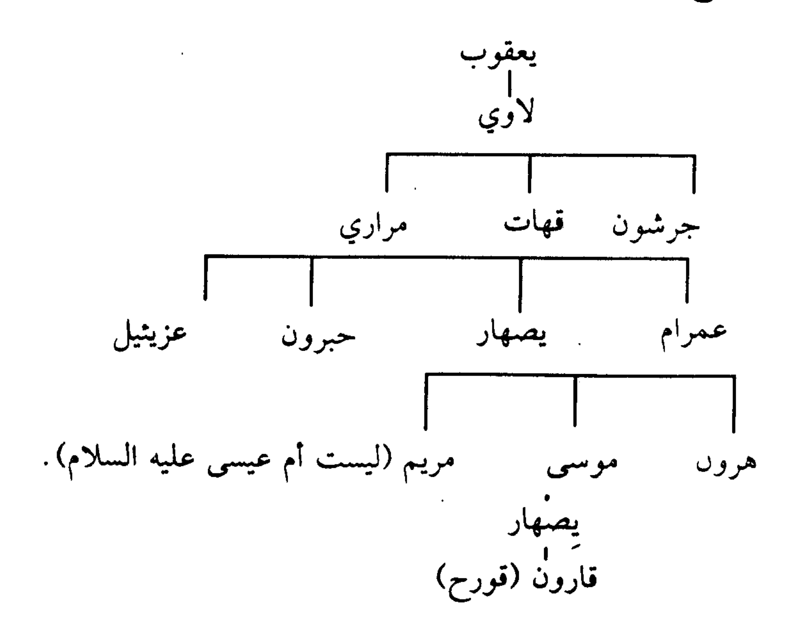
٦ - عيد المظال.

ثم يبين أحكاماً أخرى كثيرة منها: «وإذا افتقر أخوك وقصرت يده عندك، فاعضده، غريباً أو مستوطناً، فيعيش معك. لا تأخذ منه رباً ولا مرابحة. بل اخش إلهك. فيعيش أخوك معك. فضلتك لا تعطه بالربا، وطعامك لا تعط بالمرابحة»

ثم ذكر الكاتب الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل أن يعبدوا الله، وأن يحسنوا إلى الوالدين وذي القربى واليتامى والمساكين، وأن يدعوا الناس إلى شريعة الله، وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة. ذكر النصوص أولاً، ثم تحدث عن الميثاق ثانياً.

٤ - سفر العدد: Numbers

اسمه في العبرية (بمدبر) وفي اليونانية واللاتينية (نومري) أي: عدد. ويذكر الكاتب أولاد يعقوب عليه السلام وأولاد أولادهم إلى زمن وجود بني إسرائيل في سيناء، ثم يذكر بعض التشريعات العملية. أي أن الكاتب وزع الأمور التشريعية على الأسفار، ولم يضعها كلها تحت بعضها بترتيب ونظام، ومع أنه فرقها، وضعها أيضاً بين القصص ونسب بني إسرائيل. إنه تحدث عن شريعة الغيرة وشريعة النذير، ثم قال: «عاد بنو إسرائيل أيضاً وبكوا، وقال: من يطعمنا لحماً؟ قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً، والقثاء والبطيخ، والكراث والبصل والثوم، والآن قد يبست أنفسنا، ليس شيء غير أن أعيننا إلى هذا المن. وأما المن فكان كبزر الكزبرة، ومنظره كمنظر المقل. كان الشعب يطوفون ليلتقطوه، ثم يطحنونه بالرحى أو يدقونه في الهاون، ويطبخونه في القدور. ويعملونه ملات، وكان طعمه كطعم قطائف بزيت، ومتى نزل الندى على المحلة ليلا، كان ينزل المن معه» ثم تحدث عن النقباء الاثنى عشر الذين بعثهم الله، ليروا أرض كنعان، وأنهم رجعوا فثبطوا همم الشعب، ما عدا كالب بن يفنّه من سبط يهوذا، ويشوع بن نون من سبط يوسف، من ولده أفرايم - أنعم الله عليهما - ونتيجة جبن الشعب قال الله: «جثثكم أنتم تسقط في هذا القفر، وبنوكم يكونون رعاة **في القفر أربعون سنة» ثم ذكر الكاتب: قصة قارون**.وهو: قورح بن يصهار ابن قهات بن لاوي» ونسبه هكذا:



وأخذ قارون يقاوم موسى هو ومن معه، بسبب أن موسى خص نسل هرون بالكهانة أمام الرب وأن يكون العلماء العظام من ذريته. فقال موسى: «إن مات هؤلاء كموت كل إنسان، وأصابتهم مصيبة كل إنسان، فليس الرب قد أرسلني [1]، ولكن إن ابتدع الرب بدعة، وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم، وكل ما لهم، فهبطوا أحياء إلى الهاوية. تعلمون أن هؤلاء القوم قد ازدروا بالرب، فلما فرغ من التكلم بكل هذا الكلام، انشقت الأرض التي تحتهم، وفتحت الأرض فاها، وابتلعتهم وبيوتهم. وكل من كان لقورح مع كل الأموال. فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء إلى الهاوية، وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين الجماعة، وكل إسرائيل الذين حولهم هربوا من صوتهم لأنهم قالوا: لعل الأرض تبتلعنا».

ثم ذكر من الأمور التشريعية: ذبح بقرة حمراء. فقال: «وكلم الرب موسى وهرون قائلاً: هذه فريضة الشريعة التي أمر بها الرب قائلاً: كلم بني إسرائيل أن يأخذوا إليك بقرة حمراء. صحيحة لا عيب فيها، ولم يعل عليها نير، فتعطونها لالعازار الكاهن، فتخرج إلى خارج المحلة وتذبح قدامه ويأخذ ألعازار الكاهن من دمها بأصبعه، وينضح من دمها إلى جهة وجه خيمة الاجتماع سبع مرات، وتحرق البقرة أمام عينيه. يحرق جلدها ولحمها ودمها مع فرثها، ويأخذ الكاهن خشب أرز، وزوفا وقرمزاً. ويطرحهن في وسط حريق البقرة، ثم يغسل الكاهن ثيابه، ويرحض جسده بماء، وبعد ذلك يدخل المحلة، ويكون الكاهن نجساً إلى المساء، والذي أحرقها يغسل ثيابه بماء، ويرحض جسده بماء، ويكون نجسا إلى المساء، ويجمع رجل طاهر رماد البقرة ويضعه خارج المحلة، في مكان طاهر. فتكون لجماعة بني إسرائيل في حفظ ماء نجاسة، إنها ذبيحة خطيئة والذي جمع رماد البقرة يغسل ثيابه ويكون نجساً إلى المساء، فتكون لبني إسرائيل وللغريب النازل في وسطهم فريضة دهرية» [2]

ثم يعود الكاتب إلى ذكر أحكام تشريعية سبق أن ذكرها ليؤكد على أهميتها. ثم **يتحدث عن الأنفال والغنائم ويبين أن النهب المسبي من الناس والبهائم يقسم بين:**

---

(١) يقصد أن الله إن خسف به وبداره الأرض، يكون ذلك معجزة لموسى.

(٢) يستدل بفريضة دهرية على أن شريعة موسى قد نسخت- لأن معنى دهرية هو إلى مجيء النبي المنتظر - إذ لا وجود الآن لرماد البقرة.

١ - الذين باشروا القتال.

٢ - وبين كل بني إسرائيل الذي لم يباشروا. ويخرج من قسم الذين باشروا القتال: زكاة للرب من كل خمسة مئة من الناس والبقر والحمير والغنم: واحدة. أي بنسبة ١ / ٥٠٠، ويخرج من قسم بني إسرائيل: زكاة للرب، واحدة من كل خمسين من الناس والبقر والحمير والغنم أي بنسبة ١ / ٥٠ وزكاة الرب من القسم الأول تعطى لبني هرون، وزكاة الرب من القسم الثاني تعطى لسائر اللاويين «الحافظين شعائر مسكن الرب»

وحادثة بنات صَلُفْحَاد التي وردت في نهاية هذا السفر - كما هو مكتوب - تبين أن التوراة لم تنزل جملة واحدة، بل نزلت بحسب الوقائع والحوادث وحاجات الناس ومراعاة للظروف والملابسات. يقول الكاتب عن بنات صلفحاد: «بحق تكلم سبط بني يوسف. هذا ما أمر به الرب عن بنات صلفحاد قائلاً: من حسن في أعينهن يكن له نساء ولكن لعشيرة سبط آبائهن يكن نساء. فلا يتحول نصيب لبني إسرائيل من سبط إلى سبط، بل يلازم بنو إسرائيل كل واحد نصيب سبط آبائه. وكل بنت ورثت نصيباً من أسباط بني إسرائيل كل واحد نصيب آبائه» يقصد أنه إذا لزم الزواج بين اليهود، في حالة استبعاد زواجهم من الأمم، والرغبة في الإرث في أرض إسرائيل؛ فإن كل أسرة يتزوج رجالها من نسائها، لا من نساء أسرة أخرى، ولا تختلط أسرة بأخرى لتظل الأسباط متميزة. مع أن في سفر القضاة أن سبط بنيامين قد اختلط بسائر الأسباط للضرورة [قض ٢١:١٦] وحادثة الذي اعتدى منهم في «السبت» تدل على أن التوراة لم تنزل جملة واحدة. وقد ذكرها الكاتب في الاصحاح الخامس عشر هكذا: «ولما كان بنو إسرائيل في البرية، وجدوا رجلاً يحتطب حطباً في يوم السبت. فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطباً إلى موسى وهرون وكل الجماعة. فوضعوه في المحرس، لأنه لم يعلن ماذا يفعل به؟ فقال الرب لموسى: قتلا يقتل الرجل. يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة، فأخرجه كل الجماعة إلى خارج المحلة ورجموه بحجارة، فمات كما أمر الرب موسى» (١).

---

(١) ذكر القرآن الكريم أن جماعة منهم قد اعتدوا في السبت، فصاروا قردة. وقال جماعة من المفسرين: أن مسخهم قردة كان للأفهام، لا للأجسام، روى عن مجاهد: «أنه إنما مسخت قلوبهم فقط، وردت افهامهم كأفهام القردة» [القرطبي]

٥ - سفر التثنية: Deuteronomy .

اسمه في العبرية (هد بريم) أي: هذا هو الكلام. واسمه في اليونانية واللاتينية (دويترونوميوم) ويسمى أيضاً سفر تثنية الاشتراع، وفيه تشريعات لم تذكر في الأسفار السابقة وتشريعات سبق ذكرها وفيه نبوءات عن النبي محمد ﷺ .

وقد بدأه الكاتب بعرض لما سبق أن ذكره في الأسفار السابقة عن رحلات بني إسرائيل في سيناء وأطراف أرض كنعان. ومن كلامه على لسان موسى: «وأما خطيتكم العجل الذي صنعتموه، فأخذته وأحرقته بالنار، ورضضته وطحنته جيداً حتى نعم كالغبار، ثم طرحت غباره في النهر المنحدر من الجبل. . وصليت للرب، وقلت يا سيد الرب، لا تهلك شعبك وميراثك الذي فديته بعظمتك، الذي أخرجته من مصر بيد شديدة، اذكر عبيدك إبراهيم وإسحق ويعقوب، لا تلتفت إلى غلاظة هذا الشعب وإثمه وخطيته» وبعدما قال موسى ما معناه: ﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾؟ ينتقل الكاتب إلى ذكر الألواح، ثم يعيد بعض الأحكام التشريعية السابقة في الأسفار الثلاثة ويؤكد على حرمة الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير الله به فيقول: «وأما الدم فلا تأكله. على الأرض تسفكه كالماء. . وكل بهيمة من البهائم تشق ظلفاً وتقسمه ظلفين وتجتر؛ فإياها تأكلون. إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف المنقسم: الجمل والأرنب والوبر لأنها تجتر، لكنها لا تشق ظلفا فهي نجسة لكم. والخنزير لأنه يشق الظلف لكنه لا يجتر فهو نجس لكم. فمن لحمها، لا تأكلوا. وجثتها لا تلمسوا . . . لا تأكلوا جثّة ما» ومن يستحق القتل لا يقتل إلا بشاهدين أو ثلاثة «على فم شاهدين أو ثلاثة شهود يُقتل الذي يقتل، لا يقتل على فم شاهد واحد»

ويبيّن الكاتب: أن من يذهب إلى الحرب لا يكون قد بنى بناء ولم يكمله أو غرس كرماً ولم يبتكره، أو خطب امرأة ولم يأخذها، أو خائفاً وضعيف القلب. ويتكلم عن الصلح في الحرب، فيبين أنه إذا كانت البلد من أرض كنعان وسلمت قسراً «فلا تستبق منها نسمة ما» وإذا كانت البلد من غير أرض كنعان وسلمت قسراً «فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة. كل غنيمتها فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك» وإن دعيت إلى الصلح فأجابت «إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك

للتسخير ويستعبد لك»

ثم يتحدث عن شريعة القَسَامَة، فيقول: «إذا وُجد قتيل في الأرض التي يعطيك الرب إلهك لتمتلكها واقعاً في الحقل، لا يعلم من قتله. يخرج شيوخك، وقضاتك ويقيسون إلى المدن التي حول القتيل، فالمدينة القربى من القتيل يأخذ شيوخ تلك المدينة عجلة من البقر لم يحرث عليها، لم تجر بالنير، وينحدر شيوخ تلك المدينة بالعجلة إلى واد دائم السيلان لم يحرث فيه، ولم يزرع ويكسرون عنق العجلة في الوادي، ثم يتقدم الكهنة بنو لاوي، لأنه إياهم اختار الرب إلهك ليخدموه ويباركوا باسم الرب، وحسب قولهم: تكون كل خصومة وكل ضربة. ويغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبين من القتيل أيديهم على العجلة المكسورة العنق في الوادي، ويصرخون ويقولون: أيدينا لم تسفك هذا الدم وأعيننا لم تبصر، اغفر لشعبك إسرائيل، الذي فديت يارب، ولا تجعل دم بري في وسط شعبك إسرائيل فيغفر لهم الدم.. فتنزع الدم البري من وسطك إذا عملت الصالح في عيني الرب»

ثم يتحدث عن شريعة الرجم فيقول: «إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها، فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتي يموتا» ويقول عن الطلاق: «إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة في عينيه لأنه وجد فيها عيب شيء، وكتب لها طلاق ودفعه إلى يدها، وأطلقها من بيته، ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر. فإن أبغضها الرجل الأخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته أو إذا مات الرجل الأخير الذي اتخذها له زوجة لا يقدر زوجها الأول الذي أطلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست» ثم تحدث الكاتب عن أمور تشريعية كثيرة، وفي النهاية أخذ الله عليهم عهد الإقرار. لا يسفكون دماءهم، ولا يخرجون أنفسهم من ديارهم «ملعون من ينقل تخم صاحبه ويقول جميع الشعب آمين.. ملعون من يقتل قريبه في الخفاء. ويقول جميع الشعب: آمين»

* * *

ثانياً: أماكن تفسير التوراة:

هذا حال التوراة كنـص. فما حالها في التـفسير والإيضاح؟ هذا مـا نبينه الآن في المراكز الدينية لتفسير التوراة من بعد سبي بابل سنة ٥٨٦ ق.م. لأن التوراة قبل السبي كانت تفسر في أورشليم. ونابلس. كما هو معروف.

المركز الديني لتفسير التوراة بعد السبي البابلي

غاؤونيّة بغداد ورئاسة الجالوت

منذ أن استقر اليهود في «العراق» بعد سبي «بابل» كانوا يوكلون بأمرهم عميداً يرجعون إليه في أمورهم وينيطون به تنظيم شؤون جماعاتهم الغفيرة التي كانت منتشرة في مدن الفرات ودساكره وقراه. وكان اليهود يطلقون على هذا العميد لقب «رأس الجالوت» وهي لفظة بالآرامية تعني رأس الجالية، وعنها أخذ العرب لفظة «ريش جالوت» وتقول التقاليد اليهودية: إن أول من تقلد منصب رئاسة الجالوت على يهود العراق هو «يكُنْيا» ملك يهوذا، الذي أسره «نبوخذ نصر» ملك بابل في حدود سنة ٥٧٧ ق.م. ثم أطلق سراحه الملك «أويل مروداخ» في السنة السابعة والثلاثين من أسارته، ونصبه رئيساً على أبناء ملته المقيمين في شرقي الفرات كافة (٢ملوك ٢٨:٢٧ - ٣٠ وإرمياء ٥٢:٢١ - ٣٤).

وعندما استولى الفرس على العراق منحوا الجالية اليهودية فيه نوعاً من الحكم الذاتي، فصار رأس الجالوت يتمتع بالسلطة الواسعة على أبناء ملته. فقد أصبح من واجبه الإشراف على أمور طائفته وسير إدراتها والأخذ بما يؤول إلى إصلاحها وصلاحها. وتعيين قضاتها ومراقبة استتباب العدل والانتظام في محكامها وتعيين مقدار الرسوم والضرائب الواجبة على الأفراد وجبايتها باسم الحكومة وضمان تنفيذ القوانين التي تصدرها الدولة. وتحسين العلاقات بين الجالية اليهودية والسلطة الحاكمة ومعاقبة من يخالف أنظمتها، والاقتصاص من الخارجين على أحكام الدين. إلى غير ذلك من الشؤون الإدارية والدينية والاجتماعية. وكانت التقاليد تقضي بأن يكون رأس الجالوت من آل الملك داود - عليه السلام - وأن ينتقل منصبه إلى الذكور من ذريته. وإذا مات بلا عقب؛ انتقل منصبه إلى من فيه الكفاءة من أبناء أسرته.

أما الشؤون الدينية فكان يهود العراق يرجعون إلى علماء فلسطين يتلقون فتاويهم ويقدمون إلى مدارسهم العلمية المال اللازم لتمشية أمورها وإعالة طلابها.

وكان قد نشأ في فلسطين طبقة من العلماء يعرفون بالتّنائيم باشروا شرح أحكام التوراة وتدوين قوانينها وتبويب شرائعها، في مجموعة تعرف بالمشنة. وكان الفراغ من

تدوينها في «طبرية» سنة ٢٠٠م بعناية الحبر الكبير «يهوذا بن شمعون» الملقب بالربّن الأقدس (١٣٥ - ٢٢٠م)

ثم نشأت في فلسطين طبقة ثانية من الأحبار يعرفون بالأمورائيم أي الأساتذة المحدثين أخذوا يدرسون المشنة ويعلقون عليها التعليقات الضافية ويشرحون متونها شرحاً وافياً، يتناول شرائع اليهود وتقاليدهم وطقوسهم وتاريخهم. وقد جمعت هذه التعليقات والشروح في مجموعة صارت تعرف بالتلمود الأورشليمي. وكان الفراغ منه في أواخر القرن الثالث الميلادي.

ولما اشتد ضغط الرومان على أحبار اليهود في فلسطين ولم يعد بمستطاعهم الاستمرار على الدرس والبحث بحرية وأمان، اضطر عدد كبير منهم إلى الهجرة إلى العراق. فنشأت على الفرات مدارس كبرى للأمورائيم فى «نهر دعة» (بجوار غنة) أولا. ومن بعدها فى «سورا» (بجوار الحلة) وفي «فومبدثية» (بجوار الأنبار) وفي هذا المحيط الذي كان يسوده الأمان والحرية الدينية المطلقة استطاع الأمورائيم أن يشرحوا المشنة شرحاً أكثر تفصيلاً وأعم موضوعاً مما اضطلع به علماء فلسطين. فصارت مجموعة الشروح العراقية تعرف بالتلمود البابلي. ومن مشاهير أحبار يهود العراق الذي عنوا بوضع هذا التلمود هو الحبر (أبا أريخا) مؤسس مدرسة «سورا» المتوفي سنة ٢٤٧م والحبر «مار صموئيل» الفلكي (١٦٥ - ٢٥٧م) مؤسس مدرسة «فومبديثة» وكان ختام التلمود البابلي سنة ٤٩٩ بعناية الحبرين «أشي» المتوفّي سنة ٤٢٧م و«ربينة بن هناء» المتوفي سنة ٤٩٠م وبهما انتهى دور الأمورائيم.

ومن بعدهم نشأت في العراق طبقة من العلماء يعرفون بالسبورائيم، أي الأساتذة الشارحين، واستمر نشاطهم العلمي في «سورا» و«فومبديثة» من سنة ٥٠٠ إلى ٥٥٠م وكانت أهم أعمالهم التعليق على التلمود وتنظيم أبوابه وفصوله بالشكل المعروف إلى يومنا هذا.

ثم نشأت طبقة أخرى من العلماء يعرفون بالغاؤونية. كانت أهم أعمالهم إصدار الفتاوى الدينية ليهود الشرق والغرب وكانت الأسئلة تتوارد عليهم من جميع الأقطار. وفتاويهم نافذة الكلمة عند جميع الطوائف اليهودية في آسيا وأفريقيا وأوروبا، وكان

يهود العراق خلال هذه الحقبة الطويلة يراجعون في شؤونهم الإدارية: رؤساء الجالوت -كما بينا-. أما أمـورهم الدينية فكان ينظر فيها رؤساء المدرسـتين العلميتين في سورا وفومبديثة.

وكانت المدرسة تسمى عندهم «مثيبتا» وعنها أخذ العرب لفظة «المثيبة» **وكانت مثيبة سورا، أعلى مقاما من مثيبـة فومبديثة. وكان لـرئيسها حق الأفضليـة في المرتبة الدينية وفي انتخاب «رأس الجالوت»**

وقد أصاب اليـهود في أواخر أيام الدولة الساسـانية اضطهاد شديد واعـتدى على حريتهم الدينية من جراء تعصب المجوس اتباع «مزدك» وبلغ الاضطهاد أشده في حكم الملك «قـباذ الثاني» فـقتل رأس الجـالوت «مار زطرة» (٥٢١م) وتوقف التـدريس في مثيبتي سورا وفومبديثة.

فـلا بدع إذا وجدنا يهـود العـراق يستـقـبلون جيـوش العـرب الفاتحين استـقبـال المحررين، فارتفع عن كاهلهم نير الفـرس الذي كان يتهددهم بالهلاك والدمار. فقـد ضمن الخلفـاء الراشدون لأهل الذمة - ومنهم اليـهود - الأمان والحـرية الدينية، ولم يعودوا ملزمين بأكثر من جزية يدفعونهـا إلى بيت المال. وفي خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي اللـه عنه - تولى رئاسـة الجـالوت «بستناي بن حنـيناي» سليل رؤساء الجالوت الأقدمين من آل داود، فأقره الخليفة في منصبه بكتاب عهد وجهه إليه فصـارت لليهود حريتـهم الدينية وانتظمت إدارتهم الداخلية (٦٤٠م) ويروي مـؤرخو اليهود: أنه عندما مرَّ أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بمدينة «فيروز شابور» (الأنبـار) خرج لاستقباله «مار إسـحق» رأس مثيبة «فومـبديثة» بجمع غفـير من اليهود يبـلغ تسعين ألفاً، لعرض الـولاء والإخلاص. فأكرم أمـير المؤمنين وفادته، وأقره في منصبه، وأعطاه الحقوق نفسها التي كان يتمتع بها جاثليق النصارى.

واستمرت الحالة على هذا المنوال طيلة أيام حكم الدولة الأموية في الشام.

ولما تأسست الدولة العباسية وعمـرت بغداد سنة ٧٦٣م (١٤٦هـ) انتقل إليها مقام رأس الجالوت، ليكون على مقربة من قصر الخلافة، وظلت مدرستا سورا وفومبديثة توجهان اليهود في أمورهم الدينية. **وقد أدرك اليهود عزا وبسطة في العيش في صدر**

الدولة العباسية. غير أن حالتهم ساءت كثيراً في خلافة «المتوكل» إذ إنه أغلظ معاملة أهل الذمة وأجبرهم على لبس الغيار.

ومنذ ذلك الحين انحط مقام رأس الجالوت وتسرب الضعف إلى مدرستي سورا وفومبديثة، وألغى نظام الوراثة في تعيين رأس الجالوت، وتدخل الغاؤونيم في أمر انتخابه فنشبت من جراء ذلك قلاقل وفتن كثيرة بين اليهود أنفسهم ساعدت على تردي أحوالهم.

وقد زادت الحالة سوءاً بعد الانحطاط الذي عانته الخلافة العباسية من تدخل الأمراء المتغلبين. فقد مرت بالعراق شدائد ومحن في حكم البويهيين والسلاجقة، ولحق باليهود ما لحق بسائر سكان البلاد من تخاذل وتقهقر، فصارت موارد مدارسهم الكبرى تتضاءل يوماً بعد الآخر، إلى أن أغلقت نهائياً في خلافة «القادر بأمر الله» (٩٩١ - ١٠٣١م) وكان آخر رؤساء مدرسة سورا «الخاؤون هاي ابن شريرا» المتوفي في حدود سنة ١٠٣٨م وآخر مدرسة فومبديثة «صموئيل كوهين بن حِفني» المتوفي سنة ١٠٣٤م ومن ثم انتقل مركز اليهود العلمي إلى الأندلس.

وبعد فترة دامت مائة سنة، آل عرش الخلافة العباسية إلى المقتفي لأمر الله «محمد» (٥٣١ - ٥٥٥ / ٥٥٦ هـ ١١٣٦ - ١١٦٠م) وكان من أعظم خلفاء بني العباس، إذ إنه قضى على نفوذ السلاجقة وأعاد للخلافة عزها وسؤددها ونفوذها السياسي إلى جانب نفوذها الديني. فقرر هذا الخليفة الحازم إعادة رئاسة الجالوت إلى سابق ما كانت عليه من رفعة ومقام. فأناط هذا المنصب بالثري العالم البغدادي «سليمان بن حسداي» سليل آل داود من جانب أمه، ووجه إليه كتاب عهد ولاه به الرئاسة على جميع الطوائف اليهودية في شرقي الفرات. ومن ثم فتحت في بغداد مدارس علمية عديدة أهمها مثيبة «غاؤون يعقوب» عهد برئاستها إلى الحبر البراني «إبراهيم» ومن بعده انتقلت إلى «علي بن إسرائيل اللاوي» (١١٥٢ - ١١٦٠م) وهكذا نشأ جيل جديد من رؤساء المثيبة يعرفون بغاؤونية بغداد ظلت مستمرة إلى أن سقطت الدولة العباسية.

وبعد وفاة رأس الجالوت «سليمان بن حسداي» انتقل منصبه إلى ولده «دانيال» في

خلافة أبي المظفر المستنجد بالله «يوسف» (١١٦٠ - ١١٧٠م) وانتقلت رئاسة المثيبة إلى الربي «صموئيل بن علي بن إسرائيل اللاوي» الملقب بـ «ابن الدستور» (١١٦٠ - ١٢٠٨م) وفي أيام هذين الرئيسين كانت زيارة بنيامين (صاحب الرحلة) لمدينة «بغداد» حوالي ١١٦٨م فوجد الجماعة اليهودية فيها تنعم بالرفاهة والعلم والثراء في ظل الخلافة الوارف، فأسهب بوصف مدارسهم، وموكب رأس جالوتهم، بعبارات تنم عن إعجابه واغتباطه بما شاهده.

وفي سنة ١١٧٤م توفي رأس الجالوت «دانيال» من غير أن يخلف ولدا يرث منصبه، فنشب على إثر ذلك خلاف بين «داود» و«صموئيل» ولدي أخيه.- وكانا يومئذ في الموصل- حول التولية، فانتهز «ابن الدستور» رأس المثيبة هذه الفرصة، وضم منصب رأس الجالوت إلى منصبه، وبذلك أصبح رأس المثيبة المرجع الوحيد ليهود العراق والبلاد التي في شرق الفرات في أمورهم الإدارية والدينية.

ومؤرخو اليهود لا يكادون يذكرون شيئاً عن رؤساء المثيبة الذين خلفوا «صموئيل بن علي» (ابن الدستور) والأثر العبري الوحيد الذي لدينا هو ديوان شاعر يهودي عاش في بغداد ما بين ١١٩٥ - ١٢٥٠م يدعى «ألعازار بن يعقوب البغدادي» ضمن ديوانه قصائد في مديح رؤساء المثيبة... والذي نفهمه من ديوان «ألعازار البغدادي» أن الذي تولى رئاسة المثيبة بعد «عالي بن زكريا» يدعى «صموئيل بن دانيال، كوهين بن أبي الربيع» وفي عهده دخل المغول مدينة بغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م) فانتهت الخلافة العباسية وقضى على مراسيمها، وأسبل الستار على غاؤونية بغداد ومدارسها التي ازدهت قرناً كاملا من السنين.

ويستفاد مما أورده «ابن الساعي» في كتابه (الجامع المختصر) أن الذي خلف «ابن الدستور» في رئاسة المثيبة هو «ألعازار بن هلال بن فهد» ثم ولى من بعده «دانيال بن العازار بن هبة الله» ومن بعده ولي الرئاسة «أبو الفتح إسحق بن الشويخ» وولي رئاسة المثيبة بعد ابن الشويخ «دانيال بن صموئيل كوهين بن أبي الربيع» ومن بعده ولي الرئاسة «عالي بن زكريا الأربلي» [1]. ا هـ.

(١) انظر: الجامع المختصر تأليف أبي طالب علي بن انجب تاج الدين المعروف بابن الساعي. وانظر:=

هذا عن رأس الجالية اليهودية في الشام وفي العراق.

وأما عن بلاد الأندلس، فيحدثنا العلامة ابن حزم الأندلسي في كتابه الفِصَل في الملل والآراء والنحل أنه كان لليهود في الأندلس رئيس عليهم من نسل داود عليه السلام. وأن ابن حزم لما قال لرأس الجالوت: أن الملك قد زال من اليهود وحيث إنه قد زال فإن النبي المنتظر قد جاء. لأن يعقوب عليه السلام تنبأ عن مجيء «شيلون» إذا زال الملك من اليهود. قال رأس الجالوت: إن الملك إلى الآن لم يزل.

يقول ابن حزم المتوفَّي سنة ٤٥٦ هـ في الجزء الأول في قول يعقوب عليه السلام ليهوذا ابنه: «لا ينقطع من يهوذا المخصرة، ولا من نسله قائد، حتى يأتي المبعوث الذي هو رجاء العالم» [تك ٤٩: ١٠] : **«وقد قررت على هذا الفصل أعلمهم وأجدلهم وهو «شموئيل بن يوسف اللاوي» الكاتب المعروف بابن النغرالي في سنة أربع وأربعمائة. فقال لي: لم تزل رؤوس الجواليت يتسلون من ولد «داود» وهم من بني يهوذا. وهي قيادة وملك ورياسة. فقلت: هذا خطأ. لأن رأس الجالوت لا ينفذ أمره على أحد من اليهود ولا من غيرهم»**

* * *

وقد انشق القراؤون من اليهود على الربانيين منهم، بسبب رئاسة الجالوت. وأذكر ههنا شيئاً عن القرائين يتبين منه أحوال اليهود من بعد ظهور الإسلام إلى هذا اليوم.

اليهود القراؤون

القراؤون ويعرفون بالعنانية أيضاً، **فرقة من اليهود أسسها في العراق «عنان بن داود»** المتوفي في حدود سنتي ٧٩٠ - ٨٠٠م **نتيجة خلاف نشب حول توليته منصب «رأس الجالوت»** وحكاية هذا الخلاف: أن رأس الجالوت «صموئيل بن حسداي» **توفي سنة ٦٧١م من غير أن يعقب ولداً يخلفه في منصبه. وعلى هذا عقد علماء اليهود مجلساً** برئاسة الأخوين «يهوداي البصير بن نحمن» عميد مدرسة «سورا» و«دوداي بن

=الحوادث الجامعة. تأليف أبي الفضل عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي. والنص من كلام عزرا حداد في رحلة بنيامين.

نحمن» عميد مدرسة «فومبديثة» (الأنبار) وكان «عنان» أرجح المرشحين لتولي هذا المنصب السياسي العلمي الخطير.

لكن عدداً من أعضاء المجلس ذكروا عنه فساد السيرة وسوء الأخلاق وقلة التقوى، فرجحوا عليه أخاه الأصغر «حنانية بن داود» فثارت نقمة «عنان» على هذا القرار الذي عده غمطاً لحقوقه. وقرر الخروج على الربانيين، وشجب تعاليمهم ورفض تلمودهم.

وكان العراق يومئذ في خلافة «أبي جعفر المنصور» يحفل بمختلف الميول والنزعات الفلسفية بفضل احتكاك الفكر الإسلامي بثقافة الفرس واليونان. وكان بعض علماء اليهود قد تأثروا بآراء المعتزلة وأصحاب (الكلام) من المسلمين فصاروا ينتقدون تعاليم الربانيين ويتحفزون للخروج على أحكام التلمود وقيوده. وكان على رأس هذه الحركة الفكرية الجديدة: ثلاثة من علماء اليهود هم: الربيون «إفرايم» و«اليشع المعلم» و«حنوكة» فوجدوا بثورة «عنان» ضالتهم المنشودة بالنظر لمقامه ونفوذه الذي كاد أن يرتفع به إلى رئاسة الجالوت. فنصبوه على رأس حركتهم وصاروا يعرفون بالقرائين أو بني المقرأ [1] إشارة إلى تمسكهم بالمعنى الحرفي للتوراة، ورفضهم ما عداها من كتب التشريع الإسرائيلي، وتمييزاً لهم عن اليهود الربانيين الذين يتبعون تعاليم التلمود في شرح وتفسير أحكام التوراة.

وكان طبيعياً أن تقوم قيامة الربانيين على «عنان» وأصحابه، فانبروا يكافحون بدعته، ويقاومون نحلته بكل ما أُتوا من حول وطول، قبل ما يستفحل أمرها ويشتد ساعدها. فرفع رأس الجالوت قضية «عنان» إلى الخليفة «أبي جعفر المنصور» وكان الخليفة يومئذ يتوجس شراً من أصحاب البدع الفكرية والمذهبية الجديدة، ويرى فيها مصدراً للفتن والقلاقل في مملكته الفتية. أما من ناحية اليهود فقد تذكَّر الخليفة الشقاق الذي تركته بينهم فتنة «أبي عيسى إسحق بن يعقوب عبيد الله الأصبهاني»[2] في أول حكمه فوجد في دعوة «عنان» فاتحة شغب وشحناء في وقت كانت الدولة بحاجة إلى الاستقرار بين مختلف عناصرها، لذلك أمر بحبس «عنان بن داود» بتهمة ثورته على

(١) المقرأ: لفظة عبرية يعني مداولها الحرفي «القراءة» يطلقها اليهود على التوراة وهي على هذا تقابل لفظة «القرآن» العربية (عزرا حداد في رحلة بنيامين).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ص ١٦٨ .

رأس الجالوت» صاحب السلطة الشرعية على أبناء ملته.

ويروي مؤرخو الفرقة العنانية: إن زعيمهم «عنان بن داود» أثناء مكوثه في السجن تلاقى مع «الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت» وكان يومئذ سجينا مثله لأسباب لا محل لشرحها هنا [1] فقص عليه «عنان» قصته، فأشار عليه الإمام بأن يدعي أنه ليس ثائراً على رأس الجالوت، وأنه صاحب دين قائم بنفسه لا علاقة له بدين اليهود. ولذلك فإن من حق جماعته أن تتمتع بحرية المعتقد، شأن سائر أهل الذمّة في المملكة الإسلامية. ويقال كذلك: إن أصحاب «عنان» كانوا قد بذلوا من جانبهم المال الوفير لإنقاذ رئيسهم . فآل الأمر إلى إطلاق سراحه ولكن الخليفة اشترط عليه أن يبتعد هو وأتباعه عن مقر رأس الجالوت وأن يجعل مقامه فلسطين.

وفي «القدس» شيد «عنان» لجماعته كنيساً ظل قائماً حتى أيام الحروب الصليبية. ووضع كتابين ضمنهما أحكام طريقته: الأول: يدعي «كتاب الفرائض» والثاني: «كتاب الفذلكة» وكان في جميع ما يكتبه ويقوله يتهجم على التلمود وتعاليم الربانيين ويتهمهم بتزييف الشريعة الموسوية بتفسيرها على وجه يخالف ما جاء في نص التوراة. فازدادت الشقة بعداً بين القرائين والربانيين. على أن هؤلاء المنشقين على التلمود - لزعمهم أنه ثقيل القيود والأحكام - لم يلبثوا أن قيدوا أنفسهم بنواميس أشد صرامة وأثقل قيوداً من بنود التلمود. لأن ابتعادهم عن الاجتهاد والسير بمقتضى تطور الأحوال والزمان جعلهم جامدين على القديم متمسكين بأمور عفا عليها الدهر. وأبطل مفعولها تقدم الأفكار وتطور الحياة الاجتماعية. لكنهم فعلوا ذلك مندفعين بنزوة التعصب الشديد ضد الربانيين وكراهيتهم لهم.

ومن المأثور عن عنان قوله: «لو كنت أحمل أرباب التلمود في بطني لقتلت نفسي وقتلتهم معي»

وتولى زعامة القرائين بعد وفاة «عنان» ولده «شاؤل» فحفيده «يوشيًّا» لكن الفرقة لم تستطع أن تحتفظ بوحدتها فانشقت على نفسها وتفرعت إلى شيع وجماعات عديدة، وكان الربانيون لا يتركون فرصة إلا استغلوها لمهاجمة بدعة القرائين.

---

(١) ضحى الإسلام أحمد امين ج ٣: ص ٣١٦ .

فاتهـموهم بالكفر والزنـدقة والمروق عن الدين وعدوهم غـرباء عن اليهود، وحـرموا الاتصال بهم والتزوج من بناتهم وقد اشتهر العـالم الفيلسوف «سعيد الفيومي» الرباني الشهير (٧٩٢ - ٩٤٢) بشدة بلائه في إفحـام القرائين ودحض مفترياتهم على التلمود واحكامه. غير أن هـذه المعارك المنطقية - وكان للربانيين فيـها اليد الطولى - لم تحل دون انتشـار القرائية واشـتداد ساعدها. فـقد امتـدت فروعهـا من فلسطين إلى سورية وأصبح لها في العراق أتباع وأشياع. واتجهت نحو الشرق فكان لها في خراسان والجبل دعاة وأنصـار، ثم بلغت شواطئ البوسـفور وانتقلت إلى شبه جزيرة القـرم. أما في الغرب فاستـوطنت مصر واسكندرية، ومنها تسربت إلى أسبـانيا سنة ٩٥٠م وقد بلغ من انتشارها في مصر: أن أصبح القراؤون فيها في القرن الثالث عشر للميلاد (السابع للهجرة) يفوقون الربانيين عدداً.

أما في أسبانيا فقد أثار انتشار بدعة القرائية بين يهودها، ضجة كبيرة، فاشتد الكفاح وعظمت الفتنـة بين الفريقين. فرفع كبير اليهود «يهوذا بن عزرا» الشكوى من القرائين إلى «الإدفنش» (الفـونسو) ملك «قـشتـالة» فأصـدر الأمر بطرد القـرائين (١١٥٠ - ١١٥٧) وفي القرن الرابع عـشر بلغت القرائية أوروبا الشـمالية، فصار لـها أتباع في شواطئ البلطيق في «لتـوانية» ونشأت طائفة منهم في «تروكي» من أعـمال «فلنو» في «بولندة» بقيت محتفظة بكيانها حتى أواخر القرن الثامن عشر. ثم ظهرت طائفة منهم في «غاليـسيـة» و«فلهينيـة» أما في القرم فـقد نبـه شأن القرائين وظهـر بينهم الأدباء والعلماء والمؤرخون. وعندما ضمت روسية القيصرية أقليم القرم إلى إمبراطوريتها سنة ١٧٨٣م أعلن القراؤون أنهم لا يرتبطون واليهود بصلة قـرابة أو دين. فتحاشوا بذلك شر القوانين الصارمة التي سنتها روسية ضد اليهود.

ولما اشتـد اضطهاد الروس لليـهود في القـرن التاسع عـشر بدافع التعـصب الديني أعلن رئيس القرائين في روسـية «إبراهيم فركوفـتش» أن أتباع القرائية هم مـن أسباط بني إسرائيل المفقودة، هاجروا إلى القـرم منذ القرن السابع قبل الميلاد، وأنهم على هذا لم يكونوا في فلسطين عندما صلب السيد المسيح.

وظل هذا شأن القرائين في روسية حتى نشوب الثورة البلشفية سنة ١٩١٧. **ويدل**

آخر إحصاء للقرائين (١٩٣٣م) أن عددهم في العالم لا يزيد على اثنى عشر ألفا، يقيم عشرة آلاف منهم في القرم، والباقون منتشرون في استانبول وبولندة ومصر وفي بعض أنحاء كردستان.

ومن أخص الأمور الدينية التي يخالف القراؤون بها سائر اليهود: تركهم قواعد التقويم اليهودي في تعيين مواسم الأعياد. **فالشهر لا يثبت عندهم إلا إذا قرر العدول رؤية الهلال.** . وبذلك نشأ اختلاف بين أيام أعيادهم وأعياد اليهود. ومنها تشددهم الصارم بحرمة السبت وتمسكهم الحرفي بمنطوق الآية القائلة: «ليلزمن كل مكانه، لا يخرج أحد من مكانه في اليوم السابع» [خر١٦: ٢٩] فهم لذلك لا يأخذون بالتسهيلات الكثيرة الواردة في التلمود عن أحكام يوم السبت. فلا يجيزون فيه التنقل داخل البلد الذي يقيمون به ولا يسمحون بإجراء فريضة الختان أو القيام ببعض الأمور التي تستدعيها الضرورة الاجتماعية أو الصحية، كالإضاءة واستدعاء الطبيب أو إحضار الدواء وطبخ الطعام لمريض، فهم يقضون ليلة السبت في ظلام دامس ويمتنعون نهاراً عن كل حركة مهما كانت بسيطة، ويفرضون على أنفسهم قيوداً ثقيلة لا تجيزها مقتضيات الحياة، ولا يجيزها الشرع الإسرائيلي. مما يطول شرحه [1].

---

(١) رحلة بنيامين - ملحق لعزرا حداد - والنص له.

الفصل الرابع
في
اللفظ والمعنى في التوراة

يتميز أسلوب التوراة بأنه واضح وسهل - إلا في مواضع قليلة تعمد الكاتب فيها إلغاز المعنى - وكاتب التوراة تعمد إيضاح المعاني ليقربها إلى عقول العوام من الناس، حتى إذا ما قرأوا بأنفسهم، أو سمعوا، لا يحتاجون إلى مفسر أو موضح. لأنه كان على علم بانتهاء نفوذ الكهنة. في وقت ظهور النبي الآتي على مثال موسى. لكن من جهة ربط الموضوعات بعضها ببعض فذلك لم يتيسر للكاتب في كثير من المواضيع، لأنه - كما يقولل كثيرون من ناقدي التوراة -جمع معلومات قديمة وحديثة، ورصها بجوار بعضها، ولم يسعفه الوقت أن يعيد نظره فيما جمع، ليحسن تنظيمه ويزيل ما به من تناقضات. و لكننا نحن المسلمين نعلل عدم ربطه بأنه متعمد تركها على هذا النحو كما سيأتي تفصيله.

مثال ذلك: قوله إن موسى عليه السلام قد ثبتت نبوته بمعجزتي العصا واليد البيضاء. وإنه قد غلب سحرة فرعون. وسجل اعتراف السحرة بالهزيمة [خر٨: ١٩] ثم نسي ما قال. وصرح بأن السحرة عملوا مثل ما عمل موسى من معجزات [خر٧: ٢٢، ٨:٧] وهو حين تحدث عن الأمر الأول، أبان عن المعنى بأسلوب واضح وسهل، وحين تحدث عن الأمر الثاني، أبان عن المعنى بأسلوب واضح وسهل.

ولقد أسرف الكاتب في الإيضاح لدرجة تقرب من خيال العوام، وعلل لظواهر الأشياء في الطبيعة والناس، بما يتناسب مع تفكيرهم فمثلاً. حينما تحدث عن مدينة

بابل، بيَّن أنها سميت بذلك، لتبلبل الألسنة، وحينما تحدث عن لعنة كنعان قال: «وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً. فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء، وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره؛ علم ما فعل به ابنه الصغير. فقال: ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لإخوته. وقال: مبارك الرب إله سام. وليكن كنعان عبداً لهم. ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام، وليكن كنعان عبداً لهم» [تك ٩: ٢٠ - ٢٧]

انظر كيف بيَّن أخذهما الرداء، ولم يمسكه واحد منهما بل أمسكه الاثنان، كأنه لوح من الخشب. وُضع طرفه على كتف واحد منهما، وطرفه الآخر على كتف الثاني. وفي مشهد يتمثله القارئ ويتخيله: اثنان يسيران في وضع متوازي، يشدان رداء ويسيران إلى الخلف به، حتى يقتربا من أبيهما. والمسافة بينهما التي هي طول الرداء، يكون نوح في وسطها بالضبط. ثم ينزلان الرداء برفق على عورة أبيهما بالضبط. ثم ينصرفان، ولم يبصرا عورة أبيهما.

والكاتب وهو يقرب المعنى إلى العوام، لم يحاول قط أن يراعي مستوى العقلاء من الناس. فأي عاقل يتصور أن يسير سام ويافث بالرداء دون حام؟ وأي عاقل يتصور أن يسير الاثنان بالرداء إلى الخلف حتى يضعاه على العورة نفسها بالضبط. دون تصور ما يحدث لهما في الطريق من أذى؟ ولماذا لم يذهب أحدهما لأداء هذه المهمة دون الآخر؟ والأدهى من ذلك وأمر: أن يستقيظ نوح من هذا النوم الذي كان ثقيلاً بسبب شرب الخمر، ويعرف ما جرى من حام فيصب عليه لعنته. ولا ينزل اللعنة إلا على كنعان بن حام وحده، دون بقية أولاد حام، ولم يكن كنعان حاضراً. وهذا ضد العدل الإلهي الذي يؤاخذ الإنسان بفعله لا بفعل غيره «أديّان كل الأرض لا يصنع عدلاً» [تك ١٨ : ٢٦]

ولم يستعمل الكاتب هذا الأسلوب في الموضوعات العادية وحدها، بل بين بوضوح تام أن الله كلم الناس عن نفسه على قدر عقولهم؛ ليقدروا على تصور ذاته. فإنه صوَّر الله تعالى بصورة إنسان، ولم يكتف بالشبه الجسمي، بل أثبت لله عز

وجل تفكيراً كتفكـير الإنسان، في حالة الرضا والغضب والاعتـدال والانفعال. وقرب المعنى إلى أذهـان العـوام بأسلوب واضح. إنه يـقـول: «فـخلق الله الإنـسـان على صورته. على صورة الله خلقه» [تك ١:٢٧] لقد بين أن الإنسان على صورة الله. وهذا ما يفـهم من الجملة الأولى. ثم ازداد الأمر إيضاحـاً بالجملة الثانيـة «على صورة الله خلقه» ولكي يقـرب صورة الإنسان من الله، أثبت لله صفـات هي من لوازم الإنسان التي لا يسـتغني عنهـا. وليست هي من لوازم الله. إنه يقـول: «وفرغ الله فـي اليوم السابع من عمله الذي عـمله، فاستراح» [تـك ٢:٢] وليست الراحـة من لوازم الله عز شـأنه، وجل ثناؤه ؛فهـو لا يدركه الكـلال. وإنما الذي يدركه الكلال هو الإنسـان. وصار في تأكـيد شبـه الله للإنسان على هذا النحو. فـقال: إن الله قـال عن آدم عليه السلام: «هوذا الإنسان قد صار كواحد منا. عارفاً الخير والشر» [تك٣: ٢٢] أي أنه من فصـيلة الله. ولا يختلف عنه. لا في هيـئة الجسم ولا في العلـم. وهو يذكر أن الله يحزن كما يحزن الإنسان سواء بسواء، ونص كلامه: «فحزن الرب: أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسّف في قلبه» [تك٦:٦] وهكذا كثير. ثم استدرك وقال للعلماء: إن الله ليس كمثله شيء. والذي كـتبته ما هو إلا لتقـريب ذات الله إلى عقول البشر حـسبما يفهـمون. لقد كتب: أن مـوسى لم ير الله. ولا أحد يقدر أن يراه. وصرح فـي سفر التثنية بقوله «ليس مثل الله» [تث ٣٣: ٢٦]

وجاء في نبوءة عن محمد ﷺ الأصحاح الخامس والخمسون من سفر إشعياء أن أفكار الله ليست كأفكار الناس ونصها:

«أيها العطاش جميعًا هلموا إلى المياه والذي ليس له فضة تعالو اشتروا وكلوا هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرًا ولبنًا. لماذا تزنون فضـة لغير خبز وتعبكم لغير شبع. استـمعوا لي استـماعًا وكلوا الطيب ولتـتلذذ بالدسم أنفسكم. أمـيلوا آذانكم وهلموا إليّ. اسمعـوا فتحيا أنفـسكم وأقطع لكم عهدًا أبديًا مراحم داود الصـادقة. هوذا قد جلعته شارعًـا للشعوب رئيسًا وموصـيًا للشعوب. ها أمة لا تعرفـها تدعوها وأمة لم تعرفك تركض إليك من أجل الرب إلهك وقدوس إسرائيل لأنه قد مجدك.

اطلبوا الـرب مادام يوجد ادعـوه وهو قريب. ليـترك الشرير طريـقه ورجل الإثم أفكاره وليتب إلى الرب فيرحمـه وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران. لأن أفكاري ليـست

أفكاركم ولا طرقكم طرقي. يقول الرب. لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم. لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتُنبت وتعطي زرعًا للزراع وخبزًا للآكل «هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي. لا ترجع إليّ فارغة بل تعمل ما سررت به وتنجح في ما أسلتها له. لأنكم بفرح تخرجون وبسلام تحضرون. الجبال والآكام تشيد أمامكم ترنمًا وكل شجر الحقل تصفق بالأيادي. عوضًا عن الشوك ينقبت سرو وعوضًا عن القريس يطلع آسٌ. ويكون للرب اسمًا علامة أبدية لا تنقطع» [إش ٥٥]

* * *

وقد يجد القارئ صعوبة في بعض العبارات ليس مردها إلى الكاتب، بل إلى اختلاف التراجم. وينشأ اختلاف التراجم عن الأسباب الآتية:

١ - يقسم العبرانيون الحروف الأبجدية إلى مجموعات طبقاً لأعضاء الفم الخمسة التي تستخدم في نطقها: الشفتين، واللسان، والأسنان، والحلق، والحنجرة. فمثلاً تسمى الألف والجيم والعين والهاء: حروفاً حلقية، ويستعمل أحدها بدلاً عن الآخر، دون أي فارق بينها -فيما نعلم- وعلى هذا النحو تستعمل «ال» التي تعني «إلى» بدلاً من «عل» التي تعني «على» والعكس صحيح.

٢ - تعدد المعاني لحروف العطف والظروف فمثلاً (الواو) العاطفة تستعمل للربط وللتمييز فتعني: و - لكن - لأن - مع ذلك - حينئذ. وكذلك كلمة (كي) تستعمل بمعنى: لأن - مع أن - إذا - عندما - مثلما - أن... إلخ.

٣ - أقدم الكتّاب استعملوا الزمن المستقبل للدلالة على الحاضر، وعلى الماضي بلا تمييز، كما استعملوا الماضي للدلالة على المستقبل، والصيغة الإخبارية للدلالة على الصيغة الإنشائية، وعلى صيغة الأمر. فنتج عن ذلك: كثير من المتشابهات.

٤ - الكتّاب قديماً كانوا يكتبون الحروف العبرانية بدون نقط أو حركات، من فتحة وكسرة وضمة، ولم تكن لديهم حروف تعادل الحروف المتحركة. والكتاب المتأخرون: ابتدعوا النقط والحركات. فنشأ اختلاف عن الأصل. مثال ذلك: «فسجد إسرائيل على

رأس السرير» [تك ٤٧: ٣١] فسرها كاتب الرسالة إلى العبرانيين بقوله: «وسجد على رأس عصاه» [عب ١١: ٢١] وهي في اليونانية والترجمة السريانية: «على رأس عصاه» يقول مفسرو التوراة: «والكلمة العبرانية بقطع النظر عن الحركات تحتمل المعنيين: السرير أو العصا. والحركات في العبرانية حديثة» [١] والكلمة العبرانية التي تحتمل المعنيين هي «ماتي» وتكتب أيضاً «ميتا» [٢]

* * *

وقد تعمد كاتب التوراة أن يلبس الحق بالباطل في بعض مواضيع، لا يفهمها إلا الدارسون الكبار، ليعرفوا غرض الكاتب مستقبلاً. وفي حالة المعرفة إما أن يوافقوه، وإما أن يكفروا به. وليست هذه الطريقة عند الكاتب وحده، بل لدى الكثيرين من كتاب اليهود فإنهم يضعون في كتبهم: عبارات يلوحون بها للدارسين بما يريدون، ولا يعقلها العوام فإبراهيم بن عَزرا المتوفَّي في غرناطة سنة ١١٦٧م وهو أول شارح للتوراة: **شك في نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى** [٣]، يقول في شرحه لسفر التثنية: ١ - «فيما وراء الأردن... إلخ: ٢ - لو كنت تعرف سر الاثنتي عشرة.. ٣ - كتب موسى شريعته أيضاً.. ٤ - وكان الكنعاني على الأرض.. ٥ - سيوحي به على جبل الله. ٦ - ها هوذا سريره، سرير من حديد. ٧ - حينئذ تعرف الحقيقة»

وفي موضع آخر يقول: «وكان الكنعاني حينئذ في هذه الأرض: قد يعني هذا أن كنعان، حفيد نوح استولى على هذه الأرض التي كان يحتلها من قبل شخص آخر. فإن لم يكن الأمر كذلك؛ فهناك سرّ على من يعرفه ألا يبوح به» [٤]

ماذا يقصد ابن عَزرا بهذه العبارات: «لو كنت تعرف.. إلخ - حينئذ تعرف الحقيقة - هناك سر على من يعرفه ألا يبوح به» لا يعرف هذا إلا الدارسون، وابن عزرا يوصيهم بالكتمان إذا عرفوا. أما العوام فلا يفهمون هذا مطلقاً.

وقصد ابن عزرا: أن موسى ليس الكاتب للتوراة المتداولة بين اليهود والنصارى، بل كتبت من بعده بزمان طويل. بدليل: أن الكاتب يقول: إن موسى عبر الأردن، وهو لم يعبر الأردن، وأن كتاب التوراة الأصلي كان صغيراً جداً بحيث يكتب على اثني

---

(١) ص ٢٧٠ ج ١ السنن القويم.

(٢) انظر فصل: تفسير الكتاب. من كتاب رسالة في اللاهوت والسياسة.

(٣) ص ١٢٤ هامش رسالة في اللاهوت. (٤) ص ٢٦٦ - ٢٦٧ رسالة في اللاهوت.

عشر حجراً. وإن الكاتب يتحدث عن موسى بضمير الغائب، وإن الكنعانيين في عهد موسى كانوا يسكنون الأرض المقدسة. فقوله: «وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض» يدل على كتابة التوراة بعد استيلاء بني إسرائيل عليها. وهم لم يستولوا عليها إلا في زمن داود. وأن الكاتب ذكر جبل الله الذي هو في أورشليم، وهو لم يسم بجبل الله إلا من زمن داود وسليمان عليهما السلام. وأن الكاتب يذكر أن سرير عوج ملك باشان موجود الآن في زمنه ولم يستول بنو إسرائيل على سريره إلا بعد موت موسى. كما سيأتي تفصيله.

* * *

وعلى ما قدمنا فإنه يتعذر على الدارس القول بالمحكم والمتشابه في نصوص التوراة، ورد المتشابه إلى المحكم، لوجود اللبس الذي تعمده الكاتب في بعض المواضيع، وإنما يستطيع بعقل متفتح إدراك الحقائق من مضاهاة النصوص بعضها ببعض من جهة، ومضاهاة أقوال الربانيين والأحبار من جهة أخرى. ثم بعد التحري والتدقيق ينظر في المحكم والمتشابه ويقول به بحسب المكتوب الذي يسلمون بصحته. فمثلاً حينما نقرأ في التوراة العبرانية لا يتبين لنا: النص الصريح عن يوم القيامة، لا بسهولة ولا بصعوبة، لأن الكاتب تعمد اللبس تماماً، لدرجة أن كتاب المسلمين من قبلي، صرحوا بأن النص على يوم القيامة محذوف من التوراة. ولدرجة أن الصدوقيين من اليهود تحدوا عيسى عليه السلام أن يثبت لهم بالنص الصريح من التوراة العبرانية أن يوم القيامة حق ولم يستطع. وإنما استطاع إثبات ذلك بنص أمكنه تأويله [مرقس ١٢:١٨ – ٢٧] وظل النصارى من بعده يتمسكون بهذا النص المؤول، إلى أن ظهرت التوراة السامرية حديثًا، ووجدوا فيها النص الصريح الذي تعمد كاتب العبرانية إخفاءه. ومع غموض العبرانية في بعث الأموات، فإن كثيرين من الربانيين والأحبار يصرحون به في كتبهم – كما سيأتي – فإذا ضاهينا النصوص، وأقوال العلماء ووصلنا إلى النصوص التي يطمئن القلب إليها؛ نستطيع حالئذ أن نقول بالمحكم والمتشابه، ورد المتشابه إلى المحكم. مثال ذلك:

١ – ورد في التوراة – كما قدمنا – أن الله يشبه الإنسان شبهاً تامّاً. وورد فيها: أن الله لا يُرى مطلقاً، وأن الله ليس كمثله شيء. ومن نصوص نفي المثلية:

«فكلمكم الرب من وسط النار، وأنتم سامعـون صوت كلام، ولكن لم تروا صورة بل صوتـاً. . فاحتـفظوا جداً لأنـفسكم فـإنكم لم تروا صورة مـا يوم كلمكم الرب في حوريب (الطور) من وسط النار» [التثنية ٤:١٢، ١٥] ويقول الله عن نفسه «ليس مثلي في كل الأرض» [خروج ٩:١٤] وقال موسى عن الله: «ليس مثل الله» [تثنية ٣٣: ٢٦] وفي كلام داود عليه السلام «أيها الرب الإله. . . ليس مثلك» [صموئيل الثاني ٧:٢٢] ويقول إرمياء لله «لا مثل لك يا رب. . ليس مثلك» [إرمياء ١٠:٦ – ٨] ويوبخ الله بني إسرائيل على لسان إشعياء فيقـول: «بمن تشبهونني وتسوونني، وتمثـلونني لنتشابه»؟ [إشعياء ٤٦: ٥] وقال إشعياء: «فيمن تشـبهون الله؟ وأي شبه تعادلون به؟» [إشعياء ٤٠: ١٨] وقال أيضاً على لسان الله عز وجل: «بمن تشبهونني فأساويه يقول القدوس» [إش ٤٠: ٢٥] ويقول موسى بن ميمون: «الاعتقاد بأن الله ليس جسماً، لا يعارض المعتقدات التي تقوم عليها الشريعة، في حين أن الاعتـقاد بقدم العالم كما هو الحال عند أرسطو يقضي على أسـاس الشريعة» (١) أي أنه يثبت عدم الجسمـية لله عز وجل، ويثبت أن العالم حادث. ويوافق على تأويل النصوص إن أمكن ذلك.

فـأنت ترى نصين لدى اليـهود في ذات اللـه تعالى. النص الأول: أن الـله يشبـه الإنسان شبـهاً تاماً، مع تميزه بالجمـال والجلال، والبهاء والكمـال، والمجد والعظمة. والنص الثاني: أن الله ليس بجسم، وهو عظيم، ولا يشبه الإنسان ولا يمكن لأحد أن يتصوره أو يتخيله بصورة ما. وإنما يعتقد أن ليس كمثله شيء. فمن ينظر إلى النصوص الموهمة للجسمية ، ويغمض عينيه عن النصوص الدالة على نفي الشبه والمثل، يحكم بأن التوراة تجسم الله عز وجل. ومن يقـول إن النصوص الموهمة للجسمية مـتشابهة، والنصوص الدالة على نفي الشـبه والمثل محكمة. ثم يرد المتـشابه إلى المحكم: يحكم بأن التوراة تمنع بأن يكون لله جسم .ومن لا يؤول؛ يقـول جسم لا كالأجسام. ومن يفوض يقول: الله أعلم بمراده.

٢ – ورد في التوراة: أن الله كلم مـوسى تكليماً، فـي هذا النص: «إن كان منكم نبي للرب، فبالرؤيا استعلن له. في الحلم أكلمه. وأما عبدي موسى فليس هكذا. بل هو أمين في كل بيتي. فمًا إلى فم. . أتكلم معه» [خر ١٢: ٦ – ٨]

---

(١) دلالة الحائرين الفصل ٢٥ ج٢ .

إن هذا النص متشابـه، لأن امتياز موسى عليه السلام عن سـائر البشر بالكلام مع الله - عز وجل - فمًا إلى فم. إمـا أن يدل بحسب ظاهر اللفظ، فيكون الله وموسى جسمين متقـابلين، كما يكلم أحدنا صاحبه. وأما أن يكون قـوله «فمًا إلى فم» معناه: أن موسى قريب من الله. وامتياز موسى هو لأن الله يكلمه من وراء حجاب، فيكون مكرمـاً بسمـاع الصوت لا برؤية الوجـه. ولأنه يحتـمل هذين المعنيين، يكون نـصاً متشـابهاً. والنص المتشابه يرد إلى المحكم. ومـحكم هذا النص هو ١ - أن الله كان يكلم موسى من فوق غشاء التابوت، من بين الكروبين، وموسى يسمع الصوت، ولا يرى الذات. ففي التوراة: «وأنا أجتمع بك هناك، وأتكلم معك من على الغطاء، من بين الكروبين، اللذين على تابوت الشهادة» [خر٢٥: ٢٢] - «وقال الله لموسى: لا تقدر أن ترى وجهي. لأن الإنسان لا يراني ويعيش» [خر٣٣: ٢٠]

وهذا يدل على أن امتيـاز موسى بالكلام فمًا إلى فم، إنما كـان لأن الله كلمه من وراء حجاب. ولم يكلمه عياناً جهاراً، كـما يكلم أحدنا صاحبه في مقابله. واعلم : أن التوراة إذا قالت تكلم الله أو ظهر الله . لا تقصد الله نفسه. وإنما تقصد ملكًا من الملائكة نيـابة عنه. وهذا القـصـد مؤكـد لما في سـفر إرمـيـاء النبي وهو أن الله في السموات وفي الأرض.

ويقـول أهـل الكتـاب: إن الله في الســمـوات وفي الأرض. وأنه خـلق المكان والزمان. وخالق المكان والزمان لا يحتاج إليهما. وإذا جاء في التوراة أنه في السماء. فليس هذا لأنه في السماء. وإنما ليظهر شرف السماء وعلو مكانتها. ودليل ذلك: أن الله كان مـوجودًا قبل أن يخلق السـموات والأرضين. فأين كـان مكان جلوسه على العرش. والعرش لم يُخلق، والسموات لم تخلق؟

يقول صـاحب الأمانات والاعتقـادات: «إن الخالق لا يجوز أن يضـاف إليه شيء على التجـسيم، ولا ينسب إليه؛ لأنه لم يزل وليس شيء من المصنوعـات يضاف إليه أو ينسب إليه. والآن إذ صنعـها؛ فليس يجوز أن تتـغير ذاته؛ فـيصير منسـوبًا إليه، ويضاف إليه بالتجسيم بعد ما لم يكن ذلك»

هذا هو كلام سَعديّ الفيومي بنصه.

وقال ما نصه عن المكان: «لا يجوز أن يحتاج الخالق إلى مكان يكون فيه من جهات. أولاً: لأنه خالق كل مكان. وأيضًا: لأنه لم يزل وحده، وليس مكان فليس ينتقل بسبب خلقه للمكان. وأيضًا: لأن المحتاج إلى المكان هو الجسم الذي يشغل ما لاقاه وماسّه؛ فيكون كل واحد من المتماسين مكانًا للآخر. وهذا ممتنع من الخالق. وهذا الذي تقوله الأنبياء أنه في السماء؛ هو على طريق التعظيم والإجلال. إذ السماء عندنا أرفع شيء علمناه» هذا هو كلامه بنصه.

وقال ما نصه عن الزمان: لا يجوز أن يكون للخالق زمان من أجل أنه خالق كل زمان، ولأنه لم يزل وحده وليس زمان. فليس يجوز أن ينقله الزمان ويغيره. ولأن الزمان إنما هو مدة بقاء الأجسام. فالذي ليس بجسم؛ فالزمان والبقاء مرفوعان عنه. وإن نحن وصفناه ببقاء وثبات؛ فإنما ذلك تقريب» اهـ.

ومجمل كلامه: هو أن الله يقرب ذاته إلى عقول بني آدم بحسب فهمهم؛ ليقدروا على تصور ذاته.

الله والملك من ملائكة السماء:

ويقول أهل الكتاب: إذا جاء في التوراة أن الله نزل وتكلم مع عبد من عبيده. فإن النازل والمتكلم ليس هو الله عز وجل. وإنما هو ملك من الملائكة نزل وتكلم بالنيابة عن الله. ويستوي في هذا الأمر موسى وغيره. ففي التوراة: أن الله نزل على جبل طور سيناء وكلم موسى تكليمًا. ومفسرو التوراة يقولون: إن ظاهر اللفظ غير مراد. وإنما المراد ملك من الملائكة. ويعللون ذلك بقولهم: إن الله لو نزل على الأرض. فإنه وهو عليها؛ لا يكون في السماء. وهو يقول على لسان إرمياء النبي: «إذا اختبأ إنسان في أماكن مستترة، أفما أراه أنا؟ يقول الرب. أما أملأ أنا السموات والأرض؟ يقول الرب» [إر ٢٣ : ٢٤] فإله يملأ السموات والأرض كيف يكون محصورًا في بقعة من الأرض؟ وحالة التجلي على جبل طور سيناء إذا اختبأ إنسان فكيف يراه؟

وعندنا في القرآن الكريم: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي

اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾

التفسير:

لما جاء موسى إلى جبل الطور في الموعد المحدد له من الله ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ ما المراد بربه؟ هل هو الله أم هو الملاك النائب عن اللـه؟ لو كان هو الله لكان يقـول ولما جاء موسى لميقـاتنا وكلمته. فالرب ههنا بمعنى سيـده، وسيده هو الملاك النائب عن الله. قال يا سيدي: أرني أنظر إليك. فرد سيده عليه بقوله: لأنني أنا نائب عن الله. والله لا يُرى ولا يقـدر أحد على رؤيتـه؛ لن تراني. ثم إن الملاك سـيده تجلّى على الجـبل فجعله التجلي دكا. فلما أفاق من الصعق قال لله تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

ونص التوراة السامرية صـريح في أن المتجلي على الجبل ملك من الملائكة. ونص التوراة العبرانـية صريح في أن المتجلي هو الله نفسه. وتصـريح الله بأنه في السموات وفي الأرض يشهد بصحة النص السامري.

وفي الأصحاح التاسع عشر من سفر الخروج:

«في الشهر الثالث بعد خروج بنـي إسرائيل من أرض مصر. في ذلك اليوم جاءوا إلى برية سيناء. ارتحلوا من رفـيديم وجاءوا إلى برية سـيناء؛ فنزلوا في البرية. هناك نزل إسرائيل مقابل الجبل.

وأما موسى فصعد إلى الله. فناداه الرب من الجبل قائلا: هكذا تقول لبيت يعقوب وتخـبر بني إسـرائيل. أنتم رأيتم مـا صنعت بالمصريين. وأنـا حملتكم على أجنحـة النسور وجئت بكم إليَّ. فالآن إن سمعتم لصـوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جـميع الشـعوب. فإن لـي كل الأرض. وأنتم تكونون لي مملكة كهنـة وأمّة مقدسة. هذه هي الكلمات التي تكلم بها بني إسرائيل.

فجاء موسى ودعا شيوخ الشـعب ووضع قدامهم كل هذه الكلمات التي أوصاه بها الرب. فأجاب جـميع الشعب معًـا وقالوا: كل ما تكلم به الرب نفـعل. فرد موسى

كلام الشعب إلى الرب. فقال الرب لموسى: ها أنا آت إليك في ظلام السحاب لكي يسمع الشعب حينما أتكلَّم معك فيؤمنوا بك أيضًا إلى الأبد. وأخبر موسى الرب بكلام الشعب.

فقال الرب لموسى: اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغدًا. وليغسلوا ثيابهم. ويكونوا مستعدين لليوم الثالث. لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء. وتقيم للشعب حدودًا من كل ناحية قائلاً: احترزوا من أن تصعدوا إلى الجبل أو تمسوا طرفه. كل من يمس الجبل يُقتل قتلاً. لا تمسه يد بل يُرجم رجمًا أو يُرمى رميًا. بهيمة كان أم إنسانًا؛ لا يعيش. أما عند صوت البوق فهم يصعدون إلى الجبل.

فانحدر موسى من الجبل إلى الشعب وقدس الشعب وغسلوا ثيابهم وقال للشعب: كونوا مستعدين لليوم الثالث. لا تقربوا امرأة. وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جدًا. فارتعد كل الشعب الذي في المحلة. وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله. فوقفوا في أسفل الجبل. وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار. وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جدًا.. إلخ». [خر١٩]

وها هنا إشكال على هذا التفسير وهو أن الله جعل الملائكة خدامًا لبني آدم من قوله ﴿اسجدوا لآدم﴾ أي كونوا مطيعين له في عمارة الدنيا وقد استجابوا. وصاروا بالاستجابة خدامًا، وصار الآدمي سيدًا. فكيف مع هذا المعنى يكون الملك النائب عن الله سيدًا لموسى. وموسى من بني آدم؟ والإجابة على هذا الإشكال هي: أن هذا الملك لما كان نائبًا عن الله. والله هو السيد. صار الملك سيدًا.

ومؤلف الأمانات والاعتقادات صرح بما لا لبس فيه ولا خفاء بأن المتكلم مع موسى على الجبل هو ملاك من الملائكة. ذلك قوله : «وهذا الذي ترى الكتب تسميه ملكًا، وتجعل الناس له عبيدًا، والملائكة له خدامًا. فإنما هذا كله على طريق الإجلال والتعظيم. لما كان أجلّ من في الناس عندنا هو الملك، وعلى معنى أنه يصنع كل ما يريده وينفذ أمره»

وفي دلالة الحائرين لموسى بن ميمون: «إنك لا تجـد قط فعلاً يفعله الله، إلا على يد ملك»

ثم قال ما معناه: إن الحيوان الأعـجم إذا فعل فعلاً. فإنه لأنه لا يقع في ملك الله إلا ما يريد؛ يكون مشـابهًا للملك في الفعل. فكما أن الملك يفـعل بالنيابة عن الله، كذلك الحـيوان إذا فـعل فعلاً يكون قـد فعله بالنيـابة عن الله. أي أن الله استـخدم الحيوان وسيلة، كما استخدم الملك وسيلة. ومثل فعل الحيوان ما إذا سقط عمود على إنسان فـشج رأسه. فإنه يقـال: إن الله استـخدم العمـود في العقاب كـما يستـخدم الملائكة. فيطلق على العـمود ملك، ويطلق على فعله فـعل ملك. وهكذا يقول ابن مـيمـون ما نصـه: «إن معنى الملك: رسـول. فكل منفـذ أمر؛ هو ملك، حـتى أن حركات الحيوان ولو غير الناطق. ينص الكتاب فيها إنها على يد ملك. إذا كانت تلك الحركة وفق غرض الإله الذي جعل فيه قوة تحركه تلك الحركة»

ثم ذكر أدلة من التوراة على قوله هذا.

وختم كلامه بقوله: وليس القصد بهذه النصوص كلها ما يظنه الجهال بأن ثَمَّ كلامًا له تعالى أو فكرة أو روية أو مـشورة واستعانة بـرأي الغير. وكيف يستـعين الخالق بما خلق؟ . . إلخ» [فصل واو]

* * *

ننتقل بعد ذلك إلى دلالة الجملة، والكلمة المفردة، وهمـا كالأساليب العربية سواء بسواء، فالكلمة تأتي على الحقيـقة، وتأتي على المجاز، والجملة كذلك. ونورد أمثلة للإيضاح:

(أ) بالنسبة للجملة: يكثر جداً أسلوب التشـبيه والاستعارة والكناية. يقول الكاتب: إن يعقوب عليه السلام حين حضـره الموت وصى بنيه وباركهم. وكا مما قال عن يهوذا: «لا يزول قضيب من يهـوذا، ومشترع من بين رجليه، حـتى يأتي شيلون. وله يكون خضوع شعوب، رابطاً بالكرمة جحشه، وبالجفنة ابن أتانه، غسل بالخمر لباسه، وبدم العنب ثوبه، مسود العينين من الخمر، ومبيض الأسنان من اللبن» [تكوين ٤٩: ١٠ - ١٢]

والمعنى: يظل صـولجـان الملك في نسل يهـوذا. وكني بيهـوذا عن اليـهود بأسـرهم،

والشريعة يعمل بها الناس في ظل الملوك من نسل يهـوذا، أي شريعة التوراة يعمل بها الناس تحت نفوذ اليهود، حتى يجيء شيلون. **رابطاً بالكرمة جحشه.** هذا يدل على أن أرضه تكون وافرة الخصب وليس فيها مكان جدب لربط الدواب فيه، حتى إذا أراد الرجل أن يربط حماره لا يجد له مربطاً سوى الكرمة لكثرة أشجارها. وهذا هو تفسير اليهود. والتفسير الصحيح: هو الكناية عن كثرة الخيرات في زمن «المسيا» المعبر عنه ههنا بشيلون. وهو محمد ﷺ **مسود العينين من الخمر...** إلخ - وقد تترجم: مظلم العينين من الخمر، أو كليل العينين. قال بعضهم: هذا كناية عن الخصب في أرض يهوذا. والكلام ليس في شخص يهوذا عينه، بل في نسله بياناً لنجاحه وابتهاجه لكثرة ثروته (١).

(ب) وبالنسبة للكلمة المفردة نتحدث عن:

١ - **الإله:** يطلق حقيقة على الله عز وجل، ويطلق مجازاً على السيد. مثال ذلك قول الله لموسى: «أنا جعلتك إلها لفرعون، وهرون أخوك يكون نبيك» [خروج ٧:١] والمعنى: جعلتك سيداً لفرعون، وهرون خطيباً أو مفسراً. كأنه يقول: لما كان هارون بتفسيره كلام موسى لفرعون يقوم بدور النبي، تكون أنت يا موسى كإله لفرعون. ويطلق أيضاً على القضاة: «لا تسب الله» [خروج ٢٢:٨] «قال بعضهم: إن معنى الآلهة هنا: القضاة، فيكون المعنى: «لا تسب القضاة» (٢)

٢ - ٣ **الأب والابن:** يطلق لفظ الأب (٣) والابن حقيقة على الوالد الحقيقي، والابن الحقيقي، وجاء اللفظان مجازاً في قوله: «أنتم أولاد للرب إلهكم» [تث ١٤:١] فقد جعل الكاتب: الله أبا، واليهود أبناء- على سبيل المجاز-

---

(١) ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ج١ السنن القويم - ونقول: إن شيلون هو نبي الإسلام ﷺ لأنه هو الذي أتى بعد زوال الملك من اليهود وانتهاء النبوات فيهم فإن آخر نبي منهم هو عيسى عليه السلام وفي عهده كانوا كثيرين جداً وأحوالهم مزدهرة، وقد أرسل لهم. ولم يشتتوا من ديارهم إلا في سنة ٧٠ م على يد تيطوس وسنة ١٣٢م على يد أدريانوس الروماني، ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة «انظر كتابنا: البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل»

(٢) ص ٤٢٤ ج ١ السنن القويم.

(٣) النصارى ينطقونه (الآب) بمد الألف وتخفيف الباء الساكنة.

٤ - السجود: يطلق حقيقة على الخضوع لله. ويطلق مجازاً على الطاعة والاحترام لشخص مّا. فإن يعقوب عليه السلام بعدما بارك أفرايم، ومَنَسَّى، ولدي يوسف عليه السلام «سجد أمام وجهه إلى الأرض» [تث ٤٨:١٢] ولما ماتت سارة زوجة إبراهيم عليه السلام «قام إبراهيم وسجد لشعب الأرض لبني حث» [تك ٢٣:٧] لأنهم أعطوه قبراً.

٥ - الأبـــد: يطلق حقيـقة على المدة التي لا نهاية لها. ومجـازاً على مدة بسيطة مؤقتة. فـإن الله أمر بني إسرائيل إذا بيع لأحدهم عبد رقـيق منهم، في السنة السابعة لخدمته يطلقه حراً. وكذلك الأمة منهم. لكن إذا رضي العبد، أو رضيت الأمة بالبقاء في بيت السيد، حينئذ يثقب أذنه، ويستبقيه أو يستبقيها «ولكن إذا قال لك: لا أخرج من عندك لأنه قد أحـبك، وبيتك إذ كـان له خير عندك؛ فـخذ المخـرز، واجعله في أذنه، وفي الباب ؛فيكون لك عبداً مـؤبداً. وهكذا تفعل لأمتك أيضاً» [تـث ١٥: ١٢ - ١٧] وفي سفر الخروج: «فيخدمه إلى الأبد» [٢١:٦] فقوله «مؤبداً» أو «إلى الأبد» يفيد التأبيد والدوام المطلق - ظاهراً - والحـقيقة: أنه يفيد التـأبيد والدوام إلى سنة اليوبيل فقط «وتقدسـون السنة الخمسين وتنادون بالعتق في الأرض لجـميع سكانها» [الـلاويـين ٢٥:١] ومعـنى اليوبيل: أن اليـهود يزرعـون ويحصـدون لمدة تسع وأربعين سنة، وفي السنة الخمسين «لا تزرعوا ولا تحصدوا زريعاً، ولا تـقطفوا كرمها المحول. إنها يوبيل مقدسة تكون لكم» [لاويين ٢٥: ١١ - ١٣]

٦ - روح اللـه. أو روح القـــدس: همـا بمعنى واحـد. وأصل كلمـة الروح على الحقيـقة: «الريح» يقول سبـينوزا: إن الكلمة العبرانيـة «روّاه» تدل في معناها الأصلي على الريح [١]. وهكذا يقول اليهود - وقولهم حق - وبعض المفسرين من النصارى. في تفسير السنن القويم عقب الآية: «وكانت الأرض خربة وخالية. وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه: [تـك ١:٢] يقولون ما نصه: ذهب جماعة من علماء التفسير إلى أن المقصـود بالروح هنا: ريح عظيمة بدد الله بها ظلمات الغمر»[٢] والنصارى يقـولون: إن كلمة الروح على الحـقيـقة تعني «روح الذات الإلهـية» الإله الثالث الروح القدس.

---

(١) ص ١٣٥ رسالة في اللاهوت والسياسة.

(٢) السنن القويم في التكوين ١:٢ .

وقد وردت كلمة الروح بالمعنى المجازي في مواضع كثيرة منها:

(أ) تأتي بمعنى التعقل والمهارة. فقد كان بصلائيل من سبط يهوذا المختار من الله لبناء مسكن الرب. تقول التوراة عنه: «وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة» [خروج ٣١:٣] أي بعقل ومهارة فوق المعتاد.

(ب) بمعنى الإلهام. فقد قال فرعون عن يوسف «هل نجد مثل هذا، رجلاً فيه روح الله»؟ [تك ٤١: ٣٨]

(ت) بمعنى الرأي. فقد قال الله عن كالب بن يفنة أحد الرجلين اللذين أنعم عليهما: «وأما عبدي كالب فمن أجل أنه كانت معه روح أخرى» [عدد ١٤:٢٤] أي: رأي آخر. وهكذا أمثلة كثيرة على المجاز، لروح الله، أو روح القدس. وفي إنجيل يوحنا: لقبوا «أحمد» بلقب «الروح القدس» فصار «الروح» هذكا يحل محمل نطق «أحمد» التي هي في اليونانية «بيراكليتوس» و«الروح» التي تدل على أحمد؛ هي: «وأما المُعزِّى الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي؛ فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم» وهي التي سئل عنها النبي ﷺ وقال: ﴿ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ . أي وما أتيم من عيسى ابن مريم من العلم إلا قليلاً؛ لأنه قال لكم: «فهو يعلمكم كل شيء»

* * *

وفي التوراة ألفاظ صعبة تحتاج إلى الكتب المفسرة، وليس مردها إلى اختلاف التراجم. بل إلى أنها اصطلاحات في الدين اليهودي يعرفها أهل الدين، وإلى أنها أسماء ومدن قديمة تغيرت في زماننا هذا. كالكروبيم الذي يعني الملائكة، والتقدمة التي تعني الصدقة، والمسكن ومذبح المحرقة والمرحضة، والتابوت ومثل فيثوم، ورعمسيس، وأبار بني يعقان، وموسير. وقد فسر القرآن الكريم كلمات. فهو قد وضح مثلاً: أن القربان صدقة تأكلها النار، وأن التابوت صندوق فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون. ولم يترك آل موسى وهرون إلا العلم. وبيَّن بقوله: ﴿ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٨] أن بني إسرائيل كانت نفوسهم تطمئن بالنصر وتثق فيه، إذا كان التابوت معهم.

الفصل الخامس
في
دلالة نصوص التوراة على
أنَّ كاتبها ليس هو موسى

إن موسى عليه السلام لم يدخل الأرض المقدسة وإنما حارب قبائل يعيشون بجوارها، كالاموريين وعوج ملك باشان - ومملكته في حدود سوريا الآن قريباً من نهر الأردن - ثم جاء فتاه يوشع بن نون؛ فعبر نهر الأردن واستولى على أريحا - وهي بجوار البحر الميت - واستمرت المناوشات بين بني إسرائيل وبين سكان أرض كنعان. مرة يغلبون، ومرة يهزمون، حتى جاء طالوت وداود، ووحدا صفوف بني إسرائيل، وقتل داود عليه السلام جالوت رئيس الفلسطينيين، وبهذه المعركة تم استيلاء بني إسرائيل على الأرض المقدسة. وهي: «من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات. . . كل أرض كنعان» [تكوين ١٥:١٨ / ١٧:٨] ولقد قلنا: إن موسى كان في سنة ١٥٧١ ق.م. وداود كان سنة ١٠٥٦ق.م أي أن داود بعد موسى بخمسمائة سنة وخمس عشرة. وأن أول ملك على بني إسرائيل كان بعد موسى بهذه المدة تقريباً.

نريد أن نبين بالأمثلة أن التوراة المتداولة مع اليهود والصابئين والنصارى الآن؛ ليست هي التي تركها موسى - كما يزعمون - بل هي قد كتبت بعد عصر الملوك، بعد استيلاء بني إسرائيل على كل أرض كنعان، واتخاذهم أورشليم عاصمة للمملكة:

المثال الأول: يقول الكاتب عن إبراهيم ولوط عليهما السلام: أتوا إلى أرض كنعان، واجتار أبرام في الأرض، إلى مكان شكيم، إلى بلوطة مورة. «وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض» [تك ١٢:٥ - ٦] قوله: «وكان الكنعانيون حينئذ في

الأرض» يدل على أن الكاتب كتب التوراة بعد استيلاء بني إسرائيل على أرض كنعان وطرد الكنعانيين منها. لأنه يحكي عن زمان مضى. وهم لم يستولوا عليها زمن موسى، وإنما تم الاستيلاء عليها زمن داود. وكررت هذه العبارة أكثر من مرة: «وكان الكنعانيون والفرزيون، حينئذ ساكنين في الأرض» [تـك ١٣:٧] وفي سفر صموئيل الأول ما يثبت أن الاستيلاء على أرض كنعان كان في عصر طالوت وداود، في هذا النص: «وفيما هو يكلمهم إذا برجل مبارز اسمه جليات الفلسطيني، من جت. صاعد من صفوف الفلسطينيين، وتكلم بمثل هذا الكلام، فسمع داود. وجميع رجال إسرائيل لما رأوا الرجل هربوا منه وخافوا جداً» [١ صم ١٧: ٢٣:٢٤] «فتمكن داود من الفلسطيني بالمقلاع والحجر، وضرب الفلسطيني وقتله، ولم يكن سيف بيد داود، فركض داود ووقف على الفلسطيني وأخذ سيفه، واخترطه من غمده وقتله، وقطع به رأسه، فلما رأى الفلسطينيون أن جبارهم قد مات؛ هربوا» [١صم ١٧: ٥٠ – ٥١] «وكان عند مجيئهم حين رجع داود من قتل الفلسطيني أن النساء خرجن من جميع مدن إسرائيل بالغناء والرقص للقاء الملك بدفوف وبفرح» [١ صم ١٨:٦]

المثال الثاني: «فلما سمع أبرام أن أخاه سُبِيَ، جَرَّ غلمانه المتمرنين ولدان بيته ثلث مائة وثمانية عشر، وتبعهم إلى دان» [تـك ١٤:١٤] والمعنى: أن إبراهيم عليه السلام لما سمع أن لوطا عليه السلام وقع في الأسر، انطلق مع عبيده ليحرره، وتبع الأعداء إلى قرية تسمى «دان» ولفظ دان: هو اسم قرية سميت باسم دان بن يعقوب عليه السلام، وهذه القرية لم يفتحها بنو إسرائيل زمن موسى، بل فتحت في عصر قضاة بني إسرائيل أيام كان القضاة يحكمون قبل عصر الملوك، واسم هذه القرية سابقاً (لايش) ففي سفر القضاة: «ودعوا اسم المدينة دان باسم دان أبيهم الذي ولد لإسرائيل، ولكن اسم المدينة أولا لايش» [قضاة ١٨: ٢٩]

المثال الثالث: يقول الكاتب إن لوطا عليه السلام: زنى بابنتيه بعدما سقياه الخمر «فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب وهو أب الموآبيين إلى اليوم، والصغيرة أيضاً ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمى وهو أبو بني عمون إلى اليوم» [تـك ١٩: ٣٧ – ٣٨] فقوله «إلى اليوم – إلى اليوم» يدل على الأيام التي كان فيها كاتب التوراة. وهل يعقل على نبي كريم اصطفاه الله واجتباه أن يفعل هذا الفعل الذميم؟

المثال الرابع: يقول الكاتب: إن إبراهيم عليه السلام لما ذبح الكبش عوضاً عن ابنه في الموضع الذي كان سيذبح فيه ابنه «فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يَهْوَه يِرأه. حتى أنه يقال اليوم: في جبل الرب يرى» [تك ٢٢:١٤] قوله «حتى أنه يقال اليوم: في جبل الرب يرى» يدل على أن الكاتب كتب بعد زمان حادثة الذبح، وبعدما سمي ذلك الموضع بجبل الرب،وهو لم يسم بجبل الرب - كما يقول اليهود - إلا في عهد داود عليه السلام لما أسس الهيكل وأكمل بناءه سليمان عليه السلام وعرف بهيكل سليمان. والحق : أن جبل الرب هو جبل الكعبة؛ لأنها مقدسة من قبل عصر إبراهيم.

المثال الخامس: يقول الكاتب: إن عبيد إسحق عليه السلام حفروا بئراً بعد موت أبيه «فدعاها شبعة، لذلك اسم المدينة بئر سبع إلى هذا اليوم» [تك ٢٦:٢٣] فقوله «إلى هذا اليوم» يحدد زمانا كان قبل زمان الكاتب. ومن التناقض: أنها كانت مسماة ببئر سبع زمن إبراهيم عليه السلام ففي سفر التكوين: «وسكن إبراهيم في بئر سبع» [تك ٢٢:١٨]

المثال السادس: لما ضرب ملاك الله يعقوب عليه السلام على حق فخذه قال الكاتب: «لذلك لا يأكل بنو إسرائيل. عرق النَّسا الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم» [تك ٣٢:٣٢] «إلى هذا اليوم» الذي يكتب فيه الكاتب. ولو كان تشريعاً ملزماً، لقال: «إلى الأبد»

المثال السابع: «فماتت راحيل ودفنت في طريق أفراتة التي هي بيت لحم. فنصب يعقوب عموداً على قبرها وهو عمود قبر راحيل إلى اليوم» [تك ٣٥:١٩ - ٢٠]

يقول مفسرو التوراة: «عمود قبر راحيل إلى اليوم: أي إلى يوم كتابة هذا السفر. وهذا البيان من موسى. وقال بعضهم: من عَزْرا وقال آخر: أمن موسى هو أم من عَزْرا لا أعلم؟ وكان قبر راحيل معروفاً في عصر صموئيل [١ صم ١٠:٢] [1]

المثال الثامن: يقول الكاتب: إن عيسو الابن الأكبر لإسحق قد أصبح اسمه أدوم، ثم عدد نفس السفر نسل عيسو أبو الأدوميين [تك ٣٦:١، ٩ - ٢٩] وبعد أن فرغ من ذلك قال ما نصه: - وهو المثال التاسع.

(١) السنن القويم.

المثال التاسع: «وهؤلاءهم الملوك الذينَ ملكوا في أرض أدوم، قبلما ملك ملك لبني إسرائيل» [تـك ٣٦:٣١] ولا يمكن أن تكون هذه الآية من كلام موسى، لأنها تدل على أن المتكلم بها بعد زمـان قامت فيه مملكة بني إسرائيل في عهـد طالوت وداود عليهما السلام كمـا يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ومعروف أن عيسو عـاش في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، بينما بدأت الملكية بشاول في إسرائيل عام ١٠٠٧ق.م.

المثـال العاشـر: «فنقل إبرام خيامه، وأتى وأقـام عند بلوطات ممرا التي في حبرون» [تـك ١٣:١٨] «وجاء يعقوب إلى إسحق أبيهِ إلى ممرا قرية أربع التي هي حبرون» [تـك ٣٥:٢٧]

وأرسل يعقوب ابنه إلى إخوته «أرسله من وطاء حبرون فأتى إلى شكيم» [تـك ٣٧:١٤] قوله «حـبرون» التي هي الآن مدينة الخـليل كان اسمـها سابقـاً قريه «أربع» وبنو إسرائيل فتحوها في زمن يشوع فتى موسى، وغيروا اسمها إلى حبرون. فهذه الآيات لا يمكن أن تكون من كلام موسى، بل من كـلام شخص كان بعد هذا الفتح وتغـيير الاسم، أي بعد مـوت موسى؛ ففي سفـر يشوع: «لذلك صارت حـبرون لكالب بن يفنة القنزي ملكاً إلى هذا اليوم، لأنه اتبع تماماً الرب إله إسرائيل. واسم حبرون قبلا: قرية أربع الرجل الأعظم في العناقيين، واستراحت الأرض من الحرب» [يشوع ١٤:١٤-١٥]

المثال الحادي عشر: يقول الكاتب: «وأكل بنو إسرائيل المنَّ أربعين سنة، حتى جاؤوا إلى أرض عامرة. أكلوا المن حتى جاؤوا إلى طرف أرض كنعان» [خروج ١٦:٣٥] وهذه الآية ليست من كلام موسى، لأن المن نزل على بني إسرائيل طوال سني موسى، ولم يُمنع المن إلا بعد ما دخل يشوع أريحا وعبر الأردن كـما يقول كاتب سفره: «فحل بنو إسرائيل في الجلجـال، وعملوا الفِـصح في اليوم الرابع عشـر من الشهر، مـساء في عربات أريحا، وأكـلوا من غلة الأرض في الغد بعد الفصح فطيـراً، وفريكا في نفس اليوم، وانقطع المن في الغد عند أكلهم مـن غلة الأرض، ولم يكن بعد لبني إسرائيل منّ. فأكلوا من محصول أرض كنعان في تلك السنة» [يشوع ٥:١٠-١٢]

المثال الثاني عشر: جاء في سفر الخروج إشارة إلى سفر ضائع كتبه موسى عليه السلام يسمى **سفر العهد**، ومؤداه: إذا وفى بنو إسرائيل بعهد الله؛ يوف بعهدهم. والنص الذي يشير هو: «**وأخذ كتاب العهد**، وقرأ في مسامع الشعب، فقالوا: كل ما تكلم به الرب؛ نفعل ونسمع له. وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال: هوذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال» [خروج ٢٤: ٧ – ٨]

ثم إن موسى – عليه السلام – شرح جميع الشرائع التي سنها – عن أمر الله تعالى – في السنة الأربعين لخروجه من مصر. لقول التوراة: «في عبر الأردن في أرض موآب، ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلا... إلخ» [تث ١: ٥] وأخذ من الشعب وعدا جديداً بأن يظلوا خاضعين لهذه الشرائع «**وليس معكم وحدكم أقطع أنا هذا العهد، وهذا القسم**» [تث ٢٩: ١٤]

والسؤال الآن: أين كتاب عهد موسى الذي قال عنه الكاتب: «وأخذ كتاب العهد»؟ إما أنه قد ضاع، وإما أن الكاتب قد وضعه في توراة موسى وعهد الدم هذا، كان من أجل أن تنزل التوراة.

وجاء يشوع بن نون من بعد موسى وعاهد بني إسرائيل كما عاهدهم موسى من قبل. ففي سفره يقول الكاتب: «وقطع يشوع عهداً للشعب في ذلك اليوم. وجعل لهم فريضة وحكماً في شكيم. وكتب يشوع هذا الكلام في سفر شريعة الله وأخذ حجراً كبيراً، ونصبه هناك تحت البلوطة التي عند مقدس الرب» [يش ٢٤: ٢٥ – ٢٦]

وهذا العهد الذي كتبه يشوع ووضعه «في سفر شريعة الله» أين هو؟ إن لم نقل: إن العهد في سفر يشوع من وضع راويه. لأن الموجودين من بني إسرائيل في زمن يشوع هم أنفسهم الذين أخذ عليهم العهد موسى. إن لم نقل هذا فلابد من القول بأنه قد ضاع. لكن هل وضع يشوع عهده في توراة موسى، في النسخة التي كانت في الصندوق بجوار التابوت، أم وضعه في صندوق. خاص بجوار توراة التابوت؟ هذا مختلف فيه.

يقول «سبينوزا» الفيلسوف اليهودي عن «يوناتان» الشارح الكلداني: «لقد فضل هذا المترجم بعد أن أقلقته هذه الصعوبة أن يحرف الكتاب على أن يعترف بجهله. فهو

يترجم إلى الكلدانية هذه الكلمات من سفر يشوع: «وكتب يشوع هذا الكلام في سفر توراة الله» بقوله: «وكتب يشوع هذا الكلام، وحفظه مع سفر توراة الله» [1] فأنت ترى فرقا بين العبارتين، الأولى تفيد أن يشوع وضع العهد في نفس التوراة. والثانية تفيد أنه وضع العهد في كتاب مستقل بجانب التوراة. وإذا اعترفنا بهذا العهد، وبإخلاص يشوع لله - وقد كان مخلصاً - نقول: إنه لم يضعه في توراة موسى، لأنه بذلك يكون محرفاً للكتاب. وهذا ما فطن إليه «يوناتان» وغفل عنه «سبينوزا»

المثال الثالث عشر: وفي سفر اللاويين: ما يفيد أن مؤرخاً يسجل التشريع الذي أنزله الله على موسى، لأنه يبدأ السفر بقوله: «ودعا الرب موسى وكلمه من خيمة الاجتماع قائلاً» فلو كان موسى هو الذي يتحدث عن نفسه لقال: «ودعاني الرب من خيمة الاجتماع وكلمني قائلاً» أو ما أشبه ذلك. ويكرر الكاتب هذه العبارة كثيراً «وكلم الرب موسى قائلاً» [٦:١] «وكلم الرب موسى قائلاً» [٦:٨، ١٩، ٢٤ / ٧: ٢٨ / ٨ :١] وفي اليوم الثامن دعا موسى «هرون وبنيه وشيوخ إسرائيل» [٩:١] وبعد سرد أحكام تشريعية يقول ذلك المؤرخ: «هذه هي الفرائض والأحكام والشرائع التي وضعها الرب بينه، وبين بني إسرائيل في جبل سيناء بيد موسى» ثم يذكر أصحاحاً كاملاً فيه تشريعات. وفي آخره ما نصه: «هذه هي الوصايا التي أوصى الرب بها موسى إلى بني إسرائيل في جبل سيناء» وينهي السفر بهذه الآية.

المثال الرابع عشر: يقول الكاتب: «ولما كان بنو إسرائيل في البرية، وجدوا رجلاً يحتطب حطباً في يوم السبت» [عدد ١٥:٣٢] فقوله: «كان بنو إسرائيل في البرية» يشير إلى الزمن الأول لبني إسرائيل قبل تحضرهم وسكناهم المدن في فلسطين.

المثال الخامس عشر: «فسمع الرب لقول إسرائيل، ودفع الكنعانيين، فحرموهم ومدنهم. فدعى اسم المكان حرمه» [عدد ٢١:٣] إن لم نقل: إن المراد بالكنعانيين أصحاب الكنعاني ملك عراد الذي حارب بني إسرائيل، وسبى منهم سبيا. فلابد من القول: بأن هذه الآية كتبت بعد موت موسى ويشوع، لأن الكنعانيين لم يهلكوا إلا بعد موتهما.

المثال السادس عشر: يقول الكاتب عن رحلات بني إسرائيل في سيناء: «لذلك يقال

(١) ص ٢٧٢ رسالة في اللاهوت والسياسة.

في كتاب حروب الرب: واهب في سوفة وأودية أرنون» [عدد ٢١:١٤] قوله «كتاب حروب الرب» يدل على أن الكاتب ينقل عن كتاب اسمه «حروب الرب» وهذا يفيد أن موسى ليس الكاتب. وهذا الكتاب يتحدث عن حرب موسى مع العمالقة بدليل: «فقال الرب لموسى: اكتب هذا تذكارا في الكتاب وضعه في مسامع يشوع، فإني سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء» [خر ١٧:١٤] ويتحدث عن رحلات بني إسرائيل في سيناء مع موسى، وقتالهم لمن حولهم، وإن لم تكن هذه الرحلات مكتوبة في سفر حروب الرب، ففي أي كتاب تكون؟ يقول الكاتب: «هذه رحلات بني إسرائيل الذين خرجوا من أرض مصر بجنودهم عن يد موسى وهرون، وكتب موسى مخارجهم برحلاتهم حسب قول الرب، وهذه رحلاتهم بمخارجهم. . . إلخ» [عدد ٣٣:١ -٢] قوله «وكتب موسى مخارجهم» يدل على كتاب غير التوراة تركه موسى. وإذا لم يكن الكاتب قد أدخله ضمن الأسفار الخمسة فمما لاشك فيه أنه قد فقد.

المثال السابع عشر: يقول الكاتب: إن نسل «ماكير بن منسي بن يوسف» عليه السلام انتصر على نسل «جلعاد» في قرى أهل فلسطين. فأعطى موسى عليه السلام قرى نسل جلعاد لنسل ماكير. يقول الكاتب فأعطى موسى جلعاد، لماكير بن منسي فسكن فيها، وذهب يائير بن منسي وأخذ مزارعها، ودعاهن حووث يائير» [عدد ٣٢:٣٩ - ٤٠] فأولا نقول: إن يائير ليس ابن منسي، بل هو ابن سجوب، إلا أن يكون سفر الأخبار كاذبا، وسجوب ينتهي نسبه إلى يهوذا بن يعقوب لا إلى منسي بن يوسف بن يعقوب، ففي سفر أخبار الأيام الأول: «وسجوب ولد يائير وكان له ثلاث وعشرون مدينة في أرض جلعاد» [١ اخ ٢:٢٢] ثانياً: نقول: قوله «ودعاهن حووث يائير» يدل على أنه الاسم الجديد الذي حل محل الاسم القديم، والكاتب يريد أن يبين أن «حووث يائير» الآن في زمن كتابته هي بسبب تسميته يائير بن منسي.

المثال الثامن عشر: وبالإضافة إلى ما قدمنا من سفر العدد نجد عبارات تشير إلى أن الكاتب يؤرخ لحياة موسى ويثني عليه ثناء عاطراً «وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض» [عدد ١٢:٣] «فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف، ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب، وقال لهم موسى. . وقال العازار الكاهن لرجال الجند الذين ذهبوا للحرب: هذه فريضة الشريعة التي أمر

بها الرب موسى. . . ثم تقدم إلى موسى الوكلاء الذين على ألوف الجند» [عدد ٣١] وفي نهاية السفر: «هذه هي الوصايا والأحكام التي أوصى بها الرب إلى بني إسرائيل عن يد موسى في عربات موآب على أردن أريحا» [عدد ٢٦:١٣] فلو كان موسى هو الذي يتحدث عن وحي الله، ما كان يستعمل ضمير الغائب.

المثال التاسع عشر: جاء بسفر اللاويين في معرض التكفير عن الخطأ في أقداس الرب أن «يأتي إلى الرب بذبيحة لإثمة كبشاً صحيحاً من الغنم، بتقويمك من شواقل فضة على شاقل القدس، ذبيحة إثم ويعوض عما أخطأ به من القدس، ويزيد عليه خمسه ويدفعه إلى الكاهن فيكفر عنه بكبش الإثم فيصفح عنه» [لاويين٥:١٥ - ١٦] ومعروف أن بني إسرائيل لم يكونوا قد دخلوا القدس في عهد موسى، ولم يتخذوا «الشاقل» أيضاً في عهد موسى.

المثال العشرون: يقول الكاتب: «وفي سعير، سكن قبلا الحوريون فطردهم بنو عيسو وأبادوهم من قدامهم، وسكنوا مكانهم. كما فعل إسرائيل بأرض ميراثهم التي أعطاهم الرب» [تث ٢:١٢] فقوله «كما فعل إسرائيل بأرض ميراثهم» يدل على أن الكاتب في الزمان المتأخر عن دخول بني إسرائيل أرض كنعان التي أعطاها الله لهم. وأنه يشبه طرد بني عيسو بن إسحق للحوريين، بطرد بني إسرائيل للكنعانيين. وهذه الآية شرح للتثنية ٢:٣، ٤ ونصهما: «ثم كلمني الرب قائلاً: - يقول موسى - كفاكم دوران بهذا الجبل، تحولوا نحو الشمال، وأوصى الشعب قائلاً: أنتم مارون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير، فيخافون منكم، فاحترزوا جدًا» إنه لما تحدث عن جبل سعير، وأن بني عيسو يسكنون فيه، أراد أن يشرح لمعاصريه: أن بني عيسو استولوا على مكانهم في سعير من الحوريين بالحرب والضرب. كما استولى بنو يعقوب على مكانهم في أرض كنعان.

المثال الحادي والعشرون: يقول الكاتب «إن عوج ملك باشان وحده من بقية الرفائيين، هوذا سريره، سرير من حديد، أليس هو في ربة بني عمون، طوله تسع أذرع، وعرضه أربع أذرع بذراع رجل؟ فهذه الأرض امتلكناها في ذلك الوقت [تث٣: ١١ - ١٢] قوله «أليس هو في ربة عمون»؟ يدل على أن السرير كان موجوداً زمن الكاتب، وأن هذا السرير بقي في حوزة بني إسرائيل بعد موت «عوج» وأنه محفوظ

في «ربة بني عمون» وربة بني عـمون لم يستول عليهـا بنو إسرائيل في زمن موسى، بل بعده بخمسمائة عام وخمسة عـشر عاماً فإن كاتب سفر أخبار الأيام الأول يقول: «وكان عـند تمام السنة، في وقت خروج الملوك، اقـتاد يوآب قـوة الجيـش، وأخرب أرض بني عمون، وأتى وحـاصر ربة، وكان داود مقيمـاً في أورشليم، فضرب يوآب ربة وهدمـها» [١:٢٠] فقوله « فهـذه الأرض امتلكناها في ذلك الوقت» يدل على أنه يتحـدث عن أمر مـاض بعيـد جداً. وهم لم يمتلكوها تمامـاً إلا في عهـد داود عليه السلام. فيكون كاتب توراة موسى بعد زمن داود.

المثال الثـاني والعشـرون: «يائيـر بن منسي، أخـذ كل كورة أرجـوب، إلى تخم الجيشوريين والمعكيين، ودعاها على اسمه باشان. حووث يائير. إلى هذا اليوم» [تث ٣: ١٤] قلنا من قبل: إن يائير ليس بن منسي، بل هو ابن سجوب. وقبل هذه الآية مباشرة: «وبقيـة جلعاد، وكل باشـان، مملكة عوج، أعطيت لنصف سبـط منسي، كل كورة أرجوب مع كل باشـان، وهي تدعى أرض الرفائيين» [تـث ٣:١٣] يقول مـوسى: إنني أعطيت لنصف سبط منسي بقـية جلعاد، وكل باشان. . . إلخ. فـجاء الكاتب ووضع الآية ١٤ «يائير بن منسي. . . إلخ» ليشرح بها للمعاصرين في زمنه، أن الأرض التي تدعى «حـووث يائير» الآن. كـانت من قبل تسـمى باشان. وكـانت من نصيب سـبط منسي. وهذه الأرض في زمن الكاتب كانت من نصيب سبط يهوذا، ويعلم اليهود في زمنه: أن يائير ليس بن منسي، بل ابن سجوب. هو بـن حصرون بن فارص بن يهوذا بن إسحق بن إبراهيم [أخبار الأيام الأول٢]

يقول مفـسروا التوراة في هذا الموضع: «إلى هذا اليـوم: الظاهر أن يشوع أزاد هذه العبارة هنا لأنه يكثر مـثلها في سفره، ولاريب في أنه أضافها بالإلهـام لأنه من كتبة الوحي الملهمين» (١)

المثال الثالث والعشرون: «وبنو إسرائيل ارتحلوا من آبآر بني يعقان إلى موسير، هناك مـات هرون، وهنـاك دفن. فكهن العـازار ابنـه عـوضـاً عنه. من هـناك ارتحلوا إلى الجدجـود، ومن الجدجـود إلى يطبات أرض أنهـار ماء، في ذلك الوقـت أفرز الرب

(١) السنن القويم.

سبط لاوي، ليحملوا تابـوت عهد الرب، ولكي يقفوا أمام الرب ليخـدموه، ويباركوا باسمه إلى هذا اليوم. لأجل ذلك لم يـكن للاوي قسم ولا نصيب مع إخوته» [تـث ١٠:٦ -٩] هذه العبارات يبدو من سياق الكلام الذي قـبلها، والذي بعدها أنها حُشرت حشرا. ذلك أن ما قبلها، وما بـعدها هكذا. يقول موسى: «فصنعت تابوتاً من خشب السنط، ونحت لوحين من حـجر مثل الأولين، وصـعدت إلى الجـبل، واللوحان في يدي، فكتب على اللوحين مثل الكتابة الأولى، الكلمات العشر التي كلمكم بها الرب في الجـبل من وسط النار، في يوم الاجـتمـاع، وأعطاني الرب إياها، ثم انصـرفت ونزلت من الجـبل، ووضعت اللـوحين في التابوت الذي صنـعت. فكانا هناك كمـا أمـرني الرب. . . وأنا مكثت في الجبل كـالأيام الأولى أربعين نهـاراً، وأربعين ليلة، وسمع الرب لي تلك المرة أيضاً، ولم يشأ الرب أن يهلكك» [تث ١٠:٣ – ٥، ١٠]

وكان المناسب أن يقول الكاتب بعد: «ثـم انصرفت ونزلت من الجبل . . إلخ» كان يقول: «في ذلك الوقت أفرز الرب سبط لاوي» لكن لماذا قال الكاتب: «هناك مات هرون . . . إلخ» في الآيات التي حشرت حشراً ولا مناسبة تدعو إلى الحديث عن موته هنا؟

والإجابة على ذلك: أنه في الأصحاح التاسع قال: «وعلى هرون غضب الرب جداً ليبيده، فصليت أيضاً من أجل هرون في ذلك الوقت» [تث٩: ٢٠] فرأى من المناسبة أن يبين سبب اختيار الله لألعازار، ورحمته ببني إسرائيل بانتخاب سبط لاوي، بناء على تضرع موسى وطلبه من الله.

المثـال الرابع والعشـرون: تحدثنا الأسفـار أن توراة موسى كانت صغيـرة جداً بحيث تكتب على اثنى عشـر حجراً بخط واضح. وهذه الأسـفار الخمـسة التي تقع الآن في النسخة النى أنـقل منها ثلثمائة وأربع وثلاثين صـفحة. وفي الصفحـة الواحدة واحد وعشرون سطراً. وفي السطر الـواحد ما يقرب من اثنتي عشـرة كلمة. إذا راعينا ذلك، وأنها كـتبت في البدء على اثنى عـشر حجراً، إدركنا الزيـادات الكثيرة التي أضافـها الكاتب من بعد مـوسى. ففي سفر التثـنية: «وأوصى موسى وشيوخ إسـرائيل الشعب قائلاً: احفظـوا جميع الوصايا التي أنا أوصـيكم بها اليوم. فيـوم تعبرون الأردن إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك؛ تقيم لنفسك حجارة كبيرة وتشيدها بالشيد، وتكتب

عليها جميع كلمات هذا الناموس. . . وتكتب على الحجارة جميع كلمات هذا الناموس نقشاً جيداً» [تث ٢٧: ٣١، ٨] وفي سفر يشوع: «وحينئذ بنى يشوع مذبحاً للرب إله إسرائيل في جبل عيبال، كما أمر موسى عبد الرب بني إسرائيل كما هو مكتوب في سفر توراة موسى. . . وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى التي كتبها أمام بني إسرائيل» [يشوع ٨: ٣٠ - ٣٢] وهذه الحجارة التي أوصى بها موسى كانت اثنا عشر حجراً بعدد الأسباط لأنه مكتوب في سفر يشوع ما نصه: «وكان لما انتهى جميع الشعب من عبور الأردن أن الرب كلم يشوع قائلاً: انتخبوا من الشعب اثنى عشر رجلاً، رجلاً واحداً من كل سبط، وأمروهم قائلين: احملوا من هنا من وسط الأردن. من موقف أرجل الكهنة راسخة اثنى عشر حجراً، وعبروها معكم. . . فتكون هذه الحجارة تذكارا لبني إسرائيل إلى الدهر» [يشوع ٤: ١ - ٣، ٧]

المثال الخامس والعشرون: الآيات الكثيرة من سفر التثنية تدل على أن السفر ليس من زمن موسى بيقين. ذلك لأن الكاتب يتحدث عن موت موسى ودفنه، وأنه لا أحد يعرف قبره، وأن يشوع بن نون قد خلفه في قيادة بني إسرائيل. وفي أول السفر يستعمل ضمير الغائب بوضوح تام، وهذه الاستعمال يستمر به إلى نهاية السفر. إنه يقول في المقدمة: «هذا هو الكلام الذي كلم به موسى جميع إسرائيل، في عبر الأردن في البرية. . في السنة الأربعين في الشهر الحادي عشر في الأول من الشهر، كلم موسى بني إسرائيل. . في عبر الأردن في أرض موآب ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلاً. . . إلخ» فلو كان موسى هو المتكلم، لكان يقول: «هذا هو الكلام الذي كلمت به جميع إسرائيل في عبر الأردن في البرية. . . في السنة الأربعين في الشهر الحادي عشر في الأول من الشهر كلمت بني إسرائيل. . في عبر الأردن في أرض موآب، ابتدأت أشرح هذه الشريعة فقلت. . . وهكذا» فهذا يدل على شخص يؤرخ لموسى، لا إن هذا الكلام من كلام موسى نفسه، وفوق ذلك نجد قوله «في عبر الأردن» إن لم يدل على صحراء الأردن من جهة سيناء، فهو يدل على أن موسى عبر نهر الأردن، وهذا خطأ. لأن الذي عبر الأردن ببني إسرائيل هو يشوع بن نون فتى موسى من بعد موته. ففي أول سفر يشوع: «وكان بعد موت موسى، عبد الرب. إن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً: موسى عبدي قد مات. فالآن قم اعبر هذا

الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها. لهم أي لبني إسرائيل» [يشوع ١:١ -٢] وفي ثنايا السفر كثير من مثل هذه الفقرات نذكر منها: «حينئذ أفرز موسى ثلاث مدن في عبر الأردن نحو شروق الشمس» [تث ٤:٤٢] «وهذه هي الشريعة التي وضعها موسى أمام بني إسرائيل. هذه هي الشهادات والفرائض والأحكام التي كلم بها موسى بني إسرائيل . . ودعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم. . .» [تث ٤:٤٤ - ٤٥ / ٥:١] «وأوصى موسى وشيوخ إسرائيل الشعب قائلاً: احفظوا جميع الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم» [تث ٢٧:١]

ويتحدث الكاتب عن موسى فيقول: «وصعد موسى، من عربات موآب، إلى جبل نبو إلى رأس الفسجة. . فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب، ودفنه في الجواء في أرض موآب، مقابل بيت فغور. ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم. وكان موسى ابن مئة سنة وعشرين سنة حين مات، ولم تكلّ عينه ولا ذهبت نضارته، فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يوماً، فكملت أيام بكاء مناحة موسى. ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو إسرائيل، وعملوا كما أوصى الرب موسى» [تث ٣٤:١، ٥ -٩]

أي عاقل يقول: إن الكاتب هو موسى، وقد ذكر ما حدث لبني إسرائيل بعد موته، من أنه لا أحد يعرف قبره؟ وهذا يدل على أن الكاتب بعد موسى بمدة طويلة جداً، ضاعت فيها الذكريات عن قبر موسى.

المثال السادس والعشرون: «بناموس أوصانا موسى ميراثا لجماعة يعقوب» [تث ٣٣:٤] يقول أصحاب السنن القويم فيها: «ترك موسى من بعض النسخ القديمة. فيكون فيها فاعل أوصى: الله. وذكر موسى في أكثر النسخ القديمة، ميراثاً: أي أوصانا الله بواسطة موسى بالناموس ليكون شريعة لنا ولمن بعدنا كالميرات. والظاهر: **أن هذه الآية كلام معترض لم يكتبه موسى ولم يقله. إنما كتبه يشوع للإيضاح.** على ما يرجّح» أ. هـ.

الفصل السادس
في
أن كاتب التَّوراة هو عَزرا

بعدما بينا بأمثلة من التوراة: أن الكاتب لا يمكن أن يكون هو موسى عليه السلام، نريد أن نبين هنا: من الذي كتب التوراة؟ وفي أي زمن تمت الكتابة؟ وبذلك نخزى من يعنيهم الفيلسوف اليهودي «سبينوزا» بقوله: «لا يسلم معظم المفسرين بوقوع أي تحريف في النص حتى في الأجزاء الأخرى، ويقررون أن الله بعناية فريدة قد حفظ التوراة كلها من أي ضياع» [١] ونخزي المستشرق النصراني البروتستانتي «بافاندر» الذي تحدى المسلمين في «ميزان الحق» قائلاً: إن المسلمين مع ادعائهم بتبديل الكتب المقدسة، وتحريفها منذ زمن طويل. هذا مقداره. قد عجزوا حتى الآن عن إثبات ذلك، ولو بدليل واحد. ولم يمكنهم أن يجيبوا عن هذه المسائل الأربع وهي: أولاً: في أي عصر وقع التحريف؟ ثانياً: من هم الذين تصدوا لهذا العمل؟ ثالثاً: على أي وجه وأسلوب تم ذلك؟ رابعاً: ما هي الآيات التي وقع فيها التحريف؟ بل يكتفون عن الجواب وتقديم الأدلة والبراهين بمجرد الادعاء» [٢]

* * *

يقول اليهود السامريون: إن «عَزْرا» هو الذي كتب هذه التوراة، وإنه حرف كلام

---

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٩٩ .

(٢) ص ٣٠ ميزان الحق.

الله، وغير وبدل عـمداً بمحض إرادته، ولم تكن التوراة ضائعـة فكتبها، بل استبدل الحق بالباطل. يقـول أبو الفتح ابن أبي الحسن السـامري في تاريخه: إن الفـارسيين لما سمـحوا لليـهود بالعـودة إلى ديارهم، طلبوا منهم أن يتـحدوا تحت رئاسـة واحدة، وتكون لهم عاصمة واحدة، ليسهل التعـامل معهم. فأصر بنو مملكة إسرائيل (السامرة) أن تكون الرئاسة فـيهم، وأن يكون هيكلهم في «نابلس» هو القـبلة، وأصر بنو مملكة يهـوذا (أورشليم) أن تكون الرئاسـة فـيـهم، وأن يكون هيكلـهم في «أورشليم» هو القبلة. واشتـد العداء بينهم من أجل ذلك. فغير فـريق أورشليم نصوص التوراة التي عنده لصالحه، وخلفوا الخط العبراني.

يقول مـا نصه: «اجـتمع أولاد يهـوذه الذين كانوا على نهـر كوش جـميعـهم إلى «حرّان» وكـذلك بنو جليل وبنو حنفـية، وبنو بنيامـيم وبنو زكرى وبنو طوبـية، وبنو شمعون. وجاؤوا من «بابل» بشعب عظيم، وهم بنو مـردي، ثم كتبوا إلى قوم آخرين فجاءت الجميع إلى «حران» وجاء مـعهم كتب من زوربيِّل بين سلسال مقدم يهوذه إلى عبدال الإمام وإلى عزي بن شمعون رئيس بيت يوسف. يقول فيها: الواجب أن تفعلوا أنتم وجـمـاعـتكم مـا نقولـه لكم: وهو أن نطلع إلى «إيليـاء» ونكون كلنـا شعـبـاً واحداً. فكتب عبدال وجـماعته إلى زوربيل وجماعته يقـولون لهم: الواجب أن تجيئوا أنتم وذراريكم بإخلاص نية، وطهارة سريرة وصحـة عقيدة، ونصعد إلى الأرض التي منّ الله بها علينا، وعلى آبائنا من قبلنا، ونجيء إلى جبل البركة، ومحل السكينة. الذي قد أفرض الله علينا، وعلى آبائنا: تأدية وظائف عبـادته عليه، وأن تحمل قرابيننا إليه، ونبني فيه مذبحاً، ونفعل كما أمر الله في شريعته»

ثم يحكي السامري: الحـوار الذي جرى بين السامريين والعبـرانيين في شأن القبلة. ويذكر أن ملك بابل اقتنع بوجـهة نظر السامريين فمنع العـبرانيين من بناء هيلكهم في أورشليم. يقول مـا نصه: «وعرف الملك صـحة قولهم، ومنـع من بناء بيت المقدس، وهدموا ما كانوا عـمروا فيه وعظمت العداوة بين السامـريين، وبين اليهود. وتزايدت البغـضة بينهم. ومن عظم مـا جرى على قلب اليـهود كذلك، قـام عَزِرا وزوربيل، ووضعوا لهم خطاً غير الخط العبراني، وجعلوا الحـروف سبعة وعشرين حرفاً وتطرقوا إلى الشريعة المقدسـة، ونقلوها بالخط الذي ابتدعوه. وحذفوا كثيـراً من سور الشريعة

المقدسة بسبب السورة الرابعة من العشر كلمات. وذكر هرجرزيم وحدوده فيها. وأزادوا وأنقصوا وبدلوا وحرفوا» (١)

يقول هذا السامري: إن تحريف التوراة قد تم على يد اليهود العبرانيين، بعدما منع السامريون العبرانيين، من بنائهم لهيكل سليمان في أورشليم، بواسطة ملك فارس، بعد الرجوع من سبي بابل مباشرة. ولم يعترف هذا السامري بأن التحريف قد تم برضا من السامريين والعبرانيين، أثناء وجودهم متحابين متصافين في بابل، ولا يمكن أن يعترف به، حتى لا ينبذ من قومه.

ويمكننا أن نستدل على ما اعترف به، وما لم يعترف به، من المكتوب في التوراة العبرانية واليونانية، ومن الذي سطره العلماء في كتبهم:

ففي سفر عَزْرا: «قام يشوع بن يوصاداق وإخوته الكهنة، وزَرُبّابل بن شألْتَئيل وإخوته وبنوا مذبح إله إسرائيل ليصنعوا عليه محرقات» [عَزْرا ٣:٢] «ولما سمع أعداء يهوذا، وبِنْيامين: أن بني السبي يبنون هيكلاً للرب، إله إسرائيل، تقدموا إلى زربابل ورؤوس الآباء. وقالوا: نبني معكم لأننا نظيركم نطلب إلهكم. وله قد ذبحنا من أيام أسَرحَدُّون، ملك أشّور الذي أصعدنا إلى هنا، فقال لهم زربابل ويشوع وبقية رؤوس آباء إسرائيل ليس لكم ولنا أن نبني بيتاً لإلهنا، ولكننا وحدنا نبني للرب إله إسرائيل» [عزرا ٤ : ١ - ٣]

وهذا يؤيد المؤرخ السامري في أن العداوة جدت بين السامريين والعبرانيين، بسبب قول اليهود العبرانيين: «ولكننا وحدنا نبني للرب إله إسرائيل» ويقول عَزْرا - أقصد كاتب سفر عَزْرا -: إن هؤلاء الأعداء أرسلوا خطابا إلى «أرتحششتا» ملك فارس بمنع إعادة يهود أورشليم لهيكل سليمان، ورد الملك الخطاب إلى «رحوم صاحب القضاء وشمشاي الكاتب، وسائر رفقائهما الساكنين في السامرة» [عز ٤ :١٧] بمنع يهود أورشليم من إعادة البناء، ولما قرأوا الرسالة «ذهبوا بسرعة إلى أورشليم، إلى اليهود، وأوقفوهم بذراع وقوة» [عز ٤ :٢٣]

ثم إن «داريوس» الملك الفارسي سمح لهم بالبناء. ويقول نحميا في سفره: «ولما

(١) ص ٦٤ - ٧٤ التاريخ مما تقدم عن الآباء.

سمع سنبلط أننا آخذون في بناء السور غضب، واغتاظ كثيراً وهزأ باليهود، وتكلم أمام إخوته وجيش السامرة. . . ولما سمع سنبلّط وطوبيا والعرب [١]، والعمونيون والأشدوديون أن أسوار أورشليم قد رممت والثغر ابتدأت تُسَدّ، غضبوا جداً، وتآمروا جميعهم أن يأتوا معاً، ويحاربوا أورشليم، ويعملوا بها ضرراً» [نحميا ٤:١ - ٢، ٧ - ٨]

وعلى اعتراف السامري هذا بأن عَزْرا وزربابل هما اللذان ابتدعا التوراة الجديدة. عَـزْرا لأنه من نسله الكهنة أبناء هرون، وكذلك يشوع بن يوصاداق [١ اخ ٦:١٥] وزربابل لأنه من نسل داود من سبط يهوذا، من النسل الملكي الحاكم [الاخبار ٣:١٩] يمكن أن يقال: إن الذين أقروا التوراة السامرية على ما هي عليه الآن، بعدما كتبها عَـزْرا ومساعدوه في جو الحب والصفاء في سبي «بابل» هم كما جاء في كلام السامري: «سنبلط الليواني - حزقيه الإمام - عبدال الإمام - عزي ابن شمعون رئيس بيت يوسف» وعزي بن شمعون عند السامريين كزربابل عند يهود أورشليم كلاهما من الأسرة الملكية الحاكمة [٢]. والباقون من الهارونيين واللاويين الذين استحفظوا على كتاب الله، وكانوا عليه شهداء. أي أن جميع اليهود رضوا بتوراة عَزْرا. وكل فريق ظن أن الرئاسة ستكون له بعد الرجوع من بابل. ولما رجعوا اختلفوا وانقسموا وبقيت توراة عَزْرا مع كل فريق بعد الاختلاف والانقسام إلى هذا اليوم.

* * *

وعلماء اللغات يؤيدون كلام السامري هذا فيقولون: «إن الخط العبري المستعمل عند اليهود في عصرنا الحاضر؛ كان ابتداء استعماله من عصر عَزْرا الكاتب، أي عهد رجوع سبي بابل، ويطلقون على هذا الخط: اسم الأشُّوري أو الخط المربع. أما الخط العبري القديم فإنه كان على خلاف هذا» [٣]

وإذا أمكن أن يقال: إن عَزْرا كتب التوراة في بابل بغير اتفاق مع السامريين، وأنه فرضها عليهم بالقوة، لأنه كان أثيرا لدى الملك الفارسي «أرتحشستا» فهذا القول مع

(١) هذا النص يثبت عداوة العرب لليهود في ذلك الوقت.

(٢) ملوك السامرة كانوا من سبط يوسف. أما ملوك أورشليم فكانوا من سبط يهوذا.

(٣) ص ٥٨ الكنز في قواعد اللغة العبرية.

إمكانه، يرد بأنه كان من الممكن للسامريين أن ينبذوا التوراة الجديدة المحرفة المفروضة عليهم من عَزْرا بعد زوال نفوذ عَزْرا. وهذا ميسور لهم بدليل تمسكهم بالخط العبراني القديم إلى الآن. وبدليل: أن توراتهم بها اختلافات عن توراة أهل أورشليم. وقد أظهروا هذه الاختلافات ودافعوا عنها واتهموا عَزْرا بتحريف التوراة علنا. وكيف يكون لعَزْرا نفوذ. وهو قد هلك بعدما رجع من بابل بقليل؟

* * *

وبعدما أشرنا إلى العداوة بين الفريقين من كلامهما أنفسهما، ننتقل إلى النصوص التي تشير بأصابع الاتهام، إلى عَزْرا ومنها سيتبين أن في أسفار التوراة العبرانية واليونانية ما يشتبه به في أن عَزْرا هو الكاتب، وكتب بعد الأسفار الخمسة الأسفار التالية ٦ - يشوع ٧ - القضاة ٨ - راعوث ٩ - صموئيل الأول ١٠ - صموئيل الثاني ١١ - الملوك الأول ١٢ - الملوك الثاني. أي أن اللجنة التي كان يرأسها عَزْرا جمعت وكتبت من بدء الخليقة من يوم أن خلق الله السموات والأرض إلى حين مجيء نبوخذ نصر ملك بابل سنة ٥٨٦ ق.م. ليسوق وجهاء بني إسرائيل إلى بابل. ذلك لأن سفر الملوك الثاني يختم عند هذا الحد.

والاستدلال بالنصوص من التوراة على هذا النحو:

إن كاتب التوراة العبرانية استخدم ضمير الغائب في الحديث عن موسى عليه السلام وعما جرى قبله من أحداث. مثل: «وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبلما ملك ملك لبني إسرائيل» - «وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض»

ثم إن هذا الكاتب نفسه بعدما فرغ من قصة موسى، أراد أن يبين من الذي خلفه في قيادة بني إسرائيل. فبين أنه يشوع بن نون، وبدأ سفره بنفس الأسلوب: «وكان بعد موت موسى عبد الرب، أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً: موسي عبدي قد مات... إلخ» [يشوع ١:١ - ٢] هذا الأسلوب الذي ربط به بين أسفار موسى، الذي انتقل به من التكوين إلى الخروج، ومن الخروج إلى اللاويين وهكذا. ثم إن هذا الكاتب يشهد ليشوع بأنه ذائع الصيت كما شهد لموسى بالحلم «وكان الرب مع يشوع،

وكان خبـره في جميع الأرض» [يـش ٦:٢٧] ولا يمكن أن تكون تلك الآية من كـلام يشوع، ولا هذه الآيات «لم تكن كلمة من كل ما أمر به موسى لم يقرأها يشوع قدام كل جماعة إسرائيل والنساء والأطفال والغريب السائر في وسطهم» [يش ٨:٣٥] «فعمل يشوع لهم صلحاً وقطع لهم عهداً لاستحيائهم، وحلف لهم رؤساء الجماعة» [يش ٩: ١٥] «وشاخ يشوع. تقدم في الأيام» [يش ١:١٣] «وكان بعد هذا الكلام أنه مات يشوع بن نون عبد الرب ابن مئة وعشر سنين. فدفنوه في تخم ملكه» [يش ٢٤:٢٩]

ومعنى هذا: أن الكاتب لسفر يشـوع، ليس هو يشوع، لأنه كتب بنفس الأسلوب الذي كتب به عن حياة موسى [(١)].

ثم إنه بنفس الطريقة كتب سـفر القضاة، وبدأه بقوله: «وكان بـعد موت يشوع أن بني إسرائيل سألوا الرب قائلين. . . إلخ» [قضاة ١:١] ثم بين «وفي تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل»]قض ١:١٨] أي أن السفر كتب بعد استيلاء بني إسرائيل على أرض كنعان واسـتقـرار الملك. ويكرر الكاتب هذه العبـارة: «وفي تلك الأيام حين لم يكن ملك في إسـرائيل» [قـض ١:١٩] ويختم بها السـفر: «في تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل، كل واحد عمل ما حسن في عينيه»

ثم بدأ يتحـدث عن سفر راعـوث بنفس الأسلوب، وهي قصة تمت أحـداثها في عهد القضاة، أراد المؤلف بهـا أن يبين أصل داود عليه السلام الذي حكم بني إسرائيل وعمرت ذريته بين اليهود العبـرانيين طويلاً حتى السبي. وبدأ السفر بقوله: «حدث في أيام حكم القضاة: أنه صـار جوع في الأرض» وختمه بأن راعـوث المرأة الموآبية أنجبت عوبيد و«عوبيد ولد يَسَّي، ويسي ولد داود»

ثم بنفس الأسلوب بدأ سفر صموئيل الأول بقوله: «كان رجل. . . إلخ» ثم يقول: «وكان صموئيل يخدم أمام الرب وهو صبي» [١ صـم ٢:١٨] أي أن صموئيل ليس هو كاتب السفر. وفيه: «ومات صموئيل فـاجتمع جميع إسرائيل وندبوه، ودفنوه في بيته في الرامـة» [١ صـــم ٢٥:١] ثم يستمر بروايته حـتى قتل طالوت - شاول - في نهاية الأصحـاح الحادي والثلاثين. ثم يبـدأ سفر صـموئيل الثانـي بنفس الطريقة فيـقول:

(١) صاحب الفصل في الملل والآراء والنحل نقد سفر يشوع بهذه الطريقة.

«وكان بعد موت شاول»

ثم انتقل إلى سفر الملوك الأول بقـوله «وشاخ الملك داود. تقدم في الأيام، وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ» وفيه هذه التعابير التي تؤكد أنه رويات تاريخية: «ولما قربت أيام وفاة داود أوصى سـليمان ابنه قـائلاً: . . . إلخ» [١:٢] «وصاهر سليـمان فـرعون ملك مصر، وأخذ بنت فـرعون، وأتى بها إلى مدينة داود» [١:٣] «وفي ذلك الزمـان مرض أبيّـا بين يربعام» [١:١٤] أي الزمان الذي وقعت فيـه هذه الحوادث. ويبدأ سفر الملوك الثاني بقوله: «وعصى موآب على إسرائيل بعـد وفاة أخآب» وفي نهايته يتحدث عن مجيء نبوخذ نصـر وقتله للملك صدقيا وسوقه اليهـود أسرى إلى بابل، ثم عفو الملك الفارسي «أويل مردوخ» عن «يهوياكين» ملك يهـوذا، وأنه «كلمه بخير، وجعل كرسيه فوق كراسي الملوك الذين معه في بابل»

من هذا الذي قدمناه: يتبين أن مؤلفاً واحـداً هو الذي صاغ هذه الأسفار كلها على هذا النحو، مراعياً أسلوباً واحداً، وطريقة ربط واحدة بين الأسفار، وله هدف واحد. وهذا الهدف يتـلخص في أنه يريد أن يقص تاريخ بني إسرائيل منذ نـشأتهم الأولى، ومتى وجـد موسى عليـه السلام؟ وفي أي مكان أنزلـت عليه التوراة؟ ومـا هي هذه التـوراة؟ وكيــف استــولى بنو إسرائيل على الأرض المقدسـة التي كتب الله لهم؟ [تـث ١:٧] ثم كيف ترك بنو إسرائيل الشريعـة بعد أن استولوا على الأرض، وما نتج عنه من مصائب كما تنبـأ موسى في هذا النص: «وقال الرب لموسى: ها أنت ترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب، ويفجـر وراء آلهة الأجنبيين في الأرض التي هو داخل إليها في ما بينهم ويتركني وينكث عهـدي الذي قطعته معه، فيشتـعل غضبي عليه في ذلك اليوم وأتركه وأحجب وجهي عنه، فيكون مأكلة وتصـيبه شرور كثيرة وشدائد» [تـث ٣١: ١٦ - ١٨]؟ وكـيف كانوا هم وملوكـهم في نعـمة إذا أطاعـوا، وكيف كـانوا هم وملوكهم في نقمة إذا عصوا [تث ٢٨: ٣٦ - ٦٨]؟

وعلى ذلك فإن الكاتب يهدف من أسـفار موسى الخمسـة إلى تعليم الشريعة التي أملاها موسى، بالتـعديل الذي رآه الربانيون والأحبار السفهـاء، في بابل، وإلى إقامة الدليل على صـدقها. ويهـدف من باقي الأسفار إلى رواية التـاريخ حتى سـقوط بني

إسرائيل تحت نفوذ أهل بابل.

لكن من هو ذلك الكاتب المؤرخ الذي كتب هذه الرواية الواحدة؟

بتتبع أخبار اليهود الراجعين من بابل، لا نجد أحداً عظم نفوذه، وبعد صيته واشتهر اسمه، إلا عَزْرا. لا تذكر التوراة أحداً ازدهر في ذلك الوقت غيره. **فلا يمكن أن يشتبه إلا فيه.** ففي سفره ما نصه: «**وبعد هذه الأمور في ملك أرتحشستا ملك** فارس: عَزْرا بن سرايا بن عزريا، بن حلقيا، بن شلوم، بن صادوق، بن أخيطوب، بن أمريا بن عزريا، بن مرايوث، بن زرحيا، بن عزي، بن بقي، بن أبيشوع، بن فينحاس، بن العازار، بن هرون الكاهن الرأس، **عَزْرا هذا صعد من بابل، وهو كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاها الرب إله إسرائيل، وأعطاه الملك حسب يد الرب إلهه عليه، كل سؤله. وصعد معه من بني إسرائيل، والكهنة واللاويين**... حسب يد الله الصالحة عليه، **لأن عَزْرا هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها، وليعلم إسرائيل فريضة وقضاء.**

... وهذه صورة الرسالة التي أعطاها الملك أرتحشستا لعَزْرا الكاهن الكاتب. كاتب كلام وصايا الرب وفرائضه على إسرائيل. **من أرتحشستا ملك الملوك إلى عَزْرا الكاهن كاتب شريعة إله السماء الكامل**. إلى آخره: قد صدر مني أمر: إن كل من أراد في ملكي من شعب إسرائيل وكهنته واللاويين أن يرجع إلى أورشليم معك فليرجع. من أجل أنك مرسل من قبل الملك ومشيريه السبعة لأجل السؤال عن يهوذا، وأورشليم حسب **شريعة إلهك التي بيدك**... ومنى أنا أرتحشستا الملك صدر أمر إلى كل الخزنة الذين في عبر النهر: إن كل ما يطلبه منكم **عَزْرا الكاهن كاتب شريعة إله السماء** فليعمل بسرعة... **أما أنت يا عَزْرا فحسب حكمة إلهك التي بيدك،** ضع حكاماً وقضاة يقضون لجميع الشعب الذي في عبر الأردن من جميع من يعرف شرائع إلهك، والذين لا يعرفون فعلموهم. **وكل من لا يعمل شريعة إلهك، وشريعة الملك فليقض عليه عاجلاً، إما بالموت أو بالنفي أو بغرامة المال أو الحبس**» [عزرا ٧]

انظر إلى قوله «**عَزْرا هذا صعد من بابل، وهو كاتب ماهر في شريعة موسى**» - «**عَزْرا هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها. وليعلم إسرائيل فريضة وقضاء**» - «**عَزْرا الكاهن**

الكاتب. كاتب كلام وصايا الرب وفرائضه» لو كانت الشريعة وقتئذ موجودة على أصل وضعها، فما معنى كون عزرا كاتباً ماهراً معلماً إسرائيل فريضة وقضاء؟

وانظر إلى قول الملك الفارسي لعزرا: «ضع حكاما وقضاة» أي أن عزرا أصبح بيده النفوذ المطلق والسلطة القوية على اليهود العبرانيين، وكل من لا يعمل بكلام عزرا وتوجيهاته، فجزاؤه العذاب الشديد «إما بالموت أو بالنفي أو بغرامة المال أو بالحبس»

وانظر إلى كلمة «طلب» في قوله «هيأ قلبه لطلب شريعة الرب» إن كلمة طلب من الأصل العبري (دروش) التي لها معنى أبعد من طلب. إذ أنها تعني البحث والتفتيش. ومعنى ذلك: أن «عزرا» كان قد أخذ على عاتقه درس الوثائق والسجلات ليخرج بفكر جديد، يواجه به بنو إسرائيل الحياة الجديدة بعد الرجوع من سبي بابل.

ويذكر نحميا صديق عزرا في سفره - أقصد كاتب سفره - أن عزرا قرأ الشريعة على وجهاء اليهود في أورشليم بعد رجوعهم من بابل.

وأن اللاويين أفهموا الشعب: الشريعة. فعزرا لم يعكف بحماس على دراسة الشريعة فقط، بل عكف على عرضها أيضاً وتفسيرها وبيان المراد منها. يقول نحميا: «ولما استهل الشهر السابع، وبنو إسرائيل في مدنهم، اجتمع كل الشعب كرجل واحد إلى الساحة التي أمام باب الماء، وقالوا لعزرا الكاتب: أن يأتي بسفر شريعة موسى. التي أمر بها الرب إسرائيل، فأتى عزرا الكاتب بالشريعة أمام الجماعة من الرجال والنساء، وكل فاهم ما يسمع في اليوم الأول من الشهر السابع. وقرأ فيها أمام الساحة التي أمام باب الماء من الصباح إلى نصف النهار، أمام الرجال والنساء والفاهمين. وكانت آذان كل الشعب نحو سفر الشريعة، ووقف عزرا الكاتب على منبر الخشب الذي عملوه لهذا الأمر. ووقف بجانبه متثيا، وشيع، وعنايا، وأوريا، وحلقيا، ومعسيا، عن يمنيه، وعن يساره: فدايا وميشائيل، وملكيا، وحشوم، وحشبدانة وزكريا، ومشلام.

وفتح عزرا السفر أمام كل الشعب، لأنه كان فوق كل الشعب. وعندما فتحه، وقف كل الشعب. وبارك عزرا الرب الإله العظيم. وأجاب جميع الشعب: آمين آمين. رافعين أيديهم، وخروا وسجدوا للرب على وجوههم إلى الأرض، ويشوع، وباني،

وشربيا، ويامين، وعقوب، وشبتاي، وهوديا، ومعسيا، وقليطا، وعزريا، ويوزاباد، وحنان، وفلايا، واللاويون أفهموا الشعب الشريعة. والشعب في أماكنهم، وقرأوا في السفر في شريعة الله ببيان، وفسروا المعنى، وأفهموهم القراءة، ونحميا أي الترشاتا، **وعزرا الكاهن الكاتب واللاويون المفهمون الشعب قالوا لجميع الشعب: هذا اليوم مقدس للرب إلهكم. لا تنوحوا ولا تبكوا؛ لأن جميع الشعب بكوا حين سمعوا كلام الشريعة»** [نحميا ٨] ثم يذكر نحميا بعد ذلك بصريح العبارة أن اليهود فهموا ما علموه لهم «لأنهم فهموا الكلام الذي علموهم إياه» [نحميا ٨:١٣]

لقد صرح نحميا بأن عزرا لم يكن وحده بل كان معه ستة من الكهنة عن يمينه، وسبعة عن يساره، وثلاثة عشر مثلهم كانوا مع اللاويين يفهمون الشعب - إن قلنا بأن معسيا لم يكن مكرراً - وكل واحد من هؤلاء الكهنة رئيس بيت عظيم. فإن يشوع وحده الذي كان مع اللاويين المفهمين الشعب كان عدد بيته ٩٧٣٠٠٠ ألفاً «أما الكهنة فبنو يدعيا من بيت يشوع تسع مئة وسبعون، بنو أمير: ألف واثنان وخمسون، بنو فشحور ألف ومئتان وسبعة وأربعون، بنو حاريم ألف وسبعة عشر... إلخ» [عزرا ٢: ٣٦ - ٣٩] فما بالك ببقية الكهنة واللاويين الذين انتشروا كالنحل في مدن بني إسرائيل؟

ثم يذكر نحميا في سفره: أنه بعدما أتم بناء سور أورشليم، وأصلح عادات الشعب. رجع إلى الكهنة فأصلح عاداتهم، وفصلهم عن كهنة السامريين إلى الأبد. يقول: «وكان واحد من بني يوياداع بن ألياشيب الكاهن العظيم، صهرا لسنبلط الحوروني. فطردته من عندي» [نحميا ١٣: ٢٨] فوجود ولد ليوياداع الكاهن العظيم في أورشليم صهرا لسنبلط الحوروني وهو من الكهنة العظام في السامرة دليل على الالتقاء الروحي والأخوي بين العبرانيين والسامريين وقت كتابة التوراة، ولما جدّت العداوة واستحكمت حلقاتها، لم يكن بدّ أمام «نحميا» أن يستقل بكهنته ويطرد المخالفين له منهم، بعدما أصبح والياً على أورشليم.

وإذا كان الأمر كما ذكرنا: أن عزرا هو الكاتب. فلماذا أطلق على الأسفار الخمسة اسم موسى؟ والإجابة على ذلك: أن أول مشرِّع لبني إسرائيل عن أمر الله تعالى هو موسى عليه السلام، وما طرأ من زيادات على كتابه، فهي زيادات على الأصل. وهي زيادات قد احترس الربانيون والأحبار من التصريح بها حرصاً على عقائد العوام.

ولحرصهم كانوا حينما يستشهدون على أمر من أمور التشريع يقولون: «كما هو مكتوب في شريعة موسى» [الأخبار الثاني ٢٣ : ١٨ قضاة ٣ : ٤ الملوك الثاني ٢٣ : ٢٥ الأيام الثاني ٣٠ : ١٦ عزرا ٣ : ٢ نحميا ٨ : ١٤ دانيال ٩ : ١]

وهذا الذي قدمناه. لا يختلف معنا فيه «سبينوزا» حين أشار إلى نقد التوراة، وإنما يختلف معنا في سفر التثنية وحده. فبينما هو يفترض أن الذي عرضه القراء على الشعب هو «التثنية» وحده، نؤكد نحن أن الذي عرضه هؤلاء القراء هو التبرير للزيادات والتعديلات التي أضافتها اللجنة، على النص الأصلي لتشريعات موسى، والتي جاء أكثرها في سفر التثنية. أي أنهم لم يقرأوا النص المكتوب، بل معنى المكتوب في شريعة موسى. المعدل في التثنية وغيره. لأنه ما فائدة القراءة من أول التثنية إلى قوله «هذه هي الفرائض والأحكام» في أول الأصحاح الثاني عشر. وهو كلام تاريخي لا يناسب المقام؟

يقول سبينوزا: «على أن سفر التثنية لا يحتوي على شريعة موسى فحسب، أو على أكبر جزء منه، على أقل تقدير، بل يتضمن أيضاً شروحاً كثيرة أضيفت إليه. لذلك افترض: أن سفر التثنية هذا هو سفر توراة الله الذي كتبه عزرا. والذي يحتوي على عرض الشريعة وشرحها، الذي قرأه هؤلاء الذين يتحدث عنهم نحميا» (١) ثم يذكر أمثلة على ذلك هي: (تث ٢ : ١٢ شرح للآيتين ٣، ٤ - الآيات٦، ٧، ٨، ٩، من الأصحاح العاشر أدخلت في نص شريعة موسى - تث ٥ : ٦ - ٢١ مختلف مع خروج ٢٠ : ١ - ١٧). يقصد «سبينوزا»: أن «عزرا» هو المشتبه فيه بأنه كتب التوراة كلها. ولم يعرض إلا التثنية وحده.

ودليلنا على ما قلنا:

أن «نحميا» بين أن الوقت الذي تم فيه ذلك، كان «من الصباح إلى نصف النهار» وكيف يعقل في هذه المدة البسيطة أن يقرأ القارئ الذي هو «عزرا» ثم يفسر اللاويون؟ إن القارئ في ذلك الوقت برّر الزيادات والتعديلات التي أدخلتها اللجنة على النصوص، وهدد الواقفين على أن يعملوا بها، ثم ترك الحرية للاويين أن يقنعوا

(١) ص ٢٧٨ رسالة في اللاهوت والسياسة.

الشعب بما تم وحدث. وهذا لأنه لا يعقل أن تتم قراءة السفر كله وتفسيره من الضحى إلى الظهر.

وهذا مثال لما صنعه عزرا:

في سفر الخروج يقول الله تعالى: «إن أقرضت فضة لشعبي الفقير الذي عندك، فلا تكن له كالمرابي. لا تضعوا عليه رباً» [خر ٢٢:٢٥] والمراد من هذا النص: تحريم الربا على الفقراء في مملكة إسرائيل، سواء أكانوا من اليهود أو من غير اليهود. فإن قوله: «لشعبي الفقير الذي عندك» لا يدل على اليهود فحسب بل على اليهود والمؤمنين الساكنين معهم في ديارهم؛ لأن الناس جميعاً فقراء إلى الله. وليس في هذا النص: إباحة الربا من غير اليهودي. وفي سفر التثنية، وضع «عزرا» حكم الربا هكذا: «لا تقرض أخاك بربا، ربا فضة، أو ربا طعام، أو ربا شيء مما يقرض بربا. للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا» [تث ٢٣: ١٩] فهو قد أباح الربا من الأميين غير اليهود، لأنهم قالوا: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ وهو يعني بالأجنبي: الوثني. لأن من ليس على شريعة موسى في زمانها؛ هو وثني.

فـ «عزرا» لم يعرض على الناس حكم الربا، كما تركه موسى، لأن الناس يعرفون هذا الحكم، وإنما عرض عليهم تعديل الحكم بأنه يباح من الأميين الوثنيين، ولا يباح من اليهود والأجانب الذين دخلوا في شريعة موسى وسكنوا مع اليهود. ومعنى إباحته من الوثنيين : هو أنه يكف عن القتال في سبيل الله. وبدل أن يقتله يأخذ أمواله. ومن المعلوم أن اليهود توقفوا عن الجهاد في سبيل الله من بعد الرجوع من بابل. وهكذا.

وإن لم يكن صحيحاً هذا الذي بيناه، فما هي الفائدة من عرض «عزرا» لتشريعات عمل بها اليهود قبل السبي، ويعرفونها جيداً؟

وماذا يقول «سبينوزا» في التشريعات المكتوبة في الأسفار الأربعة السابقة على سفر التثنية التي لم يقرأها «عزرا» هل يعمل بها اليهود، أم يكتفون بما في سفر التثنية وحده؟ ومعلوم: أن فيها تشريعات لم تكرر في سفر التثنية، كحكم بنت صلفحاد، في سفر العدد، وكالتكفير عن الخطايا بالقرابين والذبائح في سفر اللاويين.

وكالاختلافات التي أشار «سبينوزا» نفسه إلى مواضعها.

وسبينوزا قال بالتثنية وحده، لأنه لم يفطن إلى قول الكاتب: إن عزرا قرأ الشريعة كلها، واللاويين فسروا من بعده. والشريعة كلها ليست في سفر التثنية.

وما هي الفائدة من عرض تشريعات يعرفونها جيداً؟ ولا يعرفها اليهود وحدهم، بل يعرفها أهل البلاد التي فتحها آباء اليهود من زمان موسى، ونشروا فيها التوراة. فقد حكى كاتب سفر يشوع: أن يشوع لما عبر نهر الأردن، كتب التوراة على اثنى عشر حجراً، بخط يقرأ من على مسافة بعيدة. وقد حكى المؤرخون: أن أهل العالم كانوا على علم بشرائع موسى من قبل أن يحرفها عزرا. فشريعة «حمورابي» كما يحكي المؤرخون مقتبسة من شريعة موسى عليه السلام. وقد عرف «حمورابي» شريعة موسى، من تجوال علماء بني إسرائيل بها في الأرض. لقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ ورثوها لنشر الدين فيها.

قارن: الخروج ٢١:٢ مع حمورابي ١١٧ - خروج ٢١:١٥ مع حمورابي ١٩٥ خروج ٢١: ١٨ - ١٩ خروج ٢٢:٢٣ - ٢٦ مع حمورابي ٢٠٦ و ٢٠٩ يقول «سيكل سل»: «أما نقوش حمورابي فقد اكتشفها العلامة «مورجن» في مكان يدعى «شوشن» في العجم سنة ١٩٠١م وكانت هذه النقوش باللغة البابلية السامية، وهي محفوظة الآن في متحف اللوفر في فرنسا. ونقوش حمورابي هذه كانت شريعة أرض كنعان في زمن الآباء - اليهود الأوائل - وهي تشبه إلى حد مّا كتاب العهد، أي سفر الخروج ٢٠ - ٢٣ ويقول العلامة «بارثن»: إذا نحن قارنا بين شريعة حمورابي وشريعة موسى وجدنا تشابهاً كبيراً» (١)

وإن قال قائل: إن تواريخ بني إسرائيل تدل على أن «حمورابي» أسبق في الزمان من موسى. نقول له: إن تواريخ بني إسرائيل متعارضة مع نصوص في التوراة. ومن أمثلة هذا التعارض: ما جاء في سفر التكوين (٢٦:٧ - ١١) حديث عن «أبيمالك» ملك الفلسطينيين، فيما جرى له مع «إسحق» عليه السلام بصدد زوجته «رفقة» وكان العصر الذي جرت فيه هذه الواقعة هو القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وكانت الأرض

(١) ص ٣٢ - ٣٣ المرشد إلى الكتاب المقدس - بيروت ١٩٥٨ م.

هي أرض «جرار» ولم تعـرف هذه البلاد باسم «فلسطين» إلا منذ القرن الحـادي عشر قبل الميلاد، بعـد أن غزتها قبائل «فلسـتينا» الكريتية، ونسبت إليها. أي أنـها في عهد موسى كانت لاتزال معروفة باسم «كنعان»

وقد تكررت هذه العثـرة مرة أخرى، حين كتب كـاتب التوراة: أن موسى ترنم هو وبنو إسرائيل بمناسبة خلاصهم من يد المصـريين. وجاء بالترنيمة: «تأخذ الرعدة سكان فلسطين» [خروج ١٥: ٢٤].

وقد ذكرنا مثل الربا للأجنبي، دليل إيضاح لصنيع عزرا في تحريف تشريعات موسى. ونذكر بعده هذا المثال دليل إيضاح لما أقنع به السامـريون رعاياهم في صحة ماهم عليه، وضلال ما عليه العبرانيون في أورشليم. وهو مثل التعديل في الحروف العبرانية:

وهو: أن اسم نبي الإسلام ﷺ هو (محمد) وهو من ولد إسماعيل عليه السلام، وقد جاءت آية في التوراة عن إسماعيل هكذا: «وأمـا إسماعيل فقد سمعت لك في، ها أنا أباركه وأثمـره وأكثره كثـيراً جداً. اثنى عـشر رئيسـاً يلد، وأجعله أمة كبـيرة» [تكوين ١٧: ٢٠] هكذا قال الله لإبراهيم عليه السلام وقوله ١ - «كثيرًا جدًا» وقوله ٢ - «أمة كـبيرة» يعـنيان في العبـرانية ١ - «بماد مـاد» ٢ - «لجوى جدول» وإذا حـسبت حروف «بماد مـاد» بحساب الجمل يكون العـدد اثنتين وتسعين، وإذا حـسـبت حروف «لجوى جـدول» بهذا الحسـاب يكون العدد اثنتين وتسعين، ومـحمد اثنان وتسـعون. فلكي يلبس اليـهود الحق بالبـاطل حذفـوا الاسم، ووضعـوا ما يدل علـيه بحـساب الجمل. وبعد ما اتفقوا على القيمة العددية لحساب الاسم المبارك، قام السامريون بتغيير القيمة العددية لبعض الحروف. ليلغزوا من أمورهم على العبرانيين.

يقول أبو الفتح بن أبي الحسن السامري «قام سنبلط الليواني، وحزقيه الإمام ورتبوا حروف أ ب ج على غـير ترتيـبها. . . وإذا اعـتبرت الحـرف، وما جعل عـوضه في الجملة تجده من الألف إلى الطاء عشرة عشرة، خـلا الهاء مع النون خمسة وخمسين، ومن الياء إلى الصاد مائة مائة خلا النون مع الهـاء خمسة وخمسين، ومن القاف إلى التاء خمس مائة خمس مائة. وكتب سنبلط وجماعته كتاباً إلى أبي شروان الملك بهذا الترتيب» [1] فَخُلْفُ السامريين لطريقة الحساب، ثم كتابتهم إلى «أبي شروان» ليعرف

(١) ص ٧٣ التاريخ مما تقدم عن الآباء.

أسرارهم: دليل على أنهم أقنعوا الشعب، ثم أرسلوا إلى الملك، ثم بينوا لرعاياهم أنهم وحدهم على الحق، وأن العبرانيينَ أهل أورشليم على ضلال.

وهذا بيان الحساب عند الفريقين للفائدة ولأن أوائل سور القرآن الكريم جاءت تشير إليه- على رأي مفرين أمين-

(أ) عند اليهود العبرانيين:

ا	ب	ج	د	-	هـَ	وً	ز	-	حُ	طً	ي	-
١	٢	٣	٤		٥	٦	٧		٨	٩	١٠	

ك	ل	م	ن	-	س	ع	ف	ص
٢٠	٣٠	٤٠	٥٠		٦٠	٧٠	٨٠	٩٠

-	ق	ر	ش	ت
	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠

(ب) عند اليهود السامريين:

ا	ب	ج	د	-	هـَ	وً	ز	-	ح	طـ	ي
١	٢	٣	٤		٥	٦	٧		٨	٩	١٠٠

ك	ل	م	ن	-	س	ع	ف
٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠		٢٠	٣٠	٤٠

ص	-	ق	ر	ش	ت
٩٠٠		٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠

والمعنى الصحيح هو: أن طريقة الوحي عند أهل الكتاب تقسم الأصحاح إلى عناصر. وكل عنصر يبدأ بحرف أبجدي. وقد ذكر الله هذه الطريقة في القرآن بقوله: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾

فقوله: ﴿كذلك﴾ يدل على أن مثل هذه الحروف المقطعة في التوراة. وهي طريقة وحي. فكيف عرفها نبي أمي لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان؟

وبعد ما وضح لنا الآن: أن التوراة الأصلية قد اختفت من أيدي اليهود عمداً، وحل محلها توراة «عزرا» نريد أن نبيّن هنا. كيف كان حال التوراة الأصلية مع بني إسرائيل؟ وبماذا واجه عزرا جموع اليهود في هذا الشأن وأقنعهم بالتوراة الجديدة؟ ولماذا أساء عزرا إلى بعض الشخصيات الكبيرة التي كان لها دور في حياة بني إسرائيل؟

إن موسى عليه السلام لما كتب التوراة:

(أ) قرأها على جميع بني إسرائيل، وشرح نصوصها شرحاً وافياً «في عبر الأردن في أرض موآب. ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلاً. . . إلخ» [تث ١:٥]

(ب) وأوصى إذا ما ملك ملك على بني إسرائيل أن «يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة في كتاب من عند الكهنة اللاويين فتكون معه، ويقرأ فيها كل أيام حياته، لكي يتعلم أن يتقي الرب إلهه، ويحفظ جميع كلمات هذه الشريعة وهذه الفرائض ليعمل بها» [تث ١٧:١٨ - ١٩]

(ت) هؤلاء الكهنة الذين أمرهم موسى في نهاية كل سبع سنوات، حينما يجتمعون في عيد المظال: أن يقرأوا التوراة على بني إسرائيل «وكتب موسى هذه التوراة»، وسلمها للكهنة بني لاوي، حاملي تابوت عهد الرب، ولجميع شيوخ إسرائيل وأمرهم موسى قائلاً: في نهاية السبع السنين، في ميعاد سنة الإبراء، في عيد المظال، حينما تجيء جميع إسرائيل لكي يظهروا أمام الرب إلهك. في المكان الذي يختاره؛ تقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل في مسامعهم» [تث ٣١:٩ - ١١]

(ث) ثم إن موسى وضع النسخة الأصلية بجوار التابوت، أي أنه كان تابوت، وكان صندوق خاص للتوراة بجانب التابوت، وهذا ما يفهم من قول التوراة «فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التورة من كتاب إلى تمامها، أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً: خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم» [تث ٣١: ٢٤ - ٢٦] فقوله «**بجانب تابوت عهد الرب**» يفيد أن التوراة الرسمية وضعت خارج التابوت في مكان خاص. وكان في التابوت: كتاب العهد مكتوباً على لوحين من الحجر، وكان فيه عصا هرون عليه

السلام، وكان فيه أيضاً قسط المن، الذي نزل على بني إسرائيل في سيناء مع السلوى، تذكاراً لكرم الله وفضله. [خروج ١٦:٣٣ - ٣٤ عبرانيين ٩:٤] ومن المؤكد أنه للعمل بالشريعة ولترك اليهود للشريعة، إذا ظهر النبي الذي أخبر عن ظهوره موسى بن عمران عليه السلام لينسخ شريعته. وهو نبي سيظهر من آل إسماعيل. له يسمع اليهود ويطيعون.

لأن الله قال لإبراهيم عليه السلام: **«سر أمامي وكن كاملاً»** [تك ١٧:١] أي سر أمامي في دعوة الناس إلى ديني، وكن قدوة للناس في صالح الأعمال. وإذا سرت وكنت كاملاً «اجعل عهدي بيني وبينك وبين نسلك في أجيالهم عهداً أبدياً» **وقال إبراهيم لله: «ليت إسماعيل يعيش أمامك»** أي في السير أمامك للدعوة إلى دينك. فرد الله عليه بقوله: **«وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه»** [تك ١٧: ٢٠] وعلى ذلك: نبه موسى - عن أمر الله - على نبي مماثل له سيظهر من نسل إسماعيل في الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية، له يسمع اليهود ويطيعون ويتركون شريعة موسى. وقد أخذ الله على اليهود عهدين: العهد الأول بموجبه نزلت التوراة. فقد قال الله لهم على لسان موسى: أأنزل شريعة لتقوموا بها وإن رغبتم عنها أعاقبكم. وإن عملتم بها أحسنت إليكم؟ فأجابوا ورضوا بالشرط والجزاء. والعهد الثاني تأكيد للأول.

وقد نقلت نسخ كثيرة من التوراة الرسمية، وتداولت بين بني لاوي، وكان عددهم كثيراً جداً. فقد كان عددهم في عهد موسى: اثنتين وعشرين ألفاً [عدد٣:٣٩] وإذا كان هذا عددهم في عهد موسى - وبين موسى ويعقوب عليهما السلام ست وستون ومائتا سنة - فما ظنك بعددهم بعد مئات من السنين.

(ج) وقد كتب موسى اثنتي عشرة نسخة، وسلم رئيس كل سبط نسخة للذكرى.

وقد اختفت التوراة الأصلية التي كانت بجانب التابوت، ثم ظهرت ثم ضاعت بضياع التابوت. يقول كاتب سفر الملوك الثاني: «فقال حلقيا الكاهن العظيم لشافان الكاتب: **قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب**، وسلم حلقيا السفر لشافان، فقرأه. وجاء شافان الكاتب إلى الملك ورد على الملك جواباً وقال... قد أعطاني حلقيا الكاهن سفرا، وقرأ شافان أمام الملك. فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق

ثيابه، وأمر الملك حلقيا الكاهن، وأخيقام بن شافان، وعكبور بن ميخا، وشافان الكاتب، وعسايا عبد الملك. قائلاً: اذهبوا اسألوا الرب لأجلي، ولأجل الشعب ولأجل كل يهوذا من جهة كلام هذا السفر الذي وجد» [الملوك الثاني ٢٢: ٨ - ١٣]

ويقول الكاتب عن فقدها نهائياً: «وفي الشهر الخامس، في سابع الشهر، وهي السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذ نصر ملك بابل جاء «نبوزرادان» رئيس الشرط عبد ملك بابل إلى أورشليم، وأحرق بيت الرب، وبيت الملك، وكل بيوت أورشليم وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار، وجميع أسوار أورشليم مستديراً هدمها» [الملوك الثاني ٢٥: ٨ - ٩]

لقد احترقت نسخة التوراة الرسمية التي في الصندوق، واحترق التابوت. لما «أحرق بيت الرب» بالنار. وقد قلنا من قبل: أن اللاويين والكهنة كانوا كثيرين جداً. وقلنا: إن يهود الأسباط العشرة كانوا يعملون بالتوراة أيضاً، وكان لهم ملوك وكهنة. وقد تركوا ديارهم قسراً على يد ملك أشّور، ثم إن يهود أورشليم لما ذهبوا إلى بابل التقوا بإخوتهم يهود الأسباط العشرة. فوحد الشر بينهم وتلاشى الخصام، لدرجة أن أصبح ابن «يوياداع» الكاهن العظيم في أورشليم صهرا لـ «سنبلط الحوروني» في السامرة وكانت التوراة كما أنزلها الله في أيدي الجميع سواء، ولم يؤثر ضياع التوراة التي كانت في الصندوق عليهم في قليل أو في كثير.

وفي بابل تشاوروا: ماذا نفعل؟ لقد ضاعت الدولة، ونبي العرب من بني إسماعيل قد أظل زمانه، والعرب لم يساعدونا أن نخلص من هزيمة الملوك الأجانب، ومالأوا الأعداء علينا، ولابد أن نفعل شيئاً نحافظ به على استقلالنا أبد الدهر، حتى لا نذوب في مجتمع نبي الإسلام والذين معه. واستقر رأيهم في ذلك الحين على تحريف التوراة عمدا وصوغها بأسلوب جديد.

يقول الدكتور فيليب حتى، والدكتور إدورد جرجى، والدكتور جبرائيل جبور مؤلفو تاريخ العرب المطول «وفي أيام نحميا (٢: ١٩، ٤: ٧) في متوسط القرن الخامس قبل الميلاد كان اليهود قد أخذوا يحسبون جيرانهم الذين يسكنون الجنوب الشرقي منهم أعداء لهم. وهذا يفسر لنا سر قصر اليهود للدعوة على جنسهم

واستبعاد الأمم من الدخول في دينهم ومنهم العرب أيام عزرا ونحميا»[١]

* * *

ولقد رضي الكهنة عن هذا الأمر الخطير، للمحافظة على نفوذهم، وإقبال الدنيا عليهم، خصوصاً وأن السبط الذي منه الملوك قد تلاشى أمره ولم يعد له نفوذ. فسبط أفرايم بن يوسف الذي منه ملوك السامرة، واقع تحت نفوذ ملك بابل، وسبط يهوذا الذي منه ملوك أورشليم واقع أيضاً تحت نفوذ ملك بابل، وقد آن الأوان ليجمع الكهنة بين الملك والشريعة. وهذا ما تم لهم بعد ذلك.

ولقد كان داود عليه السلام مكروهاً كراهة لا تطاق من يهود السامرة،لأنه سنَّ لليهود كلهم قبلة أورشليم وهم كانوا يريدون جرزِّم، وانضموا تحت لوائه كرهاً لا طوعاً. وبعد موت ابنه سليمان عليه السلام استقلوا بأنفسهم. فإذا ما كتب عزرا في التوراة: إن داود ما كان يحق له أن يكون ملكاً، ليسيطر على الشعب المختار، لأن جده كان امرأ سوء، لا يعترض السامريون على ذلك، بل تقر به أعينهم،وتقر أعين كهنة أورشليم أيضاً، لأن عزرا يمهد لبسط نفوذ الكهنة، وتقليل داود ونسله في أعين العوام من اليهود، حتى لا يطالبوا بعودة الملكية إلى نسل داود فيما بعد.

وقد راعى عزرا أن يحتقر نسل بنيامين أيضاً، هذا الذي خرج منه طالوت ملكاً. وكان طالوت قد أجبر يهود السامرة على الانضمام إليه، وكتب عنه كلاماً لا يصدر عن عقلاء إرضاء ليهود السامرة على جهة الخصوص، وجبراً لخاطر الكهنة من أورشليم، لأن طالوت كان قد قتل منهم عدداً كبيراً.

وهذه هي الأدلة على ما قدمنا: ادعى عزرا أن يهوذا بن يعقوب النبي عليه السلام قد زنى بامرأة ابنه المسماة ثامار، وأنجب منها فارَص، وفارص أنجب حَصْرون، وحصرون ولد أرام، وأرام ولد: عَمِّيناداب وعميناداب ولد نَحْشون، ونحشون ولد: سَلْمون، وسلمون أنجب بُوعَز، وبوعز أنجب عُوبيد، وعوبيد أنجب يَسَّى، ويسى ولد

(١) ص ٥٠ تاريخ العرب المطول - والنصان هكذا: «ولما سمع سنبلط الحوروني وطوبيا العبد العموني وجشم العربي هزأوا بنا واحتقرونا. وقالوا ما هذا الأمر الذي أنتم عاملون؟ أعلى الملك تتمردون؟» [نح ٢ : ١٩] «ولما سمع سنبلط وطوبيا والعرب والعمونيون والأشدوديون أن أسوار أورشليم قد رممت والثغر ابتدأت تسد؛ غضبوا جداً» [نح ٤ : ٧]

داود عليه السلام، ثم كتب عزرا في التوراة: أن ابن الزنى لا يدخل في جماعة الرب حتى الجيل العاشر.

وادعى عزرا أن لوطا عليه السلام قد شرب خمراً فسكر وزنى بابنتيه وولدت كل بنت ولداً.جاء من الأول الموآبيون، وجاء من الثاني العمونيون [التكوين ١٩: ٣٠ - ٣٨] وأن جدة داود من الموآبيين، أي أن داود عليه السلام ملعون ومحتقر من جهة الأب، ومن جهة الأم. ذلك أن اليمالك وامرأته نعمى، وولديه محلون وكليون تغربوا في بلاد موآب، وتزوج الولدان بعد موت أبيهما امرأتين موآبيتين (عُرفة) و(راعوث) ثم مات الولدان. فبقيت نعمى وعرفة وراعوث. ثم إن نعمى وراعوث رجعتا إلى بيت لحم، بلد أليمالك. وانطلقت راعوث إلى الحقل لتلتقط وتجمع بين الحزم وراء الحصّادين فرآها بُوعَز فدخل عليها وأشهد الشعب والشيوخ، وهنأوا بوعز قائلين: «ليكن بيتك كبيت فارص الذي ولدته ثامار ليهوذا من النسل الذي يعطيك الرب من هذه الفتاة» [راعوث ١ إلى ٤]

لقد ربط عزرا بين فارص وثامار، وبين بوعز وراعوث في أن الأول زنى، وأن الثاني تزوج من موآب من الزنى أيضاً.وكتب في التوراة هذا النص: «لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب، حتى الجيل العاشر. لا يدخل منه أحد في جماعة الرب. لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر. لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد» [تث ٢٣:٢ -٣] بالرغم من أن التوراة قد صرحت أن كل امرئ بما كسب رهين. ونحن المسلمين نعترف بعصمة الأنبياء ونزاهتهم. ونبرأ إلى الله من هذا الافتراء الأثيم على أنبيائه ورسله الذين اصطفاهم وفضلهم على العالمين، وجعلهم قدوة.

وادعى عَزْرا أن يعقوب بارك سبط بنيامين بقوله: «بنيامين ذئب يفترس، في الصباح يأكل غنيمة وعند المساء يقسم نهبا» [تك ٤٩: ٢٧] في حين كتب عن يوسف الذي منه يهود السامرة: «يوسف غصن شجرة مثمرة، غصن شجرة مثمرة على عين أغصان قد ارتفعت فوق حائط. فمررته ورمته، واضطهدته أرباب السهام. ولكن ثبتت بمتانة قوسه، وتشددت سواعد يديه، من يدي عزيز يعقوب من هناك من الراعي صخر إسرائيل. من إله أبيك الذي يعينك، ومن القادر على كل شيء الذي يباركك. تأتي بركات

السماء من فوق، وبركات الغمر الرابض تحت، بركات الثديين والرحم، بركات أبيك فاقت على بركات أبوي، إلى منية الآكام الدهرية، تكون على رأس يوسف، وعلى قمة نذير إخوته» [تك ٤٩: ٢٢ - ٢٦] وادعى أن امرأة من بني لاوي من قوم عزرا، زنى بها رجال في أرض بنيامين، وكان بنو بنيامين راضين عن ذلك (قضاة ٢٠: ١٢ - ١٣) وأن جميع الأسباط قد حاربوا بني بينامين من أجل ذلك وهزموا بني بنيامين (قض ٢٠ - ٣٦) وحلفوا بأيمان مغلظة «قائلين: لا يسلم أحد منا ابنته لبنيامين امرأة»

ثم إن بني بنيامين وجدوا نساءهم قلة، فأشار عليهم الشيوخ «امضوا واكمنوا في الكروم. وانظروا فإذا خرجت بنات شيلوه ليدرن في الرقص فاخرجوا أنتم من الكروم واخطفوا لأنفسكم. كل واحد امرأته من بنات شيلوه، واذهبوا إلى أرض بنيامين.. ففعل هكذا بنو بنيامين واتخذوا نساء حسب عددهم من الراقصات اللواتي اختطفوهن وذهبوا ورجعوا إلى ملكهم وبنوا المدن وسكنوا بها» [قضاة ٢١: ٢٠ - ٢٣] وكان طالوت من هؤلاء الراقصات الخليعات، ومن هذا السبط الشائن.

ونحن المسلمين نعترف بنزاهة طالوت وبعصمته من وصمة العار هذه، ونقر بأن الله قد اصطفاه: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾

وكتب عزرا عن قتل طالوت للكهنة هكذا: «وقال الملك للسعاة الواقفين لديه: دوروا واقتلوا كهنة الرب... وضرب نوب مدينة الكهنة بحد السيف. الرجال والنساء والأطفال والرضعان والثيران والحمير والغنم بحد السيف. فنجا ولد واحد لاخيمالك بن أخيطوب اسمه أبياثار. وهرب إلى داود وأخبر أبياثار داود: بأن شاول قد قتل كهنة الرب» [صموئيل الاول ٢٢: ١٧ - ٢١]

* * *

وإذا قرأنا ما كتبه المؤرخون السامريون عن طالوت وداود عليهما السلام، وقابلناه على ما كتبه عزرا في شأنهما، أدركنا تماماً: أن عزرا كان يهدف من وراء ما كتب: إلى استمالة قلوب السامريين إليه، وإرضاء خاطرهم.

يقول أبو الفتح بن أبي الحسن السامري: «وفي بداية ملك شاول (طالوت) وقع

خلف في بني إسرائيل الضالين (يهود أورشليم) منهم من أراد سيلون، ومنهم من أراد هورجرزيم، ومنهم من قال لا هنا ولا هنا. قد ولد رجل مقدس مكان. وهو داود بن ايشيٍّ من بيت لحم من سبط يهوذا. . . فاجتمع أهل الضلالة للفرح بولادته، واتفقوا على القدس ومالوا جميعهم إليها، وجعلوا اعتمادهم عليها. وخرج ايشي إلى شاول ويشير عليه بأن يحارب بني إسرائيل المقيمين بمرج البهاء (يهود السامرة) كونهم يتخلفوا من الجبل الشريف، ويتبعوا أغراضهم، ويذبحوا معهم حيث ذبحوا. . . فقال شاول لقومه: انكشف لي الظفر فإن الشعوب ليس هم شيئاً عندي. هوذا أنا أجعل مقدسهم خالياً، وأبطل طرقهم ممن يسلك فيها، هيئوا لكم زادا وعدة يا رجال شاول، يا أولاد قدس، فخرجوا من بين يديه في سبع ساعات من النهار بقلوب قاسية ملآنة جبروت، ودهموا بني إسرائيل بمرج البهاء في عيد المظال وهم مطمئنين آمنين غافلين عن هذه النائبة، فقتلوا كل من وجدوه. . .

وأقام بنو إسرائيل على طاعة الله، وحفظ الشريعة اثنتين وعشرين سنة، لا يقدرون يطلعون إلى الجبل المقدس، بل يسجدون من أماكنهم. والأعياد تمضي بلا فرح، وفسح - عيد الفِصح - بلا ضحية، وعنصرة بلا حج، وعيد المظال بلا فرح، ولا مظال. والكنائس بلا اجتماع، والمكان المقدس خالٍ من المصلين، يزرعونه كسائر الحقول، وسفر التوراة مع الفريقين سواء، والخط العبراني أيضاً لم يختلف، والسبوت والسمطات واحدة. . . فمن عظم ما جرى عليهم اجتمعوا في السر، وتشاوروا على الهروب، من قدام أعدائهم الضالين. ومفارقة الجبل الشريف. . . واتفق جماعة منهم على تغيير الأعياد. وقالوا: نغير الأعياد إلى أن يفرج الله علينا، ونعود إلى الحق، ولا نتبع أهل الضلال»[(١)]

ذلك تم في بابل وحدث لهذا الغرض الذي أشرنا إليه. وبعد الرجوع من بابل وتجدد العداوة بين الفريقين المتنازعين، لجأ كل فريق منهم إلى وضع آيات في التوراة التي معه، التوراة التي كتبها عزرا، ليبين أنه على الحق، وغيره على الباطل. كوضع عيبال في التوراة العبرانية، وجرزيم بدله في التوراة السامرية، وهكذا. كما سيأتي

(١) ص ٤٣ - ٤٥ التاريخ مما تقدم عن الآباء.

تفصيله. وقد اشتدت العداوة بين الطائفتين عقابا لهم من الله، وخزيا لهم في الحياة الدنيا. فقد هدم «يوحنا هركانوس» زعيم العبرانيين هيكل «جرزيم» سنة ١٩٠ ق.م[١] وظهر عيسى عليه السلام والعداوة شديدة لا تطاق، إلى الحد الذي قال له يوماً يهود أورشليم: «إنك سامري وبك شيطان» [يو ٨:٤٨] ومن بعده اشتدت وطأة الرومان على الجميع. وجاء الإسلام فقضى عليهم قضاء مبرماً.

* * *

بقي أن نصحح هنا ما شاع في بعض الكتب الإسلامية نقلاً عن أهل الكتاب: أن عزرا هذا كان من أهل الله، وأن جبريل عليه السلام لقيه فعلمه التوراة. إلى غير ذلك من الأساطير التي لا يرتاب في كذبها أحد من أهل العلم. يقول أبو إسحق أحمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي المتوفي سنة ٤٢٧ هـ: «إن بختنصر لما خرب بيت المقدس، قتل أربعين ألف رجل من قراء التوراة والعلماء بها، وقتل فيهم أبا عزير وجده، وكان عزير يومئذ غلاماً قد قرأ التوراة وتقدم في العلم، فأقدمه مع جميع سبايا بني إسرائيل إلى أرض بابل، وهو من ولد هرون... فبينما هو يصلي مبتهلاً إلى الله إذ نزل نور من السماء، فدخل جوفه فعاد إليه الذي كان قد ذهب من صدره من التوراة فأذّن في قومه، وقال: يا قوم قد آتاني الله التوراة. وردها إليهم؛ فطفق يعلمهم. فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا وهو يعلمهم التوراة. ثم إن التابوت نزل بعد ذلك بعد ذهابه منهم. فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان يعلمهم عزير؛ فوجدوه مثله، فقالوا والله ما أوتي عزير هذا إلا لأنه ابن الله» [٢].

ويقول القرطبي المفسر: «خرج عزير يسيح في الأرض، فأتاه جبريل فقال: أين تذهب؟ قال: اطلب العلم. فعلمه التوراة كلها... إلخ» [٣]

وكتابتهم هذه: تشير إلى أن التوراة، قد أعيد كتابتها، بعد حادثة «نبوخذ نصر» وأن الذي تولى ذلك العمل هو «عزرا» وحيث قد شهدت التوراة بسوء نيته، وشهد السامريون بمكره، وليس في القرآن دليل على أنه نبي أو ولي. وليس عنه في التفسير

---

(١) ص ١٨٦ رحلة بنيامين.

(٢) ص ٣٨٤ - ٣٨٥ قصص الأنبياء - العرائس (٣) القرطبي في البقرة ٢٥٩ .

إلا روايات تفسيرية عن الذي مر على القرية وهي خاوية على عروشها، ولم تتفق على أن المار هو عزرا؛ فما علينا من لوم إن استنزلنا عليه اللعنات صباحاً ومساء.

ومما يدل على أن الثعلبي وغيره، قد نقلوا ذلك عن أهل الكتاب: قول شموئيل بن يهوذا المتوفي سنة ٥٧٠ هـ الذي سمي نفسه بعد إسلامه السموأل بن يحيى: «فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم وزالت دولتهم، وتفرق جمعهم، ورفع كتابهم، جمع من محفوظاته، ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي في أيديهم، ولذلك بالغوا في تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة. وزعموا: أن النور إلى الآن يظهر على قبره الذي عند البطائح بالعراق، لأنه عمل لهم كتاباً يحفظ لهم دينهم. فهذه التوراة التي في أيديهم على الحقيقة: كتاب عزرا وليست كتاب الله. وهذا يدل على أنه - أعني الذي جمع هذه الفصول التي بأيديهم - رجل فارغ جاهل بالصفات الإلهية. فلذلك نسب إلى الله تعالى صفات التجسيم والندم على ما مضى من أفعاله» (١) .

ونعلق على كلام شموئيل - رحمه الله -:

بأن صفات التجسيم لله لا يستدل أحد عليها من التوراة، لأن التوراة صرحت بنفي المثل عن الله في أكثر من آية. والذي نسب إلى الله تعالى صفات التجسيم هو التلمود .ففيه: أن النهار اثنتا عشرة ساعة. في الثلاثة الأولى منها يجلس الله ويطالع الشريعة، وفي الثلاثة الثانية يحكم، وفي الثلاثة الثالثة يطعم العالم، وفي الثلاثة الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك(٢). وكلام مثل ذلك كثير.

(١) ص ٤٤ بذل المجهود.

(٢) ص ٣٦ الكنز المرصود.

الفصل السابع
في
أخطاء في التَّوراة

سنذكر في هذا الفصل أمثلة تدل على أن في التوراة أخطاء. وسنعرِّف أيضًا بالكاتب بعد سرد الأمثلة.

أولاً: من الأخطاء:

اتفق السامريون والعبرانيون على إعادة كتابة التوراة في مدينة «بابل» أيام سبي «نبوخذ نصر» سنة ٥٨٦ ق.م. وشكلوا لجنة لهذا الغرض برئاسة «عزرا» الكاهن - الذي يسميه «ابن حزم» بعزرا الورّاق - وقد جمعت هذه اللجنة معلومات من التاريخ القديم، ومعلومات أرادوا إدخالها على النصوص الأصلية. وقبل أن تكمل هذه اللجنة عملها، صدر الأمر الفارسي لهم بالرجوع إلى أرض كنعان: فتعجلوا الرحيل، وسروا به، وانشغلوا بالرحيل عن التنقيح والتدقيق والتنظيم والترتيب ظانين أنهم في بلادهم يقدرون على ذلك. هكذا يبررون الاختلافات والتناقضات. والحق أنهم تعمدوا وضع الاختلافات والتناقضات؛ لكي لا تدخل الأمم معهم في شريعة التوراة. فتكون دينًا خاصًا لهم.

وفي أثناء العودة، اختلف السامريون والعبرانيون على (أ) عاصمة الدولة (ب) وعلى المكان المقدس. واشتد العداء واستحكم. فتوقف العمل في استكمال أمر التوراة، ولم يستطع أي فريق منهم أن يبدئ أو يعيد في تنقيح أو تنظيم، إلى يومنا هذا.

ثم بعد مدة من الزمان نظر السامريون في توراة «عزرا» وكتبوا فيها آيات تضاد آيات في توراة العبرانيين. ونظر العبرانيون في توراة «عزرا» وعملوا كما عمل السامريون.

وليس من دليل على ذلك: إلا اتهام كل فريق للآخر بأنه هو الذي حرّف وغيّر وبدّل. والدليل على الاختلاف بين التوراة العبرانية والسامرية: أنه في العبرانية: «أن الله على صورته عمل الإنسان» وفي التوراة السامرية: «أن الله بصورة الملائكة صنع الإنسان» وفي العبرانية: «ظهر الرب لأبرام» وفي السامرية: «تجلّى ملاك الله لأبرام» ولا يعد من الاختلافات تعبير السامرية عن الله بملاك الله في مقابل تعبير العبرانية عن الله باسم الله نفسه.

وفي العبرانية: «وأنا قد وهبت لك سهماً واحداً فوق إخوتك. أخذته من يد الأموريين بسيفي وقوسي» وفي السامرية: «وأنا أعطيتك نابلس خصوصاً عن إخوتك، الذي أخذته من يد الأموري بسيفي وبقوسي».

سأذكر هنا أمثلة من التوراة نفسها، تدل على تعدد المعلومات التي جمعتها اللجنة من مصادر مختلفة، ولم توفق بينها، وسأذكر أمثلة على تعمدهم الكذب:

المثال الأول: يقول الكاتب إن آدم وحواء لما أكلا من الشجرة «انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان. فخاطا أوراق تين، وصنعا لأنفسهما مآزر» [تك ٣:٧] كيف خاط آدم وحواء أوراق التين، وورق التين صغير الحجم وهما لم يعرفا هذه الصنعة؟ يقول بعض المفسرين: «والصعوبة هنا، في قوله «خاطا» ومترجم السريانية انتبه لذلك، وصعب عليه إثبات أن حواء كانت تعرف الخياطة وتحكمها ولذلك ترجم العبارة بقوله «لصقا أوراق تين» والحق: أن الكلمة العبرية تعني عملا أكثر من هذا» (١)

المثال الثاني: يقول الكاتب: إن طوفان نوح عليه السلام عم الكرة الأرضية كلها «كل ما في أنفه نسمة روح وحياة. من كل ما في اليابسة مات. فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض. الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء فانمحت من الأرض. وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط» [تك ٧:٢٢ - ٢٣] هو يقصد بالذين معه أبناءه وزوجات أبنائه. وفي سفر التكوين: أن «لامك» ظل نسله قائماً لم ينقطع. ولامك لم يكن ممن دخل الفلك، لأنه لم يكن من أولاد نوح والكاتب يقول: إن الذي دخل

(١) السنن القويم ص ٥٥ .

الفلك هم أبناء نوح «اخرج من الفلك أنت وامـرأتك وبنوك ونساء بنيك معك، وكل الحيـوانات» [تــك٨: ١٦ - ١٧] ولامك هو: ابن متوشائيل بن مـحويائيل بن عيراد بن حنوك ابن قايين بن آدم. وهذا يدل على أنه قد دخل الفلك من آمن من الناس من غير نوح وأهله. كما جاء في القرآن الكريم ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ وإلا يكن ذلك صحيحاً. فكيف بقي نسل لامك وهو لم يكن مـن أولاد نوح؟ يقول الكاتب: «واتخـذ لامك لنفسـه امرأتين. اسم الواحدة عادة، واسم الأخـرى صلة. فولدت عادة يابال، الذي كان أبا لساكني الخـيام ورعـاة المواشي واسم أخيـه يوبال، الذي كان أبا لكل ضـارب بالعود والمزمار. وصلة أيضـاً ولدت توبال قايين الضارب كل آلة من نحـاس وحديد» [تـــك ٤: ١٩ - ٢٢] قوله: «الذي كـان أبا لساكني الخـيام ورعـاة المواشي» يدل على أن سلسلة النسب لم تنقـطع بين هؤلاء الناس وبين لامك وكـذلك قـوله: «الذي كـان أبا لكل ضارب بالعود والمزمـار » فيلزم الاعتراف بأحد أمرين: إما أن يكـون الطوفان خاصاً. وهذا لا تنص عليه التوراة ولا القرآن فـقد جاء في القرآن: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ وأيضاً: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ وإما أن يكون الكاتب قد تعمد أن الا يذكر أن فريقاً من المؤمنين مـن غـيـر أبناء نوح، قـد دخل السـفـينة. ومنـهم «لامك» - وهذا هو الصـحـيح - لأنه لا يريد أن يظـهر أن الـله رب العـالمين، بل رب لليـهـود فـقط. وبالإضافة إلى ذلك: فإن الكاتب يذكر أن عـدد الداخلين في الفلك: ستة أشخاص، ويخالفه «المسيح» في الإنجيل - المنسوب إلى برنابا- ويذكر أنهم كانوا ثمانين.

المثال الثالث: قال الله لنوح: «ومن كل حي من كل ذي جسد اثنتين من كل تدخل الفلك لاستبقـائها مـعك. تكون ذكراً وأنثى. من الطيـور كأجناسـها، ومن البـهائم كأجناسهـا. ومن كل دبابات الأرض كأجناسها اثنين من كل تدخل إليك لاستـبقائها» [تــك ٦: ١٩ - ٢٠] وفي الأصحاح التالي هذا النص: «من جمـيع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبـعـة سبـعة ذكـرًا وأنثى، ومن البهـائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكـرًا وأنثى لاستبقائها على وجه كل الأرض» [تك ٧: ٢ - ٣] وهذا تناقض في مسألتين: الأولى: أنه أمر أن يحـمل فيهـا من كل زوجين اثنين. وهذا هو الحق؛ لأن الغـرض هو استبـقاء النسل. وهو يحصل من ذكـر وأنثى، ولأنه لو كان المقصود سبعة أزواج، لكان عدد الحيوانـات الداخلة في الفلك. كثيرة يعـجز نوح وأولاده عن الاعتناء بها، فـضلاً عن

عدم سعة الفلك. والثانية: أنه في النص الأول: أمر بأن يأخذ من جميع الحيوانات، سواء كانت طاهرة أو غير طاهرة. وهذا هو الحق أيضاً. لأن كل الطعام كان حلاً لنوح ومن معه. والتحريم من الحيوانات، واعتبار المحرم نجساً لم يكن إلا من شريعة موسى حيث حرمت الخنزير وكل ذي ظفر وغير ذلك كثيراً. وهذا يؤكد كتابة التوراة بعد عصر موسى. يقول الله لنوح: «كل دابة حية تكون لكم طعاماً. كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع» [تك ٩:٣] فكيف يقول: «الطاهرة والتي ليست بطاهرة» والنص يقول: كل الطعام مباح؟

المثال الرابع: «واستقر الفلك في الشهر السابع، في اليوم السابع عشر من الشهر. على جبال أراراط وكانت المياه تنقص نقصاً متوالياً إلى الشهر العاشر. وفي العاشر في أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال» [تك ٨:٤ - ٥] الآية الرابعة: تثبت أن سفينة نوح عليه السلام استقرت في الشهر السابع على جبال أراراط، في التوراة العبرانية. وفي السامرية: «على جبال سرنديب». والآية الخامسة: تثبت أن ظهور الجبال كان في الشهر العاشر. فإذا كان ظهور رؤوس الجبال في العاشر فكيف استقرت السفينة في السابع والرؤوس لم تظهر بعد؟

والقرآن الكريم ينص على أن السفينة استوت على الجودي. في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ وليس على جبال أراراط أو سرنديب - وهذا هو الحق - ويدل عليه أمران: الأمر الأول: شك المفسرين من أهل الكتاب في أنه «أراراط» أو «سرنديب» والأمر الثاني: أن الناس من بعد نوح، قد ارتحلوا شرقاً «وحدث في ارتحالهم شرقاً أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار، وسكنوا هناك» [تك ١١:٢] وأرض شنعار هي: كل أرض بلاد فارس ما بين دجلة والفرات. فلو كانت السفينة في أراراط لكانت شنعار في الغرب لأن أراراط في بلاد أرمينية. يقول المفسرون في (تك ٨: ٤) «أزاراط: قال بعضهم في الآية الثانية من الأصحاح الحادي عشر: أن أولاد نوح سافروا شرقاً إلى شنعار، وترجمه بعضهم «من الشرق» وعلى هذا لا يكون أراراط هو جبل أراراط المعروف في أرمينية، والكلمة الأشورية تعني أرضاً ذات تلال، أو نجداً. فيصح أن يكون أراراط نجداً من الأنجاد» وفي موضع (تك ١١ : ٢) كتب المفسرون: «وجاء في النبأ الكلداني: أن السفينة استقرت على جبل نيزيز

أو نزير، أو الوند. شرقي أشـور. ومع أن أراراط يمكن أن يكون أريو يرات أي أرض مقدسـة يصعب بيان نقل اسم الوند، إلى أرمينيـة بل يتعذر» [1] وقـولـهم «يمكن أن يكون أريو يزات، أي أرض مقدسـة» يدل على: أرض العرب. ففيـها المكان المقدس وهو الكعبة المكرمة. ولو كانت الأرض المقدسة بلاد الشام لهلل أهل الكتاب وكبروا. وهم لم يقولوا بذلك، لأن أرض شنعار ليست إلى الشرق من بلادهم.

والقـرآن ذكر: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ والتـوراة ذكرت: «وبنى نوح مـذبحاً للرب. وأخـذ من كل البهائم الطاهـرة، ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح» [تك٨: ٢٠] وعلى هذا الذكر لماذا لا يكون بناء نوح هو أول بيت وضع للناس، ويكون استقرار السفينة في أرض العرب؟

المثال الخامس: «وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساما وحاما ويافث، وحام هو أبو كنعان، هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح. ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض» [تك ٩: ١٨ - ١٩] وهذا يعني أن اللـه راض عن هذا الشـعب، وأنه شيء طبيـعي. ويدل عليـه الأصحاح العاشر كله من التكوين، ففيه ذكر نسب أولاد نوح الثلاثة. وفي آخره «ومن هؤلاء تفرقت الأمم في الأرض بعد الطوفان»

وفي الأصحاح الحـادي عشر من التكوين يذكر الكاتب: أن هذا التـشعب لم يكن عن رضا من الله. ولم يكن شيـئاً طبيعياً، بل كـان عقوبة من الله. ذلك لأنهم بنوا مدينـة وبرجا رأسه في الـسماء «فنـزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كـان بنو آدم يبنونهـما. وقـال الرب: هوذا شعب واحـد ولسان واحـد لجميـعهم وهذا ابتـداؤهم بالعـمل، والآن لا يمتنع عليـهم كل مـا ينوون أن يعـملوه. هلم ننـزل ونبلبل هناك لسانهم. حتى لا يسـمع بعضهم لسان بعض. فبـددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض فكفوا عن بنيـان المدينة. لذلك دعي اسمهـا بابل. لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض. ومن هـناك بددهم الرب عـلى وجـه كل الأرض» [تـك ١١: ٥ - ٩] وبالإضافـة إلى هذا التناقض، فإن بابل لم تسم كذلك بسـبب بلبلة الألسن. بل لأن «باب» يعني باب كـمـا في الـلغـة العـربيـة و«ال» في الآراميـة: الله. و«إلى» في الأشورية: الله و(الاه) في العـربية: الله و«الوهو» في السريانـية: الله. والمعنى على

(١) ص ٨٢، ١٠٣ السنن القويم

كل هذه اللغات «باب الله» وسميت من أجل ذلك لا بسبب بلبلة الألسن [١]. لكن لماذا قال الكتاب إن اسمها بسبب بلبلة الألسن؟ والإجابة على ذلك: أنه كان يكتب أثناء السبي البابلي واليهود ساخطون على أهل بابل، ويريدون الرجوع إلى أرض كنعان. فأراد أن يبرر سخطهم بأن هذه المدينة من قديم الزمان محل غضب الله. كما برر احتلالهم لأرض كنعان بقوله: «وحام هو أبو كنعان» ولم يذكر أولاد نوح الآخرين، ثم ذكر أن كنعان هذا ملعون لعنة أبدية، وأنه هو ونسله «عبد العبيد يكون لإخوته» [تك ٩:٢٥] هكذا قال الكاتب على لسان نوح لما استيقظ من شرب الخمر وعلم أن حام ابنه أبصر عورته.

وقال الكاتب: إن نوحا لعن حام واللعنة حلت على كنعان ابن حام دون بقية إخوته وهكذا يبرر الكاتب لليهود احتلالهم لأرض كنعان، وأنهم مسخرون لخدمتهم من قبل السماء. والدليل على كذبه:

١ - «أن هذه اللعنة لم ترافق نسله دائماً. فإن الحثيين عظموا بين قدماء الأمم، واشتهر الصيدونيون والفينيقيون بالتجارة لكنهم انحطوا كثيراً في الروحيات، فلعنوا بعبادتهم الأوثان» وإذا كانوا قد انحطوا بسبب الأوثان، فإن اليهود قد عبدوا الأوثان. وهم من نسل سام ففي سفر التكوين: «وأما لابان فكان قد مضى ليجز غنمه، فسرقت راحيل: أصنام أبيها» [تك ٣١: ١٩] ولابان هو خال يعقوب عليه السلام، وراحيل هي زوجة يعقوب، وأم يوسف وبِنيامين.

٢ - «بنوحام: كوش ومصرايم، وفوط وكنعان» [تك ١٠:٦] هؤلاء أربعة لحام، فلماذا خصت العبودية لكنعان دون الثلاثة؟ إن لم يكن الغرض كما ذكرنا فماذا يكون؟ وبنو كوش: هم من بلاد النوبة وبلاد الحبش. وبنو مصرايم هم في مصر العليا والسفلى. وبنو فوط: هم شمالي أفريقيا. وبنو كنعان هم: في ساحل البحر الأبيض المتوسط وفي أرض فلسطين [٢]، أي ليسوا عبيداً لبني إسرائيل. كما كتب الكاتب. والتوراة تشهد: أن بني إسرائيل كانوا عبيداً للمصريين أولاد كنعان. ولم ينقذهم من

---

(١) ص ١٠٤ السنن القويم.

(٢) ص ٩٥ - ٩٩ السنن القويم.

العبودية إلا نبي الله موسى عليه السلام.

المثال السادس: «وعاش ناحور تسعا وعشرين سنة وولد تارح وعاش ناحور بعدما ولد تارح مئة وتسع عشــرة سنة. وولد بنين وبنات. وعاش تارح سبعين سنة وولد أبرام وناحور وهاران وهذه مواليد تارح. ولد تارح أبرام وناحور وهاران. وولد هاران لوطا. ومات هاران قبل تارح أبيه في أرض ميلاده في أور الكلدانيين» [تــك ١١: ٢٤ – ٢٨] ويقول الكاتب «وكانت أيام تارح مئتين وخمس سنين. ومات تارح في حاران» [تــك ١١: ٣٢] وجاء في سفر الأعمال عند النصارى أن استفانوس قال لليهود: «فخرج حينئذ من أرض الكلدانيــين وسكن في حــاران. ومن هناك نقله بعــدمــا مــات أبوه إلى هذه الأرض التي أنتم الآن ساكنون فيها» [اعمـال الرسل ٧:٤] أي نقل الله إبراهيم إلى أرض فلسطين بعد موت أبيــه في حاران. وجاء في سفر التــكوين أنه: «كان أبرام ابن خمس وسبعين سنة، لما خرج من حاران» [تك ١٢:٤] من هذه النصوص يتبين:

١ – أن تارح ولد إبراهيم وله من العــمر ٧٠ سنة ولما كــان إبراهيم قد هاجــر من حاران بعد موت أبيه وكان عمره ٧٥ سنة ويكون سن تارح ١٤٥ سنة ويلزم على ذلك كذب الكاتب في قوله «وكانت أيام تارح مــئتين وخمس سنين» والدليل على كذبه أن كلام استفــانوس موافق للتوراة السامرية وفيهــا أن تارح مات وله من العمر ١٤٥ سنة وأن ناحور مات في سن ١٤٤ فلا يرجح أن تارح يعيش أكثر من ذلك. لأن العمر كان يقصر بعــد الطوفان. ولأن إبراهيم لما بشرته الملائكة بغلام عــليم حسب من المحال أن يولد للإنسان أولاد وهو في ســن المائة، ولو كان قد ولد وأبوه في سن المئــة والثلاثين لم ينطق بما نطق به» [تك ١٧:١٧]

٢ – وقد صــرح القرآن الكريم بأن أبا إبراهيم هو آزر (الأنعــام ٧٤) وإذا راعــينا هذا الخلط الذي وقع فيه الكاتب وتناقض العبرانية والسامرية في عمر تارح، لا نستبعد أن يكون «آزر» هو الأب الحقيقي لإبراهيم، لا تارح. خاصة وفي اليونانية وحدها «قينان» في سلسلة النسب.

المثــال الســابع: قال الله لإبراهيم: «اعلــم يقينا أن نسلك سيكون غــريباً في أرض ليست لهم، ويستبعدون لهم. فيذلونهم أربع مئة سنة، ثم الأمة التي يستعبدون لها أنا أدينها. وبــعد ذلك يخرجــون بأملاك جــزيلة. وأما أنت فــتمضي إلى آبــائك بسلام،

وتدفن بشيبة صالحة، وفي الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا» [تك ١٥: ١٣ - ١٦] والمراد بالأمة التي يستعبدون لها: أرض مصر. وفي سفر الخروج: «وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر، فكانت أربعة مئة وثلاثين سنة، وكان عند نهاية أربع مئة وثلاثين سنة في ذلك اليوم عينه أن جميع أجناد الرب خرجت من أرض مصر» [تك ١٢: ٤٠ - ٤١] فقد زادت آيتي الخروج لفظ «ثلاثين سنة»

ثم إن بولس في رسالته إلى أهل غلاطية: اعتبر مدة الأربع مائة والثلاثين سنة ليست من دخول يعقوب أرض مصر، إلى أن خرج بنو إسرائيل مع موسى، بل اعتبر المدة المذكورة من زمن إبراهيم عليه السلام، **أي أنه كذب النصين السابقين**. إنه يقول: «وأما المواعيد فقيلت في إبراهيم وفي نسله، لا يقول وفي الأنسال كأنه عن كثيرين، بل كأنه عن واحد، وفي نسلك الذي هو المسيح. وإنما أقول هذا: إن الناموس الذي صار بعد أربعمائة وثلاثين سنة لا ينسخ عهداً قد سبق فتمكن من الله نحو المسيح حتى يبطل الموعد، لأنه إن كانت الوراثة من الناموس فلم تكن أيضا من موعد. ولكن الله وهبها لإبراهيم بموعد» [غلاطية ٣: ١٦ - ١٨] وعبارة بولس هي الصحيحة. لأنه في التوراة السامرية واليونانية هكذا: «فكان جميع ما سكن بنو إسرائيل وآباؤهم وأجدادهم في أرض كنعان وأرض مصر: أربعمائة وثلاثين سنة» [خروج ١٢: ٤٠]

ولأن التوراة العبرانية شاهدة على أن من دخول إبراهيم أرض كنعان، إلى ولادة إسحق خمس وعشرون سنة [تك ١٢: ٤ مع تك ٢١: ٥] وأن إسحق كان ابن ستين سنة حين ولد له يعقوب [تك ٢٥: ٢٦] وأن يعقوب لما دخل مصر كان ابن مائة وثلاثين سنة [تك ٤٧: ٩] فالمجموع مائتان وخمس عشرة سنة. ويبقى على ذلك من مجموع الأربعمائة والثلاثين. مائتين وخمس عشرة من السنين. هي مدة إقامة بني إسرائيل في مصر.

المثال الثامن: «ولما كان عيسو ابن أربعين سنة اتخذ زوجة: يهوديت ابنة بيري الحثي، وبسمة ابنة أيلون الحثي» [تك ٢٦: ٣٤] «فذهب عيسو إلى إسماعيل، وأخذ محلة بنت إسماعيل بن إبراهيم أخت نبايوت زوجة له على نسائه» [تك ٢٨: ٩] «أخذ عيسو نساءه من بنات كنعان: عدا بنت أيلول الحثي، واهوليبامة بنت عني، بنت صبعون الحوي، وبسمة بنت إسماعيل أخت نبايوت» [تك ٣٦: ٢ -٣] إن الكاتب وضع نصوصاً، ولم يدر ما وضع. أحقا هو أم باطل؟ فقد قال إن عيسو بن إسحق عليه

السلام تزوج يهوديت ابنة بيري ثم رجع فقال إنها ليست يهوديت، بل عدا بنت ايلون. ثم قال إنه تزوج بسمة ابنة أيلون ثم رجع فقال إنها بنت إسماعيل عليه السلام. ثم رجع فقال لم يكن اسمها بسمة، بل محلة. ثم أضاف على نساء عيسو: أهوليبامة.

يقول أصحاب السنن القويم في (تك ٣٦:٣١ - ٤٣): «ويظن أن ما في ع ٣١ - ٤٣ زيد في عصر كتابة سفري صموئيل. والذي زاده بعض الأنبياء، لأن الإسرائيليين لم يخلوا منهم؛ فلا يعترض بمثل هذه الزيادة على قانونية الكتاب»

المثال التاسع: يعقوب عليه السلام ولد من إسحق عليه السلام بعد أخيه عيسو، وقد باركه أبوه ولم يبارك عيسو، ولما حنق عليه أخوه، فر هارباً إلى بلاد العراق، إلى حاران. ولما وصل إلى حاران اتجه إلى بيت خاله لابان وخدمه سبع سنين، وتزوج لَيْئة ابنته، ثم خدمه سبعاً أخرى وتزوج ابنته راحيل، وبعد ولادة يوسف عليه السلام الابن الحادي عشر، رجع يعقوب إلى أرض كنعان، بعد عشرين سنة من مقامه مع خاله، لقوله: «الآن عشرون سنة أنا معك» [تك ٣١:٣٨]

وكان قد نذر إن أرجعه الله سالماً إلى حيث كان يقيم إسحق أبوه في حبرون؛ يعطي لله العشر من كل شيء.

ولما رجع سكن في سكوت وفي شكيم وفي بيت إيل، وفي طريقه من بيت إيل إلى حبرون، ولدت راحيل بنيامين، وماتت ودفنت في بيت لحم. وأيام كان في شكيم: خرجت دينة ابنته «لتنظر بنات الأرض فرآها شكيم بن حمور الحوي رئيس الأرض، وأخذها. واضطجع معها وأذلها» [تك ٣٤:١-٢] وقام شمعون ولاوي ابنا يعقوب وأخذا بثأر دينة وقتلا أهل المدينة وهدموها. إلى هنا نقف. ونقول:

إن فرعون مصر سأل يعقوب لما دخل مصر عن سنه «فقال يعقوب لفرعون: أيام سني غربتي مئة وثلاثون سنة» [تك ٤٧:٩] فإذا عرفنا أن يعقوب حزن على ابنه يوسف اثنين وعشرين عاماً وسبعة عشر عاماً عمر يوسف وقت بيعه [تك ٣٦:٢] وسبعة أعوام خدم فيها يعقوب براحيل [تك ٢٩:١٨] يكون المجموع ٢٢ + ١٧ + ٧ = ٤٦ لو طرحناها من ١٣٠ يتبقى ٨٤ عاماً فيكون يعقوب تزوج ليئة أولى نسائه وله من العمر ٨٤ عاماً. وفي مقابل ذلك كان عمر دينة ابنة ليئة وقت اغتصاب شكيم لها سبعة أعوام

لأنها ولدت بعد الأولاد الستة (٣٠: ٢١) وكان عمر شمعون اثني عشر عاماً، لأنه ولد قبل دينة بخمسة أعوام، وعمر لاوي أحد عشر عاماً لأنه ولد بعد شمعون بعام. ولا يعقل اشتهاء شكيم لدينة وهي في السابعة، ولا قتل الصبيين شمعون ولاوي لأهل شكيم جميعاً وتدمير المدينة.

وفضلاً عن ذلك فإن سني يعقوب من بعد فراق يوسف إلى مجيئه إلى مصر، تقدر باثنتين وعشرين سنة. لو زدنا عليها سبعة عشر عاماً. هي عمر يوسف عند فراق أبيه، يكون المجموع ٣٩ سنة. وقد ولد بنيامين بعد يوسف بأربعة عشر عاماً أو ستة عشر. ذلك لأن يعقوب ترك لابان بعد ست سنين تقريباً من ولادة يوسف، واستغرقت رحلته من العراق إلى بيت إيل ثمان سنوات أو عشر تقريباً؛ فيكون عمر بنيامين يوم دخول يعقوب مصر ٢٥ سنة أو ٢٣ سنة. وقد ذكرت التوراة: أن بنيامين أنجب عشرة بنين [تك ٤٦: ٢١] وأن ابنه بالع أنجب ولدين [عدد ٢٦: ٤٠] ومعنى ذلك: أن بنيامين وهو في زهرة العمر، كان له أحفاد، وهذا لا يقل في مناقضته للعقل عن الاعتداء على دينة.

ثم إن قلنا على هذا الحساب: إن يعقوب تزوج ليئة أولى نسائه في الرابعة والثمانين ودخل مصر في المائة والثلاثين، فإنه يترتب عليه: أنه في مدة ٤٦ سنة أنجب الأسباط الاثنى عشر، وهم بدورهم تزوجوا وأنجبوا وصار لهم بنون وحفدة وصل مجموعهم إلى سبعين في التوراة السامرية والعبرانية. وخمسة وسبعين في التوراة اليونانية [٤٦: ٢٧] وأشد غرابة من ذلك كله: أن يهوذا الابن الرابع قد أنجب عير، وأونان، وشيله. وبعدما كبر شيله، تزوج ثامار، وأنجب منها فارص وزارح، ثم إن فارص أنجب حصرون، وحامول [تك ٤٦: ١٢]

المثال العاشر: في قصة يهوذا وثامار وقد بدأها الكاتب بقوله: «وحدث في ذلك الزمان: أن يهوذا نزل من عند إخوته» [تك ٣٨: ١] يحكي الكاتب قصة يهوذا بن يعقوب في ثنايا حديثه عن يوسف عليه السلام. وقوله: «في ذلك الزمان» يفيد الزمان البعيد عن زمان كاتب التوراة. ويقول في القصة: أن ثامار قد زنى بها يهوذا، فأنجبت منه فارص وزارح. وسبب زنى يهوذا بثامار: هو أن ثامار كانت متزوجة بعير بن يهوذا، ولما مات تزوجت من أخيه أونان. وذلك لينجب أونان ولدًا وينسبه إلى أخيه عير لئلا

ينقطع ذكره من بني إسرائيل. لكن أونان لكراهته ذلـك. كان يفسد على الأرض لكيلا يعطي نسلاً لأخيه. فعاقبه الـله بالموت. ثم قال يهوذا لثامار: اقعدي أرملة في بيت أبيك حتى يكبـر شيلة ابني. ولما طال الزمـان وكبر شـيلة، ولم يتزوج من ثامـار. تعرضت ليـهوذا وأوهمـته أنهـا زانيـة، فزنى بهـا وهو لا يعرفـهـا. ثم لما ظهر حـملها «قـال يهوذا: أخرجوها فتحرق» فلما أخرجوها أخبرته بما كان منه، فعفا عنها (تك ٣٨)

وهذه القصة باطلة بدليل:

أنه من نزول يوسف عليه السلام إلى مصر لأول مرة، حتى اجـتماعه بيعقوب أبيه في مصر: مدة اثنتين وعشرين سنة. ذلك لأن عمر يوسف كـان سبعة عشر عاماً عندما باعه إخوته [حتك ٣٦:٢] وكان عمره ثلاثين عاماً عندما أخرجه فرعون من السجن [٤١: ٤٦] أي أنه مكث في مصر حتى الخروج من السجن ثلاثة عشر عاماً ٣٠ - ١٧ = ١٣ فإذا أضفنا إلى هذه السنين الثلاث عشرة: سبع سنين من الرخاء [تـك ٤١:٤٧] وسنتين من المجاعة [تك ٤٥:١١] يكون المجموع: اثنتين وعشرين سنة. وفي مدة اثنتين وعشرين سنة، أو زيادة عليها سنوات معدودة هي الفرق ما بين يهوذا الابن الرابع وبين يوسف الابن الحادي عشر. في هذه المدة البسيطة؛ لا يمكن لأحد أن يتصور أن يصبح يهوذا أبا لثلاثة أطفـال على التوالي من المرأة الوحيـدة التي تزوجها وهي ابنة شـوع الكنعاني، وأن يتزوج أكـبر هؤلاء الثلاثة ثامـار، عند بلوغه سن الزواج، وأن تـتـزوج ثامار من جديد بعد موت الابن الثاني، وبعـد موت الابن الثاني تنجب من يهوذا ولدين، هما فارص وزارح، وأن ينجب فارص ولدين آخرين.

وبالإضافة إلى ما قدمنا. نقول: إن هذه القصة وضع فيها الكاتب حكمين من أحكام موسى عليه السلام وهما يثبتان أنها كـتبت بعد نزول التوراة واستقرار التشريع. الحكم الأول: زواج الأخ من زوجة أخـيه الذي يموت، ولا ينجب نسـلاً وإذا لم يفعل يدعي بيته بيت مـخلوع النعل «إذا سكن أخوة معاً، ومات واحـد منهم، وليس له ابن. فلا تصير امـرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبي. أخو زوجهـا يدخل عليها ويتخـذها لنفسه زوجة، ويقوم لها بواجب أخي الزوج. والبكر الذي تلده يقـوم باسم أخيه الميت، لئلا يمحى اسمه من إسرائيل. . . إلخ» [التثنية ٢٥:٥ - ١٠] والحكم الثاني: حرق الزانية وهذا لا يكون إلا في نوعين من الـزنا. النوع الأول: «إذا اتخـذ رجل امـرأة وأمهـا فـذلك

رذيلة. بالنار يحرقونه، وإياهما لكي لا يكون رذيلة بينكم» [لا ٢٠: ١٤] والنوع الثاني: «وإذا تدنست ابنة كاهن بالزنى فقد دنست أباها بالنار تحرق» [تث ٢٢: ٢٣ - ٢٤] أما يهوذا وثامار فحكمهما الرجم معاً.

المثال الحادي عشر: في الأصحاح السادس والأربعين من سفر التكوين ذكر الكاتب جدولاً تاريخياً للإسرائيليين ثم ذكر أيضاً هذا الجدول في الأصحاح السادس من سفر الخروج، ثم ذكره أيضاً في الأصحاح السادس والعشرين من سفر العدد، وجاء ذكره في سفر الأخبار الأول في الأصحاح الأول والثامن. وفي الجميع اختلافات شتى نورد بعضها هنا:

١ - أولاد شمعون:

تكوين	عدد	أخبار الأيام الأول
١ - يموئيل	نموئيل	نموئيل
٢ - يامين	بامين	بامين
٣ - أوهد	(لم يذكر)	(لم يذكر)
٤ - ياكين	ياكين	يريب
٥ - صوحر	زارح	زارح
٦ - شأول	شأول	شأول
٢ - أولاد يساكر:		
١ - تولاع	تولاع	تولاع
٢ - فوة	فوة	فوة
٣ - يوب	ياشوب	ياشوب
٤ - شمرون	شمرون	شمرون

٣ - بنو ليئة:

ذكـر في [تــك ٤٦:١٥] أسماء ستة بنين وثلاثة وعشريــن حفيداً وابني حفيد ودينة ويعقوب نفــسه، وترك أسماء بقية البنات. والذين ذكـرهم قال عددهم «ثلاث وثلاثون» وبعدّ دينة يكون المجموع أربعاً وثلاثين.

٤ - بنو جاد:

جاء بدل أصــبون في التكوين اسم ازني في العــدد، وجاء بدل أرودي في التكوين أرود في العدد بدون ياء...

٥ - بنو أشير:

جاء ذكر يشوة في التكوين، وحذف من سفر العدد.

٦ - بنو بنيامين:

تكوين ٤٦:٢١	عدد ٢٦:٣٠ - ٤٠	أخبار الأيام الأول ٧:٦	أخبار الأيام الأول ٨:١ - ٥
١ - بالع	بالع	بالع	بالع
٢ - باكر	-	باكر	-
٣ - اشبيل	اشبيل	يد يعئيل	اشبيل
٤ - جيرا	-		ذكر حفيدا
٥ - نعمان	ذكر حفيدا		ذكر حفيدا
٦ - ايحي	أحيرام		أخرخ ونوحه
٧ - روش	-		رافه
٨ - مفيم	أشفوفام		ذكر حفيدا
٩ - حفيم	حوفام		ذكر حفيدا
١٠ - أرد	ذكر حفيد		ذكر حفيدا

٧ - بنو نفتالي:

جاء ياحصئيل بالألف في التكوين وبدون ألف في أخبار الأيام الأول. وجاء شليم

باليـاء في التكوين وشلوم بالواو في أخبـار الأيام الأول. وفي النهايـة يقول الكتـاب «جميع نفوس بيت يعقوب التي جـاءت إلى مصر سبعون» [تـك ٤٦:٢٧] وفي التـوراة اليونانية خمس وسبعون. ومنها استشـهد استفانوس في سفر الأعمال «فأرسل يوسف واستدعى أباه يعقوب وجميع عشيرته خمسة وسبعين نفساً» [أعمال ٧:١٤]

المثـال الثـاني عشـر: في سفر الخـروج. ذكر الكاتب: أن اسم كاهن مـدين، حمو موسى عليه السلام هو «رعوئيل» [خر ٢:١٨] وذكر أن اسمه «يثرون» (خروج ٣:١) وفي سفر العدد. ذكر الكاتب: أن اسمه «حوباب» (عدد ١٠:٢٩) وفي سفر القضاة «حوباب» أيضاً (قضاة ٤:١١) وهذا تناقض.

المثـال الثالث عـشر: يقول الكاتب: إن «صـفُّورة» ولدت لموسى عليـه السلام «ابنا فدعا اسمه جِرشون» (خروج ٢:٢٢) ويقول بعد ذلك بقليل «فأخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير، ورجع إلى أرض مصر» (خروج ٤:٢٠) قوله «بنيه» وهو لم يرزق إلا بجرشـون؛ خطأ. وهنا إشكال في التراجم. فـفي الأصل العبري «وأركـبهم على الحمار» وهـذا يناسب الولد وأمه. وفي ترجمة الفـولجات: «لكن غيره ولد له حـديثاً» وهي عبارة ليست موجـودة في التوراة العبرانية. ويناسبها «وأركـبهم على الحمير» وفي السامرية «وابنيه» وفي اليونانية أنه أنجب ولداً ثانياً اسمه ألعازر.

المثال الرابع عشر: «فماتت جميع مواشي المصريين، وأما مواشي بني إسرائيل فلم يمت منها واحد» [خروج ٩:٦] وفي نفس الأصحاح: «فالذي خاف كلمة الرب من عبيد فرعون هرب بعبيده ومـواشيه إلى البيوت» [خـروج ٩:٢٠] كيف يهرب عبـيد فرعون بالمواشي، وهي قد ماتت في النص الأول؟

المثال الخامس عشر: وصف الكاتب المن الذي أنزله الله في سيناء بقوله «ولما ارتفع سقيط الندى إذا على وجـه البرية شيء دقيق مثل قشور. دقـيق كالجليد على الأرض» [خروج ١٦:١٤] ووصفه في موضع آخر بقوله «ودعا بيت إسرائيل اسمه منّا، وهو كبزر الكزبرة أبيض، وطعمه كرقاق بعسل» [خروج ١٦:٣١]

المثال السادس عشر: «فقال موسى ليشوع: انتخب لنا رجالاً.. إلخ» [خـروج ١٧:٩] يفهم من ذلك أن يشـوع كان مسـمى بهذا الاسم في ذلك الوقت عـقب الخروج من

مصـر، وانظر ١٧ : ١٣ / ٣٤ : ١٣ / ٣٧ : ١٧ / ٣٣ : ١١ والعدد ١١ : ٢٨ ويفـهم من سفر العدد: أن يشوع لم يسم بهذا الاسم إلا حين أرسله موسى ليتجسس أرض كنعان ففي سفر العـدد: «هذه أسماء الرجال الذين أرسلهم موسى ليتجـسسوا الأرض، ودعا موسى هوشع بن نون: يشوع» [عدد ١٣ : ١٦]

المثال السـابع عشر: طلب الله من موسى أن يصعد جبل حوريب - طور سيناء - وأن يقدس الشعب ويطهرهم «وليـتقدس أيضاً الكهنة» [خـر ١٩ : ٢٢] وهم لم يسـموا كهنة، ولم يتم انتخابهم من سبط لاوي إلا بعد نزول الشريعة [خروج ٢٨ : ١]

المثال الثامن عشر: (كتاب العهد)

أ - في التوراة أن الله تعالى عاهد بني إسرائيل هل ينزل عليهم شريعة ليعملوا بها وليأمـروا الأمم للعمل بهـا أم لا؟ فلما وافـقوا. «فقـالوا: كل ما تكلم به الـرب نفعل ونسـمع له» [خـر ٢٤ : ٧] نزلت عليهم التوراة. وكان هذا العـهد في جبل حوريب، أي جبل طور سيناء.

ب - وفي التوراة أن موسى عليه السلام شرح التوراة بعد نزولها لبني إسرائيل. ثم أخذ عليـهم العهـد بأن يظلوا خاضعـين للتوراة هم وأبناؤهم من بعـدهم. وكان هذا العهد في أرض موءاب [تث ٢٩ : ١٤]

ت - وفي سفر يشوع أن يشوع بن نون - فتى مـوسى ووصيه - قد أخذ عهداً هو الآخر [يش ٢٤ : ٣٥]

ويقول «سبينوزا» إن العـهود الثلاثة قد فُقدت وضاعت. لأن «العـهد» كان مكتوباً وموضوعًا بجـانب سفر التوراة، التي كانت في الصندوق الذي كـان بجوار التابوت، ونخالفه ونقول: إن العهود الثلاثة لم تُفقد ولم تضع . وبيان ذلك:

أما عن العـهد الأول: فإن نصه مذكور في التـوراة - وكان النص في زمان موسى مكتـوباً على لوحين من الحجـر، فنقله كاتب التـوراة فيـها - وهو أن الله قـال لبني إسرائيل: «إن سـمعتم لصـوتي وحفظتم عهـدي، تكونون لي خاصة من بين جـميع الشعوب. فإن لي كل الأرض، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة» [خر ١٩ : ٥ - ٦] «فجاء موسى ودعا شيوخ الـشعب، ووضع قدامهم كل هذه الكلمات التي أوصاه

بها الرب. فأجاب جميع الشعب معاً. وقالوا: كل ما تكلم به الرب؛ نفعل» [خر ١٩: ٧ - ٨] وعلى إثر هذا العهد، نزلت التوراة بالوصايا العشر والتشريعات. ولما قرأها على بني إسرائيل، ابتدأ في عمل مراسم هذا العهد. بأن بنى مذبحاً، وأقام اثنى عشر عموداً، لأسباط إسرائيل الاثنى عشر. وذبح ثيراناً قرباناً إلى الله. وأخذ موسى نصف دم الثيران ووضعه في الطسوس، ونصف الدم رشه على المذبح **«وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب. فقالوا: كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له. وأخذ موسى الدم ورش على الشعب، وقال: هوذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال»** [خر ٢٤: ٧ - ٨]

البيان:

يتضح من هذا النص: أنهم قالوا كل ما تكلم به الرب؛ نفعل. وقولهم هذا يدل على أن العهد مذكور في التوراة. وعمل طقوس هذا العهد تدل على أن العهد مذكور في التوراة؛ لأنه لا يعمل طقوساً لشيء غير معروف. وقد اختصر كاتب التوراة العهد بعبارة موجزة وهي: «كل ما تكلم به الرب؛ نفعل» وقوله: إن العهد لجميع الأجيال من بعدكم إلى زمن ظهور النبي المنتظر يدل على أن العهد مذكور في التوراة. وإلا فكيف تعرفه الأجيال الآتية من بعدهم؟ وليس العهد الثاني غير الأول. وإنما هو تأكيد له بعدما اكتملت الشريعة. والعهد الثالث وهو عهد يشوع قال كاتب سفره إنه مكتوب في سفر شريعة الله.

فعن العهد الثاني: فإن موسى في نهاية حياته، جمع بني إسرائيل، وقال لهم: «أنتم واقفون اليوم جميعكم أمام الرب إلهكم، رؤساؤكم، أسباطكم، شيوخكم، وعرفاؤكم، وكل رجال بني إسرائيل، وأطفالكم ونساؤكم وغريبكم الذي في وسط محلتكم، ممن يحتطب حطبكم إلى من يستقي ماءكم، لكي تدخل في عهد الرب إلهك، وقسمه الذي يقطعه الرب إلهك معك اليوم. لكي يقيمك اليوم لنفسه شعباً. وهو يكون لك إلها، كما قال لك، وكما حلف لآبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب. **وليس معكم وحدكم أقطع أنا هذا العهد وهذا القسم. بل مع الذي هو هنا معنا، واقفا اليوم أمام الرب إلهنا. ومع الذي ليس هنا معنا اليوم...»** [تث ٢٩: ١٠]

وأما عن العهد الثالث: - وهو عهد يشوع - فقد قال يشوع لبني إسرائيل: «إذا تركتم الرب وعبدتم آلهة غريبة، يرجع فيسيء إليكم ويفنيكم، بعد أن أحسن إليكم. فقال الشعب ليشوع: لا بل الرب نعبد. فقال يشوع للشعب: أنتم شهود على أنفسكم إنكم قد اخترتم لأنفسكم الرب لتعبدوه. فقالوا: نحن شهود. فالآن انزعوا الآلهة الغريبة التي في وسطكم، وأميلوا قلوبكم إلى الرب إله إسرائيل. فقال الشعب ليشوع: الرب إلهنا نعبد، ولصوته نسمع. وقطع يشوع عهداً للشعب في ذلك اليوم، وجعل لهم فريضة وحكماً في شكيم. **وكتب يشوع هذا الكلام في سفر شريعة الله**» [يشوع ٢٤: ٢٠ - ٢٦]

تلك هي النصوص عن العهود الثلاثة. والعهد الأول من أجل أن تنزل التوراة على موسى، ليعمل بها بنو إسرائيل، والعهد الثاني تأكيد للأول. ومن معانيه: أن يترك بنو إسرائيل شريعة موسى، إذا ظهر النبي الذي أخبر عنه في سفر التثنية، وأن يعملوا بكلام الله الذي يخاطبهم به من فم هذا النبي، الذي يلقبونه «الْمَسِيَّا» فالنبي المماثل لموسى يجب أن يسمع له بنو إسرائيل ويطيعون، لأن النصوص الدالة على مجيئه داخلة في الشريعة، التي أخذ العهد عليها ككل. وقد أكد الله على مجيئه والسماع منه بقوله: «يُقيم» أي يجعل الله لكم إماماً، يقيم لكم الدين، كما أقامه موسى من قبل. في هذا النص: «يُقيم لك الرب إلهك نبيّاً من وسطك. من إخوتك. مثلي له تسمعون...» [تث ١٨:١٥]

أي أن العهد الأول ليس لشريعة موسى إلى يوم القيامة. وإنما هو لشريعتين اثنتين شريعته وشريعة النبي الذي سيخلفه. لأن الدين اليهودي لا يكمل إلا بالإيمان بالنبي الآتي. وحتى مجيئه كان عمل اليهود بالتوراة ناقصًا. لأن النبي لم يأت بعد وهو حكم من أحكامها. ولذلك قال في القرآن الكريم: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يا بني إسرائيل

وأما عهد يشوع فإن الباعث عليه هو خوفه من أن يعبد بنو إسرائيل إلهاً غير الله. ولا كلام لنا في عهده.

* * *

وكاتب التوراة قد ألغز المعنى في العهد. فقد كتب أن الوصايا العشر هي العهد. وأن العهد قد كتبه موسى على لوحين من الحجر، ووضع اللوحين في التابوت. يقول الكاتب: «فكتب على اللوحين كلمات العهد،الكلمات العشر» [خر ٢٨:٣٤] وهذا منه لبس الحق بالباطل. لأن صيغ الوصايا جاءت بصيغ مختلفة في التوراة، في ثلاثة مواضع، ولأن موسى حين عرض الشريعة مرة أخرى. قال: «هذه هي كلمات العهد الذي أمر الرب موسى أن يقطعه مع بني إسرائيل في أرض موآب، فضلاً عن العهد الذي قطعه معهم في حوريب» [تث ٢٩:٢٨] وعلى ذلك فنص كتاب العهد، غير نص الوصايا العشر. ونص العهد كان على اللوحين في التابوت، فنقله الكاتب في التوراة. وقد صرحت التوراة بالمغايرة بين العهد وبين الوصايا، وبين التشريعات؛ فإنها ذكرت بعدما أخذ الله العهد، أن الله قال لموسى: «اصعد إليّ، إلى الجبل. وكن هناك، فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم» [خر ١٢:٢٤] فقوله: «أعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية» بعدما ذكر العهد أولاً، ونص عليه، يدل على أن العهد ليس هو ما كان على اللوحين من الوصايا.

وهذا العهد ظل موجوداً في التابوت إلى زمان سليمان عليه السلام ففي الأصحاح الثامن من سفر الملوك الأول: «لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر، اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب، حين عاهد الرب بني إسرائيل، عند خروجهم من أرض مصر» [١ مل ٩:٨] وعلماء بني إسرائيل كانوا على علم به، كما كانوا على علم بتاريخهم. ولما دونوا التوراة وضعوا فيها ما كان على اللوحين، كما وضعوا التاريخ فيها.

كتاب العهد في نظر سبينوزا:

وقد أثبت سبينوزا الفيلسوف اليهودي أ - أن كتاب العهد مفقود ب - وأن العهد كان على الوصايا وبعض التشريعات التي نزلت في حوريب والتي شرحها موسى في موآب. يقول: «جاء في الخروج ٢١ : ١٤ أن هناك سفراً آخر يعرف باسم سفر العهد - تعني كلمة سفر في العبرية رسالة أو ورقة - قرأه موسى أمام الإسرائيليين عندما عقدوا عهداً مع الله. ولا يحتوي هذا السفر أو هذه الرسالة إلا على أشياء قليلة. أي

أنه لا يحتـوي إلا على شرائع الله ووصـاياه الموجودة في الخروج في الأصـحاح ٢٠ الآية ٢٢ حتى الأصحاح ٢٤ .ولا يمكن أن ينكر ذلك من يقرأ هذا الأصحاح المذكور بشيء من الفـهم السليم، ودون تحـيز. فـفيـه يروي أنه بمجـرد أن عرف مـوسى رأي الشعب في العـهد المبرم مع الله. كتب عـلى التو كلمات الله ووصاياه، ثم قـرأ أمام المجمع العام للشعب شـروط العهد في الصباح بعد إقـامة بعض الطقوس. وبعد هذه القراءة دخل الشعب في هذا العهـد بمحض رضاه. بعد أن عرف الناس كلهم. بلاشك هذه الشروط. ونظراً إلى ضيق الوقت الذي استغرقتـه كتابة العهد المبرم، وكذلك نظراً إلى طبيعة هذا العهد؛ كان حتماً ألا يحتوي هذا السفر أكثر مما قلته الآن.

وأخيـراً: فمن الـثابت أن مـوسى قد شـرح جمـيع الشرائع التي سنّهـا في السنة الأربعين بعد الخـروج من مصر (انظر التـثنية ١:٥) وأخذ من الشعـب وعداً جديداً بأن يظلوا خاضعـين لهذه الشرائع (انظر التـثنيـة ١٤:٢٩) ثم كتب سفـراً يحتوي على هذه الشرائع التي تشرح هذا العـهد الجديد (انظر التـثنية ٩:٣١) وقد سمى هذا السـفر: سفر توراة الله. وقد أضاف إليه يشوع بعد ذلك بمدة طويلة رواية العهد الذي قطعه الشعب على نفسه من جديد في أيامه. وهو ثالث عهد يقيمونه مع الله (انظر يشوع ٢٤: ٢٥-٢٦) ولما لم يكن لدينا أي سـفـر يحتـوي في الوقت نفـسـه على عهـد مـوسى، وعهـد يشوع. فيجب أن نعترف ضرورة بأن هذا السفر قد فقد»[1]

المثال التاسع عشر: (الوصايا العشر) وردت مرتين في سفر الخروج، ومرة في سفر التثنية. وعن مرتي الخروج يقول الكاتب:

إن موسى صعد إلى الجـبل وتلقى الشريعة، وفيها الوصايا العـشر، ثم نزل فوجد القوم يعـبدون العجل من دون الله فكسـر اللوحين، ثم إن الله ناداه ليصعـد الجبل، ليعطيه الوصايا من جديد. فكانت الوصايا في المرة الثـانية مختلفة عن الأولى، بسبب كسر اللوحين. وهذا لا يمكن أن يكون تعليلاً للاختـلافات لأنه لو كانت الجديدة مقام القديمة، لكانت تكون الجـديدة نفس القديمة في المعنى، لأنهمـا وصايا. ومما زاد الطين بلة: أن التـوراة السامـرية ذكرت وصـية ليس لهـا ذكر في وصـايا التوراة العـبرانـية

(١) ص ٢٧١ - ٢٧٢ رسالة في اللاهوت والسياسة.

واليونانية. وهي تقديس جبل «جرزِيّم» في «نابلس» وعلى ذلك: فلابد من الاعتراف بأن الكاتب لم يكن معتدلاً في سرد الحقائق، ولابد من الاعتراف بأن الوصايا ليست هي كتاب العهد.

وهذا هو نص الوصايا في المرة الأولى: «ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات، قائلاً: أنا الرب إلهك الذي أخرجك، من أرض مصر. من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أمامي لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً. ولا صورة ما مما في السماء من فوق. وما في الأرض من تحت. وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن. ولا تعبدهن. لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء، في الجيل الثالث والرابع من مبغضي وأصنع إحساناً إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً. اذكر يوم السبت لتقدسه. ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك. لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك. لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. واستراح في اليوم السابع. لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه. أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك. لاتقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد على قريبك شهادة زور. لا تشته بيت قريبك، ولا تشته امرأة قريبك. ولا عبده ولا أمته ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئاً مما لقريبك» [خروج ٢٠: ١ - ١٧]

وهذا هو نص الوصايا في المرة الثانية: «الرب إله رحيم ورؤوف، بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء، حافظ الإحسان إلى ألوف، غافر الإثم والمعصية والخطية. ولكنه لا يبرئ إبراء. مفتقد إثم الآباء في الأبناء، وفي أبناء الأبناء، في الجيل الثالث والرابع... لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة. تحفظ عيد الفطير سبعة أيام تأكل فطيراً. كما أمرتك، في وقت شهر أبيب، لأنك في شهر أبيب خرجت من مصر. لي كل فاتح رحم. وكل ما يولد ذكراً من مواشيك بكراً من ثور وشاة. وأما بكر الحمار فتفديه بشاة. وإن لم تفده تكسر عنقه. كل بكر من بنيك تفديه، ولا يظهروا أمامي فارغين. ستة أيام تعمل. وأما اليوم السابع فتستريح فيه، في الفلاحة وفي الحصاد تستريح. وتصنع لنفسك عيد الأسابيع أبكار حصاد الحنطة وعيد الجمع في آخر السنة، ثلاث

مرات في السنة. يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب إله إسرائيل. فإني أطرد الأمم من قدامك وأوسع تخومك. ولا يشتهي أحد أرضك حين تصعد لتظهر أمام الرب إلهك ثلاث مرات في السنة. لا تذبح على خمير دم ذبيحتي ولا تبت إلى الغد ذبيحة عيد الفصح. أول أبكار أرضك تحضره إلى بيت الرب إلهك. لا تطبخ جدياً بلبن أمه» [خروج ٣٤: ٦ - ٢٦]

وهذا هو نص الوصايا في الموضع الثالث: «لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً صورة ما، مما في السماء من فوق، وما في الأرض من أسفل، وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن. لأني أنا الرب إلهك إله غيور. أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من الذين يبغضونني، وأصنع إحساناً إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي. لا تنطق باسم للرب إلهك باطلاً، لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً. احفظ يوم السبت لتقدسه، كما أوصاك الرب إلهك. ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك. وأما اليوم السابع فسبت الرب إلهك لا تعمل فيه عملاً ما. أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك، وكل بهائمك ونزيلك الذي في أبوابك لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك. واذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر. فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة، لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت. أكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب إلهك لكي تطول أيامك، ولكي يكون لك خير على الأرض التي يعطيك الرب إلهك. لا تقتل ولا تزن ولا تسرق ولا تشهد على قريبك شهادة زور. ولا تشته امرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا كل ما لقريبك» [تث ٥: ٧- ٢١].

المثال العشرون: (التشريعات) يقول الكاتب: على جبل سيناء كلم الله موسى أ - بالوصايا العشر ب - وبعض التشريعات. ثم يقول الكاتب: نزل موسى من الجبل وأعلم الشعب بعهد الله، ثم استطرد الكاتب في ذكر تشريعات أخرى. ثم يقول صعد موسى إلى الجبل ونزل فوجد قومه يعبدون العجل، فغضب وكسر اللوحين. ثم التمس العفو من الله فعفا عنهم. ثم يقول الكاتب: إن موسى صعد الجبل وكتب الله له لوحين بدل اللوحين المكسرين، ثم نزل موسى وأخذ العهد ثانية على بني إسرائيل.

والكاتب خلط وشوش في هذا الموضوع. وبيان ذلك:

أولاً: قال الكاتب: إن الله طلب من موسى أن يأمر اليهود بالتطهير، ثم يقتربون من جبل سيناء ومعهم الكهنة - وهم لم يسموا بعد كهنة - ثم إن الله خاطب موسى قائلاً: «أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر. إلخ» [خروج ٢٠: ١ / ٢٣ : ٣٢] إلى هنا عرض الكاتب الوصايا العشر لأول مرة، وبعض التشريعات. وفيها النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف... إلخ. ولم يتعرض لانتخاب سبط لاوي لحمل الشريعة، ولا لتقديس ذرية هارون.

ثانياً: قال الكاتب بعد ذلك مباشرة: إن الله طلب سبعين من شيوخ إسرائيل. وسكت عن ذهاب الشيوخ إلى الجبل. ثم قال: إن موسى «أخذ كتاب العهد، وقرأ في مسامع الشعب» ثم إن الشيوخ السبعين ذهبوا، ورأوا إله إسرائيل، وأكلوا وشربوا. ثم يقول الكاتب: «وقال الرب لموسى: اصعد إليّ إلى الجبل وكن هناك. فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم... وكان موسى في الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلة» [خروج ٢٤]

كان المناسب أن يذكر: «وقال الرب لموسى: اصعد إليّ إلى الجبل... إلخ» ثم بعد ذلك يذكر الوصايا العشر والتشريعات السابقة. ويلزم على قوله هذا: ١ - إما أن تكون الوصايا العشر والتشريعات السابقة ليست ملزمة. لأنه يقول: «فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية» وعليه ما بعد هذا هو الملزم، وما قبله ساقط ٢ - وإما أنه خلط وشوش، ووضع ما كان أولاً في وسط التشريعات. وهذا ما حدث.

ثالثاً: استطرد في ذكر بعض التشريعات. ثم قال: «ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هرون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا» ثم يقول: إن اليهود عبدوا العجل، وجاء موسى من الجبل غضبان أسفاً «وطرح اللوحين من يديه، وكسرهما في أسفل الجبل»

والخطأ هنا: في أنه أولاً ذكر لوحين وشريعة ووصية، شريعة ووصية مكتوبان على ألواح. فكان من المناسب أن يقول «الألواح» لا اللوحين فقط. وأخطأ أيضاً: في أنه سرد بعض التشريعات في حين أن موسى ما كان قد نزل من الجبل بعد، ليخبر بها.

رابعاً: ذكر الكاتب: أن موسى طلب من الله العفو عن خطية الشعب. فعفا عنهم،

وذكر: أن موسى طلب رؤية الله. فقال له: «لا تقدر أن ترى وجهي. لأن الإنسان لا يراني ويعيش» ثم ذكر: أن موسى نحت لوحين من الحجر، وصعد إلى جبل سيناء. فكتب الله له على اللوحين الوصايا العشر من جديد، بصيغة تختلف عن صيغة الوصايا الأولى. وفي نهاية هذه الوصايا «قال الرب لموسي: اكتب لنفسك هذه الكلمات، لأنني بحسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك ومع إسرائيل. وكان هناك عند الرب. أربعين نهاراً. وأربعين ليلة. لم يأكل خبزاً. ولم يشرب ماء. فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر» ثم ذكر تشريعات تختلف عن التشريعات السابقة.

والخطأ هنا: أن الكاتب ذكر كتاب العهد وأنه هو الوصايا العشر. ثم أعاد الوصايا بعد تكسير اللوحين باختلاف كبير فيها. فلماذا كان الاختلاف؟ ولماذا ذكر تشريعات بعد الوصايا الثانية ليست هي الأولى؟

الحق الذي لا ريب فيه - كما يبدو من هذا الموقف الرهيب -: أن موسى صعد إلى الجبل. ومكث أربعين ليلة. وطلب رؤية الله فامتنعت عليه الرؤية. ثم أعطاه الله الشريعة مكتوبة على ألواح، ثم رجع فوجد قومه يعبدون العجل، فألقى الألواح جانباً ثم اختلف مع هرون أخيه. ثم أخذ الألواح بعدما سكت عنه الغضب من المكان الذي كان قد وضعها فيه. ثم اختار سبعين رجلاً، ولما تواقحوا بطلبهم رؤية الله، أخذتهم الرجفة. هذا هو الترتيب المنطقي لهذه الحوادث. ولا يمكن الاعتراف بأن الأشراف السبعين رأوا الله وأكلوا وشربوا - كما هو ظاهر النص - لأن الرؤية إذا كانت قد امتنعت على موسى، فعليهم هم ممتنعة من باب أَوْلى. ولأنه قال لموسى: «لا يقدر أن يراني أحد ويعيش»

المثال الحادي والعشرون: «لكل من اجتاز إلى المعدودين من ابن عشرين سنة فصاعداً. لست مائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين» (خروج ٣٨: ٢٦) العدد / ٦٠٣٥٥٠ لجميع المعدودين من ابن عشرين فصاعداً «جميع المعدودين من المحلات بأجنادهم ست مائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسون» (عدد ٢: ٣٢) العدد / ٦٠٦٥٥٠ لجميع المعدودين من ابن عشرين فصاعداً. كان التعداد الأول في الشهر

الثالث لخروج بني إسرائيل من مصر (خر ١٩ : ١) والتعداد الثاني في أول الشهر الثاني في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر [عدد١:١] ألا يمكن في هذه المدة أن يزاد العدد أو ينقص. فلماذا اتفق ويقبل القسمة على عشرة بدون باق؟

هذا خطأ. والدليل على خطئه: أن هذا التعداد نفسه، جاء في سفر الخروج بدون تحديد. ونصه: «نحو ست مئة ألف» [خر ١٢ :٢٧] وجاء في العدد مرة أخرى بزيادة محددة. ونصه: «هؤلاء المعدودون من بني إسرائيل: ستمائة ألف وسبعمائة وثلاثون» [عدد ١٦ :٥١]

المثال الثاني والعشرون: ذكر الكاتب في سفر اللاويين حكماً، وفي سفر العدد أزاد عليه. ففي سفر اللاويين: «إذا أخطأ أحد وخان خيانة بالرب، وجحد صاحبه وديعة أو أمانة أو مسلوباً أو اغتصب من صاحبه.. يعوض برأسه ويزيد عليه خمسه» [لاويين ٦: ٥] والذي أزاده عليه في سفر العدد هو أنه إذا كان قد مات المذنب إليه، يعطي العوض وليه. وإن لم يكن له من ولي يعطى الكاهن العوض، فيكون العوض للرب. ونص الزيادة: «وإن كان ليس للرجل ولي، ليرد إليه المذنب به، فالمذنب به المردود، يكون للرب، لأجل الكاهن. فضلاً عن كبش الكفارة الذي يكفر به عنه» [عدد ٥ :٨] يقول مفسرو التوراة في هذا الموضع: «فالمذنب... إلخ: ما زيد هنا على ما في اللاويين ٦ : ٥ - ٦» [(١)]

المثال الثالث والعشرون: «وكل عشر الأرض من حبوب الأرض وثمار الشجر فهو للرب. قدس للرب. وإن فك إنسان عشره يزيد خمسه عليه، وأما كل عشر البقر والغنم فكل ما يعبر تحت العصا يكون العاشر قدساً للرب. لا يفحص. أجيد هو أم رديء ولا يبدله. وأن أبدله يكون هو وبديله قدساً. لا يفك» [لاويين ٢٧ :٣٠ - ٣٣] المعنى: أن عشر ما يخرج من الأرض وأثمار الشجر يكون زكاة أي «قدس للرب» أي تكون من نصيب الكهنة بني هرون. أما زكاة البقر والغنم فهي هكذا: أن صاحب البهائم يجمع كل الخراف والعجول إلى الحظيرة، ويجعل لها باباً صغيراً. حتى أنه ي

---

(١) السنن القويم.

تعذر على البهائم التي في الحظيرة أن يخرج اثنان منها معاً. ويضع أمهات الخراف والعجول خارج الحظيرة. فإذا ثغت النعاج وخارت البقر، سمعتها الحملان والعجول وأخذت تخرج من الحظيرة. فيأخذ الرجل يعدها بعصاه. وهذا معنى قوله: «فكل ما يعبر تحت العصا». فيقول: واحد. اثنان. ثلاثة. . . إلخ. والعاشر سواء أكان أنثى أو كان ذكراً جيداً أو رديّاً، يعلمه بعلامة حمراء. ويقول: «هذا عشر» ومعنى الفكاك: أن يرغب مقدم العشر في إعطاء القيمة بدل غلة الأرض مثلاً. وفي هذه الحالة يقوِّم الكاهن هذا العشر ويثمنه. ويأتي المشتري فيأخذ بتثمين الكاهن ويدفع فوق الثمن: الخمس من الثمن ويأخذ الكاهن الثمن والخمس قدس للرب. وجاء في سفر العدد: «أن عشور بني إسرائيل التي يرفعونها للرب رفيعة، قد أعطيتها للاويين نصيباً» [عدد ١٨:٢٤] فالنص الأول يبين أن العشور للكهنة، والنص الثاني يبين أن العشور للاويين. والدليل على أن أقداس الرب تصل إلى الكهنة بني هرون، قوله: «وقال الرب لهرون: وهأنذا قد أعطيتك حراسة رفائعي مع جميع أقداس بني إسرائيل. لك أعطيتها حق المسحة، ولبنيك: فريضة دهرية. هذا يكون لك من قدس الأقداس» [عدد ١٨: ٨ - ٩].

وقد جاء في سفر التثنية: أن العُشر لا يخص الحبوب والثمر وما تحت العصا فقط بل «عشر حنطتك وخمرك وزيتك وأبكار بقرك وغنمك» وأن الأكل من العشر جائز أمام الرب، في المكان الذي يختاره مستقبلاً «وتأكل أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره ليحل اسمه فيه» وأنه إذا طال الطريق ولا يقدر اليهودي على الحمل، يبيع العشر وينفق الثمن في كل ما لذ وطاب، ولا ينسى أن يعطي اللاوي نصيباً، ففي سفر التثنية: «إذا كان بعيداً عليك المكان الذي يختاره الرب إلهك ليحل اسمه فيه. إذ يباركك الرب إلهك فبعه بفضة، وصر الفضة في يدك. واذهب إلى المكان الذي يختاره الرب إلهك. وأنفق الفضة في كل ما تشتهي نفسك في البقر والغنم والخمر والمسكر، وكل ما تطلب منك نفسك. وكل هناك أمام الرب، وافرح أنت وبنيك، واللاوي الذي في أبوابك» [تث ١٤ : ٢٢ - ٢٧]

أليس في هذا تناقض؟ من قدس لا يفك ولا يستبدل، إلى إنفاق في المسكر وكل ما تشتهي النفس. لكن ما غرض الكاتب من هذا؟

الكاتب يعلم: أن بركة الأمم في بني إسحق، قد أوشكت على الزوال، وأن بركة الأمم في بني إسماعيل، قد اقترب أوانها. وأن مراسيم الأعياد وطقوس الكهنة ستزال

بنسخ الشريعة. فلذلك يقول لليهود: إذا تمسكتم وقتئذ بشريعة موسى ورفضتم الدخول في ملك بني إسماعيل ونبوة النبي الآتي منهم. فاعملوا كما بينت لكم. وهذا من الذي عرضه «عزرا» على وجهاء الشعب يوم أن رجع من بابل مع «نحميا» الكاهن. و«متثيا» و«شمع» و«عنايا» و«أوريا» وغيرهم.

المثال الرابع والعشرون: «وقال الرب لموسى عدّ كل بكر ذكر من بني إسرائيل من ابن شهر فصاعداً.. فكان جميع الأبكار الذكور بعدد الأسماء من ابن شهر فصاعداً المعدودين منهم: اثنين وعشرين ألفا ومئتين وثلاثة وسبعين» [عدد ٣: ٤٣] فإذا كان التعداد / ٦٠٣٥٥٠ للجميع فيجب أن يكون عدد الأبكار بالتقدير العقلي أكثر من ٢٢٢٧٣ .

المثال الخامس والعشرون: اعترض على سفر العدد بنتيجة الإحصائين: الإحصاء في برية سيناء، والإحصاء في عربات موآب. وبين الإحصائين ما يزيد على ثمان وثلاثين سنة. إذ كان ينتظر من زيادة بني إسرائيل في مصر، أن يزيدوا على نسبتها في البرية. وكانت النتيجة العكس. والإحصاء في المرتين هكذا:

الأسباط	الإحصاء الأول (عدد ٣)	الإحصاء الثاني (عدد ٢٦)
راوبين	٤٦٥٠٠	٤٣٧٣٠
شمعون	٥٩٣٠٠	٢٢٢٠٠٠
جاد	٤٥٦٥٠	٤٠٥٠٠
يهوذا	٧٤٦٠٠	٧٦٥٠٠
يساكر	٥٤٤٠٠	٦٤٣٠٠
زبولون	٥٧٤٠٠	٦٠٥٠٠
أفرايم	٤٠٥٠٠	٣٢٥٠٠
منسى	٣٢٢٠٠	٥٢٧٠٠
بنيامين	٣٥٤٠٠	٤٥٦٠٠
دان	٦٢٧٠٠	٦٤٤٠٠
اشير	٤١٥٠٠	٥٣٤٠٠
نفتالي	٥٣٤٠٠	٤٥٤٠٠
المجموع	٦٠١٧٣٠	٦٠٣٥٥٠
لاوي	٢٣٠٠٠	٢٢٠٠٠

وبغض النظر عن الإحصاء الثاني إذ ربما يدفع بأن في مدة التيه قد هلك الكثيرون.
فإذا قال قائل بأنه في مدة الـتيه قد هلك الكثيرون. فإننا نجيب بأن مـدة التيه تشبه في قسوتها قسوة آل فرعون. فـلماذا زاد بنو إسرائيل في قسوة آل فرعون، ولم يزيدوا في سنوات التيه؟

ونقول في الإحـصاء الأول: إنه غلط. وهذا هو النص الذي ذكـره الكاتب: «هؤلاء هم المعدودون الذين عدهم موسى، وهارون، ورؤسـاء إسرائيل اثنا عشر رجلاً، رجل واحد لبيت آبائه، فكان جميع المعـدودين من بني إسرائيل حسب بيوت آبائهم من ابن عشـرين سنة فصـاعداً. . . كل خارج للحـرب في إسرائيل، كـان جمـيع المعدودين: ستـمائة ألف، وثلاثة آلاف، وخـمس مائة، وخمـسين. وأما اللاويون حـسب سبط آبائهم فلم يعدُّوا بينهم» [عـدد ١: ٤٤ - ٤٧] والمفهوم من هذا النص: أن من هو أقل من العشرين لم يعد، وأن اللاويين أيضاً لم يعدوا. **وهذا خطأ لوجوه:**

الأول: أن عدد بني إسرائيل من الـذكور والإناث حين ما دخلوا مصر كـان سبعين [تـك ٤٦: ٢٧] ومدة إقامة بني إسرائيل في أرض مصر، كانت مائتين وخمس عشرة من السنين، وقـد جاء في سـفر الخروج: أن فـرعون مـصر كـان يذبح أبناءهم ويستـحي نساءهم فكيف يزيد بنو إسرائيل إلى هذا العدد؟

الثـاني: يبعـد أن يكثـر اليهـود إلى هذا الحد، ولا يكـثر المصـريون مع راحتـهم وغنائهم. وإذا كان خـبر كثـرة اليهود صحـيحاً، فلمـاذا لم يدفعوا عن أنفـسهم ظلم فرعون؟

الثالث: يعلم من (الخروج ١٢) أن بني إسرائيل كان معهم المواشي العظيمة من الغنم والبقر، ومع ذلك صرح في هذا السفر بأنهم عبروا البحر في ليلة واحدة، وأنهم كانوا يرتحلون كل يوم، وكـان يكفي لارتحالهم الأمـر الشفهي من مـوسى. وهذا يدل على قلة عددهم.

الرابع: أنه لابد أن يكون موضع نزولهم وسـيعاً جداً، بحيث يسع كثـرتهم وكثرة مواشيهم، وحوالي طور سيناء وكـذلك حوالي اثنى عشر عينا في إيليم [خـر ١٥: ٢٧] ليس كذلك.

الخامس: يقول موسى لليهود: «ولكن الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلاً قليلاً، لا تستطيع أن تفنيهم سريعاً، لئلا تكثر عليك وحوش البرية [تث ٢٢:٧] وقد ثبت أن طول فلسطين كان بقدر مائتي ميل وعرضه بقدر تسعين ميلاً. فلو كان عدد بني إسرائيل قريبًا من ألفي ألف وخمسمائة ألف، وكانوا متسلطين على فلسطين مرة واحدة بعد إهلاك أهلها، لما كان يكثر عليهم دواب البر، لأن الأقل من هذا القدر يكفي لعمارة المملكة التي تكون بالقدر المذكور. ولذلك أنكر «ابن خلدون» أيضاً هذا العدد في مقدمة تاريخه. وقال «الذي بين موسى وإسرائيل: إنما هو ثلاثة آباء على ما ذكره المحققون ويبعد أن ينشعب النسل في أربعة أجيال إلى مثل ذلك العدد»[1]

وذكر في الإحصاء الثاني: أن اللاويين ٢٢٠٠٠ وذكر في الإحصاء الأول أن اللاويين ٢٣٠٠٠ وبغض النظر عن الثاني. فإن الأول غلط يقينا والذي ذكر بالتفصيل إذا جمع يكون ٢٢٣٠٠ فإن عشائر الجرشونيين ٧٥٠٠، وعشائر القهاتيين ٨٦٠٠ والمراريون ٦٢٠٠ فالمجموع ٢٢٣٠٠ يقول الكاتب: «جميع المعدودين من اللاويين عدَّهم موسى وهرون حسب قول الرب بعشائرهم كل ذكر من ابن شهر فصاعداً اثنان وعشرون ألفا» [خر ٣٩:٣] ويقول: «وكلم الرب موسى في برية سيناء قائلاً: عد بني لاوي حسب بيوت آبائهم وعشيرتهم. كل ذكر من ابن شهر فصاعداً تعدهم. فعدهم موسى حسب قول الرب كما أمر وكان هؤلاء بني لاوي بأسمائهم: جرشون وقهات ومراري. . . هذه هي عشائر الجرشونيين، المعدودون منهم بعدد كل ذكر من ابن شهر فصاعداً. المعدودون منهم سبعة آلاف وخمس مئة. . . هذه عشائر القهاتيين بعدد كل ذكر من ابن شهر فصاعداً ثمانية آلاف وست مئة. . . هذه هي عشائر مراري والمعدودون منهم بعدد كل ذكر من ابن شهر فصاعداً ستة آلاف ومئتان» [خروج ١٤:٣ - ٣٥]

المثال السادس والعشرون: في سفر العدد عن رحلات بني إسرائيل في سيناء بعد خروجهم من مصر: اختلاف عن ما جاء في سفر التثنية. نذكر منه ما يلي:

(١) الكتاب الثاني. نقلاً عن «إظهار الحق» لرحمت الله الهندي.

تثنية ١٠: ٦ - ٧	عدد ٣٣: ٣٠ - ٣٣
ارتحل بنو إسرائيل من آبار بني يعقان إلى موسير، وفي موسير مات هرون ودفن ومن موسير إلى الجد جاد. ومن الجد جاد إلى يطبات.	ارتحل بنو إسرائيل من حشمونة إلى مسيروت ومن مسيروت إلى بني يعقان ومن بني يعقان إلى حور الجد جاد. ومن حور الجد جاد إلى يطبات. ثم نزلوا في جبل حور وفيه مات هرون.

والتوراة اليونانية متفقة مع العبرانية في هذا الشأن. والتوراة السامرية كتبت بعد التثنية ١٠: ٦ - ٧ الآيات من ٣٤ - ٣٧ في سفر العدد ٣٣ أي أن النص في السامرية هكذا: «وبنو إسرائيل ارتحلوا من مسيروت، ونزلوا في بني يعقان. من هناك رحلوا ونزلوا في جذ جذه. ومن هناك رحلوا ونزلوا في يطبته، أرض ذات أنهار. من هناك رحلوا ونزلوا في عبرة.

ومن هناك رحلوا ونزلوا في عصيون جابر. ومن هناك رحلوا ونزلوا في برية صان. هي قادش. من هناك رحلوا ونزلوا في جبل هور. ومات هناك هرون الإمام. وأم العازر ابنه، عوضاً عنه»

المثال السابع والعشرون: ١ - التعبير بعبر الأردن يفيد دخول بني إسرائيل أرض كنعان عن طريق اجتياز نهر الأردن. يقول موسى لله عز وجل: «دعني أعبر وأرى الأرض الجيدة التي في عبر الأردن» ثم يقول لليهود: «لكن الرب غضب عليّ بسببكم ولم يسمع لي، بل قال لي الرب: كفاك. لا تعد تكلمني أيضاً في هذا الأمر... لا تعبر هذا الأردن، وأما يشوع فأوصه وشدده وشجعه لأنه هو يعبر أمام هذا الشعب» [تث ٣: ٢٥ - ٣٨] ومن هذا النص يفهم أن موسى لم يعبر الأردن. وحين يقول الكاتب «في عبر الأردن، في أرض مؤاب، ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة» [تث ١: ٥] يثبت أن موسى عبر الأردن. وإن لم نقل إنه يقصد بعبر الأردن: أنه في صحراء سيناء في بر الأردن، فهذا تناقض بيِّن. وإذا ما قيل: إن التعبير بعبر الأردن يفيد جهة الغرب وجهة

الشرق، بدليل إفـادته الشرق في (قضـاة ١٧:٥ / ٢٥:٧ / ١٠: ٨ تك ٥٠: ١٠ - ١١ عدد ١:٢٢ تثنيــة ١:١، ٥ / ٤١:٤، ٤٦ - ٤٧،٤٩) وإفـادته الغـرب في (تث ٣: ٢٠، ٢٥ / ١١: ٣٠) وأن هذه الآية صـريحة في أنه عـبـر الأردن للغرب والشـرق وهي: «أننا لا نملك معهم في عبر الأردن، وما وراءه، لأن نصـيبنا قد حصل لنا في عبر الأردن إلى الشرق (عدد ١٩:٣٢) إذا ما قيل هذا، لزم القول بوجود مصدرين يرجعان إلى عصرين مخـتلفين، والكاتب نقل منهـما بدون تمحـيص وتدقيق. ولو كـان ذكيّـاً لكتب «إلى الشرق» أو «إلى الغرب» عقب كل كلمـة فيها «عبر الأردن» ليحدد قـصده، غرباً كان قصده أم شرقاً.

المثال الثامـن والعشرون: (نظرية المصادر الجديدة): يهوه - إلـوهيم: كلمتان، هما بمعنى واحد. أي الله عز وجل.

وقد وردت آيات كثيرة تتحدث عن الله باسم: «يَهْوَه» وآيات كثيرة تتحدث عن الله باسم: «إلوهيم» لذلك يطلق على آيـات الموضع الأول: المصدر اليَهْـوِي، وعلى آيات الموضع الثاني: المصدر الإلوهيمي.

والمصدر الأول: يبـتدئ بسفر التكوين ٢: ٤ ويـشتمل على التشـريعات الواردة في سفـر الخروج ٣٤: ١٤ - ٢٦ ويحتـوي أيضاً على كـثير من أخـبار التـاريخ القديم، ويتميـز طابعه بالحث على مكارم الأخلاق. ويعتـبر صورة من صور الحيـاة الإسرائيلية البدائية القديمة، التي لم تتأثر بعادات أهل كنعان المتحضرة والمتمدنة.

أما المصـدر الثاني: فهـو يشمل من المصدر الأول التكويـن ١٥ وغزو فلسطين في سفر يشوع، وربما تتبعه الوصايا العشر (خروج ٢٠) وكذلك كتاب العهد (خروج ٢١ - ٢٣) واستعمال هذا المصدر لفظ «إلوهيم» عـوضاً عن «يهوه» يدل على اتجاه جديد في العقيدة الدينية، وفـيه ورد ذكر يوسف عليه السلام كجد أكبـر لقبيلتي أفرايم ومنسى. وهما قبيلتان شماليتان. من يهود المملكة الشمالية «السامرية» وهذا يرجح أنه كتب في المملكة الشمالية. ويرجح كتـابة المصدر الأول في المملكة الجنوبية مملكة أورشليم: ذكر مدينة الخليل الآن (حبرون) وذكر يهوذا ابن يعقوب (تك ٣٧) وقداسة (شكيم) و(بيت إيل) (تك ١٢ / ٢٨).

أما المصدر الثالث: فـهو (التثنية) وغاية هذا السفر: تركيـز عبادة «يهوه» في مكان خاص. أي أورشليم (تث ١٢) بعد أن كانت غير معينة بمكان خاص، والقضاء على نوع العبـادات التي كانت مـنتشرة في الأمـاكن المرتفعـة، والتي هي في الأصل عـبادات كنعانية وإحلال عبادة «يهوه» محلها.

والمصدر الرابع: شـريعة الأحبـار: وهو مجمـوعة من الشرائع والطقـوس الدينية للأحبار، وهو لمؤلفين متعددين، ويدل على ذلك تنوعـه، واختلافه. إذ يذكر الخبر في موضع، ونقيـضه في موضع آخر (نقـارن مثلاً :سفر الـعدد ٤ :٣ مع ٨ :٢٤) حيث عرض المصدر لأعـمار الخدمة من بني لاوي. ويظن أن هذا المصـدر من أقدم المصادر التي لدينا للتوراة. كما أنه وضع الأساس لعبادة «يهـوه» والخدمة في المعبد الذي أقامه عزرا، بعد أن خرب المعبد القديم، وسبي اليهود عام ٥٨٦ ق.م.

ونظرية المصـادر هذه نادى بهـا: هرمن هوبفلد Herman Hupfeld عـام ١٨٥٣م وهي جاءت بعد نظرية الـتكملة ومعناها: أنه كانت في الأصل نسخـة للتوراة، قديمة، واضيفت إليها فصول أخرى من مراجع مـختلفة، ومن أصحابها: مارتين ليبرشت ده فته Mart Leberecht - هيتريش أفالد H. Ewald. ونظرية التكملة جاءت بعد نظرية الفصول أو المراجع القديمة: ومن أهم أنصارها: اسكندر جديس Al - Geddes ١٧٣٧ - ١٠٨٢ وقد نشـر عام ١٨٠٠ نقده المشـهور (ملاحظات نقـدية) في نهاية ترجمـته للكتـاب المـقـدس، وقـد أنكر الوحي في الكتاب، كـمـا أنكر تأليف موسى لهـذه التوراة [١] .

وقد لخص «ول. ديورانت» في قـصة الحضـارة ما توصل إليـه الباحثـون في شأن التوراة في قـوله هذا: «كيف كتبت هذه التـوراة؟ ومتى كتبت؟ ذلك سـؤال كتب في الإجابة عـنه آلاف المجلدات. ولكن يجب أن نفرغ منه هنـا في فقرة واحـدة: وهي أن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كـتب من أسفار التوراة هو سفر التكوين. وقد كتب بعضـه في يهوذا، وبعضه في إسـرائيل، ثم تم التوافق بين ما كـتب هنا وهناك. بعد

(١) التوراة عرض وتحليل ص ٢٧ - ٣٠ - رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٣ - ٢٤ ولكي يتبين لك بوضـوح معـاني يهوه والوهيم اقـرأ التـوراة باللغة الإنجليـزية The Jerusalem Bible Alex-andre.

سقوط دولتي اليهـود. والرأي الغالب: أن سفر التثنية من كتابة عـزرا، ويبدو أن أسفار التوراة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالي ٣٠٠ ق.م»[١]

ثانياً: الكاتب:

ومن عبـارة «ول. ديورانت» وهي: «أن سفر التثنـية من كتابة عـزرا» يتبين أن الذي حرَّف التوراة عمداً في «بابل» من بعد سنة ٥٨٦ ق.م هو «عزرا» الذي جاء ذكره في القرآن الكريم بـاسم «عزير» و«عزير» ليس بنبـي كما هو الشـائع عند بعض المسلمين الذين قالوا: عزير تصغير عزرا. وهو اسم نبي مختلف على نبوته. والحق: أن الله صغر اسمه احتقاراً لشأنه، ولئلا يكون معادلاً للمسيح النبي الذي قال النصارى عنه إنه ابن الله. والقائلـون بأن عزرا هو ابن الله من اليهـود: هم اليهـود الذين كانوا معـاصرين لعزرا، لأنهم لما رأوه قد كـتب التوراة على ما تهوى أنفسـهم، عظموه ووقروه. وكل اليهود إلى يومنا هذا يعظمونه ويوقرونه ويقولون: هو ابن الله، كما قال المعاصرون له وسيظل تعظيم اليهود لعزرا ما بقيت التوراة في الأرض. وهم لا يقصدون أنه ابن الله بالطبيعة كما يقول الكاثوليك والبروتستانت في بنوة المسيح لله عز وجل. وإنما يقولون هو ابن بمعنى القرب والمحبة، كسائر بني إسرائيل. فإن كل يهودي يقول: إنه ابن الله. ولكنهم يميزون عزرا عنهم بأن الله يحبه أكثر منهم. ولأن الله يحبه أكثر منهم، اختاره من بينهم ليلقنه التوراة. ففي سـفر التثنية يقول الله تعالى - كمـا كتبوا -: «أنتم أولاد للرب إلهكم» [تث ١٤:١] وفي سفر الزبور: «أنا قلت: إنكم آلهة، وبنو العليّ كلكم (مز ٨٢:٦) وفي إنجيل يوحنا: «وأمـا الذين قبلوه، فأعطاهم سلطانا أن يصـيروا أولاد الله. أي المؤمنون باسمه» [يو ١:١٢].

وعزرا هذا الذي حرف التـوراة عمداً - ويستحق اللـعنة - هو الذي جاء ذكره في القرآن باسم «عزير» فـي قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ وقد قـال بذلك الشيخ ابن قيم الجوزية في «إغاثة اللهـفان» وقال صاحب «الفكر الديني الإسرائيلي»: «أن عزرا يقابل عزيرا عند العرب»[٢] وفي دائرة المعارف العبرانيـة العامة: «إن العرب

(١) ص ٣٦٧ ج ٢ قصة الحضارة.

(٢) الفكر الديني الإسرائيلي ص ٢٣ طبعة القاهرة ١٩٧١ .

يعرفون عزرا باسم العزير»

وقد جاءت في القرآن الكريم قصة رجل مرّ هو وحماره على قرية وهي خاوية على عروشها فقال بعض المفسرين إن هذا الرجل هو عزرا كاتب التوراة. وفي علمنا أن ليس هو عزرا. **ففي التلمود قصة لرجل اسمه «حوني» شبيهة بقصة الذي مر على القرية. وهي:**

أن «حوني» كان يفكر في أنه هل من الممكن أن يحلم المرء مدة سبعين عاماً؟ وفي يوم من الأيام وهو سائر في الطريق رأى رجلاً يزرع شجرة «خروب» فسأله حوني: متى تثمر هذه الشجرة؟ فقال له بعد سبعين عامًا فقال له: هل ستعيش حتى تأكل منها فقال له: آباؤنا زرعوا فأكلنا، ونحن نزرع لأبنائنا كما زرع لنا آباؤنا. ثم قعد على الأرض ونام. فأماته الله تعالى. وحملت الرياح بعض الصخور وجاءت بها حواليه فأخفته عن العيون. وبعد سبعين عاماً، أحياه الله تعالى. ونظر إلى الخروب. ورجل يقطف ثماره، فقال له: أأنت الزارع لهذا الخروب؟ فقال له: لقد زرعه جدي. وأدرك «حوني» على الفور أنه مات سبعين عاماً.

وفي كتب السريان أن الذي مر على القرية هو «أبيمالك» تلميذ «إرمياء»، النبي - وهو الصحيح - والقرية التي مر عليها هو وحماره هي مدينة «القدس» التي خربها «نبوخذ نصر» - ملك بابل - سنة ٥٨٦ ق.م. كما هو واضح من القصة في كتب السريان. وظلت ميتة إلى رجوع اليهود من «بابل» إلى هنا نقف ونقول:

١ - إن المدة من خراب أورشليم إلى رجوع اليهود من بابل هي سبعون سنة. كما في سفر إرمياء.

٢ - ولما رجع اليهود من بابل ووجدوا أورشليم خربة. ابتدأوا في عمارتها. ومن الابتداء إلى الانتهاء من عمارتها هي مدة مائة عام.

لاحظ: المدتين. الأولى مقدارها سبعون والأخرى مقدارها مائة عام.

فانظر على هذا الذي قلته في القرآن الكريم واسأل نفسك. أي المدتين يقصد القرآن بمائة عام؟ هل المدة الأولى. وفي هذه الحالة يصح لهم ما اختلفوا فيه أم المدة الأخرى. وفي هذه الحالة يكون القرآن مقرًا لما عندهم فيها؟

وليلاحظ ما يلي عن المدتين:

(أ) أن اليهود يدعون أنهم بقوا في السبي سبعين عاماً كما جاء في سفر «إرمياء»

(ب) أن «كوروش» ملك فارس، سمح لهم بالعودة بعد السبعين عاماً (عز ١:١) وهو كان قد هزم مملكة بابل سنة ٥٣٩ ق.م.

(ت) وفي سفر نَحَمْيا ما يناقض رواية عزرا. فإن نحميا يقول: إنه سأل عن حالة اليهود الذين بقوا من السبي في أورشليم، وعن أورشليم «فقالوا لي: إن الباقين الذين بقوا من السبي هناك في البلاد، هم في شر عظيم وعار، وسور أورشليم منهدم وأبوابها محروقة بالنار» (نح ١:٣) وعقب هذا طلب من الملك «أرتحششتا» في شهر نيسان في السنة العشرين لملكه أن يسمح له بأن يعود إلى أورشليم ليبنيها. (نح ٢:٥) وسمح له الملك «أرتحششتا» ولما عاد ليبني المدينة قاومه السامريون والعرب ومنعوه من البناء، وطلبوا من «أرتحششتا» أن يمنع نحميا والذين معه من عمارة القرية، فمنعهم الملك (عز ٤:٢١) وظل العمل متوقفاً إلى السنة الثانية من ملك داريوس ملك فارس (عز ٤:٢٤).

(ث) ثم إن «أرتحششتا» كتب إلى عزرا الكاهن كاتب شريعة إله السماء الكامل أن يرجع إلى أورشليم بمن يريد أن يرجع معه من اليهود، فرجع (عز ٧:١٢) وبنى المدينة «وسكن رؤساء الشعب في أورشليم والفي سائر الشعب قديمًا، ليأتوا بواحد من عشرة للسكنى في أورشليم مدينة القدس، والتسعة الأقسام في المدن، وبارك الشعب جميع القوم الذين انتدبوا للسكنى في أورشليم» (نح ١١:١ - ٢).

ومن هذه الملاحظات يتبين أن بناء القرية لم يكن عقب إذن كورش مباشرة - كما في سفر عزرا - فهل كان في السنة العشرين من ملك أرتحششتا؟ وأن البناء لم يتم عقب صدور الأمر من أرتحششتا، لأنه توقف في السنة الثانية من ملك داريوس الذي هو دارا. فليحسب الحاسبون المائة عام على هذه الملاحظات، وعلى هذه الملاحظة أيضاً، وهي أنه يقال: إن ثلاثة ملوك حكموا فارس تحت اسم أرتحششتا: الأول: حكم من سنة ٤٦٥ ق.م إلى سنة ٤٢٤ ق.م والثاني: وهو ابن داريوس الثاني حكم من سنة ٤٠٥ ق.م إلى سنة ٣٥٨ ق.م والثالث: حكم من سنة ٣٥٨ ق.م إلى سنة ٣٣٨ ق.م.

ليحسب الحاسبون من أيام نبوخذ نصر إلى أيام «الذين انتدبوا للسكنى في أورشليم» سائلين أنفسهم: هل المائة عام إلى أول زمان كورش أم إلى العشرين سنة من أيام أرتحششتا؟ وملاحظين أن موضوع سفر عزرا، هو نفسه موضوع سفر نحميا[1]. ولا يمكن أن تكون المائة عام إلى أيام كورش. لأن العمل قد توقف في أيام داريوس. ولأن التاريخ الميلادي مشكوك في بدئه، قيل بعشر سنين أو بثمان أو أقل أو أكثر.

ونص كلام مفسري التوراة عن المدة الثانية هو:

«ويروى القسم الثاني من كتاب عزرا: أن الملك أرتحششتا أرسل الكاهن عزرا إلى أورشليم بعد مئة سنة من إعادة بناء الهيكل؛ فأنعش الإيمان، وقام بإصلاح ديني في هذه المدينة فصل ٧ - ١٠» [مقدمة سفر عزرا - دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط]

وليس هنا محل هذا البحث. وقد كتبنا ما كتبنا، لنبين أن كاتب التوراة هو عزرا الذي جاء ذكره في القرآن باسم عزير، وأنه ليس نبياً ولا ولياً، بل كان من العلماء الفاسقين الذين حرفوا كلام الله من بعدما عقلوه وهم يعلمون. وليس هو الذي مر على القرية وهي خاوية على عروشها.

وقال يوسيفوس إنه مات في مدينة القدس. وقال آخرون إنه مات في قرية بالعراق تسمي «العزير» إلى هذا اليوم. وإجماع العلماء على أنه كان في القدس بعد الرجوع إليها من بابل. لكن هل بقي فيها إلى أن مات، أم خرج منها إلى فارس وهلك في الطريق؟ هذا هو محل الخلاف. والمرجح هو الرأي الثاني.

ولئن قيل: إن الذين رمموا الهيكل وأعادوا بناء سور أورشليم وعمروها، هم اليهود الذين كانوا فيها وليسوا هم اليهود العائدين من بابل - فإن ملك بابل لم يسب اليهود كلهم، بل ترك الفلاحين والكرامين من اليهود في فلسطين - فإن هذا القول يرده إجماع المؤرخين الذين استقوا معلوماتهم من سفري عزرا ونحميا. ويرده أن الملك كان مع الراجعين، ولم يكن مع المقيمين ملك.

* * *

(١) الكتب التاريخية في العهد القديم - الدكتور كامل مراد - طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨ .

ومما هو جدير بالذكر هنا:أن سفري عزرا ونحميا ينصان بصراحة ووضوح على أن الراجعين من بابل قد سنوا شرائع جديدة، وهذا يؤكد أن كتاب موسى عليه السلام قد حرف في ذاك الزمان.ومن هذه الشرائع ما يلي:

١ - «**أن لا نعطي بناتنا لشعوب والأرض لا نأخذ بناتهم لبنينا**» [نح ١٠:٣٠] **أي أن** الدين اليهودي صار لليهود فقط.

٢ - «وأقمنا على أنفسنا فرائض: أن نجعل على أنفسنا ثلث شاقل كل سنة لخدمة بيت إلهنا... إلخ» [نح ١٠:٣٢]

الفصل الثامن
في
مقارنة بين التوراة العِبرانية والسامرية

أ - «في سنة ١٥٨٤ ميلادية عثر العلامة (سكاليجر) في القاهرة على تقويمين للسامريين كما وجد في غزة مخطوطات خاصة بهم، فوضع على إثر ذلك أول رسالة علمية في السامرة وتاريخها وتقاليدها، وبعده بربع قرن نشر عالم إيطالي النص الأصلي لنسخة التوراة الأصلية، كان قد عثر عليها في دمشق؛ فأثار نشرها اهتمام المحققين، وكتبوا عنها البحوث المطولة، ولا يزال النقّابون يعثرون بين حين وآخر على آثار وكتابات سامرية قديمة فيها ما يلقي ضوءاً جديداً على تاريخ هذه الطائفة التي استطاعت أن تحافظ على كيانها أكثر من عشرين قرناً» (١)

ب - وطالب «أردني» يدرس في الكلية الحربية بمصر، ويحضر إلى مسجد الكلية الذي أخطب فيه الجمعة، طلبت منه أن يحضر لي توراة السامريين إذا رجع إلى بلده، ولما رجع وعاد أعطاني مخطوطة التوراة السامرية التي ترجمها الكاهن السامري أبو الحسن إسحق الصوري. ولما قرأتها وجدت فيها اختلافات من التي ذكرها «ليكلرك» بينها وبين العبرانية ومن الاختلافات التي ذكرها مؤلف إظهار الحق - رحمه الله - ومما ذكره أيضاً مؤلف الفِصَل في الملل والآراء والنحل، ومؤلف الجواب الصحيح. فعقدت العزم على نشرها والتعريف بها بعدما أفرغ من الحصول على الدكتوراه.

(١) ص ١٩٠ رحلة بنيامين.

وسأذكر فروقاً يتم بها الغرض، وغـرضنا أن علماء بني إسرائيل في «بابل» قد حرفوا التوراة عمداً، ونادوا بالصهيونية دينا لإذلال الأمم. وقد كانوا من قبل هداة:

المثال الأول: في العبرانية «وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع» [تك ٢:٢] وفي السامرية: «وكمل الله في اليوم السادس صناعته التي صنع».

المثال الـثاني: جاء في التوراة السامرية: أن الزمـان من آدم إلى طوفان نوح عليهما السلام ألف وثلثمائة وسـبع سنين. وفي العبرانية: ألف وستمـائة وست وخمسون سنة [تك ٥:٣ – ٢٨] ذلك أن العبرانية جعلت عمر يارد ١٦٢، وعمر متوشالح ١٨٧ وعمر لامك ١٨٢ وفي السامرية عمر يارد ٦٢، وعمر متوشالح ٦٧ وعمر لامك ٥٣ سنة.

المثـال الـثـالث: أن الزمان من طوفـان نوح إلى ولادة إبراهيم عليهمـا السلام في السامرية: تسعـمائة واثنتان وأربعون سنة، وفي العبرانية: مائتـان واثنتان وتسعون سنة [تك ١١:١٠ – ٢٦]

المثـال الرابع: أن المدة التي أقامها اليهود بمصـر ٢١٥ في السامرية، وفي العبرانية عبارة تفيد ٤٠٠ سنة وعبارة أخرى تفيد ٤٣٠ [تك ١٥: ١٣ – ١٦ خروج ١٢:٤٠] واليهود القراؤون يعتبرون المدة مائتا سنة وعشر سنين.

يقول أبو الفتح بن أبي الحسن الســامري ما نصه: «من حين خلق الله آدم (عم) [١] إلى حين دخول بني إسرائيل أرض كنعـان ألفا سنة. وسبعمائة سنة، وأربـعة وتسعون سنة. مـسـتـفاد ذلك من التـوراة المقـدسة، وهو أن من آدم إلى الطوفـان ألف سنة، وثلاث مـائة سنة وسبع سـنين، تفصـيل ذلك: من آدم (عم) إلى مـولد شيت مـائة وثلاثون سنة، ومن شـيت إلى آنوش مـائة وخـمسـون سنة، ومن آنوش إلى قـينان تسعـون سنة، ومن قينان إلى مهـالئيل سبعـون سنة، ومن مهالئـيل إلى يارد خمس وستـون سنة، ومن يارد إلى حنوك اثنتـان وستون سنـة، ومن حنوك إلى متـوشالح خمس وستون سنة، ومن متوشالح إلى لامك سبع وستون سنة. ومن لامك إلى نوح ثلاث وخمسون سنة.

---

(١) رمز: عليه السلام.

ومن نوح إلى الطوفان ستمائة سنة، فهذه هي الجملة المعينة إلى الطوفان، ومن الطوفان إلى خروج إبراهيم (عم) من حاران ألف سنة، وسبع عشرة سنة. وهم أن شم أولد أرفكشاد لسنتين بعد الطوفان، ومن أرفكشاد إلى شالح مائة وخمس وثلاثون، ومن شالح إلى عير مائة وثلاثون سنة، ومن عير إلى فالج مائة وأربع وثلاثون، ومن فالج إلى رعو مائة وثلاثون سنة، ومن رعو إلى سروج مائة واثنتان وثلاثون سنة، ومن سروج إلى ناحور مائة وثلاثون سنة، ومن ناحور إلى تارح تسع وسبعون سنة، ومن تارح إلى إبراهيم (عم) سبعون سنة، ومن إبراهيم إلى خروجه من حاران خمس وسبعون سنة، فهذه الجملة المعينة إلى حين خروج إبراهيم (عم) من حاران.

ومن خروجه من حاران إلى خروج بني إسرائيل من مصر. وهي مدة مقامهم بأرض كنعان وبأرض مصر: أربعمائة سنة وثلاثون سنة. والدليل على صحة ما عندنا: أن مقامهم بأرض كنعان كان نصف المدة وهو مائتا سنة وخمس عشرة سنة، تفصيلها مستفاد من الشرع الشريف. لأن إبراهيم (عم) لما رزق إسحق كان عمره مائة سنة، ومن إسحق إلى مولد يعقوب ستون سنة، ومن يعقوب إلى دخوله مصر مائة سنة، فهذه هي نصف الجملة. ومدة مقامهم بأرض مصر لتتمة المدة الجملة المعينة في الشرع الشريف مائتا سنة، وخمس عشرة سنة. لا يلزموا المخالفين لكن فساد ما جاء عندهم ظاهر لا خفاية» (١)

واليهود القراؤون يعتبرون المدة ٢١٠ سنوات يخالفون بذلك العبرانية والسامرية. فقد كتب الحاخام طوبيا ليفي بابو فيتش ما نصه: «جاء في التوراة (وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربعمائة وثلاثين) [خروج ١٢: ٤٠] والواقع: أن بني إسرائيل مكثوا في مصر ٢١٠ سنوات كما قال العلماء وتأييداً لهذا الرأي: أن أربعة أجيال، وهم لاوي (ليفي) قهات، عمرام، موسى. لا يمكن أن تكفي لإتمام ٤٣٠ سنة، بل إن جملة هذه السنين هي التي سكن فيها بنو إسرائيل أرض كنعان وأرض مصر. وإليكم حسابها: خمس سنوات مكثها أبونا إبراهام في مدينة حاران، على

(١) ص ٦ - ٧ التاريخ مما تقدم عن الآباء.

حــدود كنــعان. وخمــس وعــشرون سنة مــرت عليــه قبل أن يرزق بإســحق. فالمجمــوع ثلاثــون سنة، وكــان عمر أبينا إســحق ستين سنة، عندمــا رزق بولديه عســاف (عيســو) ويعقوب. ومــائة وثلاثون سنة عمــر أبينا يعقــوب عند وصوله إلى مصــر. جملة المدة ٣٠ + ٦٠ + ١٣٠ = ٢٢٠ سنة هي جملة السنين التي مكثــها بنو إسرائيــل قبل دخول مــصر، يتــبقى من جــملة ٤٣٠ التي نوهت عنهــا التوراة ٢١٠ سنوات» [١] .

المثال الخامس: في الــتوراة العبرانية «حين تعــبرون الأردن تقيمــون هذه الحجارة، التي أنا أوصيكم بها اليوم في جبل عيبال، وتكلسها بالكلس» [تث ٢٧:٤] وفي التوراة السامرية بدل كلمــة «عيبال» كلمة «جــرزيم» وهما جبلان في أرض فلسطين عــبر نهر الأردن. ومعنى النــص- وهو محرف لإبعــاد الحج عن الكعبــة في مكة-: أن يبني بنو إســرائيل مــسجــداً مــقــدســاً للحج في أرض كنعــان. إمــا في عــيبــال وإمــا في جرزيم. ويكلسوه بالكلس أي يجعلوا السطح أملس مستــوياً للتمكن من كتابة الشريعة عليها، يقول مفــسرو التوراة: «وغاية تشييد الحجارة أن يجعل سطحــها أملس مستوياً للتمكن من كتابة الشريعة عليها. ولــم يذكر ما ترجم «بالشيد» هنا إلا هنا وفي إشعياء ٣٣ : ١٢ وعاموس ٢:٢ وترجم في كل من إشعياء وعاموس بالكلس»[٢]

ويهــود أورشليم يعتــبرون عيــبال مكاناً مقدســاً، وقد بنوا عليه هيكل سليــمان، ويهــود السامـــرة، يعتبــرون جــرزيم مكاناً مقدســاً، وقد بنوا عليــه هيكلاً يضارع هيكــل سليمــان في الفــخامــة والعظمــة، وكل فريق يتجه في صــلاته وحجه إلى جهة هيكله المقدس، ويعــتبر ما عداه باطلاً. وظل الحال كذلك حتى جــاء عيسى عليه السلام فسألته امرأة من يهود الســامــرة قائلة: «آباؤنا سجدوا في هذا الجبل- أي حجوا إليــه - وأنتم تقولون أن في أورشليم الموضع الذي يــنبغي أن يســجد فــيه. قال لــها يسوع، يا امرأة صدقيني أنه تأتي ســاعة لا في هذا الجبل، ولا في أورشليم تسجدون للآب» [يوحنا ٤ : ٢٠ - ٢١]

---

(١) ص ٢٥ قصة عيد الفصح.

(٢) ج ٢ ص ٤٦٥ السنن القويم.

وكلا الفـريقين على خطإ عظيم. فإن موسى عليـه السلام لم يحدد لليهـود قبلة، كما الكعبة عندنا نحن المسلمين. فقـد قال لهم على لسان الله تعالى: «في كل الأماكن التي فيها أصنع لاسمي ذكراً آتي إليك وأباركك» [خروج ٢٠:٢٤] واختيار داود أورشليم - بحسب زعمهـم- مكاناً لبناء الهيكل؛ هو اختيار للاستـحسان وليس للإلزام، لأن بني إسرائيل كانوا مـتفرقين؛ فوحدهم، وجعل لهم أورشليم عـاصمة لملكهم. ثم أراد بناء الهـيكل ليضـع فيـه التابوت بدل وضـعه فـي خيـمة الاجـتمـاع، إذ الحال قـد تبدل. فبعدما كانوا في مرحلة التنقل كالبدو الرحل يسيرون بالتابوت والخيمة من مكان إلى مكان ومن قرية إلى قرية، أصبـح لهم ملك ذو أساس متين. فرأى داود أن يحل الهيكل محل الخيـمة، في بناء ثابت مستقر. ولم يلزمـهم داود بالتوجه إليه، وإنما هم عظموا الهيكل لوجود التابوت فيه. وصاروا لتعظيمه ولما غرسه الربانيون والأحبار في عقول العوام: يتجهون إليه باعتبار أن فيه أثراً من آثار رحمة الله.

ولا يمكن أن تكون قـبلة داود عليه السـلام على جهـة الإلزام. لأن شريعـة موسى أمرت اليهود أن لا يسمعوا لنبي منهم، يـشرع لهم بشيء زائد عما في كتاب موسى. فقـد جاء فيهـا: «ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مـثل موسى الذي عرفه الرب وجـهاً لوجه» [تث ٣٤: ١٠] وهذا هو الدليل الذي يتذرع به يهود السامرة في رفض قبلة داود. والحق معهم لأن داود مـتبع للتوراة وليس مشرعاً. وهذا هـو نفسه دليلنا الذي نلزم به السامريين في البعد عن تقديس هيكل جرزيم. ونلزم به العبرانيين في البعد عن تقديس عيبال. لأن موسى لم يقدس أي مكان.

وقد كتب جورج بوست في قـاموس الكتاب المقدس عن عيبـال وجرزيم ما نصه: «جرزيم: جـبل في أفرايم [1] فوق شكيم - نابلس - حيث نطق بالبـركات كما نطق باللعنات من عيبال [تث ١١: ٢٩ و٢٧: ١١ - ١٣ ويشوع ٨: ٣ -٣٣] ويعلو جرزيم ٢٨٥٠ قدماً فوق البحـر و ٨٠٠ فوق نابلس، ويفصل بينه وبين عـيبال واد ضيق. وقـد وقف ستة أسباط على عيبال، وستة على جرزيم [تـث ٢٧: ١٢ و١٣] ويرجح بأن التابوت كان في الوادي بينهما، ثم قرأ يشوع البركات واللعنات [يـش ٨: ٣٣ و٣٥] وعاد اللاويون على كل جانب فكرروها. ثم قال الشعب آمين. وحسب التقاليد السامرية: كان هذا الجبل

(١) يقصد في منطقة سكنى أولاد أفرايم بن يوسف عليه السلام.

الموضع الذي توجه إليه إبراهيم ليقدم إسحق»[1]

يعني: أن موسى عليه السلام أمر بتقسيم الأسباط إلى قسمين إذا عبروا نهر الأردن هكذا: «وأوصى موسى الشعب في ذلك اليوم قائلاً: هؤلاء يقفون على جبل جرزيم لكي يباركوا الشعب، حين تعبرون الأردن: شمعون ولاوي ويهوذا ويساكر ويوسف وبنيامين، وهؤلاء يقفون على جبل عيبال للعنة: رأوبين وجاد وأشير وزبولون ودان ونفتالي، فيصرح اللاويون ويقولون لجميع قوم إسرائيل بصوت عال: ملعون الإنسان الذي يصنع تمثالاً منحوتاً أو مسبوكاً رجساً لدى الرب عمل يدي نحات ويضعه في الخفاء. ويجيب جميع الشعب ويقولون: آمين. ملعون من يستخف بأبيه أو أمه. ويقول جميع الشعب: آمين. ملعون من ينقل تخم صاحبه. ويقول جميع الشعب: آمين. ملعون من يضل الأعمى عن الطريق. ويقول جميع الشعب: آمين، ملعون من يعوج حق الغريب واليتيم والأرملة . ويقول جميع الشعب آمين. . .إلخ» [تث ٢٧:١١ - ٢٦]

ويقول أبو الفتح بن أبي حسن السامري في هذا الموضع: «جاء زوربيل وجماعته اليهود، واجتمعوا جميعاً بحران، ووقفوا بين يدي سوردي الملك - ملك حران - ووقع بينهم وبين السامرة مشاجرة على القبلة، وأقبلوا السامرة بسفر المدرج الكبير من هيكل نينوه وذكروا النصوص التي تدل على أن هرجرزيم هو القبلة، وأخرج زوربيل مدرجاً وادعى أنه مدرج داود، وادعى أنه يدل على أن داود قال: إن الأندر الذي في إيلياء هو القبلة ووقع الجدال بينهم قدام الملك»[2]

المثال السادس: النص على يوم القيامة: غامض في العبرانية، وصريح في السامرية. ففي التوراة العبرانية يقول الكاتب على لسان الله عز وجل: «أليس ذلك مكنوزاً عندي، مختوماً عليه في خزائني؟ لي النقمة والجزاء في وقت تزل أقدامهم» [تث ٣٢:٢٤ - ٢٥] يقول أبو الفتح بن أبي الحسن السامري: «ما نحن مختلفون فيه: الفصل الذي هو أحق بالمعاد، وهو قوله عندنا (   ) وعندهم (   ) وبين قوله: لي انتقام ومكافأة، وبين قوله: إن أعمالهم عندي مذخورة في خزائني إلى يوم

(١) قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة جرزيم.

(٢) ص ٦٤ - ٦٥ التاريخ مما تقدم عن الآباء.

الانتقام؛ بون عظيم وفرق كبير. لأن بمقتضى نصِّهم يجوز أن ينتقم الساعة وغداً، وما قبل وما بعد. ويجوز أن يكون ذلك في الدنيا، ويجوز أن يكون في الآخرة» (١)

المثال السابع: في العبرانية عن يعقوب عليه السلام: «نظر وإذا في الحقل بئر، وهناك ثلاثة قطعان غنم رابضة عندها، لأنهم كانوا من تلك البئر يسقون القطعان والحجر على فم البئر كان كبيراً. فقالوا: لا نقدر حتى تجتمع جميع القطعان ويدحرجوا الحجر عن فم البئر، ثم نسقي الغنم» [تك ٢٩:٢، ٨] لفظ «قطعان غنم» في الآية الثالثة، و«جميع القطعان» في الآية الثامنة. بدلهما «كل الرعاة» في السامرية.

المثال الثامن: في العبرانية «وكلم قايين هابيل أخاه، وحدث إذ كانا في الحقل، أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله» [تك ٤:٨] وفي السامرية: «فقال قايين لهابيل أخيه، نمضي إلى الصحراء وكان عند كونهما في الصحراء، قام قايين إلى هابيل أخيه فقتله» فعبارة «نمضي إلى الصحراء» ليست موجودة في العبرانية.

المثال التاسع: «بسمة بنت إسماعيل» [تك ٣٦:٣] في العبرانية. وفي السامرية «محلث»

المثال العاشر: في الأصحاح العشرين من سفر الخروج في الحديث عن الوصايا العشر لا توجد هذه الوصية في العبرانية، وتوجد في السامرية، والوصية هي:

«ويكون إذ يدخلك الله إلهك إلى أرض الكنعاني، التي أنت داخل إلى هناك لوراثتها، فلتقم لك حجارة كبارا وتشيدها بشيد، وتكتب على الحجارة كل خطوب الشريعة هذه. ويكون عند عبوركم الأردن تقيمون الحجارة هذه التي أنا موصيكم اليوم في جبل جرزيم. وتبني هناك مذبحاً لله إلهك، مذبح حجارة لا تجز عليها حديداً. حجارة كاملة. تبني مذبح الله إلهك، وتصعد عليه صعائد لله إلهك وتذبح سلائم وتأكل هناك وتفرح في حضرة الله إلهك. ذلك الجبل في جيزة الأردن، تبع طريق مغيب الشمس بأرض الكنعاني الساكن في البقعة، مقابل الجلجال، جانب مرج البهاء، مقابل نابلس»

---

(١) ص ٩٧ التاريخ مما تقدم عن الآباء - والفراغ بين الأقواس كتابة باللغة العبرية السامرية.

المثال الحادي عشر: في سفر الخروج، في الأصحاح العشرين. نص على نبي يقيمه الله لبني إسرائيل مثل موسى. وهذا النص لا يوجد في سفر الخروج في العبرانية واليونانية. وفي السامرية والعبرانية واليونانية يوجد النص نفسه في سفر التثنية. أي أنه ذكر مرتين في السامرية، ومرة واحدة في العبرانية. والنص هو: «نبيا أقمت لهم من جملة إخوتهم مثلك. وجعلت خطابي بفيه. فيخاطبهم بكل ما أوصيه. ويكون الرجل الذي لا يسمع من خطاب الذي يخاطب باسمي؛ أنا أطالبه. والمتنبئ الذي يتقح على الخطاب باسمي مالم أوصه من الخطاب، ومن يخاطب باسم إله آخر، فليقتل ذلك المتنبئ. وإذ تقول في سرك: كيف يتبين الأمر الذي لم يخاطبه الله؟ ما يقوله المتنبئ باسم الله ولا يكون ذلك الأمر، ولا يأتي. هو الأمر الذي لم يقله الله. باتقاح قاله المتنبئ. لا تخف منه»

المثال الثاني عشر: من الآية التاسعة من الأصحاح الرابع والعشرين من سفر الخروج: «وصعد موسى وهرون وناداب وأبيهو والعازار وإيثامار، وسبعون من شيوخ إسرائيل، ونظروا إلي إله إسرائيل، وتحت رجليه كصنعة المها وكجرم السماء من النقاء، وإلى جانب بني إسرائيل لم يمد يده. فلما شاهدوا ملاك الله أكلوا وشربوا» وفي التوراة العبرانية: «فرأوا الله وأكلوا وشربوا»

المثال الثالث عشر: في سفر الخروج في الأصحاح الثلاثين من الآية الأولى إلى الآية العاشرة في العبرانية: محذوف من السامرية.

المثال الرابع عشر: في الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر الخروج في الآية الخامسة في العبرانية: «فنزل الرب. في السحاب» وفي السامرية: «وانحدر ملاك الله في الغمام»

المثال الخامس عشر: في الأصحاح التاسع والثلاثين من سفر الخروج عقب الآية الحادية والعشرين في السامرية: «صنعوا الأنوار والكمل، كما وصى الله موسى» وهذا النص مفقود في العبرانية.

المثال السادس عشر: في الأصحاح العاشر من سفر العدد في نهاية الآية العاشرة يوجد في السامرية هذا النص: «وخاطب الله موسى قائلاً: حسبكم المقام في الجبل

هذا. اتجهوا وادخلوا جبل الأموري وإلى كل سكانه في البقاع وفي الجبال وفي السهول. من الجنوب وساحل البحر، أرض الكنعاني واللبناني، إلى النهر الأكبر نهر الفرات. انظروا. جعلت بين أيديكم الأرض. ادخلوا ورثوا الأرض التي أقسمت لآبائكم، لإبراهيم ولإسحق وليعقوب، للإعطاء لنسلهم تبعهم» وهذا النص لا يوجد في العبرانية.

المثال السابع عشر: الآية الأولى في الأصحاح الثاني عشر من سفر العدد في العبرانية: «وتكلمت مريم وهرون، على موسى، بسبب المرأة الكوشية» وفي السامرية: «بسبب المرأة الحسناء» وفي ترجمة اليسوعيين «بسبب المرأة الحبشية»

المثال الثامن عشر: الآية السادسة من الأصحاح الثاني عشر من سفر العدد في العبرانية وما بعدها. كتب الكاتب أن الله قال لهرون ومريم: «اسمعا كلامي. إن كان منكم نبي للرب. فبالرؤيا أستعلن له. في الحلم أكلمه. أما عبدي موسى فليس هكذا. بل هو أمين في كل بيتي. فماً إلى فم، وعياناً أتكلم معه، لا بالألغاز، وشبه الرب يعاين» وهذا النص في السامرية هكذا: «اسمعا الآن خطابي. إنما النبي منكم. الله بشبح له يناجي، أو في حلم أخاطبه. ليس كذلك عبدي موسى، بل على جميع بيتي أمين هو. شفاها أخاطبه، جهراً لا سراً. وأشباح الملائكة يشاهد»

«اختلافات ليكلرك»

المثال التاسع عشر: اجتهد ليكلرك - وهو من علماء النصارى - في عمل مقارنة بين الاختلافات في السامرية والعبرانية. وقسمها إلى ستة أقسام:

القسم الأول: الاختلافات التي فيها السامرية، أصح من العبرانية. وهي أحد عشر اختلافاً.

القسم الثاني: الاختلافات التي تقتضي القرينة والسياق فيها صحة ما في السامرية. وهي سبعة اختلافات.

القسم الثالث: الاختلافات التي توجد فيها زيادة في السامرية. وهي ثلاثة عشر اختلافاً.

القسم الرابع: الاختلافات التي حرفت فيها السامرية والمحرف محقق فطن. وهي

سبعة عشر اختلافاً.

القسم الخامس: الاختلافات التي فيها السامرية ألطف مضموناً. وهي عشرة اختلافات.

القسم السادس: الاختلافات التي فيها السامرية ناقصة وهما اختلافان.

وتفصيل الاختلافات المذكورة هكذا [1].

القسم الأول:

الآية الرابعة في الأصحاح الثاني من سفر التكوين

الآية ٣ في الأصحاح ٧ من سفر التكوين

الآية ١٩ في الأصحاح ١٩ من سفر التكوين

الآية ٢ في الأصحاح ٢٠من سفر التكوين

الآية ١٦ في الأصحاح ٢٣ من سفر التكوين

الآية ١٤ في الأصحاح ٣٤ من سفر التكوين

الآية ١٠ - ١١ في الأصحاح ٤٩ من سفر التكوين

الآية ٢٦ في الأصحاح ٥٠ من سفر التكوين

الآية ٢ في الأصحاح الأول من سفر الخروج

القسم الثاني:

الآية رقم ٤٩ من الأصحاح ٣١ من سفر التكوين

الآية رقم ٢٦ من الأصحاح ٣٥ من سفر التكوين

الآية رقم ١٧ من الأصحاح ٣٧ من سفر التكوين

الآية رقم ٣٤ و ٤٣ من الأصحاح ٤١ من سفر التكوين

الآية رقم ٣ من الأصحاح ٤٧ من سفر التكوين

الآية رقم ٥ من الأصحاح ٣٢ من سفر التثنية.

(١) راجع إظهار الحق ج ٢ ص ٤٦ - ٤٧ طبعة مصر ١٣١٧ هـ.

القسم الثالث:

الآية رقم ١٥ من الأصحاح ٢٩ من سفر التكوين

الآية رقم ٣٦ من الأصحاح ٣٠ من سفر التكوين

الآية رقم ١٦ من الأصحاح ٤١ من سفر التكوين

الآية رقم ١٨ من الأصحاح ٧ من سفر الخروج

الآية رقم ٢٣ من الأصحاح ٨ من سفر الخروج

الآية رقم ٥ من الأصحاح ٩ من سفر الخروج

الآية رقم ٢٠ من الأصحاح ٢١ من سفر الخروج

الآية رقم ٥ من الأصحاح ٢٢ من سفر الخروج

الآية رقم ٩ من الأصحاح ٣٢ من سفر الخروج

الآية رقم ١٠ من الأصحاح ٢٣ من سفر الخروج

الآية رقم ١٠ من الأصحاح الأول من سفر اللاويين

الآية رقم ٤ من الأصحاح ١٧ من سفر اللاويين

الآية رقم ٢١ من الأصحاح ٥ من سفر التثنية

القسم الرابع:

الآية٢ الأصحاح ٢ سفر التكوين

الآية١٠ الأصحاح ٤ سفر التكوين

الآية ٥ الأصحاح ٩ سفر التكوين

الآية ١٩ الأصحاح ١٠ سفر التكوين

الآية ٢١ الأصحاح ١١ سفر التكوين

الآية ٣ الأصحاح ١٨ سفر التكوين

الآية ١٢ الأصحاح ١٩ سفر التكوين

الآية ١٦ الأصحاح ٢٠ سفر التكوين

الآية ٣٨ و ٥٥ الأصحاح ٢٤ سفر التكوين

الآية ٧ الأصحاح ٣٥ سفر التكوين
الآية ٦ الأصحاح ٣٦ سفر التكوين
الآية ٥٠الأصحاح ٤١ سفر التكوين
الآية ٥ الأصحاح ١ في سفر الخروج
الآية ٦ الأصحاح ١٣ في سفر الخروج
الآية ٥ الأصحاح ١٥ في سفر الخروج
الآية ٣٢ الأصحاح ٢٢ في سفر العدد

القسم الخامس:

الآية رقم ٨ الأصحاح ٥ التكوين
الآية رقم ٣١ الأصحاح ١١التكوين
الآية رقم ٩ الأصحاح ١٩ التكوين
الآية رقم ٣٤ الأصحاح ٢٧ التكوين
الآية رقم ٤ الأصحاح ٣٩ التكوين
الآية رقم ٢٥ الأصحاح ٤٣ التكوين
الآية رقم ٤٠ الأصحاح ١٢ خروج
الآية رقم ١٧ الأصحاح ٤٠ خروج
الآية رقم ١٤ الأصحاح ٤ العدد
الآية رقم ١٦ الأصحاح ٢٠ التثنية

القسم السادس:

في سفر التكوين الآية ١٦ من الأصحاح ٢٠
في سفر التكوين الآية ١٤ من الأصحاح ٢٥

الفصل التاسع
في
مقارنة بين التوراة العِبرانية واليونانية

ترجمت التوراة العبرانية، الأسفار الخمسة - التي نتحدث عنها في هذا الكتاب - وأسفار الأنبياء إلى اللغة اليونانية، وأزاد المترجمون آيات على النص العبراني لا يعترف بها العبرانيون ولا السامريون. لتظل العبرانية هي المرجع في أصول الديانة. يقول شاهين مكاريوس: «في عهد بطليموس فيلادلفوس ٢٨٥ - ٢٤٧ ق.م. ترجمت التوراة العبرية إلى اللغة اليونانية. وقد قام بها اثنان وسبعون عالماً من علماء اليهود، وانتهوا منها في اثنين وسبعين يوماً. وكان يهود فلسطين يعتبرونها مزيفة، لكثرة التحريفات والزيادة التي أوقعهما فيها النساخ، وحسبوا اليوم الذي تمت فيه الترجمة من أيام نحسهم، وهي تحتوي أسفار الأبو كريفا، أي غير القانونية»[١] وسميت بالسبعينية لهذا السبب.

ويقول سايكل سل: «وقد وضعت ثلاث ترجمات يونانية في سبيل تصحيح الترجمة السبعينية وهي ١ - ترجمة أكيلا: وكان قد اعتنق المسيحية غير أن ترجمته هذه كانت حرفية لدرجة أنها جاءت غير صحيحة ٢ - ترجمة سيماخوس: وهو يهودي تنصر إلا أنه بقي محافظاً على شريعة موسى، وقد وضع ترجمته بلغة يونانية أنيقة ٣ - ترجمة ثيودوسيوس: وكانت تنقيحاً للترجمة السبعينية على أساس النص

(١) ص ٣٧ تاريخ الإسرائيليين.

العبري الصحيح. وكل ما نعرفه عن هذه الترجمات الثلاث هو ما جاء في (الهكسابلا) لاوريجانوس» [١]

وقد ظهرت ترجمات أخرى للتوراة بعضها شبيه بالعبري، وبعضها شبيه باليوناني. نذكر منها: ١- الترجمة السريانية: وهي المعروفة (البشيتا) وهي مشابهة للسبعينية ٢ - الآرامية: وهي المعروفة باسم (ترجوم) وأهم الأقسام فيها ترجمة «انكليوس المتهود» لأسفار موسى الخمسة. وترجمة «يوناتان» لأسفار الأنبياء. وهي مشابهة للأصل العبري. ٣ - اللاتينية: وهي المعروفة باسم (فولجات) وهي الترجمة الرسمية للكنيسة الرومانية. وقام بها «ايرونيموس» [٢]

وقد ظلت الترجمة اليونانية مقدسة عند النصارى حتى انشقاق البروتستانت على الكاثوليك في القرن الخامس عشر، وقد ترجموا توراتهم رأساً عن العبرانية، وحذفوا الزيادات التي أزادها المترجمون [٣]. ثم إن الآباء اليسوعيين وهم من الكاثوليك مع تمسكهم باليونانية أصلحوا كثيراً من المخالفات واعتمدوا صحة النص العبري في ترجمة الكتاب المقدس الصادر في بيروت سنة ١٩٦٨ خاصة في الأسفار الخمسة.

وهذه طائفة من الأمثلة للخلافات بين العبرانية واليونانية، في الأسفار الخمسة وحدها:

المثال الأول: في العبرانية: إن الزمان من خلق آدم إلى طوفان نوح عليهما السلام ١٦٥٦ وفي اليونانية: ٢٢٦٢ سنة، ويوسيفوس المؤرخ اليهودي [٤] خالف العبرانية واليونانية والسامرية، وجعل المدة ٢٢٥٦ سنة.

المثال الثاني: أن الزمان من طوفان نوح إلى ولادة إبراهيم عليهما السلام في

---

(١) ص ٥٥ - ٥٦ المرشد إلى الكتاب المقدس - بيروت ١٩٥٨ .

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر الكتاب المقدس للبروتستانت طبعة ١٩٧٠ في مصر.

(٤) يوسيفوس هو يوسف أشهر مؤرخي اليهود في القرن الأول بعد الميلاد، ولد في أورشليم سنة ٣٧ م ومات في روما سنة ٩٨ م ألف (حروب اليهود) في سبعة أجزاء بالآرامية، ثم ترجمت إلى اليونانية كما ألف (تاريخ اليهود القديم) في عشرين جزءا منذ الخليقة حتى سنة ٦٦ ميلادية (ص ١٦٧ هامش رسالة في اللاهوت).

العبرانية ٢٩٢ وفي اليونانية ١٠٧٢ سنة وعن يوسيفوس ٩٩٣ .

المثال الثالث: في العبرانية [تك ٢٩ : ٢، ٨] لفظ «قطعان غنم» ولفظ «القطعان» وفي اليونانية لفظ «الرعاة» بدلهما.

المثال الرابع: في العبرانية [خروج ١٢ :٤٠] في اليونانية «فكان جميع ما سكن بنو إسرائيل وآباؤهم وأجدادهم في أرض كنعان، وأرض مصر أربعمائة وثلاثين سنة» فزيد فيها كالسامرية «آباؤهم وأجدادهم وأرض كنعان»

المثال الخامس: في العبرانية [تك ٤ :٨] في اليونانية «وقال قايين لهابيل أخيه تعال نخرج إلى الحقل، ولما صارا في الحقل» فعبارة «تعال نخرج إلى الحقل» زائدة في اليونانية كالسامرية.

المثال السادس: في العبرانية «وكان الطوفان أربعين يوماً على الأرض» [تك ٧ :١٧] وفي اليونانية: «وصار الطوفان أربعين يوماً وليلة على الأرض» زادت كلمة «ليلة»

المثال السابع: «وكوش ولد نمرود» [تك ١٠ :٨] وفي اليونانية «ولد أريون»

المثال الثامن: «وكان ابتداء مملكته بابل وأرك، وأكد، وكلنة في أرض شنعار» [تك ١٠ :١٠] وفي اليونانية: «كالاني» بدل «وكلنة» فقد جاء فيها: «ألم أستول على البلاد التي فوق بابل، وكالاني حيث بنيت البرج»؟

المثال التاسع: «وهو وراءه» [تك ١٨ :١٠] بصيغة المذكر، وفي اليونانية: «وهي وراءه» بصيغة المؤنث.

المثال العاشر: في العبرانية: «وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً في تلك الأرض: أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة [١] سرية أبيه. وسمع إسرائيل» [تك ٣٥ :٢٢] وفي اليونانية في نهاية الآية: «وكان قبيحاً في نظره»

المثال الحادي عشر: في العبرانية : «يوباب بن زارح» (تك ٣٨ : ٣٣) وفي اليونانية «أيوب بن زارح»

(١) بلهة هي أم: دان ونفتالي. وهي جارية راحيل، وراحيل هي أم: يوسف وبنيامين. وزلفة وهي جارية ليئة هي أم: جاد وأشير. وليئة هي أم: رأوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون ثم ابنة تسمى دينة.

المثال الثاني عشر: في العبرانية: «وحيرة صاحبه» [تك ٣٨: ١٣] وفي اليونانية: «حيرة راعيه»

المثال الثالث عشر: في العبرانية، لما وضع يوسف عليه السلام السقاية في رحل أخيه، وخرج إخوته من مصر «قال يوسف للذي على بيته: قم اسع وراء الرجال، ومتى أدركتهم فقل لهم: لماذا جازيتم شراً عوضاً عن خير؟ أليس هذا هو الذي يشرب سيدي فيه، وهو يتفاءل به؟ أسأتم في ما صنعتم» [تك ٤٤: ٤ - ٥] وفي اليونانية توضع عبارة «لم سرقتم صواعي»؟ هكذا: «لم سرقتم صواعي؟ أليس هذا... إلخ» فعبارة «لم سرقتم صواعي»؟ محذوفة من العبرانية.

المثال الرابع عشر: في العبرانية: «فسجد إسرائيل على رأس السرير» [تك ٤٧: ٣١] وفي اليونانية: «على رأس عصاه»

المثال الخامس عشر: في العبرانية: «وسجد أمام وجهه» [تك ٤٨: ١٢] وفي اليونانية: «سجدا» بصيغة المثنى.

المثال السادس عشر: في العبرانية: «له يكون خضوع شعوب» [تك ٤٩: ١٠] وفي اليونانية: «وإياه تنتظر الأمم»

المثال السابع عشر: في العبرانية: «أنا أعولكم وأولادكم» [تك ٥٠: ٢١] وفي اليونانية: «بأهل بيوتكم»

المثال الثامن عشر: في العبرانية: (التكوين ٥٠: ٢٥) في اليونانية كالسامرية «فاذهبوا بعظامي من ههنا معكم» سقطت «معكم» من العبرانية.

المثال التاسع عشر: في العبرانية: أن صفورة زوجة موسى عليه السلام «ولدت ابنا، فدعا اسم جرشوم، لأنه قال: كنت نزيلاً في أرض غريبة» [خروج ٢: ٢٢] وفي اليونانية عقب هذه الآية «وولدت أيضاً غلاماً ثانياً، ودعا اسمه العازر، فقال من أجل أن إله أبي أعانني، وخلصني من سيف فرعون» فهذه الآية زائدة في اليونانية، وساقطة من العبرانية، وفي اليونانية بدل جرشوم، «جرسام»

المثال العشرون: (خروج ٦: ٢٠) في العبرانية. هو في اليونانية كالسامرية: «فولدت له هرون وموسى ومريم أختهما» سقطت «ومريم أختهما» من العبرانية.

المثال الحادي والعشرون: في العبرانية: «وكلم الرب موسى قائلاً: أصنع لك بوقين من فضة، مسحولين تعملهما، فيكونان لك لمناداة الجماعة، ولارتحال المحلات. . . وإذا ضربتم هتافاً ثانياً ترتحل المحلات النازلة إلى الجنوب، هتافاً يضربون لرحلاتهم» [عدد ١٠: ١ - ٦] وعقب الآية السادسة في اليونانية هذا النص: «وإذا نفخوا مرة ثالثة، يرفع الخيام الغربية للارتحال، وإذا نفخوا مرة رابعة يرفع الخيام الشمالية للارتحال» ولا يوجد في العبرانية.

المثال الثاني والعشرون: «إن الرب التقاه» [خروج ٤:٢٤] وفي اليونانية: «أن ملاك الرب التقاه»

المثال الثالث والعشرون: «أجاج» [عدد ٢٤:٧] وفي العبرانية «جوج»

المثال الرابع والعشرون: في النسخة اليونانية بين أرفكشاد وشالح بطن واحد: هو قينان. [تكوين ١١:١١ - ١٤] ولا يوجد في العبرانية، ولا السامرية، ولا في السفر الأول من أخبار الأيام، ولا في تاريخ يوسيفوس. وذكره لوقا في بيان نسب المسيح [لوقا ٣: ٣٦].

المثال الخامس والعشرون: في العبرانية: «وقال إبراهيم عن سارة امرأته: هي أختي. فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة» [تك ٢٠:٢] وفي اليونانية هكذا: «وقال عن سارة امرأته: إنها أختي لأنه كان خائفاً من أن يقول إنها امرأته، ظاناً أن أهل البلدة يقتلونه بسببها. فوجه أبيمالك سلطان فلسطين أناساً وأخذها» فهذه العبارة «لأنه كان خائفاً من أن يقول: إنها امرأته ظانا أن أهل البلدة يقتلونه بسببها» لا توجد في العبرانية.

المثال السادس والعشرون: في العبرانية: «يجري الماء من دلوه، وذريته بماء كثير، فيتعالى من أجاج ملكه، وترتفع مملكته» [العدد ٢٤:٧] وفي اليونانية: «ويظهر منه إنسان وهو يحكم على الأقوام الكثيرة. وتكون مملكته أعظم من مملكة أجاج وترتفع مملكته»

المثال السابع والعشرون: في العبرانية: «كما أمر موسى» [لاويين ٩:٢١] وفي اليونانية: «كما أمر الرب موسى»

المثال الثامن والعشرون:

أصحـاب النبي الآتي من فاران في العبـرانية «قديسون» بدون تحـديد العدد. وفي اليونانيـة «ربوات من الملائكة» أي جماعـات عشرات آلاف من الأصـحاب الشبـيهين بالملائكة. ونص اليـونانيـة: «وهذه هي البـركة التي بارك بهـا مـوسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته. فقال: أقبل الرب من سيناء، وأشرف عليهم من سعير، وتألّق في جبل فاران. جاء محاطًا بعشرات الألوف من الملائكة. وعن يمينه يومص برق عليهم. حقّـا إنك أنت الذي أحبـبت الشعب، وجـميع القـديسين في يدك. ساجـدون عند قدمك. يتلقون منك أقوالك» [تث ٣٣ : ١ - ٣]

الفصل العاشر
في
أنواع التحريف في التَّوراة

لما حرف «عـزرا» وشيعـته شريعـة موسى بن عمـران - عليه السـلام - في مدينة «بابل» أيام الملك «نبوخذ نصـر» ورجعوا إلى أورشليم بالتوراة التي كـتبوها بأيديهم، **أشـاعوا في الناس: أن شـريعـة موسى قـد ضاعت أثناء تـدميـر «أورشليم» و«هيكل سليمـان» على يد جنود «نبوخـذ نصر»** وأن «عزرا» بكى بكاء شديداً على ضـياعها، وتأسف في قلبه على فقـدانها. ولما رأى الله شفقته على دينه، وحـرصه على أن يعبد في الأرض، تحنن عليه وأرسل إليه الذي يلقنه التوراة على الأصل الذي تركه موسى. وأشاعـوا: أن «عزرا» لما تلقى التـوراة وأخبر الناس بهـا، طلبه علمـاء بني إسرائيل - الذين كانوا قد وجدوا التـوراة الأصلية مخبأة في الجبال، من أيام «نبوخـذ نصر» كما يزعمون - وقـالوا له: اتل علينا التوراة التي لقنك الله إياها، فتلاها. فـوجدوها مثل التوراة التي تركها موسى بدون زيادة ولا نقصان.

هذا ما أشاعه «عزرا» وشيعته. وغرضهم من هذه الإشاعة الباطلة: ستر ما صنعوه في توراة الله تعالى، حتى يحفظوا على عوام اليهود دينهم ولا يضيعوا هيبة العلماء. لأن العوام إذا علموا تحريف عزرا لتوراة الله. فإنهم لن يقلبوا التحريف، ولن يحترموا العلماء، ولن يكرموهم.

ومن الإشاعات التي أشاعهـا «عزرا» وشيعته: هذه الإشاعـة: أنه وهو يبكي على قتل علماء بني إسـرائيل، وسبي كبارهم، وذهاب العلم منهم، حتى سـقطت جفون

عينيه؛ مر على جبانة وإذا امرأة تبكي عند قبر، وهي تقول: وامطعماه. واكاسياه. فقال لها: ويحك. من كان يطعمك قبل هذا؟ قالت: الله. قال: فإن الله حي لا يموت. قالت: يا عزير. فمن كان يعلم العلماء قبل بني إسرائيل؟ قال: الله. قالت: فلم تبكي عليهم؟ فعرف أنه شيء وعظ به. ثم قيل له: اذهب إلى نهر كذا فاغتسل منه، وصل هناك ركعتين. فإنك ستلقى هناك شيخًا. فما أطعمك فكله. فذهب، ففعل ما أمر به فإذا الشيخ، فقال له: افتح فمك، ففتح فمه. فألقى فيه شيئاً، كهيئة الجمرة العظيمة - ثلاث مرات - فرجع «عزير» وهو من أعلم الناس بالتوراة. فقال: يا بني إسرائيل، قد جئتكم بالتوراة. فقالوا: يا عزير. ما كنت كذاباً. فعمد فربط على أصبع من أصابعه قلماً. وكتب التوراة كلها بأصبعه. فلما تراجع الناس من عدوهم - من سبي بابل - ورجع العلماء، أخبروا بشأن «عزير» فاستخرجوا النسخ، التي كانوا أودعوها في الجبال، وقابلوه بها، فوجدوا ما جاء صحيحاً. فقال بعض جهلتهم: إنما صنع هذا، لأنه ابن الله.

تلك هي الإشاعة. ولو أن الذي كتبه «عزرا» شبيه كل الشبه بتوراة «موسى» التي كانت مخبأة في الجبال، فهل كانت توراة موسى مليئة بالتناقضات الموجودة إلى اليوم في توراة عزرا؟ وهل كان في توراة موسى المخبأة في الجبال وقتئذ، خبر موت موسى، ودفنه في أرض «موءاب» وأنه إلى هذا اليوم لا يعرف أحد مكان قبره. كما هو مكتوب في توراة عزرا؟ ولو كانت الإشاعة صحيحة - وما هي بصحيحة - فأي حق لمن يلوم علماء بني إسرائيل على تحريفهم للتوراة إذا كانت هي قد ضاعت منهم قسراً؟ إنه لا حق لمن يلومهم لأنهم يعتذرون حال توجيه اللوم إليهم بأننا لم نحرف عمداً، فما كان في يدنا شيء نغيره عن أصله.

والقرآن الكريم يشهد بأن التوراة محرفة عمداً، بتغيير اللفظ، وبالتأويل الفاسد للفظ بعد تغييره. وعلى هذه الشهادة، فإن من قام بهذا العمل يعتبر ملعوناً من الله والملائكة والناس أجمعين. والذي قام بهذا العمل هو «عزرا» - الذي جاء ذكره في القرآن باسم «عزير» تصغيراً لشأنه - ويدلّ على ذلك: الإشاعات التي نقلها مفسرو القرآن عن أهل الكتاب. ومنها الإشاعة التي ذكرناها قبل قليل - والروايات التي كتبها عزرا ونحميا في سفريهما - إن كان كل منهما هو الكاتب لسفره - والشهادات

المنقولة عن علماء علم مقارنة الأديان، من المسلمين وأهل الكتاب. ومن أهل الكتاب: «الدكتور أهرون بن شميش» فإنه لما ترجم القرآن الكريم [١] إلى اللغة العبرانية قال إن الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها هو «حوني» وقد أشار «التلمود» إلى قصة تشبه قصة الذي مر في «تعنيت٢٣» وأنه مات سبعين سنة. ولما ترجم قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ ترجم «عزير» بعزرا. وإشارة التلمود إلى «حوني» لا تدل على أنه هو المقصود بالذي مر على القرية. وما كتبه «السريان» عن هذا الذي مر لا يدل أيضاً. لكن فيه شبه. ونص المكتوب في كتب السريان هو: «أن إرمياء النبي كان له تلميذ حبشي يخدمه، اسمه أبيمالك. ولما أوشك أن يتسلط بختنصر على بيت المقدس، أرسله إرمياء ليقتطف تينا للفقراء الجياع. فاقتطفه، وعند رجوعه رأى شجرة جثيلة وكان اليوم قائظاً محتدماً، فجلس في ظل هذه الشجرة وضرب الله على أذنيه فنام ستين سنة. وفي أثناء ذلك سلط الله بختنصر على بيت المقدس، فأمعن في القتل والأسر في بني إسرائيل، وسبى منهم خلقاً كثيراً، حمله إلى بابل. وتبعه إرمياء هناك، واستيقظ أبيمالك بعد ستين سنة بأمر الله، ونظر إلى التين وهو طري رطب بقدرة الله تعالى. وكان ذلك في أول فصل الربيع ولم يكن من أواه التين في شيء. فقال أبيمالك: رأسي مصدوع من قلة النوم، ولولا إرمياء الذي يترقبني لنمت قليلاً. ثم قام وأخذ قفة التين. ولما وصل إلى المدينة لم يعرفها وأنكر كل ما رأى منها، فمسح عينيه وحار في أمره. ثم رأى شيخاً احدودب من الكبر. فسأله: ما اسم مدينتكم هذه؟ فقال: أورشليم - أي القدس - قال أبيمالك: وأين إرمياء النبي؟ فتفرس فيه الشيخ وقال له: يا أحمق تسأل عن إرمياء وله ستون سنة في بابل مع سبي اليهود؟ وأجابه أبيمالك قائلاً: كيف ذلك. وقد أرسلني إرمياء في صبح يومنا لاجتناء بعض التين؟ وأراه التين طرّياً في غير أوانه. فتبصر الشيخ. وعرف أن هذه آية من آيات الله. فكتب باروك إلى إرمياء النبي. وكان من تلاميذه رسالة على لسان أبيمالك. وقص فيها عليه قصته العجيبة المدهشة» [٢] اهـ.

---

(١) نشر سنة ١٩٧١ في مؤسسة مساداه بإسرائيل.

(٢) محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب باعتبار علاقتها بأوربا وخصوصا بإيطاليا طبعة سنة ١٩٠٩ للمستشرق جويدي.

تلك هي القصة في كتب السريان.واسم المار فيها هو«أبيمالك» لا «حوني» كما في التلمود، ولا «عزرا» فلماذا يقال: إن المار هو عـزير وكان من الأنبياء؟ إن كان لقوله: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وأنه كان يسأل ليطمئن قلبه. فإنه في كتب القراءات قـراءة تدل على أن غـيـره هو الذي قـال له:﴿أعلم﴾ لا أنه قـال برضـاه: ﴿أعلم﴾ ومعلوم الفرق بين ﴿أعلم﴾ بفتح همزة القطع،وبين «اعلم» بهمزة الوصل.

والأكثـرون من المسلمين: على أن «عُزَيْراً» ليس بنبي.كمـا حكى الشيخ الآلوسي البغدادي في تفسيره المسمى بروح المعاني في تفسير سورة التوبة.

وظن بعض المسلمين أن «عُزَيْراً» نبي بدليلين:

أولهـما: قياس «عزير» على المسيح في بنوتـه لله تعالى. فقد قال هؤلاء الظانون: إن النصارى قالوا: المسيح ابن الله، وقد كان المسـيح نبياً.واليهود لما قالوا: «عزير ابن الله» مثل قول النصارى على المسيح، يلزم على قولهم:أن يكون «عزير» نبياً.

والرد عليهم: هذا قياس لا ينبغي أن يكون.لأن الله تعالى يحكي قولهم، كما هو مكتوب عندهم.والذي هو مكتوب في كتب اليهود:أن بنـوة عزرا مجازية، كما تقول - وأنت شيخ - لطفل تشفق عليه:يا بني.أو تقـول لشيخ ذي هيبة:يا أبي. والمكتوب في كتب النصـارى: أن بنوة المسيح عند الكاثوليك والبروتسـتانت بنوة طبيعـية.وعند الأرثوذكس:أن الله انقلب إلـى مسـيح بولادته من مـريم.وبين قـول اليـهود وقـول النصارى فرق كبير.

وثاني الدليلين: أن «الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها» وهي القدس لما خربها «نبوخذ نصر» واستبعد عمـارتها، أماته الله مئة عام هو وحماره.ولما بعثه وقد عمـرت القدس في هذه المـدة، قال:﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قـال هؤلاء الظانون: إن الذي مر هو عزير وأنه نبي.لأنه شهد بقدرة الله.والرد عليهم:

١ - أن القرآن الكريم لم يصرح باسم هذا الذي مر. فلماذا تقولون:إنه هو عزير؟ ولأنه لم يصرح اختلف في اسـمه المفسرون ١ - فقال بعضـهم: هو عزير ٢ - وقال بعضهم: هو إرميـاء ٣ - وقال بعضهم:هو الخضر ٤ - وقال بعضـهم: هو إشعياء ٥ - وقال بعضهم:هو غـلام لوط عليه السلام ٦ - وقال بعضهم:كـان المار رجلاً كافراً

بالبعث. والدليل على كفره: أنه جاء عقب قصة ﴿الذي حاج إبراهيم في ربه﴾ والكلام للتعجب من حالهما. لأن كلمة ﴿أنى﴾؟ التي هي للاستبعاد في هذا المقام؛ تشعر بالإنكار - ظاهراً - ٧ - قال بعضهم: هو «حزقيال» (١)

٢ - وأن القراءة التي تقول ﴿أَعْلَم﴾ بهمزة القطع مفتوحة، تدل على أنه هو القائل. والقراءة التي تقول «اعلم» بهمزة وصل، تدل على أن غيره هو القائل له، أي قال له ملاك الله لما رأى المعجزة: «اعلم» وبين القراءتين فرق يشبه الفرق بين المؤمن والكافر.

* * *

ولما رجع المضل عزرا من بابل بالتوراة المحرفة، وسكن السامريون في مدنهم. ومعهم نسخة من التوراة التي كتبها عزرا في بابل. وسكن العبرانيون في مدنهم. ومعهم صورة من نفس التوراة التي كتبها عزرا في بابل. واختلفوا على تعيين جهة القبلة المقدسة، والحج وعلى تعيين المدينة التي تكون عاصمة لمملكة بني إسرائيل، دب الشقاق والنزاع بين السامريين والعبرانيين، وكره بعضهم بعضاً.

ولما دب الشقاق والنزاع، وتمكن الكره من القلوب. قام السامريون بتغيير كلمات في توراة عزرا، وقام العبرانيون بتغيير كلمات في توراة عزرا. كوضع «عيبال» مكان «جرزيم» وهذه الكلمات هي التي ميزت بين التوراتين. وأزاد العبرانيون على أسفار موسى الخمسة التي كتبها عزرا، أسفاراً لأنبياء كانوا في بني إسرائيل من بعد موسى. مثل داود وإشعياء ودانيال. ثم إن التوراة العبرانية - التي كتبها عزرا - ترجمت إلى اللغة اليونانية في القرن الثالث قبل ميلاد عيسى عليه السلام. وانتشرت التوراة في العالم بجميع اللغات. ولم يحدث تغيير لفظي في توراة موسى، يذكر من ذاك الزمان إلى هذا اليوم.

والمسلمون الدارسون يقولون بأن التوراة قد مرت بعهدين: الأول: من موسى إلى سبي بابل - وفي هذا العهد لم تحرف التوراة بتغيير اللفظ - والثاني من سبي بابل إلى هذا اليوم. ويقولون بأن توراة موسى قد حرفها علماء بني إسرائيل عمداً بتغيير اللفظ وبالزيادة والنقصان في سبي بابل. ثم صار التحريف بالتأويل الفاسد من بعد السبي.

(١) وردت القصة في القرآن الكريم في سورة البقرة الآيات ٢٥٧ - ٢٥٩ .

إلى هذا اليوم - الذي أألف فيه هذا الكتـاب -وهو سنة ألف وثلثمائة وست وتسعين من الهجرة.

وزاد من صعـوبة تحريف اللفظ فـي الأسفار الخـمسـة: ظهور النصرانـية، وتمسك النصارى بهـا، وتفرقهم بهـا في جميع البـلاد، وهم يكتبونهـا ويضعونهـا مع كتب «الأناجـيل الأربعة» في مـجلد واحـد. ومن ظهور النصـرانيـة - والعداء بينهـا وبين اليـهودية واضح - أصبح اليهـود عاجـزين عن التـحريف اللفظي في التـوراة، تمام العجـز. لأن النصارى يراقبـونهم. والنصارى لا يجرؤون على التـحريف اللفظي ولا يفكرون فيه لأن اليهود يراقبونهم بالمثل.

وكذلك الحـال بالنسبـة للأناجيل الأربعـة المقدسـة عند النصارى وهي إنجـيل متى ومارقس ولوقا ويوحنا. فإنها حـرفت باللفظ لما آمن بها أهل الروم والذي كان موجوداً زمان النبي محمد ﷺ منها، هو نفسه الموجود اليوم في أيديهم، بدون فرق يذكر لأن النصرانيـة أقرها «أهل الروم» ديانة في سنة ثلثـمائة وخمس وعـشرين من بعد مـيلاد المسـيح، وانتـشـرت من ذلك الوقت في العـالم، بمسـاعـدة أهل الروم الذين كـانوا يسيطرون على بلاد من العالم آنئذ.

وعلى ذلك، فالـكتاب المقدس، المتـداول الآن في أيدي النصارى، الذي يحـتوي على كتب العـهدين: العهد القـديم - وهوأسفار التوراة الخـمسة، وأسفـار الأنبياء - والعهد الجديد - وهو الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل ورسائل الحواريين وسفر الرؤيا - هو الذي كان منتشراً زمـان النبي محمد ﷺ ومتداولاً في أنحـاء العالم. وهو الذي قصده القرآن الـكريم بأنواع التحريف. وهو الذي قال فيه القـرآن: إنهم منه يعرفون أن نبي الإسلام على حق ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾

يقول الأنبا اثناسيوس: «وأقدم النسخ الكاملة للعهدين هي:

١ - النسخة الفـاتيكانية: وقد كتبت في مـصر في أوائل القرن الرابع [1]، وهـي محفوظة في متـحف الفاتيكان وتحوي العهد القديم كاملاً بما فيـه الأسفار الناقصة من النسخة التي تطبعهـا الهيئات البروتستانتية والعهـد الجديد، ما عدا رسالتي بولس إلى

(١) نبي الإسلام ولد في القرن السادس.

تيموثيوس، والرسالة إلى تيطس وسفر الرؤيا.

٢ - النسـخة السينـائية: وترجع إلى أواخر القرن الرابع، وهي مـحفوظة بالمتحف البريطاني. وتحوي العهد القديم كما في النسـخة الفاتيكانية، والعهد الجديد كاملاً، ثم كتـاب الراعي لهرماس. وقد وجـد هذه النسخة العـالم الألماني تشيندورف في زيارته لدير سانت كـاترين بسيناء عـام ١٨٤٤، ١٨٥٩ وظلت في روسيا حـتى عام ١٩٣٣ حتى بيعت للمتحف البريطاني بمبلغ مائة ألف جنيه.

النسخة الإسكندرية: وترجع إلى أوائل القرن الخامس، وقد كتبت أيضاً في مصر، ونقلت إلى القسطـنطينية، وأهداها البطريرك كيـرلس لوكار بطريرك القسـطنطينية إلى الملك جيـمس الأول (١٦٠٣ - ١٦٢٥) وبجانب هذه النسـخة توجـد نسخـة تسمى الأفرايمية محفوظة، في متحف باريس» [1]

* * *

وقد بيَّن الله تعالى في القرآن الكريم أن علماء بني إسرائيل قد حرفوا التوراة عمداً - وهذا يبطل ما أشاعه اليهود عن ضيـاع التوراة في حادثة «نبوخذ نصر» ملك بابل، وأن «عزرا» قد ألهـم إعادتها - فقد قـال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ ومعناه: أنهم يحذفون الكلمـة الأصلية الإلهية، ويضعون بدلها كلمـة تحتمل معنيين: المعنى الأول هو ما تدل عليـه الكلمة الأصلية الإلهيـة. والمعنى الثاني: هو المعنى الذي يريدونه. وقد فسر الله مـرادهم هذا بقوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ﴾ وقال تعـالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ومعناه: أنهم يتركـون الكلام الأصلي الإلهي على وضعه، ثم يضعـون بجواره كلمة من عند أنفسـهم، تبطل المعنى الحق الذي يدل عليـه الكلام الأصلي الإلهي. وقـال تعـالى: ﴿مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ أي إن الكتاب الذي حرفـوه في بابل، يظهرون منه للناس ما يوافق أهواءهم، ويخفون منه عنهم ما يوافق الحق والمصلحة. وهذا من كتمان الحق عمداً.

---

(١) ص ١٣ دراسات في الكتاب المقدس - إنجيل متى للانبا اثناسيوس.

وأثناء كتابتهم للتوراة في بابل ﴿نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ كما يقول تعالى. وهذا مما يُعذر فيه الخلف، ولا يعذر فيه السلف، لأن السلف نسوا بسبب الإهمال والاستهتار بالدين.

ثم إنه لما استقرت توراة موسى - التي كتبها عزرا في بابل - في العالم، وصعب على اليهود أن يحرفوا اللفظ أو يغيروه، لجأوا إلى تحريف التأويل. وهو أن يكون النص واضح الدلالة على معنى لا يريدونه، فيقولون: ليس هذا هو معنى النص، ويجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق. وقد أشار إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾

* * *

وهذا حين البدء في ذكر الأمثلة على أنواع التحريف في أسفار موسى الخمسة. فنقول:

النوع الأول
لبسُ الحقِّ بالبَاطِل

المثال الأول: صرحت التوراة العبرانية بأن إسماعيل أكبر من إسحق عليهما السلام بأربع عشرة سنة، وفي التوراة التي نقل عنها بَرْنابا سبع سنين [1] وأيا ما كان الخلاف، فالاتفاق حاصل على أن إسماعيل هو الابن المولود أولاً. [تك ١٦: ١٦ تك ٢١: ٥] وقد امتحن الله إيمان إبراهيم، فأمره بذبح ابنه الوحيد. فمن هو الابن الوحيد؟ إنه هو إسماعيل. لأنه المولود أولاً، والصبر على ذبحه أشد مما لو كان لإبراهيم ولد آخر. فجاء الكاتب وكتب: «وحدث بعد هذه الأمور: أن الله امتحن إبراهيم فقال له:

---

(١) يقول برنابا على لسان المسيح «فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلاً: خذ ابنك بكرك إسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة، فكيف يكون إسحق البكر وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين»؟ [برنابا ٤٤: ١٠ - ١١]

يا إبراهيم. فقال: ها أنذا. فقال: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق، واذهب إلى أرض المريا، وأصعده هناك محرقة [(١)] على أحد الجبال الذي أقول لك» [تك ٢٢: ١-٢] ثم يقول الكاتب في نفس الأصحاح: «فرفع إبراهيم عينيه، ونظر وإذا كبش وراءه ممسكاً في الغابة بقرنيه، فذهب إبراهيم وأخذ الكبش، وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه، فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يَهْوَه يِرْه [(٢)] حتى إنه يقال اليوم في جبل الرب يرى» فقول الكاتب: «خذ ابنك وحيدك الذي تحبه» هذا حق. وهو أصل الكلام. والمناسب أن يقول: إسماعيل. فقوله إسحق: لبس للحق بالباطل، لأن الوعد بتكثير نسل إبراهيم وإرثه باب إعدائه، في هذا النص؛ منصرف إلى نسل الذبيح. فجعلوه إسحق لقصر الشريعة عليهم وحدهم وقوله «يقال اليوم في جبل الرب يرى» دليل على أن التوراة كتبت بعد تعيين جبل أورشليم مكاناً مقدساً. أي بعد تأسيس داود عليه السلام للهيكل - كما يزعمون - والسامريون يقولون: إن جبلهم جرزيم هو الجبل المقدس. لأن الذبيح كان عليه. ويهود أوشليم يقولون: إن جبلهم المقدس، لأن الذبح كان عليه. واختلافهم دليل علىٰ كذبهم. والحق: أنه كان في مكة بدليل: أن إبراهيم عليه السلام خرج من أرض آبائه وهبط إلى مكة وزعم اليهود أنه خرج من أرض كنعان وهبط إلى مكان الذبيح على حمار هو وابنه وغلاماه «وفي اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد، فقال إبراهيم لغلاميه: اجلسا أنتما ههنا مع الحمار، وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد، ثم نرجع إليكما» [تك ٢٢: ٤ - ٥] فإبصار الموضع من بعيد في اليوم الثالث يدل على سفر طويل، وذهابه إلى هناك للسجود دليل على أن مكاناً كان معداً للسجود من قبل، وأن الغلامين يعرفانه.

وتعيين عيبال أو جرزيم، قد كان بعد إبراهيم وموسى وداود عليهم السلام. وفي ترجمة ١٦٢٢م «خذ الآن ولدك وحيدك الذي أحببت ليصحق، وامض إلى أرض العبادة» وأرض العبادة لا يمكن أن تكون بلاد الشام لأن بني إسرائيل دخلوها من بعد إبراهيم بمئات السنين في عهد داود وسليمان. ثم إن الكاتب بعد ذكر هذا النص، يذكر أن ملاك الله قال لإبراهيم: «فلم تمسك ابنك وحيدك عني» - «ولم تمسك ابنك

(١) المحرقة في اصطلاح الدين اليهودي: ذبح الحيوانات وإحراقها بالنار ليرضى الله عن الذي تقدم بها له.

(٢) في ترجمة الآباء اليسوعيين «فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع الرب يرى، حتى إنه يقال في جبل الرب يرى»

وحيدك عني» [تـك ٢٢: ١٢، ١٦] كررها. ولم يذكر إسحق. فقد تعمد اللبس في النص الأول، وعاد يجري الحديث كالأصل.

المثال الثاني: قال الله لإبراهيم: « أقيم عهدي بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً لأكـون إلها لك ولنسلك من بعدك، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان ملكاً أبدياً» [تـك ١٧:٧ - ٩] ولما كان هذا العهد قبل ولادة إسحق. فإن النسل الذي له العهد يكون نسل إسماعيل فقط. وقد رأى الله أن يكون نسل إسـحق مهـدًا الطريق للنبي الآتي من إسمـاعيل وعلى أنه ممهـد تكون البـركة في إسمـاعيل وإسـحق، في هذا النص: «لأنه بإسـحق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضاً سـأجعله أمة لأنه نسلك» [تـك ٢١:١٢ - ١٣] وابن الجارية هو إسـماعيل لقوله: «نادى ملاك الله هاجـر من السماء، وقال لها: مـالك يا هاجر، لا تخافي لأن الله قد سـمع لصوت الغـلام حيث هو. قـومي احملي الغلام وشـدي يدك به، لأني سأجـعله أمة عظيـمة» [تـــك ٢١: ١٧ - ١٨] فـماذا حـدث من الكاتب؟ إنه لبس الحق بالباطل. وذلك بوضعه ما يدل على أن العهد خاص بإسحق في النص الآتي:

«(١٨) وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك (١٩). فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه إسحق، وأقيم عـهدي معه عهداً أبديّاً لنسله من بعده (٢٠) وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيـه، ها أنا أباركه، وأثمره، وأكثره كثيراً جداً، اثنى عشر رئيـساً يلد، وأجعله أمة كبـيرة (٢١) ولكن عهدي أقيـمه مع إسحق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية» [تك ١٧:١٨ - ٢١] إن الآية رقم ١٨ تفيد أن إبراهيم قد طلب أن يعيش نسل إسـماعيل في طاعة الله لأن هذا هو معنى العـهد بدليل ما جـاء في الآية ١٩ وهو «بل سارة. . . إلخ» لأن «بل» تفـيد أنه طلب العـهد لإسمـاعيل، ولم يرد الله له على حسـب مراد الكاتب. وإقـحام الآية ١٩ بين طلب إبراهيم واستـجابة الله لطلبـه في الآية ٢٠ وهي «وأما إسـماعيل فـقد سـمعت لك فيه. . . إلخ» إقحامها بين الطلب والاستجابة: دليل على معرفتهم اليقينية بأن العهد في إسـماعـيل، ويمهد له نسل إسـحق، ويؤكـد هذا: ما جـاء في الآية ٢١ وهي «ولكن عهـدي أقيمـه مع إسحق. . . إلخ» فإنهـا تفيد أن الطـلب والاستجـابة كانا من أجل

العهـد. وهو لا يكون خاصًا بإسحق لأن العـهد في إسماعـيل من قبل ولادته. وإذ لإسحق بركة. فإنه لا يكون إلا ممهداً.

ويؤكد هذا أيضـاً :ما جاء في بيـان الاستجـابة عن إسماعـيل وهو: «ها أنا أباركه وأثمره، وأكـثره كثـيراً جداً. . .إلخ» ولم يرد عن إسـحق إلا دونه في التعبـير. ومن الأدلة على لبس الحق بالبـاطل في هذا النص: أن هاتين الآيتين ١٩، ٢١ يثبتـان عهداً لإسـحق وهو لم يولد بعـد. ومن كان مولوداً بالفعل أحق بـالعهد ممن لم يولد بعد، خاصة وأن إبراهيم قد رزق به على الكبر، وامتثل للأمر بذبحه، ونفذ الولد أمر الله، فاستحق عظيم المنزلة ورفيع الشرف. ولو كـان الذبيح إسحق، لكان خلفا للموعد في يعقوب، الآتي ليحمل بركة إسحق إلى الأمم.

فأنت ترى أن النص الأصلي هو: «وقال إبراهيم لله: ليت إسمـاعيل يعيش أمامك. فقال الله: وأما إسماعـيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه واثمره وأكـثره كثيراً جداً اثنى عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة» وقد وضع الكاتب «بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسـمه إسحق وأقـيم عهدي معـه عهداً أبدياً لنسـله من بعده» وسط النص الأصلي، لغرض اللبس، وأكد غرضه بالآية الأخيرة رقم ٢١ .

المثـال الـثـالث: لم يحدد موسى عليـه السلام لبني إسرائيل قبلة، كـما حدد نبي الإسلام ﷺ الكعبة للمسلمين. ففي التوراة على لسان الله عز وجل: «مذبحاً من تراب تصنع لي. وتذبح عليه محرقاتك، وذبـائح سلامتك، غنمك وبقرك. في كل الأماكن التي فيها أصنع لإسمي ذكراً آتي إليك وأباركك» [خروج ٢٠:٢٤] يحدد النص: أن لله المشرق والمغرب، وأيـنما يولوا وجوههم، فثم وجـه الله. أي رحمته ومـغفرته. ثم إن الكاتب أراد أن يجعل أرض كنعـان، أرضاً مقدسـة إلى الأبد، لبني إسرائيل. ولذلك قال لهم – على لسان موسى –: إن الله تعالى سـيرسل لكم نبياً من بعدي يحدد لكم مكاناً، ويلغي تعـدد الأمكنة. وقال الـكاتب: إن المكان سيـحدده النبي الآتي من بـعد موسى، في أرض كنعان، في أرض أحد الأسباط. ثم قال: والنبي الآتي هو داود.

وقول الكاتب: إن نبيا منتظراً من بعد موسـى، سيرسله الله تعالى لتحديد مكان: قول صحيح. والدليل على صحته: أن عيسى عليه السلام قاله وأكده للمرأة السامرية –

كما هو مذكور، في إنجيل يوحنا وبرنابا -

وقول الكاتب: إن النبي الآتي سيحدد القبلة في أرض أحد الأسباط: قول باطل. وقد لبس به الحق الذي هو أن النبي المنتظر سيحدد مكاناً. وعلى ذلك لا يكون النبي الآيت لتحديد هو داود.

واليهود حددوا مكاناً وقدسوه وعظموه في أرض أحد الأسباط. فمن عينه لهم. لأن موسى مات ولم يعين مكاناً ولا جهة؟ من عينه لهم. وقد نصت التوراة على أن اليهود لا يسمعون من نبي منهم يشرع لهم بغير ما شرع موسى؟

وهذا هو النص الذي كتبه عزرا في سفر التثنية عن تحديد مكان في أرض الأسباط: «احترز من أن تصعد محرقاتك في كل مكان تراه. بل في المكان الذي يختاره الرب في أحد أسباطك» [تث ١٢: ١٣] فقوله: «في المكان الذي يختاره الرب» يدل على أن موسى عليه السلام لم يعين قبلة. وهذا حق، لموافقته، لقول الله تعالى - كما كتبوا -: «في كل الأماكن التي فيها أصنع لاسمي ذكراً، آتي إليك وأباركك» وقوله: «في أحد أسباطك» هو لبس للحق بالباطل. لأنه لن يظهر نبي في بني إسرائيل مشرع مثل موسى، حتى يعين القبلة في أرض الأسباط، أو في أي أرض كما هو منصوص عليه في الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية.

وقد اختلف اليهود في «المكان» المختار من بعد موت موسى عليه السلام. فالسامريون قالوا: إنه جبل «جرزيم» والعبرانيون قالوا: إنه جبل «صهيون» وفي حياة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام سألته امرأة سامرية: «قالت له المرأة: يا سيد أرى أنك نبي. آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون: إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه، قال لها يسوع: يا امرأة صدقيني. إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل، ولا في أورشليم تسجدون للآب، أنتم تسجدون لما لستم تعلمون. . تأتي ساعة، وهي الآن. حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق. لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له، الله روح. والذين يسجدون له. فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا. قالت له المرأة: أنا أعلم أن مَسِيًّا الذي يقال له المسيح يأتي، فمتى جاء ذلك يخبرنا بكل شيء» [يوحنا ٤: ١٩ - ٢٥] فقول المرأة: إن المسيا سيخبر بكل شيء،

يـدل على معرفتها تماماً بأن القـول الذي لا يكذب صاحبه، ويلتزم به، هو القول الذي يصـرح به «المسيا» حتى ولو أمر بنسخ شريعة موسى عليه السلام وغيَّر المكان المقدس.

* * *

ونبـين هنا للفائدة: أن أصل كلمة المسيا هي في العبرانية «هَمَشِيح» Ha-mashiah وفي الآرامـية وكـانت هي اللغـة المستـعملة في عصـر المسيح في فلسطين: مـشيح Meshiha اليونانية = مسيح - وهي في فلسطين: مشيح Meshiha ومشيح في اللغة اليونانية = مسيح - وهي تعادل «كريستوس» - ففي إنجيل يوحنا: «مسيا الذي تفسيره المسـيح» [يوحـنا ١:٤١] وأصل كلمة المسيح: الممـسوح بالزيت أو الدهن المقدس. ثم أصبحت تعني عـلى المجاز: المعين من الله أو المصطفى. ولو لم يمسح [١]. ومشـيح تترجم في اللغة العربية (مسيا) Messiah وفي الكتاب المقدس: - Alexander Jenes We have found the Messiah - which means the christ ولفظ المسـيـا أو المسـيح لقب لا اسم، وهو لقب أطلقـه اليـهود من بعـد سبي بابل عـلى النبي المنتظر الذي وعدهم به مـوسى في قوله على لسان الله تعـالى: «أقيم لهم نبيّـاً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فـيكلمهم بكل ما أوصيه به» [تـث ١٨:١٨] وعلـى طريقتـهم في التفكير والتعـبير: فقـد كان موسى يلقب بالمسـيح وكذلك هرون وداود وسليمان عليهم السلام وجميع الأنبياء والكهنة أي العلماء العظام والملوك فقد جاء في سفر الملـوك الأول: «فأخذ صادوق الكاهن، قرن الـدهن من الخيمة ومسح سـليمان، وضربوا بالبوق. وقال جميع الشعب: ليحيا الملك سليمان» [الملـوك الاول ١:٣٩] ولما جاء يحيى عليـه السلام سأله اليهـود: المسيح أنت؟ - أي المسيح المنتظر - «فـاعترف ولم ينكر. وأقر أني لست أنا المسيح» [يوحنا ١:٢٠] وعيسى عليه السلام نفى عن نفسه أنه المسيح المنتظر. فقـد قال له بطرس: «أنت المسيح. فانتهـرهم كي لا يقولوا لأحد عنه» [مـرقس ٨: ٢٩ - ٣٠] فالمسيا المـنتظر لم يكن هو يحيى، وليس هو عيسى باعتـرافهما. والمسيـا هو نبي الإسلام ﷺ الذي جاء من بعد عيسى ويـحيى. لأن اليهود والنصارى

(١) دائرة المعارف اليهودية تحت كلمة مسيا.

مجمعون على أن لقب المسيا: وارد من دلالات النص المذكور في [التثنية ١٨: ١٥ - ٢٢] والأوصاف في النص لا تشير إلى عيسى أو يحيى وإنما تشير إلى محمد.

وقول القـرآن الكريم: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ لا يدل على أن المسيح الرئيس هو عيسى. فإن لقب «المسيح» أطلق على عيسى كما أطلق على سائر الأنبياء والمسحاء الذين قال الله عنهم في التوراة: «لا تمسوا مسحائي، ولا تؤذوا أنبيائي» [الاخبار الاول ١٦:٢٢] وبحسب ما اشتهر به بين الناس وعرف، جاء قول القرآن هذا. لكن ليس هو المسيح الرئيس.

ومعنى الآية: اسمه. ما هو اسمه؟

والإجابة هي: المسيح عيسى ابن مريم. فاسمه مبتدأ، وجملة المسيح عيسى ابن مريم؛ هي الخبر. لا أن المسيح هو المبتدأ، والخبر هو عيسى بن مريم.

ومثلها: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾

فالمسيح عيسى ابن مريم؛ مبتدأ، وما هو خبره؟ خبره: رسول الله وكلمة الله وروح من الله لا أن المسيح مبتدأ، وعيسى ابن مريم خبره.

والمسح على الحقيقة - هو المسح بالزيت المقدس. والمسح على المجاز هو المصطفى من الله لأداء رسالة مقدسة. وكلمة المسيح تطلق على ١ - النبي ٢ - والكاهن ٣ - والملك. وقد قال عيسى عليه السلام في إنجيل برنابا: أن المسيا هو محمد رسول الله. وقال في رواية متى: أن المسيح هو محمد رسول الله. وهما لفظان مترادفان يدلان على واحد لقبًا لا اسمًا.

ولفظ المسيح مثل لفظ (الإسلام) يطلق بالاشتراك على دين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام. ولكن إذا أطلق علما فإنه لا ينصرف إلا على دين نبي الإسلام وحده. ومثل لفظ (النبي) يطلق بالاشتراك على الكثيرين، وعلماً إذا أطلق، لا ينصرف إلا على نبي الإسلام وحده، وقد سماه دانيال في سفره «المسيح الرئيس» وسماه «قدوس القدوسين» في قوله «سبعون أسبوعا قضيت على شعبك، وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا، ولكفارة الإثم، وليؤتى بالبر الأبدي

ولنختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين، فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس: سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعاً. . . إلخ» [دا ٩: ٢٤ - ٢٥].

المثال الرابع: أمر الله اليهود بدعوة جميع الأمم إلى الله في قوله: «مثلكم يكون مثل الغريب أمام الرب شريعة واحدة وحكم واحد» [عدد ١٥: ١٥ - ١٦] فجاء الكاتب وبين أن الغريب هو النازل وسط ديارهم، وليس الغريب البعيد عنهم في الأرض، في قوله: «شريعة واحدة وحكم واحد، يكون لكم، وللغريب النازل عندكم» [عدد ١٥:١٦] فقوله: «النازل عندكم» أزادها الكاتب للبس الحق بالباطل. ليقصر الشريعة على اليهود وحدهم، ولمن هو بينهم يخدمهم. في ديارهم.

المثال الخامس: طلب إبراهيم عليه السلام من الله علامة ليطمئن بها قلبه على كيفية إحياء الموتى عن إنجاب أولاد، ليستيقن بإرث نسله للأرض الموعودة وهي أرض مكة، فغير الكاتب هذا المعنى، وبين أن الطلب كان ليستيقن كيف يرث نسله أرض كنعان، ولأنه ينقل النصوص دون رهبة من الله لغرض لبس الحق بالباطل نقل خطأ أنهم كانو طيرين، لا أربعة من الطير «فقال أيها السيد الرب: بماذا أعلم أني أرثها؟ فقال له: خذ عجلة ثلاثية، وعنزة ثلاثية، وكبشا ثلاثياً ويمامة وحمامة فأخذ هذه كلها، وشقها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه، وأما الطير فلم يشقه، فنزلت الجوارح على الجثث. وكان أبرام يزجرها. . . ثم لما غابت الشمس فصارت العتمة، وإذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع. . . في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات» [تك ١٥:٨ - ١٧]

المثال السادس: طلب الله من موسى أن يجمع بني إسرائيل ناحية جبل حوريب - جبل طور سيناء - ليسمعوا صوت الله وهو يتكلم مع موسى، فيخشون الله ويهابونه إلى الأبد «قال لي الرب: أجمع لي الشعب فأسمعهم كلامي لكي يتعلموا أن يخافوني كل الأيام التي هم فيها أحياء على الأرض، ويعلموا أولادهم. فتقدمتم ووقفتم في أسفل الجبل، والجبل يضطرم بالنار إلى كبد السماء بظلام وسحاب

وضباب فكـلمكم الرب من وسط النار، وأنتم سامعون صـوت كلام، ولكن لم تروا صورة بل صوتاً» [تث ٤:١٠ – ١٢] وبنو إسرائيل طلبوا من موسى أن يكلم الله – تعالى – أن لا يحـدث هذا المنظر الرهيب مـرة أخرى، وإذا أراد مـخاطبـتـهم؛ يخاطبـهم بواسطته، فوعدهم الله بنبي يأتي من بعد موسى مثله في هذا النص:

«يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي. له تسمعون. حسب كل ما طلبـت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجـتماع قـائلاً: لا أعود أسـمع صوت الرب إلهي، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئـلا أموت، قال لي الرب: قد أحسنوا في ما تكلمـوا. أقيم لهم نبـياً من وسط إخوتهم مـثلك، وأجعل كلامي في فـمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه، وأما النبي الذي يطغى فيـتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيـموت ذلك النبي. وإن قلت في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتـكلم به الرب؟ فـمـا تكلم به النبي بـاسم الرب. ولم يحـدث ولـم يصر. فهـو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيـان تكلم به النبي فلا تخف منه» [التثنية ١٨: ١٥ – ٢٢].

والأوصاف العشرة التي يتحـدث عنها هذا النص تنطبق بوضوح على نبي الإسلام ﷺ إذا فـسرنا: «من وسطك» و«من وسط» أنه سـيكون من عـشيـرة إبراهيم المؤمنة بالله. ولكن الكاتب يقصـد بها أنه سيكون من اليهـود أنفسهم. فعـبارة «من وسطك» و«من وسط» وضعهـما الكاتب ضمن النص الأصلي للبس الحق بالبـاطل، ليؤكد أن هذا النبي إذا جاء، فإنه سيكون من بني إسرائيل.

* * *

النوع الثاني
تحريف الكلم من بعد مواضعه

في النص السابق وهو [التثنية ١٨: ١٥ - ٢٢] «يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون. . . أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه. . . إلخ» قلنا: إن «من وسطك» تدل على أنه سيكون من جماعة المؤمنين. ولكن المحرف يعني بها أنه سيكون من اليهود. والدليل على خطئه: هو أن النص يوضح من صفات النبي المنتظر: أن يسمع اليهود له ويطيعون. أي يكون مشرعاً مثل موسى، وقد نصت شريعة موسى على أنه لن يأتي نبي مشرع من بين بني إسرائيل .وعبارة «من إخوتك» هي تحريف للكلم من بعد مواضعه. لأنها تحتمل معنيين: المعنى الأول: من إخوة اليهود. أي أنه سيكون إسرائيلياً. والمعنى الثاني: من إخوة اليهود أي أنه سيكون من بني إسماعيل. لأن إسماعيل أخ لإسحق، وأولاد الأعمام يطلق عليهم إخوة. ولا ينصرف «من إخوتك» على بني عيسو، أخي يعقوب، ولا على أولاد إبراهيم عليه السلام من زوجته قطورة، أو من السراري اللائي كن له، لأن اليهود والنصارى متفقون على حرمان هؤلاء من هبات النبوة، وأن يكون في ذريتهم النبوة والكتاب، بأدلة يطول شرحها [1] .

وقد وضع الكاتب في التوراة لفظ «الإخوة» بالتساوي بين أولاد إسماعيل، وأولاد إسحق. ليبين أنه إذا جاء النبي على وفق مرادهم يظهرون النصوص التي تدل عليه - النصوص المحكمة والمتشابهة - وإذا جاء على غير مرادهم يجحدوه. والدليل على أن بني إسماعيل إخوة لبني إسرائيل: أن ملاك الرب نادى هاجر من السماء: «وقال لها تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة، وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابناً، وتدعين اسمه إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك، وأنه يكون إنساناً،

(١) منها أن عيسو باع بكوريته ليعقوب ومنها أن أولاد قطورة وبني السراري أعطاهم إبراهيم في حياته عطايا وصرفهم نحو المشرق.

وحشيّـاً. يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه. وأمام جـميع إخوته يسكن» [تـك ١٦: ١٠ - ١٢] وقال الكاتب عن إسماعيل: «وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قـوس. وسكن في برية فاران وأخذت له أمه زوجـة من أرض مصر» [تـك ٢١: ٢٠ - ٢١] فقوله: «أمام جمـيع إخوته يسكن» وأنه «سكن في برية فاران» يدل على أنهم جـميعـاً سكنوا في أرض العرب: إسـمـاعيل في الجنوب، وإسـحق في الشمال. وكل واحـد مقابل أخيه، ثم لما كثـروا بعد مدة من الزمان كان بنو إسـماعيل ينتـشرون حول «مكـة» وكانت مكة عـاصمة لهـم وكان بنو إسـحق ينتشـرون حول «أورشليم» وكانت أورشليم عاصمة لهم. ولا توجد فواصل طبيعية في هذه البقعة من الأرض، تعوق الاتصال بين بني إسماعيل وبني إسحق.

* * *

النوع الثالث
تحريف الكلم عن مواضعه

في النص السابق وهو [التثنية ١٨: ١٥ - ٢٢] رأينا أن «من إخوتك» وضعت لتحريف الكلم من بعد مواضعه. وهذا التحريف في النصوص بالزيادة والنقصان قد تم في بابل من سنة ٥٨٦ ق.م وانتشرت التوراة بعد ذلك في العالم، وصعب على اليهود تحريفها باللفظ. والذي تبقى لليهود بعد ذلك ولا يصعب عليهم هو هذا النوع من التحريف، وهو المجادلة بالباطل لطمس المعنى المراد من النص بالتأويلات الفـاسدة، وكتمان الحق وهم يعلمون.

سنتناول النص السابق نفسه بالبيان، كـمثل على هذا النوع من التحريف، لسببين: السبب الأول: أن اليـهود يتـمسكون به في انتظار هذا النبي إلى يومنـا هذا. والسبب الثاني: أن النصارى يتمسكون به في أنه قـد جاء وأنه هو يسوع المسيح، ولا نبي بعده إلى يوم القيـامة، إلا أن يكون نبيّـاً كاذباً. ونحن المسلمين نتمـسك بهذا النص في أنه يشير إلى نبي الإسلام ﷺ. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك النص في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ وقول النصارى: إن هذا النبي هو عيسى عليه السلام يفيد أن هذا النبي ما كان قد أتى قبل عيسى، وقد كتبوا في الإنجيل أن اليهود سألوا عنه يحيى عليه السلام: «ألنبيّ أنت؟ فأجاب: لا» [يوحنا ١:٢١] يقول يوحنا: «فكثيرون. من الجمع لما سمعوا هذا الكلام. قالوا: هذا بالحقيقة هو النبي. آخرون قالوا: هذا هو المسيح وآخرون قالوا. . . إلخ [يو ٧:٤٠] وقولهم «النبي» بالألف واللام يفيد أنهم ينتظرون النبي الذي وعد به موسى في سفر التثنية ولم يقل لهم عيسى: إنني ذلك النبي، بل قال لهم: «من يقبل نبياً باسم نبي، فأجر نبي يأخذ، ومن يقبل باراً باسم بار، فأجر بار يأخذ» [متى ١٠:٤١].

وأوصاف ذلك النبي كما يحددها النص:

١ - نبي.

٢ - من بين إخوة اليهود.

٣ - مثل موسى.

٤ - ينسخ شريعة موسى «له تسمعون».

٥ - يكون ملكاً على العرب واليهود وأمم العالم.

٦ - أمي لا يقرأ ولا يكتب «أجعل كلامي في فمه».

٧ - أمين على الوحي الإلهي لا يزيد ولا ينقص «يكلمهم بكل ما أوصيه به».

٨ - لا يقتل بيد أعدائه.

٩ - يتحدث عن أمور غيبية وتحدث في المستقبل كما قال «فما تكلم به النبي باسم الرب، ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي. فلا تخف منه» وإذا لم تحدث يكون كاذباً.

١٠ - سيقضي على اليهود «كل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشعب».

وقال النصارى: إن ذلك النبي هو عيسى عليه السلام، لقول بطرس في شأنه بعد رفعه مباشرة إلى السماء: إنكم أنكرتم القدّوس البارّ «فإن موسى قال للآباء: إن نبيا

مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون في كل ما يكلمكم به، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشعب» [اعمال الرسل ٣:٢٢ - ٢٣] واليهود يقولون: إنه نبي لم يظهر بعد، وإذا ظهر سيظهر في بني إسرائيل. ويلقبونه بلقب «المسيح» الذي هو المسيا الرئيس.

يقول سعد بن منصور بن كمونة الإسرائيلي البغدادي: وأما النبي الذي يقيمه الله من إخوة بني إسرائيل فالمراد بذلك أنه يكون منهم، لأنه أكثر ما وردت لفظة «إخوتكم» في مخاطبة بني إسرائيل: أريد بها من هو منهم، إلا في النادر، مثل قوله: «إخوتكم بني عيسو» [(١)] ويكمل ابن كمونة رأيه في رده على النصارى فيقول: «وقول شمعون (بطرس): إن النبي الذي وصى بنو إسرائيل بقبول أمره، والإيمان به، هو المسيح فغير مسلم، بل هو إشارة إلى كل نبي يأتي على دين موسى، وسياقة الكلام المنزل في هذا النص، لا تقتضي التخصيص بنبي دون غيره. وبتقدير أن تقتضي ذلك، فنمنع أن المقصود هو المسيح» [(٢)] وقد ظن «شموئيل بن يهوذا بن أيوب» أنهم يعنون به «شموئيل» الذي طلب منه بنو إسرائيل ملكاً يقاتلون تحت أمرته في سبيل الله، فرد عليهم بقوله: «وإن قالوا: إن هذا القول، إنما أشير به إلى «شموئيل» النبي - عليه السلام - لأنه قال: «من وسط إخوتهم مثلك» وشموئيل كان مثل موسى، لأنه من أولاد لاوي، يعنون من السبط الذي كان منه موسى عليه السلام. قلنا لهم: فإن كنتم صادقين فأي حاجة بكم إلى أن يوصيكم بشموئيل وأنتم تقولون إن شموئيل لم يأت بزيادة ولا نسخ؟ أشفق من أن لا تقبلوه؛ لأنه إنما أرسل ليقوي أيديكم على أهل فلسطين، وليردكم إلى شرع التوراة وبين صفته؟ فأنتم أسبق الناس إلى الإيمان به، لأنه إنما يخاف تكذيبكم لمن ينسخ مذهبكم ويغير أوضاع ديانتكم فالوصية بالإيمان به؛ مما لا يستغني مثلكم عنه. ولذلك لم يكن موسى بحاجة إلى أن يوصيكم بالإيمان بنبوة إرمياء وإشعياء وغيرهما من الأنبياء. وهذا دليل على أن التوراة أمرتهم في هذا الفصل: بالإيمان بالمصطفى واتباعه ﷺ» [(٣)]

---

(١) ص ٩٤ - ٩٥ تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث. (٢) ص ٦٤ المرجع السابق.

(٣) ص ٣٢ - ٣٣ بذل المجهود في إفحام اليهود - وشموئيل هذا، سمى نفسه بعد إسلامه السموءل بن =

وقبل أن نناقش اليهود والنصارى نبين عقيدة النصارى في عيسى عليه السلام:

أولاً: تعتقد الكنائس الشرقية (الأرثوذكس): أن الله عز وجل نزل من السماء، ودخل بطن مريم العذراء وظل في بطنها تسعة أشهر جنيناً، ثم خرج من بطنها طفلاً هو عيسى، ثم لما بلغ سن الثلاثين بلّغ الرسالة وأدى الأمانة. وبعد سنتين وأشهر قتله اليهود وصلبوه. وبعدما مكث في القبر ثلاثة أيام، قام وصعد إلى السموات، كما كان منذ إنشاء العالم. وقبل التجسد يسمى الآب [(١)] وبعد التجسد يسمي الابن، ولما صعد لقب بالروح القدس أي أن عيسى ابن مريم هو الله نفسه، الذي خلق السموات والأرض وسائر الكائنات. يقول بولس: «الله ظهر في الجسد، تبرر في الروح، تراءى لملائكة، كُرز به بين الأمم، أومن به في العالم، رفع في المجد» [الأولى إلى تيموتاوس ٣: ١٦] وعن هذا المذهب يقول القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾

ثانياً: تعتقد الكنائس الغربية (الكاثوليك والبروتستانت): أن الآلهة ثلاثة، وكل إله منفصل عن الآخر، وهم الإله الآب، والإله الابن والإله الروح القدس. يقول الكاثوليك في شرح الآية الأولى من إنجيل يوحنا وهي: «والكلمة كان عند الله» يقولون: إن الكلمة متميز عمن ولده، فالآب غير الابن، والابن غير الآب ومع ذلك فهما شيء واحد في الطبيعة والذات والحكمة» [(٢)] ويقول الأب بولس إلياس اليسوعي: «ليس بمقدور أحد أن يعرف الله، كما يعرفه هو - أي - المسيح - لأنه ابنه بالطبيعة» ويقول أيضاً: «ليس المسيح ابن الله بالتبني كالأبرار والصديقين، إنما هو ابنه بالطبيعة» [(٣)] وعن مذهب الكاثوليك يشير القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾

=يحيى، وتوفي بأربيجان سنة ٥٧٠ هـ، ورد عليه ابن كمونة في كتابه تنقيح الأبحاث. وابن كمونة هو: عز الدولة أبو الرضا سعد بن نجم الدين منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله بن كمونة توفي بالحلة ٦٨٣ هـ.

(١) لاحظ أنهم لا ينقطونها: الآب. واسم الروح القدس عندهم يطلق على الله قبل خلق السموات والأرض، وبعد خلق السموات والأرض يسمى الآب.

(٢) ص ٤٧٩ المجلد الثالث - حواش على الكتاب المقدس للكاثوليك.

(٣) ص ٧٣، ٧٤ يسوع المسيح - الاب بولس إلياس اليسوعي - بيروت سنة ١٩٦٦ م.

وليس في العالم إلا هذان المذهبان الكبيران، من قبل ظهور الإسلام وإلى يومنا هذا.

* * *

ولنأخذ في مناقشة اليهود والنصارى معا، لنبين كيف يحرفون الكلم عن مواضعه:

١ - لقد حدد النص أن الآتي في المستقبل نبي مثل موسى. فهل عيسى في معتقد النصارى نبي أم إله؟ إنه نبي في اعتقادنا نحن المسلمين. وليس إلها. لأنه قد ثبت من الأناجيل: أن عيسى عليه السلام تحدث أمام اليهود وأكل وشرب ونام وقام وأوذي في سبيل الله. وثبت من الأناجيل: أن الله لا يُرى، كما ثبت من التوراة يقول بولس عن الله تعالى: «المبارك العزيز، الوحيد. ملك الملوك ورب الأرباب. الذي وحده له عدم الموت ساكناً في نور لا يدني منه الذي لم يره أحد من الناس، ولا يقدر أن يراه، الذي له الكرامة والقدرة الأبدية» [الأولى إلى تيموتاوس ٦: ١٥ - ١٦] فإذا كان الله لا يُرى ولا يقدر أحد أن يراه. فكيف رأى اليهود عيسى؟ وكيف رآه النصارى؟ إذًا ليس هو الإله أو إله.

٢ - المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام من جهة أمه من ذرية هرون عليه السلام من سبط لاوي لقوله تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ وإن كان النصارى يقولون: إنه من داود عليه السلام من سبط يهوذا. أي أنه يهودي صميم من جهة الأم، ومن أوصاف النبي المنتظر أن يسمع اليهود له ويطيعون في كل ما يكلمهم به، حتى ولو أمرهم بترك كتابهم الذي أعطاه لهم موسى. وقد نصت شريعة موسى على أن لا مشرع غيره من بني إسرائيل [تث ٣٤: ١٠] وعليه لا يكون هذا النبي المنتظر هو المسيح ابن مريم لأنه من بني إسرائيل. وإذا لاحظنا أن التوراة أشارت إلى نسل إسماعيل بأنهم إخوة لبني إسحق، لا يجرؤ معترض أن يمنع دلالة النص على نبي الإسلام ﷺ لأنه من بين إخوتهم أيضاً في قوله: «وأمام جميع إخوته يسكن» [تك ١٦: ١٢].

٣ - مثلية موسى لعيسى في كونه نبياً واضحة. ولكن ليست هذه المثلية هي المرادة. والمثلية المرادة حددها ذلك النص وهو: «ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل

موسى الذي عـرفه الرب وجهاً لوجـه في جميع الآيات والعـجائب التي أرسله الرب ليعـملها في أرض مـصر بفـرعون وبجمـيع عبـيده، وفي كل أرضه، وفـي كل اليد الشديدة، وكل المخاوف العظيمة التي صنعهـا موسى أمام أعين جميع إسرائيل» [تـث ٣٤: ١٠ - ١٢] فهذا النص يحدد المثلية:

١ - في الآيات والعجائب.

٢ - وفي كل اليد الشديدة.

٣ - وفي كل المخاوف العظيمة.

وأين من هذا عيـسى وهو لم يحارب، ولم يحـرر بني إسرائيل من الرومان كـما حرر موسى بني إسـرائيل من فرعون؟ وفي الأناجيل هذه العـبارات الدالة على هوان عيسى، وهي: «حينئذ بصقوا في وجهـه ولكموه، وآخرون لطموه، قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك»؟ [متى ٢٦: ٦٧] «فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الـكتيبـة فعروه، وألبـسوه رداء قـرمزياً، وضفـروا عليه إكليـلا من شوك، ووضعوه على رأسه، وقـصبة في يمينه، وكانوا يجثون قدامه ويسـتهزئون به، قائلين: السلام يا ملك اليـهود، وبصقوا علـيه وأخذوا القصـبة وضربوه على رأسه، وبعـدما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء، وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب» [متى ٢٧: ٢٧ - ٣١] وأين هذا من قول الله تعـالى لنبي الإسلام ﷺ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ وهو قـد حرر العرب من نفـوذ فارس والروم. وحرر أرض كنعـان أيضا من الروم، وفتح عـمر بن الخطاب أمير المؤمنـين رضي الله عنه للمسجد الأقصـى سنة ٦٣٦ ميلادية [١] شـاهد على ذلك؟

٤ - لم ينسخ عيسى شريعـة موسى. وإنما كان متبعاً لها - أي مـصدقاً - وكانت مهـمته تتلخص في أمـر اليهود بالتـوبة والاستعـداد للدخول في ملكوت السـموات ملكوت نبي الإسلام والذين معه. وتصحيح تحريفات اليهود للتوراة وبيان ما كانوا فيه يختلفون. وقد أشـار القرآن إلى أن المماثل لموسى هو محمد عليهـما السلام في قوله تعـالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ

(١) القدس الخالدة ص ١٥٤ - ١٥٥ .

﴿مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ وفي الإنجيل أن عيسى شفا رجلاً من البرص، وقال له: «انظر أن لا تقول لأحد، بل أذهب أر نفسك للكاهن، وقدم القربان الذي أمر به موسى شهادة لهم» [متى ٨:٤] فهذا يدل على أنه كان متبعاً للتوراة، ومصدقاً لها فقط. أما عن نبي الإسلام فمع أنه مصدق هو أيضاً مصحح ومبين لأنه مهيمن عليها فقد قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾

٥ - حدد النص أن يكون النبي المنتظر غير قارئ ولا كاتب، وتكون رسالته من فمه، والعرب أمة أمية ما تكتب وما تحسب، لدرجة أن اليهود كتبوا عنهم على لسان الله عز وجل: «هم أغاروني بما ليس إلها، أغاظوني بأباطيلهم. فأنا أغيرهم بما ليس شعباً، بأمة غبية أغيظهم» [تث ٣٢: ٢١] وهذه الأمة هي أمة العرب بني إسماعيل، لأن إسماعيل له بركة منصوص عليها في سفر التكوين. ولابد أن يظهر من نسله نبي، لتبدأ البركة من ظهوره، في الأمم. ولما حرفوا التوراة في بابل - وكانوا يكرهون العرب لأنهم تخلوا عن مساعدتهم ضد ملك بابل - كتبوا عنهم أنهم أمة غبية، من غيظهم منهم.

ونبي الإسلام ﷺ من هذه الأمة لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ وأنه ما كان يتلو الكتب ولا يسطرها بيده لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أما عيسى عليه السلام فقد نشأ في بيئة علمية حضارية متمدنة، ورثت الكتاب، ووعت علوم الفرس واليونان والرومان، وأنه هو نفسه كان ربيًا من رابي اليهود العظام، وكان معلماً في هيكل سليمان بأورشليم مع كونه نبياً - كما قالوا - وكان على جهة الخصوص قارئاً وكاتباً، فقد حكى لوقا عنه: «ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ، فدفع إليه سفر إشعياء النبي، ولما فتح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه: روح الرب علي، لأنه مسحني لأبشر المساكين... وأكرز بسنة الرب المقبولة» [لوقا ٤: ١٦ - ١٩] أي أنه دخل دارا من دور العبادة ليعظ ويبشر كشأن الكهنة اللاويين، وكان يبشر بسنة الرب أي سنة مجيء النبي الذي وعد اليهود به موسى. وفي يوحنا: «ثم حضر أيضاً إلى الهيكل في الصبح، وجاء إليه جميع الشعب فجلس يعلمهم... وأما يسوع فانحنى إلى أسفل، وكان يكتب» [يو ٨: ١، ٦] «فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان. فقال لهما: ماذا تطلبان؟

فقالا: ربي، الذي تفسيره: يا معلم. أين تمكث»؟ [يو ١: ٣٨] وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الربانيين كانوا معلمي الكتب ومدرسيها في قوله تعالى: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾

٦ - حدد النص أن يكون النبي الآتي أمينا على الوحي الإلهي. وفي القرآن الكريم عن أمانة النبي محمد ﷺ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ولا يعقل أن يكون عيسى عليه السلام غير أمين على الوحي. فإنه أمين ومعصوم من الخطأ، وإنه لنبي عظيم. ولكن النصارى من بعده لم يحترموا وصاياه، كما احترم المسلمون وصايا نبيهم. فقد كتبوا وآمنوا بمثل ما يلي: كتب بولس إلى تيموتاوس: «لا تكن في ما بعد شراب ماء بل استعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة» [الاولى ٥: ٢٣] « الرداء الذي تركته في ترواس عند كاربس، أحضره متى جئت، والكتب أيضاً ولاسيما الرقوق» [الثانية ٤:١٣] وكتب إلى فيلمون: «أعدد لي أيضاً منزلاً» [فيلمون ٢٢] ويقول بولس مشرعاً: «فأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا، بل الرب... وأما الباقون فأنا أقول، لا الرب... وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن، ولكني أعطي رأياً» [كورنثورس الاولى ٧: ١٠ - ١٥] أيعقل أن يكون هذا من كلام الله، أو من كلام المسيح؟

٧ - بين النص أن ذلك النبي لا يقتل بيد أعدائه. وقال النصارى في أناجيلهم: إن المسيح عيسى ابن مريم قتله اليهود وصلبوه، وأنه قال: «يا أبتاه في يديك أستودع روحي» في رواية [لوقا ٢٣:٢٤] وفي رواية متى: «إلهي إلهي لماذا تركتني»؟ [متى ٢٧: ٤٦] أما نبي الإسلام ﷺ فقد مات على فراشه موتاً طبيعياً. وقد هدده الله بالقتل إن زاد في الوحي أو نقص. ولما لم يقتل: دل على أنه لم يزد ولم ينقص، فقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ ونحن المسلمين لا نقر بقتل عيسى عليه السلام وصلبه لقول الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ ولكننا بصدد تبيين أنماط من تحريف النصارى للكلم عن مواضعه بما هو مكتوب عندهم.

٨ - بيّن النص أن النبي المنتظر سيتحدث عن أمور غيبية، وتحدث في المستقبل.

وأكتفى في هذا الموضوع بمثال واحد، وهو احتلال اليهود لأرض كنعان - وهي أرض فلسطين - في سنة ١٩٦٧ من الميلاد. وقد أشار الله إلى هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾

الكتاب هو التوراة. والمرتان يكونان في المستقبل من بعد نزول القرآن، وبعد المرتين يقول تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ أي أنه لابد من تحديد مرتين، وفي كل مرة فساد وعلو. وإذا جاءت المرة الأولى ليفسدوا ويعلوا، يبعث الله عليهم عباداً له أولي بأس شديد، لا يهزمون اليهود مرة واحدة، بل بطريقة الجوس وهو التردد. أي يطردونهم من أرض كنعان على مراحل رويداً رويداً، لا مرة واحدة. حتى يتم تحرير الأرض التي أفسدوا فيها وعلوا. ثم بعد مدة من الزمان [دانيال ١٢: ١١ - ١٢] يأتي اليهود إلى أرض كنعان كما أتوا في المرة الأولى، ليفسدوا ويعلوا، وإذا تم لهم ذلك في المرة الثانية وأساؤوا وجوه المسلمين ودخلوا أرض المسجد الأقصى كما حدث في المرة الأولى سنة ١٩٦٧م سوف يهزمون إذا شاء الله. وإذا تمت هزيمة اليهود في المرة الثانية وعادوا بعدها للفساد والعلو، سوف يقيض الله لهم من يهزمهم، كما حدث في المرتين السابقتين. هذا هو معنى الآيات بإيجاز.

ولابد أن نبحث في التوراة عن ذلك النص الذي يشير الله إليه في القرآن، وإن لم نبحث عنه نكن مقصرين غاية التقصير، إن هممنا بتفسير آيات القرآن هذه، ونضطرب في التأويل كما اضطرب مفسرو القرآن من قبل، وحيث إن الله يقول إنه في الكتاب، فلابد أن يكون في الكتاب، وإلا يتهم اليهود نبي الإسلام ﷺ بأنه يقول غير الحق. وهذا النص موجود في الأصحاح الثامن من سفر دانيال. هذا الأصحاح الذي لايشك أحد في أنه بدء سفر دانيال الحقيقي. ذلك لأنه بدأه بقوله: «في السنة الثالثة من ملك

بيلشاصر الملك ظهرت لي أنا دانيال رؤيا بعد التي ظهرت لي في الابتداء» ومن كلمات هذا النص : «خرج قرن صغير وعظم جداً نحو الجنوب ونحو الشرق، وتعظم حتى إلى جند السموات وطرح بعضاً من الجند والنجوم إلى الأرض وداسهم، وحتى إلى رئيس الجند تعظم وبه أبطلت المحرقة الدائمة وهدم مسكن مقدسه، وجعل جند على المحرقة الدائمة بالمعصية فطرح الحق على الأرض وفعل ونجح فسمعت قدوساً واحداً يتكلم فقال قدوس واحد لفلان المتكلم: إلى متى الرؤيا من جهد المحرقة الدائمة ومعصية الخراب لبذل القدس والجند مدوسين؟ فقال لي: إلى ألفين وثلاثمائة صباح ومساء فيتبرأ القدس» [دانيال ٨:٦ - ١٤] وقد بين دانيال في نفس الأصحاح: «أن الرؤيا لوقت المنتهى» [دا ٨:١٧] «فرؤيا المساء والصباح التي قيلت هي حق. أما أنت فاكتم الرؤيا لإنها إلى أيام كثيرة» [دا ٨:٢٦] وبين دانيال في الأصحاح الثاني عشر وهو يتحدث عن المرة الثانية: أن المرتين يكونان بعد تشتت اليهود من أرض كنعان، والمعروف: أن نفوذهم زال تماماً بعد استيلاء المسلمين على أرض كنعان في خلافة عمر رضي الله عنه. يقول دانيال: «فإذا تم تفريق أيدي الشعب المقدس، تتم كل هذه» [دا ١٢:٧] «اذهب يا دانيال لأن الكلمات مخفية ومختومة إلى وقت النهاية» [دا ١٢:٩].

والأصحاح الثامن من سفر دانيال يتحدث عن ملوك اليونان، وقد احتل الاسكندر الأكبر ملك اليونان، بلاد الشام سنة ٣٣٣ ق.م ودخل اليهود في طاعته. والنص يقول: إن المرة الأولى بعد ألفين وثلاثمائة - فيكون الحساب هكذا = ٢٣٠٠ - ٣٣٣ = ١٩٦٧ بعد الميلاد.

جاء في كتاب «إظهار الحق» للعلامة الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي[1] المطبوع في مصر سنة ١٩٠٧ من الميلاد، ما نصه: «وعلماء أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين كافة مضطربون في بيان مصداق هذا الخبر، فاختار جمهور مفسري البيبل

(١) ولد سنة ١٢٢٦ هـ بالهند بمقاطعة كيرانة. وفي سنة ١٢٧٠ هـ ناظر القسيس بافاندر رئيس البعثة التبشيرية المسيحية وأفحمه، فاضطهده الإنجليز فهرب سراً إلى مكة عام ١٢٧٤ هـ ومات بها سنة ١٣٠٨ هـ (ص ٩٤ - ١٠٠ دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام).

من الفريقين أن مصداقه حادثة أنتيوكس ملك ملوك الروم [1] الذي تسلط على أورشليم قبل ميلاد المسيح بمائة وإحدى وستين سنة. والمراد بالأيام: هذه الأيام المتعارفة واختاره يوسيفوس أيضاً. لكنه يرد عليه اعتراض قوي، وهو أن حادثته التي يداس فيها القدس والعسكر كانت إلى ثلاث سنين ونصف كما صرح به يوسيفوس في الباب التاسع من تاريخه وتكون مدة ست سنين وثلاثة أشهر وتسعة عشر يوماً تخميناً بالسنة الشمسية بحساب الأيام المذكورة. ولذلك قال إسحق نيوتن: إن مصداق هذه الحادثة ليس حادثة أنتيوكس. ولطامس نيوتن تفسير على الأخبار بالحوادث الآتية المندرجة في البيبل وطبع هذا التفسير سنة ١٨٠٣ في بلدة لندن فنقل في المجلد الأول من هذا التفسير أولاً: قول جمهور المفسرين ثم رد كما رد إسحق نيوتن، ثم قال: إن مصداق هذا الخبر: ليس حادثة أنتيوكس كما يعلم بالتأمل ثم ظن أن مصداقه سلاطين الروم والباباوات.

وسنل جانسي كتب تفسيراً على الأخبار بالحوادث الآتية أيضاً، وادعى أنه لخص هذا التفسير من خمسة وثمانين تفسيراً، وطبع هذا التفسير في سنة ١٨٣٨ من الميلاد، فكتب في شرح هذا الخبر هكذا: (تعيين زمان مبدأ هذا الخبر في غاية الإشكال عند العلماء من قديم الأيام. ومختار الأكثر: أن زمان مبدأه: واحد من الأزمنة الأربعة التي صدر فيها أربعة فرامين، سلاطين إيران الأول سنة ٥٣٦ قبل ميلاد المسيح. التي صدر فيها فرمان قورش، والثاني سنة ٥١٨ قبل الميلاد التي صدر فيها فرمان دارا. والثالث سنة ٤٥٨ قبل الميلاد التي حصل فيها فرمان أردشير لعزرا في السنة السابعة من جلوسه. والرابع سنة ٤٤٤ قبل الميلاد التي حصل فيها لنحميا فرمان أردشير، في السنة العشرين من جلوسه. والمراد بالأيام: السنون. ويكون منتهى هذا الخبر:

بالاعتبار الأول: سنة ١٧٦٤ وبالاعتبار الثاني: من الميلاد سنة ١٧٨٢ وبالاعتبار الثالث: سنة ١٨٤٣ وبالاعتبار الرابع: سنة ١٨٥٦ ومضت المدة الأولى والثانية، وبقيت الثالثة والرابعة. والثالثة أقوى وعندي هي بالجزم. وعند البعض: مبدؤه خروج

(١) صحتها: ملك ملوك اليونان. وملك اليونان يبدأ من الاسكندر الذي جاء ذكره في القرآن بذي القرنين وينتهي بقيام بومبيوس سنة ٦٣ ق.م .

اسكندر الرومي على ملك إيشيا. وعلى هذا منتهى هذا الخبر سنة ١٩٦٦» [1]

فـأنت ترى الرأي الخامس - الذي هو رأي البـعض - قـد تحقق تمامـاً، وصدّقـه الواقع. وإذا كان هو من الغمـوض في التوراة إلى هذا الحد، ولم يستـيقن به أحد إلا بعد وقـوعه. فكيف عـرفه نبي الإسـلام وأخبـر به؟ أليس ذلك يدل على صـدقه في دعوى النبوة، لأنه أخبر أن سـتكون هذه الحادثة من بعده، وقد حدثت في سنة ألف وتسعمائة وسبع وستين من الميلاد؟

٩ - ومن أوصاف النبي هذا: أنه سيقضي على اليهود قضاءً تاماً. والتاريخ يشهد: أن نبي الإسلام قد انتصـر عليهم: لقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ [الحشر:٢ - ٣] .

أما المسيح عيـسى عليه السلام فلم يكن ملكا على قومه، ولم يؤذ أحـداً من اليهود، وظل اليهود من بعده في أرض كنعان مـدة طويلة. وفي الإنجيل هذه النصوص: «وأما يسوع فـإذ علم أنهم مزمعـون أن يأتوا ويختطفوه لـيجعلوه ملكاً؛ انصـرف أيضاً إلى الجبل وحده» [يوحنا ٦:١٥] «وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة» [اعمال الرسل ٢ : ٤٦] أي أن هيكل سليمان كان قائماً بعد رفع المسيح إلى السماء وكان النصارى يجتمعون فيه «مسـبحين الله، ولهم نعمة لدى جميع الشعب» [اع ٢ : ٤٧] أي أن مـن الشعب اليهودي من كان موجوداً في أورشليم، بعد رفع عيسى إلى السماء.

* * *

وبعد هذا الذي قدمـته في شرح هذا النص. يتبين لنا: أن اليـهود والنصارى الآن وإلى أن تقوم القيامة، سيلزمون أنفسهم بطريقة تحريف الكلم عن مواضعه بالتأويلات الفاسدة. لا أنهم سيـغيرون النص الأصلي الذي استقر في الكتب وانـتشر في العالم من بعد عزْرا.

(١) ص ٨٧ ج ١ إظهار الحق طبعة القاهرة ١٩٠٧م .

بقي أن نوضح أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام من هارون وليس من داود:

لقد زعم يهـود السامرة: أن النبي المنتظـر سيكون من سبط يوسف عليـه السلام، وزعم يهـود أورشليم: أن النبي المنتظر سـيكون من سبـط يهوذا من نسل داود عليـه السلام. يقول عزرا حداد: «والسامريون مثل سائر اليهود يؤمنون بيوم القيامة، وبوجود الملائكة، وظهور المسـيح في آخر الأيام، لكنهم يزعمـون أنه سيكون من آل يوسف، على حين يعتقـد اليهود أنه من آل داود» [١] ولما جاء المسيح عـيسى بن مريم - وليس هو المسيح المنتظر - كما سنبين بإيضـاح في غير هذا الكتاب [٢]. ووضح لـلربانـيين والأحبار من الـيهود العبرانـيين: أن المسيح المنتظر لن يكون من نسل داود، واستـشهد على ذلك بنص من كتاب داود عليه السلام (أنظر متى ٢٢: ٤١ - ٤٦ ومزمور ١١٠ :١) وعرف العبـرانيون بذلك، عز عليهم أن يأتي نبي الإسـلام بعد عيسى مـباشرة، ومن أجل ذلك تظاهر بعضهم باعتناق النصرانية وصاغوا الأناجيل على وفق مرادهم، مدعين أن عيسى هو كان النبي المنتظر، وأنه هو نفسه كان من نسل داود، أي أنه النبي المنتظر ولا نبي بعده إلى يوم القيامة.

ونرد زعمهم بقولنا:

التـشريع الوارد في سـفر العـدد يحتم أن تتـزوج كل بنت من أسرتـها إن أرادت الزواج من يهـودي، والإرث في أرض فلسطين لقـوله: «وكل بنت ورثت نصـيبـاً من أسباط بني إسـرائيل تكون امرأة لواحد من عشـيرة سبط أبيهـا لكي يرث بنو إسرائيل كل واحد نصيب آبائه» [عـدد ٣٦:٨] أي أن من هو من سبط رأوبين مثلاً، يتزوج من سبطه، ولا يتزوج من سبط شمعون. وهكذا. **وظل هذا التشريع معمولاً به لدى الأسر الصالحة مـن اليهود** .فزكريا طبقا للشريعة تزوج من امرأة من بنات هرون فقد جاء في الإنجيل :«كان في أيـام هيرودوس ملك اليهودية كـاهن اسمه زكريا، من فـرقة أبيا، وامرأته من بنات هرون واسمها أليصابات» [لوقـا ١:٥] والعذراء مريم رضي الله عنها يحكي لوقا: أنهـا كانت قريبة لأليـصابات. ومعنى ذلك: أنهـا تكون من نفس السبط

(١) ص ١٩٠ رحلة بنيامين.

(٢) انظر فصل المَسِيَّا من كتابنا: البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل.

الذي منه أليصابات. وإذا ثبت أن اليصابات من بنات هرون، يثبت بالضرورة: أن مريم من بنات هرون. يقول لوقا عن القرابة: «وهوذا أليصابات نسيبتك هي أيضاً حبلى بابن في شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً، لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله، فقالت مريم: هوذا أنا أمة الرب، ليكن لي كقولك. فمضى من عندها الملاك» [لوقا ١:٣٦ – ٣٨] وقد فسر بولس النسب بالقرابة. وذلك في قوله عن اليهود: «إني كنت أود لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخوتي أنسبائي، حسب الجسد. الذين هم إسرائيليون ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع» [رومية ٩:٣ – ٥ / ١١:١٣ – ١٤].

وقال النبي ﷺ في تفسير ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾: «إنما عنوا هرون النبي، وكانت من أعقابه في طبقة الأخوة، وبينها وبينه: ألف سنة وأكثر»[١].

(١) الكشاف في مريم ٢٨.

إرث مريم رضي الله عنه
من أبيها يهوياقيم

إسحق

يعقوب

لاوى

قهات

عمران

موسى وهرون

-

-

-

-

-

-

يهويا قيم

مريم العذراء

فمريم ابنة عمران:

يعني أنها من نسل عمران والد موسى وهرون - عليهما السلام -

أموال يهوياقيم:

جاء في إنجيل ميلاد مريم وإنجيل يعقوب: أن يهوياقيم كان له أموال كثيرة جدًا. وكان في آخر كل سنة يقسمها إلى ثلاثة أقسام. قسم لصدقات الهيكل، وقسم للفقراء وللغرباء، وقسم لاحتياجات بيته إلى السنة التالية.

وفي شريعة التـوراة: أن البنت لا ترث في مال أبيها إلا إذا لـم يكن لها أخ. فإن كان لها أخ. فإنه يكون هو الوارث وحده. ولم ينجب يهوياقيم إلا مريم. وذلك لأن امرأته حنَّة كانت عـاقرًا. وطلبت من الله ولدًا فرزقهـا بمريم ففي القرآن الكريم ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

وفي إنجـيل مـيلاد مريم: أنه وهو يقـدم الصـدقات إلى هيكل أورشليم. قـال له الكاهن: إن صـدقاتك لن يتـقبلهـا الله لأنك لم تنجب نسلاً. ومن لا ينجـب نسلاً يكون ملعـونًا. عندئذ ظهـر له ملاك الرب منصـرفـه من أوشليم وبشره بالإنجـاب. وأنجب مريم على الكبر. ففي الأصحـاح الثالث: «وقف ملاك الرب أمامه في ضوء عظيم. وعندما كان مضطربًا لظهوره؛ أزال خوفه قائلاً: لا تَخف يا يواقيم ولا تخف من ظهوري؛ لأني أنا مـلاك الرب. وقد أرسلني إليك لأقـول لك: إن صلواتك قد سُمعت، وإن أفعالك الخيرة قد صعدت إليه. . . إلخ»

وفي سفر العدد عن إرث الولد والبنت ما نصه:

«فَتَقَدَّمَتْ بَنَاتُ صَلُفْـحَادَ بْنِ حَافَرَ بْنِ جِلْعَادَ بْنِ مَاكِيـرَ بْنِ مَنَسَّى مِنْ عَشَائِرِ مَنَسَّى بْنِ يُوسُفَ. وَهذِهِ أَسْمَاءُ بَنَاتِهِ مَـحْلَةُ وَنُوعَةُ وَحُجْـلَةُ وَمِلْكَةُ وَتِرْصَةُ. وووقـفن أمام مـوسى وألعازار الكاهن وأمـام الرؤساء وكل الجـماعـة لدى باب خيـمة الاجـتمـاع قائلات: أبونا مات في البرية ولم يكن في القوم الذين اجتمعوا على الرب في جماعة قورح بل بخطيتـه مات ولم يكن له بنون. لماذا يُحذف اسم أبينا من بين عـشيرته لأنه ليس له ابن؟ أعطيننا ملكًا بين إخوة أبينا. فقدَّم موسى دعواهن أمام الرب.

فكلم الرب موسى قائلاً: تكلمت بنات صلفحاد فـتعطيهن ملك نصيب بين إخوة أبيهن وتنقل نصيب أبيهن إليهن. وتُكلِّمُ بَنِي إِسرائِيلَ قائلاً: أَيُّمَا رَجُلٍ مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ ابْنٌ تَنْقُلُونَ مُلْكَهُ إِلَى ابْنَتـهِ. وإن لم تكن له ابنة تعطوا ملكه لإخـوته. وإن لم يكن له

إخوة تعطوا ملكه لإخوة أبيه. وإن لم يكن لأبيه إخوة تعطوا ملكه لنسيبه الأقرب إليه من عشيرته؛ فيرثه. فصارت لبني إسرائيل فريضة قضاء. كما أمر الرب موسى» [عدد ٢٧]

وعلى هذا تكون مريم وارثة في أرض إسرائيل بالفعل.

فإذا فرضنا أنها تنوي الزواج - وهذا الفرض لم يحدث- فإنها بحسب الشريعة لا تتزوج إلا في سبطها. وعلى هذا تكون خطبة يوسف النجار لها باطلة لأنه من سبط يهوذا.

وفي إنجيل ميلاد مريم: أنها لما أُخرجت من الهيكل إذْ كانت منذورة من أمها وانقضت المدة. نذرت هي نفسها بنفسها. ومن تَنذر نفسها بنفسها، فبحسب ما يخرج من شفتيها توفي النذر. وقد صرحت في نذرها بأنها تظل دائمة البتولية إلى الموت. وعلى هذه البتولية يحرم عليها الزواج إلى الموت. فلماذا قالوا إن يوسف خطبها؟

ففي الأصحاح السابع من إنجيل ميلاد مريم:

«حينئذ أعلن رئيس الكهنة علانية: أن العذارى الذين تربوا في الهيكل وبلغوا هذه السن؛ يجب أن يرجعن إلى بيوتهن، ويتزوجن كما تزوجت أمهاتهن بعدما تنضج أجسادهن. وقد أطعن الأمر إلا مريم فإنها هي من بينهن صرحت بقولها: أنا لا أريد الخروج للزواج؛ لأن أبوي قد نذراني لخدمة الرب. وفوق هذه الخدمة فإنني قد نذرت للرب بتوليتي. ونذري هذا يمنعني من أن أتزوج...»

ثم يقول هذا الإنجيل: إن الكهنة قرروا استشارة الله في الصلاة وأنهم استشاروه.

لاحظ:

الاستشارة . ومعناها : أنها تكون بالتُّميم والأُريم وأن الاستشارة بهما لا تصح في دين الإسلام. فقد قال تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

الفصل الحادي عشر
في
كيفية تحريف التّوراة

يقول الأستاذ أحمد أمين - رحمه الله - في «ضحى الإسلام» ما نصه:

«وقد اختلفت أنظار المسلمين إلى التوراة على أقوال ثلاثة: فقال قوم: إنها كلها أو أكثرها مبـدلة مغيرة، ليست هي التوراة التي أنزلهـا الله على موسى. وتعرض هؤلاء لتناقضها وتكذيب بعضها لبعض (ابن حزم في الفصل) وذهبت طائفة أخرى من أئمة الحديث والفقه والكلام: إلى أن التبديل وقع في التأويل لا في التنزيل. وهذا مذهب البخاري. قـال في صحيحه: (يـحرفون الكلم عن مواضعـه) يزيلون وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله تعالى. ولكنهم يتـأولونه على غير تأويله. وهذا هو ما اختاره الرازي في تفسيره. ومن حـجة هؤلاء: أن التوراة قد طبقت مشـارق الأرض ومغاربها ولا يعلم عدد نسخها إلا الله. ومن الممتنع أن يقع التـواطؤ على التبديل والتغيير، في جميع تلك النسخ، بحيث لا يبقى في الأرض نسخة، إلا مبـدلة مغيرة. والتغيير على منهاج واحد. وهذا ما يحيله العقل ويشهد ببطلانه. قالوا: وقد بين الله تعالى لنبيه عليه السلام محتجاً على اليهود بها ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ إلخ.

وذهبت طائفة ثالثة: إلى أنه قد زيد فيها، وغُـيرت ألفاظ يسيرة. ولكن أكثرها باق على ما أنزل عليه. والتبـديل في يسير منها جداً. وممن اختار هذا القـول «ابن تيمية» في كتابه «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسـيح» ومثل لذلك بما جاء فيها: أن الله - سبـحانه وتعـالى - قال لإبراهيم عليـه السلام: «اذبح ولدك بكرك - أو وحـيدك - إسحق» فإسحق زيادة منهم في لفظ التوراة. لأدلة ذكروها» [1] ا هـ.

---

(١) ضحى الإسلام ج ١ ص ٣٢٧ - ٣٢٨ مطبعة الاعتمـاد بمصر ١٩٣٤م ويقول ابن قيم الجوزية المتوفي

ومن نص كلامه، يظهر أن علماء المسلمين، في تحريف توراة موسى - عليه السلام - على رأيين متقابلين: الرأي الأول: أنه تحريف لفظي أ - قليلاً ب - أو كثيراً. والرأي الثاني: أنه تحريف معنوي، أي تحريف في تأويل اللفظ، لا في تغييره. ويقول الأستاذ أحمد أمين - رحمه الله - إن الإمام محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، الشهير بفخر الدين الرازي، المتوفي سنة ٦٠٦ هـ يرجح الرأي الثاني على الرأي الأول.

ونقول: إن عبارات «الرازي» في «التفسير الكبير» تدل على الرأي الثاني باحتمال. وعباراته في كتابه «الأربعين» تدل على الرأي الأول. لأنه شك في تواتر التوراة. وعباراته في كتابه المسمى بـ «المطالب العالية من العلم الإلهي» في «النبوات وما يتعلق بها» مثل عباراته في «الأربعين»

وقد بيّنا: أن التوراة بعهدين قد مرت. أولهما: من موسى - عليه السلام - إلى زمان «نبوخذ نصر» الذي حرف التوراة في زمانه «عزرا» وثانيهما: من «عزرا» إلى يومنا هذا. وفي العهد الأول حرف عزرا وشيعته كتاب التوراة بتغيير اللفظ - ولم تحرف من قبله - وفي العهد الثاني صعب على اليهود تغيير الألفاظ لانتشار التوراة في العالم بجميع اللغات. وللصعوبة يحرفونها بالتأويل الفاسد.

يقول الإمام الرازي - رحمة الله عليه - في كتابه «الأربعين في أصول الدين» في الرد على الشبهة الرابعة لمنكري النبوات ما نصه: «لم لا يجوز أن يقال: إنه - عليه

= ٧٥١ هـ في كتابه «إغاثة اللهفان»:

«وقد اختلفت أقوال الناس في التوراة - التي بأيديهم - هل هي مبدلة؟ أم التبديل والتحريف وقع في التأويل دون التنزيل؟ على ثلاثة أقوال طرفين ووسط. فأفرطت طائفة وزعمت بأنها كلها أو أكثرها مبدلة مغيرة. ليست التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام، وتعرض هؤلاء لتناقضها وتكذيب بعضها لبعض، وغلا بعضهم، فجوز الاستجمار بها من البول. وقابلهم طائفة أخرى من أئمة الحديث والفقه والكلام، فقالوا: بل التبديل وقع في التأويل، لا في التنزيل. وهذا مذهب أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري».

وإن ابن القيم كما يقول الشيخ حامد الفقي - جرى على أن عزرا هو عزير، ولذلك قال إنهم غلوا فيه، وقالوا: هو ابن الله، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ (ص ٣٥١ ج ٣ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان)

السلام - (يقصد موسى) - بيّن أن شرعه منقطع مجذوذ، وكان ذلك معلوماً بالتواتر في دينه. إلا أن قومه، هلكوا بالكلية في زمان «بخت نصر» وصار الباقي أقل من عدد التواتر، فلا جرم انقطع هذا النقل؟. . . وقوله: «اليهود نقلوا قوله عليه السلام «تمسكوا بالسبت» قلنا: إن تواترهم منقطع فلا يفيد العلم» (١) .

هذا نص كلامه في «الأربعين» ومثله نص كلامه في «المطالب العالية من العلم الإلهي» ويقول بصريح العبارة في (النساء: ٤٦) «في كيفية التحريف وجوه أحدها: إنهم كانوا يبدلون اللفظ بلفظ آخر مثل تحريفهم ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طويل مكانه. ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله. ونظيره قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ فإن قيل: كيف يمكن هذا في الكتاب الذي بلغت آحاد حروفه وكلماته مبلغ التواتر المشهور في الشرق والغرب؟ قلنا: لعله يقال: القوم كانوا قليلين، والعلماء بالكتاب كانوا في غاية القلة. فقدروا على هذا التحريف. والثاني: أن المراد بالتحريف: إلقاء الشبه الباطلة، والتأويلات الفاسدة، وصرف اللفظ عن معناه الحق، إلى معنى باطل بوجوه الحيل اللفظية كما يفعله أهل البدعة في زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذهبهم، وهذا هو الأصح. الثالث: أنهم كانوا يدخلون على النبي ﷺ ويسألونه عن أمر فيخبرهم ليأخذوا به، فإذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه.

المسألة الرابعة: ذكر الله تعالى ههنا ﴿عن مواضعه﴾ وفي المائدة ﴿من بعده مواضعه﴾ والفرق: أنا إذا فسرنا التحريف بالتأويلات الباطلة فههنا قوله: ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ معناه: أنهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص، وليس فيه بيان أنهم يخرجون تلك اللفظة من الكتاب، وأما الآية المذكورة في سورة المائدة فهي دالة على أنهم جمعوا بين الأمرين فكانوا يذكرون التأويلات الفاسدة، وكانوا يخرجون اللفظ أيضاً من الكتاب، فقوله ﴿يحرفون الكلم﴾ إشارة إلى التأويل الباطل، وقوله ﴿من بعد مواضعه﴾ إشارة إلى إخراجه، ويقول في تفسير ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ «وهذا التحريف يحتمل التأويل الباطل، ويحتمل تغيير اللفظ،

(١) الأربعين في أصول الدين - المسألة الحادية والثلاثون.

وقد بيّنا فيما تقدم أن الأول أولى. لأن الكتاب المنقول بالتواتر لا يتأتّى فيه تغيير اللفظ»

هذا هو نص كلام الإمام فخر الدين - رحمة الله عليه - ومنهم يفهم أنه يتكلم عن التوراة الموجودة في زمان النبي محمد ﷺ ويعترف بأن اليهود لا يحرفون لفظها، بل يحرفون في التأويل. وقد اعترف بأن تواتر التوراة مقطوع. من زمان نبوخذ نصر. وعلى ذلك فرأيه مثل رأينا - لكن بغير وضوح - وهو رأي الدارسين من أهل العلم.

ونوضح كيفية التحريف. فنقول:

لوجود التشابه [1] بين قصص القرآن ونظيره في التوراة: يتحتم القول بأن الله

(١) عالم من علماء أهل الكتاب عمل مقارنة بين ما اتفق القرآن فيه مع التوراة والإنجيل على هذا النحو:

البقرة ٤٤ - ٥٨ أعمال الرسل ٧: ٣٦ - ٥٣ .

البقرة ٢٧٣ متى ٦: ٣، ٤ .

يونس ٧٢ بطرس الثانية ٣: ٥ .

يونس ٧٣ والنور ٥٠ التثنية ٥: ٦ - ٣١

الأنبياء ٢٠ رؤيا يوحنا اللاهوتي ٤: ٨

المؤمنون ٣ متى ٦: ٧

ياسين ٥٣ تسالونيكي الأولى ٤: ١٦

الزمر ٣٠ متى ٦: ٢٤

الشورى ١٩ غلاطية ٦: ٧ - ٩

الفتح ٢٩ مرقس ٤: ٢٨

الليل ١٨ لوقا ١١: ٤١

الأنبياء ١٠٥ إشعياء ٣٧: ٤ (اقتباس كامل).

الأنبياء ١٠٤ إشعياء ٣٤: ٤ (تشابه صريح).

النجم ٣٩ - ٤٢ حزقيال ١٨: ٢٠ (تشابه صريح).

النجم ٤٥ صموئيل الأول ٢: ٧ (تشابه صريح).

المائدة ٤٩ الخروج ٢١: ٢٣ - ٧ .

الأعراف ٣٨ متى ١٩: ٢٤

التوبة ١١٠ متى ٧: ٢٤ - ٧

الأنبياء ٣٦ والعنكبوت ٥٧ وآل عمران ١٨٢ فقابل: عبرانيين ٩: ٣٧، ٢: ٩ متى ١٦: ٢٨ .

تعالى كان قد كتب بعض قصص النبيين في الألواح التي سلمها لموسى - عليه السلام - في طور سيناء. أي أن الله - تعالى - مثلا كتب في التوراة لموسى: كيف خلق السموات والأرض، وكيف خلق آدم وحواء، وكتب قصة نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحق وقصة يوسف وما جرى له إلى أن مات. كان قد كتب له ذلك على مثال ما هو في القرآن الكريم، لأن القصة هي إخبار عن أحداث قد وقعت. وإذا رويت، تروى على ما وقعت بالفعل.

وكاتب التوراة في «بابل» لما رأى أن يجعل شرائع التوراة لليهود، وليست للأمم، رأى أن يعيد صياغة القصة بأسلوبه، ويحذف منها ويزيد فيها، ويغير، لأهداف يظهر أنها في صالح أمته. ورأى أيضاً أن يحذف من قصص التوراة، ما لا صلة له بنسب بني إسرائيل. لأنه يريد أن يقص من آدم إلى إسحق الذي جاء من صلبه يعقوب، ثم يقص عن أولاد يعقوب، وما تناسل منهم وما جرى لهم إلى زمان أسر بني إسرائيل في بابل. ومن أجل ذلك لم يتحدث عن عاد ولا عن ثمود. لأنه يريد أن يقول إن الله خاص باليهود، ولأن بني إسماعيل الذين يكرههم الكاتب هم في السكنى بين عاد وثمود.

وهذه أمثلة على كيفية التحريف:

المثال الأول: قال كاتب التوراة: إن الله خلق آدم بعدما خلق السموات والأرض، وخلق حواء. وغرس الرب جنة ووضع فيها آدم هو وحواء ثم خلق الله كل الحيوانات وكل الطيور، وأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها؟ «وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها. فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وجميع حيوانات البرية» وقال الكاتب: إن الله خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم وهو نائم. وأن الله أوصى آدم وحواء بأن لا يأكلا من الشجرة لئلا يهلكا. وأنهما عصيا الأمر، ولما عصيا «قال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً: لا تأكل منها: ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها، كل أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً، حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك تراب وإلى تراب تعود»

وقال كاتب التوراة: «وعرف آدم حواء امرأته. فحبلت وولدت قايين وقالت:

اقتنيت رجلاً من عند الرب، ثم عادت فولدت أخـاه هابيل. وكان هابيل راعياً للغنم، وكان قايين عـاملاً في الأرض. وحدث من بعد أيام: أن قـايين قدم من أثمار الأرض قرباناً للرب. وقـدم هابيل أيضاً من أبكار غنمه ومن سمـانها. فنظر الرب إلى هابيل وقربانه، ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر.

فاغـتاظ قايين جداً، وسـقط وجهه فـقال الرب لقايين: لماذا اغـتظت؟ ولماذا سقط وجهـك؟ إن أحسنت أفـلا رفع؟ . . . وكلم قايين هابيل أخـاه. وحدث إذ كـانا في الحقل، أن قايين قام على هابيل أخيه. وقتله»

إلى هنا نقف ونقول: إن التوراة فيهـا عن آدم وابنيه: هذا الذي ذكرنا، من قبل أن ينزل القـرآن. وليس قـبل موسـى من نبي، كتب الـله له في الألواح من كل شيء. موعظة وتفصيلاً لكل شيء. حتى يقـال: إن هذا القصص، قد أخذته التوراة من نبي كان قبل موسى. وإذا ثبت أن موسى هو الذي كتب الله له في الألواح من كل شيء، يثـبت: أن بعض قصص النبـيين، لم ينزل إلا على مـوسى - عليه السـلام - وعلى ذلك، تكون التوراة في البدء مشتملة على القصص والحكم والتشريعات.

ثم نقول: إن الكاتب استبعـد اسم الشيطان من توراة موسى، ليس في إخراجه آدم وزوجه من الجنة، فـحسب. بل في كل أصـحاحات الأسـفار الخمـسة، ووضع بدله «الحية» في العبرانية، و«الثعبان» في السامرية. ولم يقل: إن الجنة هي دار الثواب التي أعدت للمتقين في الآخرة، بل قال هي بستان في «عدن» في العبرانية. وفي السامرية قال: «وأقره في جنات النعـيم للعبادة وللحفظ» ولم يذكـر أن الملائكة سجدت لآدم. فما سبب ذلك؟ إما أن نقول: أن الكاتب نسي - وهذا احتمال بعيد في هذا الموضع. لأن التوراة في يده. وهو وزمـلاؤه، مجتمعـون في هذا الوقت لتحريفـها - وإما أن نقول: إن الكاتب له غرض معين. وهذا مؤكد. أما أنه استبعد اسم الشيطان [1] من الأسفار الخمـسة كلها. فذلك لكي لا يخيف اليـهود منه، فيتصرفـون بجسارة، ولا يهمـهم شيء. واستبـعد «جنات النعيم» لينكر بصـراحة يوم القيـامة بثوابه وعـقابه.

(١) ورد اسم الشيطان في غيـر أسفار موسى في أسفار، مـنها سفر أيوب، والمزمور المئة والتـاسع وسفر زكريا.

وإنكاره يسهل على اليهود ظلم الأمم واستغلال الشعوب ويسهل عليهم ارتكاب الآثام. واستبعد سجود الملائكة لآدم. لأن السجود معناه أن الجنس البشري كله مكرم ومحترم. وهم لا يقولون بذلك، بل يقولون: إن بني إسرائيل وحدهم من سائر الأمم هم المصطفين الأخيار. وكتبوا أن الحية أغوت آدم أو الثعبان. ليعرفوا اليهود أن يكونوا في تصرفاتهم مع أعدائهم كالحيات. وهذا المعنى أشار إليه يحيى عليه السلام في قوله لعلماء بني إسرائيل: «يا أولاد الأفاعي» [متى ٣:٧] أي يتصرفون بالتواء كتصرف الأفاعي أولاد الحيات.

المثال الثاني: قال الكاتب عن نوح عليه السلام: كان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله. وسار نوح مع الله... وفسدت الأرض أمام الله، وامتلأت الأرض ظلماً... فقال الله لنوح: اصنع لنفسك فلكاً من خشب جفر... فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض... ومن كل حي، من كل ذي جسد: اثنين من كل، تدخل إلى الفلك. لاستبقائها معك، تكون ذكراً وأنثى... ففعل نوح حسب كل ما أمره به الله. ولما كان نوح ابن ست مئة سنة، صار طوفان الماء على الأرض، فدخل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان... انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء، وكان المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة.

وتعاظمت المياه كثيراً جداً على الأرض. فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء... فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض. وبعد مئة وخمسين يوماً نقصت المياه، واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبل أراراط... خرج نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه وكل الحيوانات... وبنى نوح مذبحاً[1] للرب...

---

(١) المذبح = الكعبة. لأن استقرار السفينة كان على الجودي بمكة.

وبناء المذبح كان لشكر الله، ولئلا ينسى أبناء نوح وأحفاده والمؤمنون معه فضل الله عليهم. وهذا المذبح قد جدده إبراهيم عليه السلام ورفع قواعده. وكان الناس جميعًا يحجون إليه من قبل الإسلام كما في المزمور ٤٢ و ٨٤

«ما أحلى مساكنك يا رب الجنود! تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب. قلبي ولحمي يهتفان الحي. =

وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه. فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً فأخذ سام ويافث الرداء، ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء. فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير. فقال: ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لإخوته... وعاش نوح بعد الطوفان: ثلاث مئة وخمسين سنة. فكانت كل أيام نوح: تسع مئة وخمسين سنة ومات.

إلى هنا نقف. ونقول: إن التوراة قد اعترفت من قبل نزول القرآن بنبي بار وقديس وسائر مع الله هو نوح - عليه السلام - وأنه صنع الفلك بعناية الله ووحيه، ووضع في الفلك من كل زوجين اثنين. وأن المياه ارتفعت كالجبال. وأن الله محا الأشرار من على وجه الأرض، وأن الفلك استوى على جبل «أراراط» كما في العبرانية، أو على جبل «سرنديب» كما في السامرية. واعتراف التوراة بهذا هو دليل على أن الله - تعالى - كتب قصة نوح في ألواح التوراة التي سلمها لموسى عليه السلام في طور سيناء. والاختلاف بين ما في التوراة وما في القرآن. إما أن يكون سببه أنهم نسوا حظا مما ذكروا به وإما أن الكاتب له غرض فيما كتبه. والكاتب له أكثر من غرض فيما كتبه، ومن أغراضه: أن نوحاً كان باراً قبل الطوفان، وكان باراً بعده. بدليل: أنه بنى المذبح للرب - والمذبح بيت العبادة - فلماذا تحول إلى رجل سكير شارب خمر، يفقد عقله وينسى ربه؟ يريد الكاتب أن يقول لليهود: لقد كنتم أبراراً من قبل أن تحرف التوراة. فقد دعوتم إلى الله وهديتم الأمم. والآن في مقدوركم أن تتحولوا إلى حياة اللذة والشهوة. اقتداء بنوح البار فقد شرب الخمر وسكر وتعرى. ومن

= العصفور أيضًا وجد بيتًا، والسنونة عشًا لنفسها حيث تضع أفراخها، مذابحك يا رب الجنود، ملكي وإلهي. طوبى للساكنين في بيتك، أبدًا يسبحونك. سلاه.

طوبى لأناس عزهم بك. طرق بيتك في قلوبهم. عابرين في وادي البكاء يصيرونه ينبوعًا. أيضًا ببركات يغطون مورة. يذهبون من قوة إلى قوة. يرون قدام الله في صهيون.

يا رب إله الجنود. اسمع صلاتي، واصغ يا إله يعقوب. سلاه. يا مجننا انظر يا الله، والتفت إلى وجه مسيحك. لأن يومًا واحدًا في ديارك خير من ألف. اخترت الوقوف على العتبة في بيت إلهي على السكن في خيام الأشرار. لأن الرب الله، شمس ومجن. الرب يعطي رحمة ومجدًا. لا يمنع خيرًا عن السالكين بالكمال. يا رب الجنود طوبى للإنسان المتكل عليك». [مز ٨٤].

أغراضه: أن أرض كنعان، دخلهـا اليهود في أيام داود عليه السلام لنشر التـوراة فيها. ولأن اليهود كفوا عن نشر التوراة في الأرض، يريدون أن يقولوا: إننا لم ندخل أرض كنعان مجـاهدين في سبيل الله لنشر دينه، بل دخلنا لتحـقيق وعد إلهي وهو أن بني كنعان يكونون عبيداً لبني سام بـن نوح، ونحن من أبناء سام. ومن أغراضه: أن يبعد استواء الفلك عن مكة المكرمة. لئلا يعظم الناس مكة.

المثال الثالث: في قصة إبراهيم عليه السلام: أن ثلاثة رجال مروا على إبراهيم وهو لم يعرفـهم، فقـدم لهم زبداً ولبناً، والعجل الـذي عمله لهم. وقالـوا له: أين سارة امرأتك؟ فقـال: ها هي في الخيمة. فـقال إني أرجع إليك نحو زمان الحـياة، ويكون لسارة امـرأتك ابن. وكانت سارة سـامعة في بـاب الخيمـة وهو وراءه. وكان إبراهيم وسـارة شيـخين مـتقـدمين في الأيام، وقـد انقطع أن يكون لسـارة عـادة كالنسـاء. فضحكت سارة في باطنها قائلة: أبعد فـنائي يكون لي تنعم، وسيدي قد شاخ؟ فقال الرب لإبراهيم: لماذا ضـحكت سارة؟ قـائلة: أفبـالحقـيقـة ألد وأنا قد شـخت؟ هل يستحيل على الرب شيء؟ في الميعاد أرجـع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن. فأنكرت سارة قائلة: لم أضحك، لأنها خافت. فقال: لا. بل ضحكت.

إلى هنا نقف. ونقول: «إن التوراة قد اعترفت من قبل نزول القرآن بأن سارة كانت عاقراً، وأن ملاك الله قد بشرها بإسحق. وأنها لما ضحكت وتعجبت. قالت الملائكة: أتعجـبين من أمر الله؟ واعتراف التـوراة بهذا دليل على أن الله كتب هذه القـصة في ألواح التوراة التي سلمها إلى موسى في طور سيناء. وهذا لا جدال فيه. وإنما الجدال في غـرض الكاتب مـا هو؟ إن الكاتب كـتب أن سـارة - وهي صـدِّيقـة - أنكرت الضـحك، وكذبت وقـالت «لم أضـحك» وهذا للكاتب فـيه غـرض. فمـا هو هذا الغرض؟

يفسر غرضـه: القصة التي أنقلها الآن من الأصحاح العـشرين من سفر التكوين. ونصها: «وانتقل إبراهيم من هنـاك إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب في جرار. وقال إبراهيم عن سارة امرأته: هي أختي فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة. فجـاء الله إلى أبيمالك في حلم الليل. وقـال له: ها أنت ميت من أجل المرأة

التي أخذتها فإنها متزوجة ببعل. ولكن لم يكن أبيمالك قد اقترب إليها. فقال يا سيد: أمّة بارة تقتل؟ ألم يقل هو لي: إنها أختي. وهي أيضاً نفسها قالت: هو أخي؟ بسلامة قلبي، ونقاوة يدي فعلت هذا. فقال له في الحلم: أنا أيضاً علمت أنك بسلامة قلبك، فعلت هذا. وأنا أيضاً أمسكتك عن أن تخطئ إليّ. لذلك لم أدعك تمسها. فالآن رد امرأة الرجل. فإنه نبي، فيصلي لأجلك فتحيا. وإن كنت لست تردها. فاعلم أنك موتاً تموت أنت وكل من لك.

فبكر أبيمالك في الغد، ودعا جميع عبيده، وتكلم بكل هذا الكلام في مسامعهم، فخاف الرجال جداً. ثم دعا أبيمالك إبراهيم. وقال له: ماذا فعلت بنا؟ وبماذا أخطأت إليك، حتى جلبت علي وعلى مملكتي خطية عظيمة. أعمالاً لا تعمل عملت بي.

وقال أبيمالك لإبراهيم: ماذا رأيت حتى عملت هذا الشيء؟ فقال إبراهيم: إني قلت: ليس في هذا الموضع خوف الله البتة. فيقتلونني لأجل امرأتي. وبالحقيقة أيضاً هي أختي ابنة أبي، غير أنها ليست ابنة أمي. فصارت لي زوجة. وحدث لما أتاهني الله من بيت أبي، أني قلت لها: هذا معروفك الذي تصنعين إلي: في كل مكان نأتي إليه، قولي عني: هو أخي.

فأخذ أبيمالك غنماً وبقراً وعبيداً وإماءً، وأعطاهم لإبراهيم. ورد إليه سارة امرأته. وقال أبيمالك: هوذا أرضي قدامك. اسكن في ما حسن في عينيك. وقال لسارة: إني قد أعطيت أخاك ألفا من الفضة. ها هو لك غطاء عين، من جهة كل ما عندك وعند كل واحد. فأنصفت.

فصلى إبراهيم إلى الله. فشفي الله أبيمالك وامرأته وجواريه، فولدن. لأن الرب كان قد أغلق كل رحم لبيت أبيمالك، بسبب سارة امرأة إبراهيم» [تك ٢٠: ١ - ١٨] .

هذا هو نص الأصحاح العشرين كله من سفر التكوين. وفيه يبين الكاتب: أن سارة أخت إبراهيم لأبيه. ومع أنها أخته هي زوجته. أما أنها أخته فليس من مانع يمنع من التصديق بأنها أخته، لأن التوراة ما حرمت نكاح الأخت بعد. ونكاح الأخت كان مباحاً للناس من أيام آدم ونوح، إلى زمان موسى - عليهم السلام - ولم يرد في القرآن ما يكذب ذلك. لم يرد في التوراة أن نكاح الأخت كان محرماً في

شريعة قبل شـريعة موسى. وأما أنها زوجته، فـهذا هو الإشكال. لأن أحداً لم يسأله من أهل هذا المكان عمـا إذا كانت زوجة أو أخـتاً. وإنما هو تطوع وقـال للناس: إنها أختي. ومعنى قوله هو أنه يعرضها لراغبي الزواج ليقدموا لها الهدايا والأموال. وهذا هو غرض الـكاتب: غرضه إبـاحة الكذب، والنصب والاحـتيال والمكـر والخداع في سبيل الحصـول على الأموال من طرق غير مشروعة. يريـد أن يقول لليهود: هذا هو سلوك أبيكم إبراهيم في جمع المال عن طريق النساء. ولا حـرج عليكم في أن تقتدوا به.

المثال الرابع: في سفر الخروج يقول الكاتب: إن الله قال عن نفسه إنه يتراءف على من يتراءف ويرحم من يرحم، ونص عـبارته :«**أتراءف عـلى من أتراءف، وأرحـم من أرحم**» [خر٣٣: ١٩] وهي عبارة تدل على أن الله رب العالمين، لأن «من» للعموم. أي من يريد الله أن يرحـمه، فإنه سـيرحمه، سـواء أكان من بني إسـرائيل أو من سائر الأمم. ولما عـاند فرعـون موسى وأرسل الله إليـه الآيات المهلكة قـال الله له: «**لكي تعرف أن ليس مثلي في كل الأرض**» وقال لـه أيضاً: «**لأجل هذا أقمتك، لكي أريك قوتي، ولكي يخبر باسمي في كل الأرض**» [خروج ٩: ١٤، ١٦] وقوله «**في كل الأرض**» يدل على عـموم الناس، لا عـلى شعب بني إسـرائيل وحـدهم، أي أن الله يريد أن يعرف الناس جميعاً في كل مكان: أن لا إله إلا هو، ولا حول ولا قوة إلا به. ويريد من بني إسرائيل أن ينطلقـوا إلى جميع الأمم ليعرفـوا الناس بأن لا إله قادراً على كل شيء إلا الله. ليخافوه ويهابوه ويعبدوه إلى الأبد.

وهذا المعنى أشار إليه «بولس» في رسالته إلى أهل رومية. فإنه لما دعاهم إلى الدخول في دين موسى وأنكر عليـه اليهود لأنهم من سـبي بابل يقصرون شريعـة موسى على جنسهم ويستـبعدون الأمم من الدخول في دينهم. قال لليـهود: «ألعل عند الله ظلماً؟ حاشـا. لأنه يقول لموسى: إني أرحم من أرحم وأتراءف على مـن أتراءف. فإذاً ليس لمن يشاء ولا لمن يسـعى. بل لله الذي يرحم. لأنه يقول الكتاب لفرعـون: إني لهذا بعينه أقـمتك لكي أظهر فـيك قوتي، ولكي ينادي باسـمي في كل الأرض. فإذاً هو يرحم من يشاء ويقسي من يشاء» [رو ٩: ١٤ - ١٨]

فالأصل في دعوة مـوسى: أن تكون لليهود أولاً، وللأمم ثانيـاً. وأن يكون اليهود والأمـم سواء في العمل بها. وأن الله لا يميز أمة على أمة إلا بالتقوى والعمل الصالح. وهذا هو الأصل. لأن نوع الناس هو هو لا يتـغيـر. فالغرائز هي الغـرائز على طول الزمان. والخير والشـر يتصارعان على طول الزمان. والله ينزل الشرائع لينتـصر الخير على الشر وليعرفوا الله ويعبدوه. وشـريعة موسى كانت تصلح لذلك. لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾

فكاتب التـوراة لكي يجعل الـتوراة شـريعة لبني إسـرائيل من دون النـاس. حـــرف النصوص على النحو التالي:

١ - أن الله قال لموسى: «أتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلها» [خر٦:٧] أي أن الله رب لبني إسرائيل وليس ربا للأمم.

٢ - أن بني إسرائيل يـرثون أرض كنعان للسكنى فيـها بدل «مـصر» والإرث ليس لنشر الشريعة في أهل كنعان. كـالمسلمين الذين لما دخلوها في عهد «عمر» رضي الله عنه نشروا فيها القرآن وجاهـدوا الناس عليه. بل الإرث هو للسكنى والتمتع بخيرات الأرض، واستعباد الكنعانيين. يقول الكاتب: «وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحق ويعقوب. وأعطيكم إياها ميراثاً» [خر٦:٨]

٣ - نصوص التشـريعات التي تدل على أن شريعة مـوسى لليهود وللأمم. كتـبها الكاتب بصـيغة تدل علـى أنها لليهـود والغرباء السـاكنين بين بني إسرائيـل، وليست لعموم الأمم. ومن كلامه: «أيتها الجـماعة لكم وللغريب النازل عندكم فريضة واحدة دهرية في أجيالكم. مثلكم يكون مثل الغـريب أمام الرب. شريعة واحدة وحكم واحد يكون لكم وللغـريب النازل عندكم» [عـــدد ١٥:١٥ - ١٦] وعلى كلامه هـذا، فإنه قد اعتـرف بأن الأممي قد دخل في شريعـة موسى. سواء ظل بهـا بينهم أو عاد إلى بلده فعمل بها.

٤ - نصوص التشريعات التي تدل على الجهـاد في سبيل الله. حرفها الكاتب: إلى أن الجهاد ليس لنشر دين الله في الأرض، بل لاستعباد الشعوب وتسخيرهم في خدمة بني إسرائيل. فـقد كتب هكذا: «حين تقـرب من مدينة لكي تحاربهـا، استدعـها إلى

الصلح. فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. وإن لم تسالمك، بل عملت معك حرباً، فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة. كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك.

هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً، التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا. وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً، فلا تستبق منها نسمة ما. بل تحرمها تحريماً: الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين» [تث ٢٠: ١٠ - ١٧].

ويفهم من عباراته هذه:

(أ) أن الأمم السبعة سكان أرض فلسطين لهم حكم.

(ب) وسائر الأمم لهم حكم.

٥ - نصوص التشريعات التي تدل على التحريم والتحليل، تركها الكاتب كما هي. لأن عوام اليهود يعرفونها ويعملون بها من مئات السنين ويعرفها ويعمل بها الغرباء الذين التزموا بشريعة موسى في البدء، كسحرة آل فرعون وملكة سبأ التي أسلمت مع سليمان عليه السلام والتزمت معه بشريعة موسى، وكالغرباء الساكنين بين اليهود الذين حكى عنهم الكاتب. فحكم إيذاء العبد - مثلاً - الذي هو: «وإذا ضرب إنسان عين عبده أو عين أمته، فأتلفها يطلقه حراً عوضاً عن عينيه، وإن أسقط سن عبده أو سن أمته، يطلقه حراً عوضاً عن سنه» [خر ٢١: ٢٦ - ٢٧] من يجهله من بني إسرائيل أو من الغرباء؟ وحكم النفس بالنفس والسن بالسن والعين بالعين، المذكور في سفر الخروج، من يجهله؟ لا أحد يجهل نصوص التشريعات. لأنهم عملوا بها مئات من السنين، وتوارثوها جيلاً عن جيل، وكتبوها على جدران المعابد في جرزيم أو في عيبال، وكتبها «يشوع» على اثنى عشر حجراً بخط يقرأ من على مسافة بعيدة لما عبر نهر الأردن. ولو حرف الكاتب في نص التشريع لافتضح أمره، ورجمه العوام بالحجارة. من أجل ذلك ترك نص التشريع ووضع بجانبه كلمة تلغز معناه، وتبين أن

هذه التشريعات هي لصالح اليهود وحدهم. فإن من أجلهم - في زعمه - أنزل الله الشريعة. فمثلاً كتب: «لا يكن لك في كيسك أوزان مختلفة كبيرة وصغيرة. لا يكن لك في بيتك مكاييل مختلفة كبيرة وصغيرة. وزن صحيح وحق يكون لك. ومكيال صحيح وحق يكون لك» [تث ٢٥:١٣- ١٥] هذا النص يحرم تطفيف المكيال والميزان. لكن التطفيف - كما كتب - هو محرم في التعامل بين اليهودي واليهودي. لقوله «يكون لك» - أي يكون لك لا لغيرك وغير محرم إذا كان من يهودي لأمي. أي أن اليهودي إذا ظلم الأمي في الوزن والمكيال فإن ظلمه لا يؤاخذه الله عليه.

ومثلاً كتب: «لا تقرض أخاك بربا. ربا فضة، أو ربا طعام، أو ربا شيء ما مما يقرض بربا. للأجنبي تقرض بربا. ولكن لأخيك لا تقرض بربا، لكي يباركك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها» [تث ٢٣: ١٩ - ٢٠] فهو في هذا النص التشريعي:

(أ) يحرم الربا.

(ب) ويبيحه لليهودي من الأمي. عابد الصنم.

(ت) ويبين أن الثواب على ترك الربا من اليهودي: هو أن يزيده الله من خيرات أرض كنعان.

وفي هذا النص تحريف من عدة وجوه: الوجه الأول: أن هذا الحكم في سفر الخروج في الأصحاح الثاني والعشرين حرم الربا مطلقا من اليهودي أو من الأمي لقوله: «إن أقرضت فضة لشعبي الفقير الذي عندك، فلا تكن له كالمرابي. لا تضعوا عليه ربا» فإباحة الربا ههنا من الأمي تحريف. والوجه الثاني: أنه جعل العوض عن ترك الربا: البركة في نصيبه من أرض فلسطين. والنص الأصلي يجعل العوض نعيماً في الجنة التي وعد الله بها المتقين في الدار الآخرة بعد الموت. وهذا حق. لأنه لو أن يهودياً ترك الربا مع يهودي مثله، ومات في أيام موسى، أو في أيام يشوع، أو في أيام حكم القضاة، من قبل أن يرثوا الأرض المقدسة: فعلى ما كتبه هذا المحرف لا يكون له عوض ولا يكون له ثواب. والوجه الثالث: أن التوراة مكتوبة في بابل من بعد موت داود بستمائة عام تقريباً - على حسابهم - وحيث إن اليهود قد دخلوا أرض

فلسطين مع داود عليه السلام من قبل تحريف التوراة بستمائة عام تقريباً. فإن الكاتب يموه على تحريف التوراة بقوله: «الأرض التي أنت داخل إليها» وهو يموه على الناس، لأنهم قد دخلوها من قبل سبي بابل في أيام طالوت وداود عليهما السلام.

وفي هذا المعنى يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

الفصل الثاني عشر
في
شـك أنبيـاء بني إسرائيل وكُتَّاب الأناجيل في توراة موسى عليه السلام

بعد ما بينّا أن التـوراة ليست من كتابة موسى عليـه السلام، ولم تكتب في زمانه، وأن بها اخـتلافـات شتى. نبين بأمـثلة أن كُتـاب أسفـار الأنبيـاء، وكُتاب الأنـاجيل والرسائل، شكّوا في الأسـفار الخمسـة التي يقولون إنها هي توراة موسى، وخـالفوا روايتها، ولم يعتمدوا عليها.

وهذه أمثلة على ذلك:

المثـال الأول: مَن قارن نسب لاوِي ويوسف ابنا يعقـوب؛ وجد تناقضاً. وهذا هو البيان:

يعقوب

(خروج ٦:١٦)	(اخبار الأيام الأول ٧:٢٣ -٢٧)
لاوي	يوسف
قهات	أفرايم
عمرام	بريعة
هارون وموسى	رفح
-	تلح

- تاحن
- لعدان
- عميهود
- اليشمع
- نون
- يشوع بن نون فتى موسى

وقد كان موسى معاصراً ليشوع. فإما أسقط الكاتب لكتاب موسى: آباء من عمرام إلى موسى، وإما أزاد كاتب سفر أخبار الأيام الأول (٧:٢٣ - ٢٧) آباء لا مقابل لها في آباء موسى.

وقد حسب «بُولُس» أن جميع ما سكن بنو إسرائيل وآباؤهم وأجدادهم من إبراهيم إلى موسى: أربعمئة وثلاثين سنة على سلسلة النسب من إبراهيم إلى موسى - لأن الآباء فيها قليلون - وهي صحيحة. إذا كذبنا رواية سفر الأخبار. وهي كاذبة إذا صدقناها. لأن الآباء كثيرون فيها.

المثال الثاني: «إني أنا الرب إلهك إله غيور، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي» [خروج ٢٠:٥] ويقول كاتب سفر حزقيال: «النفس التي تخطئ هي تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن. بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون» [حزقيال ١٨:٢٠] ففي توراة موسى: أن الذنوب إلى الجيل الرابع. وفي سفر حزقيال: أن كل امرئ بما كسب رهين.

المثال الثالث: «فأخذ موسى نصف الدم ووضعه في الطسوس، ونصف الدم رشه على المذبح، وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب فقالوا كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له. وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال هوذا دم العهد» [خروج ٢٤:٦ - ٨] ويقول بولس في الرسالة إلى العبرانيين: «أن موسى بعدما كلم جميع الشعب بكل وصية بحسب الناموس أخذ دم العجول والتيوس مع ماء وصوفاً قرمزياً وزوفا ورش الكتاب نفسه وجميع الشعب قائلاً هذا هو دم العهد الذي أوصاكم الله به، والمسكن أيضاً وجميع آنية الخدمة رشها كذلك بالدم» [عب ٩:١٩ - ٢٠] وكلام

بولس فضلاً عن الاختلاف في نوعية المرشوش، يثبت أن العهد قد أخذ بعد نزول الشريعة وفيها أحكام المسكن. وقد نصب المسكن بالفعل ووضعت فيه آنية الخدمة. وكلام التوراة يثبت أن العهد كان قبل نزول أحكام المسكن ونصبه ووضع الآنية فيه.

المثال الرابع: أمر الله الكاهن من بني هرون بقوله: «يأخذ امرأة عذراء، أما الأرملة والمطلقة والمدنسة والزانية فمن هؤلاء لا يأخذ، بل يتخذ عذراء من قومه» [لاويين ٢١: ١٢- ١٣] ويقول كاتب سفر حزقيال: «ولا يأخذون أرملة ولا مطلقة زوجة، بل يتخذون عذارى من نسل بيت إسرائيل، أو أرملة التي كانت أرملة كاهن» [حزقيال ٢٤: ٢١ - ٢٢] فكاتب توراة موسى ذكر أن الله حرم عليهم الأرملة، سواء أكانت أرملة كاهن أو غير كاهن، وكاتب سفر حزقيال: أباح لهم أرملة الكاهن.

المثال الخامس: «وكان الذين ماتوا بالوباء أربعة وعشرين ألفا» [عدد ٢٥: ٩] ويقول بولس: «فسقط في يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفا» [الرسالة لاهل كورنثوس ١٠: ٨]

المثال السادس: «فكلم الرب موسى قائلاً: فينحاس بن ألعازار بن هرون الكاهن، قد رد سخطي عن بني إسرائيل بكونه غار غيرتي في وسطهم، حتى لم أفن بني إسرائيل بغيرتي. لذلك قل: هأنذا أعطيه ميثاقي ميثاق السلام. فيكون له ولنسله من بعده، ميثاق كهنوت أبدي» [عدد ٢٥: ١٠ - ١٣]

وفي سفر صموئيل الأول: أن الله رجع في كلامه، وأعطى الكهنوت لنسل آخر [١ صم ٢: ٢٧ - ٣٦]

المثال السابع: تحدث الكاتب في سفر العدد ٢٨ و٢٩ عن القرابين، وما يعمل في عيد الفصح وعن باكورة الحصاد... إلخ وتحدث كاتب سفر حزقيال ٤٥ و٤٦ عن بعض هذه الأمور، وبينهما اختلافات كثيرة منها: «وتقربون وقوداً محرقة للرب ثورين ابني بقر، وكبشا واحداً. وسبعة خراف حولية. صحيحة تكون لكم» [عدد ٢٨: ١٩] «سبعة ثيران وسبعة كباش صحيحة كل يوم من السبعة الأيام. وكل يوم تيسا من المعز ذبيحة خطية» [حزقيال ٤٥: ٢٣] في توراة موسى: ثورين، وفي سفر حزقيال: سبع ثيران. وهكذا الخلاف إلى نهاية المقارنة في الأحكام الشرعية.

المثال الثامن: يقول كاتب سفر العدد: «وسبي بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم

ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار» [عدد ٣١: ٩ - ١٠] ومن هذا يفهم أن جميع أهل مدين فنوا عن آخرهم في عهد موسى عليه السلام ويقول كاتب سفر القضاة: أن أهل مدين أذلوا بني إسرائيل سبع سنين «فذل إسرائيل جداً من قبل المديانيين، وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب» [قضاة ٦: ٦] وعهد القضاة قريب من زمان موسى. فكيف كثر أهل مدين حتى أعجزوا بني إسرائيل؟

المثال التاسع: قال الله لموسى: «فمتى قربت إلى تجاه بني عمون. لا تعادهم، ولا تهجموا عليهم. لأني لا أعطيك من أرض بني عمون ميراثاً. لأني لبني لوط قد أعطيتها ميراثاً» [تث ٢: ١٩] وقال الكاتب في سفر يشوع: «وأعطى موسى لسبط جاد. بني جاد: حسب عشائرهم. فكان تخمهم يعزير وكل مدن جلعاد ونصف أرض بني عمون» [يشوع ١٣: ٢٤ - ٢٥] في النص الأول لم يعط، وفي الثاني أعطى.

المثال العاشر: قانون الملوك الوارد في (التثنية ١٧: ١٤ - ٢٠) ونصه: «متى أتيت إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك وامتلكتها وسكنت فيها، فإن قلت: أجعل على ملكاً كجميع الأمم الذين حولي، فإنك تجعل عليك ملكاً، الذي يختاره الرب إلهك من وسط إخوتك تجعل عليك ملكاً، لا يحل لك أن تجعل عليك رجلاً أجنبياً ليس هو أخاك، ولكن لا يكثر له الخيل ولا يرد الشعب إلى مصر، لكي يكثر الخيل، والرب قد قال لكم: لا تعودوا ترجعون في هذه الطريق أيضاً، ولا يكثر له نساء لئلا يزيغ قلبه، وفضة وذهباً لا يكثر كثيراً. وعندما يجلس على كرسي مملكته، يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة في كتاب من عند الكهنة اللاويين، فتكون معه ويقرأ فيها كل أيام حياته، لكي يتعلم أن يتقي الرب إلهه، ويحفظ جميع كلمات هذه الشريعة وهذه الفرائض ليعمل بها، لئلا يرتفع قلبه على إخوته، ولئلا يحيد عن الوصية يميناً أو شمالاً. لكي يطيل الأيام على مملكته هو وبنوه في وسط إسرائيل» [تث ١٧: ١٤ - ٢٠]

هذا القانون - حسب ظاهر النص - لم يكتبه موسى، لأن موسى لو كان هو كاتبه ما كان يعارض صموئيل النبي: بني إسرائيل لما قالوا له: ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ﴾ وكيف يعارض نبي نبياً؟ يقول كاتب سفر صموئيل الأول: «اجتمع كل شيوخ

إسرائيل وجاءوا إلى صموئيل إلى الرامة. وقالوا له: هوذا أنت قد شخت وابناك لم يسيرا في طريقك، فالآن اجعل لنا ملكاً يقضي لنا كسائر الشعوب. فساء الأمر في عيني صموئيل إذ قالوا: أعطنا ملكاً يقضي لنا» [صموئيل الاول ٨: ٤ - ٦] ثم إن صموئيل حذر بني إسرائيل كثيراً من اختيار ملك «فأبى الشعب أن يسمعوا لصوت صموئيل، وقالوا: لا. بل يكون علينا ملك. فنكون نحن أيضاً مثل سائر الشعوب ويقضي لنا ملكاً، ويخرج أمامنا ويحارب حروبنا، فسمع صموئيل كل كلام الشعب وتكلم به في أذني الرب، فقال الرب لصموئيل: اسمع لصوتهم وملك عليهم ملكاً» [صموئيل الاول ٨: ١٩ - ٢٢] ثم أنه أخبرهم ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾

والصحيح: أن المعارضة لم تكن من أجل تنصيب الملك وإنما كانت من أجل «القتال في سبيل الله» لأنه لا تخلو أمة من رئيس عليها، ونبي الإسلام من حقه أن يكون ملكاً على بني إسرائيل. لأنه من إخوتهم أي من إسماعيل أخي إسحق [تك ١٦: ١٢] وكل مسلم يقوم مقامه.

المثال الحادي عشر: في التوراة العبرانية عن يوم القيامة: «أليس ذلك مكنوزاً عندي، ومختوماً عليه في خزائني. لي النقمة والجزاء في وقت تزل أقدامهم» [تث ٣٢: ٣٤ - ٣٥] وهو نص غير واضح الدلالة على العقاب في الآخرة، بل يحتمل أن يكون في الدنيا. فكتب كتبة أسفار الأنبياء والمفسرون ما يوضح الدلالة على العقاب في الآخرة. انظر قول أيوب: «أما أنا فقد علمت أن ولي حي. والآخر على الأرض يقوم» [ايوب ١٩: ٢٠] وانظر (دانيال ١٢: ١٣ والمكّابيين الثاني ١٢: ٤٣ - ٤٦) ومن كلام المفسرين: «قال أحد الربانيين اليهود إنك لن ترى في كتاب الشريعة، وصية مقترنة بوعد الثواب إلا وهي متعلقة بالقيامة أي المعاد الجسماني. ففي الوصية التي هي أكرم أباك وأمك قرنت الطاعة بوعد طول الحياة. وقرنت الطاعة بالوصية المتعلقة بعش الطائر بوعد الحصول على الخير وطول الحياة. فلنفرض أن أحد الناس أمر ابنه أن يتسور برجا. ويأتيه بأفرخ عش عثر عليه. فتسور البرج وطير الأم وأخذ الفراخ. واتفق أنه وهو نازل سقط فقتل فأين الخير هنا؟ وأين طول الحياة؟ فإذً: الخير وطول الحياة في العالم الذي يقيم الكل به» (١).

(١) ص ٤٤٧ - ٤٤٨ ج ٢ السنن القويم. ويقصد بعش الطائر هذا النص: «إذا اتفق قدامك عش طائر في=

ويقول سعد بن منصور بن كمونة الإسرائيلي البغدادي: «يجب أن يكون الأصل الأول فيما يسنه النبي الحقيقي أن يعرف الناس: أن لهم صانعاً واحداً. حيّاً قادراً لا شريك له في ملكه، ولا شبيه ولا نظير عالماً بالسر والعلانية لا يعزب عن علمه شيء في السموات ولا في الأرض وأن من حقه أن يطاع وأنه قد أعد السعادة لمن أطاعه والشقاوة لمن عصاه. وأن يقرر عندهم أمر المعاد الأخروي. وأن هناك من اللذة الأبدية ما هو ملك عظيم ومن الألم ما هو عذاب مقيم» (١)

المثال الثاني عشر: وقد اعترف كاتب سفر إرمياء بأن أنبياء أورشليم وأنبياء السامرة حرفوا كلام الله عمداً. يقول على لسان الله عز وجل: «وقد رأيت في أنبياء السامرة حماقة تنبأوا بالبعل وأضلوا شعبي إسرائيل. وفي أنبياء أورشليم رأيت ما يقشعر منه يفسقون ويسلكون بالكذب ويشددون أيادي فاعلي الشر حتى لا يرجعوا الواحد عن شره... من عند أنبياء أورشليم خرج نَفَاق في كل الأرض... أما وحي الرب فلا تذكروه بعد. لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا» [ار ٢٣:١٣ - ١٥، ١٦]

المثال الثالث عشر: والمسيح عيسى بن مريم اعترف بأن موسى ليس الكاتب للتوراة هذه، بل الأحبار الذين لا يخافون الله هم الذين كتبوها. يقول فيما رواه بَرْنابا: «قال التلاميذ: يا معلم هكذا كُتب في كتاب موسى: أن العهد صنع بإسحق. أجاب يسوع متأوهاً: هذا هو المكتوب. ولكن موسى لم يكتبه ولا يشوع. بل أحبارنا الذين لا يخافون الله» [برنابا ٤٤:١ -٤] وبيّن المسيح أن إسماعيل أكبر من إسحق أخيه بسبع سنين. وهو في التوراة أربعة عشر عاماً.

المثال الرابع عشر: يقول يهوذا في رسالته: «وأما ميخائيل رئيس الملائكة. فلما خاصم إبليس محاجّاً عن جسد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء، بل قال لينتهرك الرب» [يهوذا ٩] فمخاصمة ميخائيل إبليس عن جسد موسى لم

= الطريق في شجرة ما... إلخ» [تث ٢٢: ٦ - ٧] والمقصود منه: أنه إذا أطلق الأم وأخذ الأولاد يكون له خير. فلنفرض أنه مات في الحال بعد إطلاق الأم. فأين الخير؟ وأين العوض؟ لابد إذًا من المجازاة في الآخرة.

(١) ص ١٤ - ١٥ تنقيح الأبحاث.

تذكر في التوراة.

المثال الخامس عشر: يقول يهوذا في رسالته: «وتنبأ عن هؤلاء أيضاً: أخنوخ السابع من آدم. قائلاً: هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه. ليصنع دينونة على الجميع، ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم التي فجروا بها، وعلى جميع الكلمات الصعبة التي تكلم بها عليه خطاة فجار» [يهوذا ١٤ - ١٥] ولا أثر لهذا الخبر أيضاً في كتاب التوراة.

المثال السادس عشر: في الرسالة العبرانية: «وكان المنظر هكذا مخيفاً حتى قال موسى: أنا مرتعب ومرتعد» [عب ١٢: ٢١] وهذا الحال مذكور في الأصحاح التاسع عشر من سفر الخروج، لكن لا يوجد فيه ولا في أي كتاب من كتب التوراة. هذه الفقرة. وهي «حتى قال موسى: أنا مرتعب ومرتعد»

المثال السابع عشر: في الرسالة الثانية إلى تيموثاوس: «وكما قاوم ينيس يمبريس موسى» إلخ (٣: ٨) وهذا الحال مذكور في الأصحاح السابع من سفر الخروج. ولا أثر لهذين الاسمين فيه ولا في غيره.

المثال الثامن عشر: يقول استفانوس في سفر الأعمال عن موسى عليه السلام: «ولما كملت له مدة أربعين سنة، خطر على باله أن يفتقد إخوته بني إسرائيل. وإذ رأى واحداً مظلوماً، حامى عنه، وأنصف المغلوب، إذ قتل المصري. فظن أن إخوته يفهمون أن الله على يده يعطيهم نجاة، وأما هم فلم يفهموا. وفي اليوم الثاني ظهر لهم وهم يتخاصمون، فساقهم إلى السلامة قائلاً: أيها الرجال أنتم إخوة لماذا تظلمون بعضكم بعضًا؟ فالذي كان يظلم قريبه دفعه قائلاً: من أقامك رئيساً وقاضيا علينا؟ أتريد أن تقتلني كما قتلت أمس المصري؟ [أعمال ٧: ٢٣ - ٢٨] وهذا الحال مذكور في الأصحاح الثاني من سفر الخروج. وقد جاءت عبارات في الخروج لم توجد في سفر الأعمال. وعبارات الخروج هكذا: «وحدث في تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر في أثقالهم، فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من إخوته. فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد فقتل المصري وطمره في الرمل. ثم خرج في اليوم الثاني، وإذا رجلان عبرانيان يتخاصمان. فقال للمذنب: لماذا تضرب صاحبك؟ فقال:

من جعلك رئيساً وقاضياً علينا؟ أمفتكر أنت بقتلي كما قتلت المصري؟» [خر ٢: ١١ - ١٤]

المثال التاسع عشر: في المزمور ١٠٥: ١٧ - ١٨ «بيع يوسف عبداً. آذوا بالقيد رجليه. في الحديد دخلت نفسه» وحال يوسف مذكور في الأصحاح التاسع والثلاثين من سفر التكوين، وليس فيه: «آذوا بالقيد رجليه. في الحديد دخلت نفسه»

المثال العشرون: في سفر هُوشَع عن مصارعة يعقوب للملاك: «وغلب الملاك وتقوى، وبكى وسأله» [هوشع ١٢: ٤] وحال مصارعة يعقوب للملاك في الأصحاح الثاني والثلاثين من سفر التكوين، ولا يوجد فيه بكاء يعقوب.

المثال الحادي والعشرون: يقول بطرس في رسالته الثانية عن لوط عليه السلام: «وأنقذ لوط البار مغلوباً من سيرة الأردياء في الدعارة. إذ كان البار بالنظر والسمع. وهو ساكن بينهم، يعذب يوماً فيوماً نفسه البارة بالأفعال الأثيمة» [بطرس الثانية ٢: ٧ - ٨] فقد أطلق بطرس لفظ «البار» على لوط عليه السلام ومدحه. وهذا يخالف ما جاء في الأصحاح التاسع عشر من سفر التكوين من أن لوطا زنى بابنتيه، بعدما شرب الخمر وسكر وتعرى.

الفصل الثالث عشر

في

عِصمَة الأنبيَاء

يقول اليهود والنصارى: إن الأنبياء معصومون من الخطأ في تبليغ رسالات الله. وليسوا بمعصومين في ما عدا ذلك من شؤون حياتهم الخاصة والعامة، بل هم كسائر البشر يجوز عليهم الصواب والخطأ **ويجوز أن يفعلوا الخير والشر ويجوز عليهم أن يذنبوا ذنوباً كبيرة أو صغيرة، عمداً أو سهواً.**

وبلغ السفه باليهود إلى الحد الذي يصفون فيه الله على لسان بعض أنبيائهم بأنه ظالم، ولا يفعل الخير لأهل العدل من عباده. ففي سفر الملوك الأول: أن إيليا - الذي هو «إلياس» عليه السلام - قال لله تعالى: «أيها الرب إلهي. أأيضاً إلى الأرملة التي أنا نازل عندها. قد أسأت بإماتتك ابنها» [١ مل ١٧: ٢٠] فهو يبين أن الله - تعالى - قد أساء إليه بغير ذنب، وانتقم الله منها بأن أمات ابنها. أما قولهم: إن الأنبياء معصومون من الخطأ في تبليغ رسالات الله. فهذا هو الأصل والحال في الأنبياء. وليتهم تركوا رسالات الله كما سلمها الأنبياء إليهم. فإنهم أزادوا فيها وأنقصوا منها، وغيروا وبدلوا. كما سبق أن أشرنا.

وأما قولهم: إن الأنبياء ليسوا بمعصومين في غير تبليغ رسالات الله. فإنه قول فاسد لأنهم هم وحدهم أقدر الناس على مقاومة الشيطان باعتبارهم قدوة، وأنهم كملح الأرض كما يقول عيسى عليه السلام «ولكن إن فسد الملح فبماذا يملح؟ لا يصلح بعد لشيء، إلا لأن يطرح خارجاً ويداس من الناس» [متى ٥: ١٣] **ولنذكر من الأسفار الخمسة لموسى عليه السلام وجهة نظر اليهود في بعض الأنبياء الذين ورد**

ذكرهم في القرآن الكريم. كيف كتبوا عنهم بأيديهم ما يشينهم. ويحط من أقدارهم. مع اعترافنا قبل كل شيء وبعده: بأن الله عـادل، وبأن القرآن الكريم قد مدح الأنبياء وأثنى عليهم. ورفـع قدرهم وأعلى منزلتهم وأمـر المسلمين أن يقتـدوا بهم، في قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ وهذه أمثلة:

المثـال الأول: قصة آدم عليه السلام مذكـورة في سفر التكوين. وهم يعترفون بأنه أذنب عمداً، ولم يكتبوا في توراة موسى أنه قد تاب.

وإنما كتبـوا في سفر الحكمة أنه قد تاب «والحكمـة هي التي حمت الإنسان الأول. أب العالم. الذي خلق وحده لما سقط في الخطيئة؛ رفـعته من سقوطه، ومنحته سلطة على كل شيء» [حك ١٠ : ١ـ ٢]

المثال الـثاني: في قصة نوح عليه السـلام هذا النص: «وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساماً وحاماً ويـافث. وحام هو أبو كنعان. هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح. ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض.

وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً؛ وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء، وستـرا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما. فلمـا استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغـير، فقال: ملعون كنعان. عبد العـبيد يكون لإخوته» [تـكوين ٩:١٨ ـ ٢٥] ففيه تصـريح بأن نوحاً شرب الخمـر، وسكر. وصار عريانًا. والعـجب أن المذنب بالنظر إلى عورة أبيـه هو حام، لا كنعان ابن حام. وأخذ الابن بذنب الأب هو خلاف العدل كما تدل عليه [تـث ٢٤:١٦] ولو فرضنـا أن حمل إثم الأب على الابن ليس خـلاف العدل. فمـا وجه تخـصيص كنعان باللعنة؟ لأن أبناء حام كانوا أربعة: كوش ومصرايم وفوط وكنعان [تك ١٠] .

المثال الثالث: في قصة إبراهيم عليه السلام:

(أ) «وحدث لما قرب أن يدخـل مصر أنه قال لساراي امـرأته: إني قد علمت أنك امرأة حـسنة المنظر. فـيكون إذا رآك المصريون أنهم يقـولون هذه امرأته. فـيقـتلونني ويستبقونك. قولي: إنك أختي. ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك» [تكوين

١:١٢ - ١٣] فسبب الكذب ما كان مجرد خوف إبراهيم، بل لرجاء الحصول على خير. وكيف يجوز العقل أن يرضى إبراهيم بترك امرأته ولا يدافع عنها؟ وقد كتب الكاتب بعد ذلك أنه حصل لإبراهيم خير بسببها في الآية السادسة عشرة، مما يدل على أن الكاتب يعرف اليهود بأن يتعاملوا مع الأمم والشعوب، بما تعامل به إبراهيم ليحصلوا بالفجور على أموالهم.

(ب) «وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب، وسكن بين قادش وشور وتغرب في جرار. وقال إبراهيم عن سارة امرأته: هي أختي. فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة فجاء الله إلى أبيمالك في حلم الليل وقال له: ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها فإنها متزوجة ببعل. ولكن لم يكن أبيمالك قد اقترب إليها. فقال يا سيد: أأمة بارة تقتل؟ ألم يقل هو لي: إنها أختي. وهي أيضاً نفسها قالت: هو أخي. بسلامة قلبي ونقاوة يدي فعلت هذا» [تكوين ٢٠: ١ - ٥] وهذا كذب مرة ثانية لحصول الخير.

المثال الرابع: في قصة لوط عليه السلام «وصعد لوط من صوغر، وسكن في الجبل وابنتاه معه. لأنه خاف أن يسكن في صوغر. فسكن في المغارة هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه، فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني قد اضطجعت البارحة مع أبي. نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلي اضطجعي معه، فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم باضطجاعهما ولا بقيامهما. فحملت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب. وهو أبو الموآبيين إلى اليوم، والصغيرة أيضاً ولدت ابنا ودعت اسمه ابن عمي وهو أبو بني عمون إلى اليوم» [تكوين ١٩: ٣٠ - ٣٨].

السبب في كتابة هذا الخبر فيما نعلم والله أعلم: (أ) أن عوبيد جد داود عليه السلام اسم أمه «راعوث» وينتهي نسبها إلى موآب (ب) وأن رحبعام بن سليمان عليه

السلام كانت أمه عمونية من أولاد عمون، واسمها «نعمة» [الملوك الاول ١٤: ٢١] وأحبار اليهود يكرهون داود وسليمان عليهما السلام كراهة تحريم. فكتبوا ما يشين داود ونسله، لتسقط قيمتهم في نظر اليهود.

المثال الخامس: في قصة إسحق عليه السلام «فأقام إسحق في جرار. وسأله أهل المكان عن امرأته. فقال: هي أختي. لأنه خاف أن يقول امرأتي. لعل أهل المكان يقتلونني من أجل رفقة لأنها كانت حسنة المنظر» [تكوين ٢٦: ٦ - ٧] لقد كذب مثل أبيه - كما هو مكتوب -

المثال السادس: في قصة يعقوب عليه السلام:

(أ) «وطبخ يعقوب طبيخا فأتى عيسو من الحقل وهو قد أعيا. فقال عيسو ليعقوب: أطعمني من هذا الأحمر لأني قد أعييت. لذلك دعي اسمه أدوم. فقال يعقوب: بعني اليوم بكوريتك. فقال عيسو: ها أنا ماض إلى الموت. فلماذا لي بكورية؟ فقال يعقوب: احلف لي اليوم. فحلف له. فباع بكوريته ليعقوب. فأعطى يعقوب عيسو خبزاً وطبيخ عدس. فأكل وشرب وقام ومضى. فاحتقر عيسو البكورية» [تكوين ٢٥: ٩ - ٣٤] في هذا الخبر أمران شائنان، الأول: أن عيسو باع البكورية التي كان بها استحقاق منصب النبوة والبركة بلقمة من طبيخ العدس. ومعلوم أن النبوة أفضل من المال. والثاني: أن يعقوب عليه السلام لم يراع حرمة أخيه ولم يشبع جوعته إلا بعد تنازله عن النبوة ولم يحسن بلا عوض. وهذا أمر تأباه النفوس الكريمة كل الإباء.

(ب) لما شاخ إسحق، وكلت عيناه عن النظر؛ دعا عيسو ابنه الأكبر، وقال له: اصطد لي صيداً واصنع لي أطعمة كما أحب وائتني بها، لآكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت. فسمعت رفقة زوجته هذا الكلام وأخبرت به يعقوب وطلبت منه أن يخدع إسحق أباه، فتكون البركة له وحده. فقال لها: «هوذا عيسو أخي رجل أشعر، وأنا رجل أملس. ربما يجسني أبي فأكون في عينيه كمتهاون. وأجلب على نفسي لعنة لا بركة» فطمأنته. فذهب وأخذ جديين جيدين من المعزى. فصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب. وألبست يعقوب ملابس أخيه الفاخرة، وألبست يديه وملاسة عنقه: جلود جديي المعزى، وحملته الأطعمة إلى أبيه.

«فدخل إلى أبيه وقال يا أبي. فقال: هاأنذا. مـن أنت يا ابني؟ فقال يعقوب لأبيه: أنا عيسو بكرك. قد فعلت كما كلمتني. قم اجلس، وكل من صيدي لكي تباركني نفسك. فقال إسحق لابنه: ما هذا الذي أسرعت لتجد يا ابني؟ فقال: إن الرب إلهك قد يسر لي. فقال إسحق ليعقوب: تقدم لأجسك يا ابني. أأنت هو ابني عيسو أم لا؟ فتقدم يعقوب إلى إسحق أبيه. فجسه وقال: الصوت صوت يعقوب. ولكن اليدين يدا عيسو. ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه. وقال هل أنت هو ابني عيسو؟ فقال: أنا هو. فقال: قدم لي لآكل من صيد ابني حتى تباركك نفسي. فقدم له فأكل، وأحضر له خمراً فشرب. فقال له إسحق أبوه: تقدم وقبلني يا ابني: فتقدم وقبله. فشم رائحة ثيابه وباركه» [تك ٢٧: ١٨ - ٢٧].

يريد الكاتب أن يبين أن النبوة في نسل يعقوب عليه السلام ليست هبة من الله ولا اصطفاء. وإنما هي بالخديعة والمكر.

ويريد أن يبين: أن شرب الخمر مباح للأنبياء. لأن حياتهم للذة، لا للدعوة إلى الله - في نظره - ولم يصرح يعقوب بأن الله إلهه، بل إله أبيه وحده.

(ت) هرب يعقوب من وجه أخيه عيسو بعدما أخذ منه البركة إلى خاله «لابان» وبعدما مكث عنده شهراً من الزمان يخدمه «قال لابان ليعقوب: ألأنك أخي تخدمني مجاناً؟ أخبرني ما أجرتك؟ وكان للابان ابنتان اسم الكبرى ليئة واسم الصغرى راحيل. وكانت عينا ليئة ضعيفتين. وأما راحيل فكانت حسنة الصورة وحسنة المنظر. وأحب يعقوب راحيل فقال: أخدمك سبع سنين براحيل ابنتك الصغرى. فقال لابان: إن أعطيك إياها أحسن من أن أعطيها لرجل آخر. أقم عندي. فخدم يعقوب براحيل سبع سنين. وكانت في عينيه كأيام قليلة بسبب محبته لها.

ثم قال يعقوب للابان: أعطني امرأتي لأن أيامي قد كملت. فأدخل عليها. فجمع لابان جميع أهل المكان وصنع وليمة. وكان في المساء أنه أخذ ليئة ابنته وأتى بها إليه فدخل عليها وأعطى لابان زلفة جاريته لليئة ابنته جارية. وفي الصباح إذا هي ليئة. فقال للابان: ما هذا الذي صنعت بي؟ أليس براحيل خدمت عندك؟ فلماذا خدعتني؟ فقال لابان: لا يفعل هكذا في مكاننا أن نعطي الصغيرة قبل البكر. أكمل أسبوع هذه

فنعطيك تلك أيضاً بالخدمة التي تخدمني أيضاً سبع سنين أخر. ففعل يعقوب هكذا. فأكمل أسبوع هذه. فأعطاه راحيل ابنته زوجة له. وأعطى لابان راحيل ابنته بلهة جاريته جارية لها. فدخل على راحيل أيضاً وأحب أيضاً راحيل أكثر من ليئة. وعاد فخدم عنده سبع سنين أخر» [تك ٢٩: ١٥ - ٣٠].

وهنا اعتراضان: الأول: أن يعقوب عليه السلام كان يقيم في بيت لابان. وكان يرى ابنتيه ويعرفهما معرفة جيدة باعتبار وجهيهما وصوتيهما وكان في ليئة علامة بينة، وهي استرخاء العينين. فالعجب كل العجب أن تكون ليئة في فراشه جميع الليل ويراها ويضاجعها ويلمسها ولا يعرفها وهذا مستفاد من قوله «دخل عليها»- «وفي الصباح إذًا هي ليئة». الثاني: أن خال يعقوب خدعه، كما خدع يعقوب أباه وأوهمه أنه عيسو.

(ث) «وأما لابان فكان قد مضى ليجز غنمه. فسرقت راحيل أصنام أبيها. وخدع يعقوب قلب لابان الأرامي إذ لم يخبره بأنه هارب. فهرب هو وكل ما كان له وقام وعبر النهر وجعل وجهه نحو جبل جلعاد. فأخبر لابان في اليوم الثالث بأن يعقوب قد هرب فأخذ إخوته معه. وسعى وراءه مسيرة سبعة أيام. فأدركه في جبل جلعاد. وقال لابان ليعقوب: ماذا فعلت وقد خدعت قلبي وسقت بناتي كسبايا السيف؟. في قدرة يدي أن أصنع بكم شراً. لماذا سرقت آلهتي؟ فأجاب يعقوب. الذي تجد آلهتك معه لا يعيش. قدام إخوتنا انظر ماذا معي وخذه لنفسك. ولم يكن يعقوب يعلم أن راحيل سرقتها فدخل لابان خباء يعقوب، وخباء ليئة وخباء الجاريتين ولم يجد. وخرج من خباء ليئة ودخل خباء راحيل. وكانت راحيل قد أخذت الأصنام ووضعتها في حداجة الجمل وجلست عليها. فجسّ لابان كل الخباء ولم يجد. وقالت لأبيها: لا يغتظ سيدي. إني لا أستطيع أن أقوم أمامك لأني عليّ عادة النساء ففتش ولم يجد الأصنام» [تكوين ٣١: ١٩ - ٣٥].

لماذا سرقت راحيل أم يوسف عليه السلام أصنام أبيها؟ ولماذا كذبت؟

لابد للكاتب من غرض يهدف إليه. وإلا لماذا اختار المحبوبة بالذات أم يوسف وبنيامين؟ وقد يقال: إن ملوك السامريين من نسل أفرايم بن يوسف، ويوسف هو ابن

«راحيل» فكتب الكاتب ما يرضى العبرانيين بإهانة أصل السامريين. لكن هذا احتمال يأباه سياق الكلام. فإنه يدل على أن راحيل التي سرقت، هي الحسناء التي يجوز لها في نظر الكاتب أن تسرق وأن تخدع وأن تفعل بجمالها ما تشاء. كما فعلت «أستير» من بعدها، اقتداء بها. وكما فعلت «سارة» أخت إبراهيم.

(ج) «فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه: اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم، وتطهرواوأبدلوا ثيابكم. ولنقم ونصعد إلى بيت إيل. فأصنع هناك مذبحاً لله، الذي استجاب لي في يوم ضيقتي، وكان معي في الطريق الذي ذهبت فيه. فأعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التي في أيديهم والأقراط التي في آذانهم. فطمرها يعقوب تحت البطمة التي عند شكيم» [تك ٣٥: ٢-٤].

والظاهر من هذه العبارة: أن أهل بيت يعقوب عليه السلام ومن معه إلى هذا الحين كانوا يعبدون الأصنام. وهذا الأمر بالنظر إلى بيته شنيع جداً. أما نهاهم قبل ذلك عن عبادة الأوثان؟

(ح) «وخرجت دينة ابنة ليئة التي ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض. فرآها شكيم بن حمور الحوي رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذلها. وتعلقت نفسه بدينة ابنة يعقوب وأحب الفتاة ولاطف الفتاة فكلم شكيم حمور أباه قائلاً: خذ لي هذه الصبية زوجة. وسمع يعقوب أنه نجس دينة ابنته. وأما بنوه فكانوا مع مواشيه في الحقل. فسكت يعقوب حتى جاءوا.

وتكلم حمور معهم قائلاً: شكيم ابني قد تعلقت نفسه بابنتكم. أعطوه إياها زوجة. فأجاب بنو يعقوب. لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر أن نعطي أختنا لرجل أغلف لأنه عار لنا. غير أننا بهذا نواتيكم إن صرتم مثلنا، بختنكم كل ذكر، نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ونسكن معكم ونصير شعباً واحداً. فسمع لحمور وشكيم ابنه جميع الخارجين من باب المدينة، واختتن كل ذكر. كل الخارجين من باب المدينة. فحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أن ابني يعقوب شِمعون ولاوِي أخوي دينة أخذا كل واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر. وقتلا حَمُور وشكيم ابنه بحد السيف، وأخذا دينة من بيت شكيم وخرجا. ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا

المدينة لأنهم نجسوا أختهم، غنمهم وبقرهم وحميرهم، وكل ما في المدينة وما في الحقل أخذوه، وسبوا ونهبوا كل ثروتهم، وكل أطفالهم ونسائهم. وكل ما في البيوت» [تك ٣٤: ١ – ٢٩] .

في هذا التعبير ١ – أن دينة ابنة يعقوب لم تكن معصومة من الزنا. ٢ – وأن أولاد يعقوب ظلموا القرية بالقتل والنهب وكان عليهم أن يقتصوا من شكيم وحده ويتحملوا بعد ذلك ما يترتب على القصاص. ٣ – وأن يعقوب لم يمنعهم عن هذه الحركة الشنيعة قبل وقوعها. ولم يأخذ القصاص منهم، ولم يرد النساء والصبيان والأموال المسلوبة. وإذا لم يكن قادراً فلم لم يتبرأ منهم ويترك مساكنتهم؟ ٤ – يبعد كل البعد أن يقتل الصبيّان – شمعون ولاوي – أهل البلدة كلهم. ٥ – الخداع والمكر واضحان في التحايل على أهل المدينة.

(خ) «وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً في تلك الأرض. أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه. وسمع إسرائيل» [تك ٣٥: ٢٢]

لقد زنى بكر يعقوب بزوجة أبيه. وهذا عيب. وقد كتبوا أن عقوبة الزاني في شريعتهم من قبل أن تنزل التوراة هي الحرق [تك ٣٨: ٢٤] ولما سمع إسرائيل، وكان قبيحاً في نظره فلماذا لم يقم عليه حد الزنا؟ ولماذا لم يقم عليها؟

المثال السابع: في قصة هارون عليه السلام: «ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هرون. وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا. لأن موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه؟ فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هرون. فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً. فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر. فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه ونادى هرون وقال: غداً عيد للرب. فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة، وجلس الشعب للأكل والشرب. ثم قاموا للعب» [خر ٣٢: ١ – ٦]

فظهر من هذه العبارة: أن هرون صنع عجلاً، وبنى مذبحاً أمامه، ونادى وقال:

غداً عيد للرب. فعبد العجل، وأمر بني إسرائيل بعبادته فقربوا وقوداً وذبائح. ولاشك أنه كان رسولاً نبياً. بدليل: فكلم الرب موسى وهرون وأوصى معهما إلى بني إسرائيل وإلى فرعون ملك مصر في إخراج بني إسرائيل من أرض مصر» [خروج ٦:١٣] وبدليل: «أرسل موسى عبده، وهارون الذي اختاره» [مزمور ١٠٥:٢٦] وأيضاً: «وحسدوا موسى في المحلة. وهرون قدوس الرب» [مزمور ١٠٦:١٦]

المثال الثامن: في قصة موسى عليه السلام.

(أ) «وحدث في تلك الأيام، لما كبر موسى: أنه خرج إلى إخوته لينظر في أثقالهم فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من إخوته. فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد، فقتل المصري وطمره في الرمل» [خروج ٢:١١ - ١٢]

في هذا التعبير بين الكاتب أن قتل موسى للمصري كان عمداً وقصداً.

(ب) لما أمر الله موسى أن يذهب إلى فرعون «قال موسى للرب: استمع أيها السيد لست أنا صاحب كلام منذ أمس، ولا أول من أمس. ولا من حين كلمت عبدك. بل أنا ثقيل الفم واللسان. فقال له الرب: من صنع للإنسان فما؟ أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيراً أو أعمى؟ أما هو أنا الرب؟ فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به. فقال استمع أيها السيد: أرسل بيد من ترسل. فحمى غضب الرب على موسى» [خروج ٤:١٠ ، ١٤] .

في هذا التعبير تجد موسى يستعفي عن النبوة. وقد كان الرب وعده بها وطمأن بها قلبه. ولما استعفى، اشتد عليه غضب الرب.

(ت) «وكان عندما اقترب إلى المحلة أن أبصر العجل والرقص فحمى غضب موسى وطرح اللوحين من يديه، وكسرهما في أسفل الجبل» [خروج ٣٢:١٩] .

في هذا التعبير يكسر موسى اللوحين، وهذان اللوحان كانا من عمل الله وخط الله (خر ٣٢) ولم يحصل بعد ذلك على مثلهما. لأن اللوحين اللذين حصل عليهما بعدهما، كانا من عمل موسى ومن خطه (خر ٣٤).

(ث) «فقال الرب لموسى وهرون: من أجل أنكما لم تؤمنا بي حتى تقدساني أمام أعين بني إسرائيل، لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم إياها»

[عدد ٢٠:١٢] «وكلم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلاً: اصعد إلى جبل عباريم، هذا جبل نبو الذي في أرض موآب الذي قبالة أريحا، وانظر أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسرائيل ملكاً ومت في الجبل الذي تصعد إليه. وانضم إلى قومك كما مات هرون أخوك في جبل هور وضم إلى قومه. لأنكما ختتماني، في وسط بني إسرائيل. فإنك تنظر الأرض من قبالتها ولكنك لا تدخل إلى هناك إلى الأرض التي أنا أعطيها لبني إسرائيل» [تثنية ٣٢: ٤٨ - ٥٢] في هذين التعبيرين تصريح بصدور الخطأ عن موسى وهرون عليهما السلام وبعدم الإيمان منهما. ولذلك صارا محرومين من الدخول في الأرض المقدسة. وقد قال الله لهما زاجراً: «من أجل أنكما لم تؤمنا بي»

هذا. ورأي المسلمين في عصمة الأنبياء. هو:

قال إمام الحرمين في «الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد»: «تجب عصمتهم - أي الأنبياء - عما يناقض مدلول المعجزة. وهذا مما نعلمه عقلاً ومدلول المعجزة: صدقهم فيما يبلغون. فإن قيل: هل تجب عصمتهم عن المعاصي؟ قلنا: أما الفواحش المؤذنة بالسقوط وقلة الديانة، فتجب عصمة الأنبياء عنها إجماعاً. وأما الذنوب المعدودة من الصغائر. فلا تنفيها العقول» (١)

---

(١) ص ٣٥٦ الإرشاد - الجويني - تحقيق الدكتور محمد يوسف. والأستاذ علي عبد المنعم - مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٠م.

الفصل الرابع عشر
في
عِصمَة الرّوح القدس

يسلم الجمهور من اليهود بأن موسى عليه السلام هو الكاتب للتوراة كما أسلفنا. ويسلم الجمهور من النصارى بأن التوراة من عهد موسى ومن كتابته. وفي اعتقادنا أنا ما ذكرناه من أمثلة من نصوصها كاف جداً في إثبات تحريفها، وهذا الذي نعتقده يسلم به الراسخون في العلم من النصارى. يقول الآباء اليسوعيون في أسفار موسى الخمسة: «كثير من علامات التقدم تظهر في روايات هذا الكتاب وشرائعه. فما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسى ذاته قد كتب كل البانتاتيك منذ قصة الخلق إلى قصة موته، كما أنه لا يكفي أن يقال إن موسى أشرف على وضع النص الملهم، الذي دونه كتبة عديدون في غضون أربعين سنة، بل يجب القول مع لجنة الكتاب المقدس البابوية سنة ١٩٤٨ أنه يوجد ازدياد تدريجي في الشرائع الموسوية سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية تقدم يظهر في الروايات التاريخية»(١)

ولما كان العوام من النصارى ما يزالون يعتقدون في صدق التوراة، ويقولون: حتى ولو فرض أن موسى لم يكن هو الكاتب، فإن الروح القدس قد عصم الكاتب من الخطأ وألهمه الصواب (٢). وذلك الروح القدس هو الأقنوم الإلهي الثالث في الثالوث

(١) ص ٤ المجلد الأول من الكتاب المقدس للآباء اليسوعيين.

(٢) على طريقة الوسوسة في النفس، لا أن الروح يظهر شخصياً.

المقـدس، وهو إله من آلهـة ثلاثة تحكم العـالم وتدبر أمره كـمـا يعتـقـد الكاثوليك والبروتستانت، أو هو الله نفسه كـما يعتقد الأرثوذكس. وهذا الروح أوحى بالإلهام. وأمسك بيد الكاتب لكتابة فكر الله ووحي الله. أي أن الوحي إلهي وبشري معاً.

وهذه الفكرة لجأ إليـها النصارى في الواقع ليس لتـبرير أخطاء التوراة، بل لتـبرير وجود أناجيل غـير منسوبة إلى المعلم نفـسه، أناجيل منسوبة إلى مـتى ومرقس ولوقا ويوحنا. ولإيهـام أتباعهم بصـدق الأناجيل بالذات اعـتنقوا هذه الفكرة وآمـنوا بها. ولقنوا أولادهم على مر الزمان: أن الروح القدس عصم كتاب الأناجيل حين الكتابة. كما عصم كاتب التوراة. فـأصبح الكتاب كله موحي به من الله. يقول بطرس «إن كل نبوة الكتاب ليسـت من تفسير خاص، لأنه لم تأت نبوة قط بمشيـئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مـسوقين من الروح القدس» [بطرس الثانية ١: ٢٠ - ٢١] ويفسـر هذا المعنى الأنبا أثناسـيوس في قوله: «بدأ التبشـير بالمسيحـية بالتعليم الشفـهي. فلما قال الرب لتلاميذه: اذهبوا إلى العالم أجـمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» [مـرقس ١٦: ١٥] لم يسلمهم إنجيلاً مكتوباً على ورق، واستعمل كلمة إيفانجليون، لا كاسم كتاب، بل حسب مـعناها العام، البشـرى المفرحة، أي أن ينشـروا خير الخـلاص في العالم أجمع، وجال الرسل في سائر البلاد يبشرون بالمسيح مخلص العالم، وجاءت الحاجة للأسفار المكتـوبة في مرحلة تالية، فالـبعض يريدون سيرة الرب في الجسـد مكتوبة، فيرشد الروح أحد الرسل، ليكتب لهم إنجيله، وآخـرون يحتاجون لشرح بعض نقاط فتكتب لهم رسالة» [١].

والنصارى يقدسون التوراة؛ لأن الأناجيل مبنية عليها.

* * *

أرى من الواجب علي مناقـشة النصارى في دعـوى الإلهام هذه، وأن أبيّن لهم أن الروح القـدس لا دخل له مطلقاً فـي هذا الشأن، وأن مـا تم في التوراة ومـا تم في الإنجيل هو من صنع البشر أنفسهم بمحض إرادتهم واختيارهم.

إنك حين ترى الاختلافات في العبرانية والسامـرية مثلاً، والاختلافات في العبرانية

(١) ص ١٠ تفسير إنجيل متى للانبا اثناسيوس.

وحدها - كما سبق أن وضحنا - لا يمكنك أن تظن مجرد ظن بأن هذا كله فكر الله ووحي الله. لأن الروح القدس - على سبيل المثال - لا يوحي بجبل عيبال في موضع، وبجبل جرزيم في موضع آخر، وأن الروح القدس لا يوحي للسامريين بخمسة أسفار ويوحي للعبرانيين بتسعة وثلاثين سفرا. ولا يوحي للذين ترجموا العبرانية إلى اليونانية بأن يجعلوها ستة وأربعين. وهكذا كما سبقت الأمثلة عليه.

والروح القدس أيضاً لا يوحي في الإنجيل الواحد بأفكار مضطربة، ولا يوحي لكاتب إنجيل عكس المعنى الذي يوحيه لكاتب آخر. فإنك مثلاً لو قرأت إنجيل متى، وقرأت إنجيل يوحنا فسوف تجد أن متى تحدث عن نسب المسيح ثم ذكر موعظة الجبل، ثم بيّن البلاد التي فيها كَرَزَ المسيح وبشَّر، ثم ضرب كثيراً من الأمثال لمجيء نبي الإسلام ﷺ ومن هذه الأمثال: «يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها إنسان، وزرعها في حقله، وهي أصغر جميع البذور، ولكن متى نمت فهي أكبر البقول، وتصير شجرة حتى إن طيور السماء تأتي وتتآوى في أغصانها» [١] [متى ١٢: ٣١ - ٣٢] وفي نهاية أحد الأمثال قال لليهود: «إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره» [متى ٢١ - ٤٣] ثم تحدث عن يوحنا المعمدان [٢] الذي هو يحيى عليه السلام ثم ذكر موعظة المسيح للجموع وللتلاميذ ولليهود الفرّيسيين، ثم تحدث عن خراب هيكل سليمان، وتدمير أورشليم... إلخ. وسوف تجد أن يوحنا ضرب صفحاً عن كثير من هذا الذي ذكره متى، وتحدث عن موضوعات لم يشر إليها متى من قريب أو من بعيد. أنه مثلاً لم يذكر مثلاً واحداً من أمثلة ملكوت السموات التي ذكر منها متى كثيراً، ويمكن القول والحالة هذه: إن فكر الله ووحي الله موزع على الأناجيل، فذكر

(١) هذا هو المراد من قول الله تعالى: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ... ﴾ وأما مثلهم في التوراة فهو في (المزمور ١٤٩) «تنويهات الله في أفواههم، وسيف ذو حدين في يدهم... إلخ»

(٢) ليس هو كاتب إنجيل يوحنا وإنما الإنجيل منسوب إلى يوحنا ابن خالة المسيح. ومن كلام النبي يوحنا (يحيى) عن نبي الإسلام «الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذي رفشه في يده، وسينقي بيدره، ويجمع قمحه إلى المخزن وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ» (متى ٣: ١١ - ١٣) والمسيح كان معاصراً له. ولم يأت بعده إلا نبي الإسلام ﷺ. وهو الذي أهلك الكفار واليهود، والنصارى وهم جميعًا مغضوب عليهم من الله، وضالون عن الحق.

كل كاتب ما أراد له الله أن يكتب، وعصمه فيه. ولكن ما عسى يمكن أن يقال: إذا كان الإنجيل الواحد فيه اضطراب واختلاف، وفي الإنجليين المتشابهين تضاد في كثير من المعاني. هل يمكن القول حالئذ أن هذا من وحي الله وإلهامه؟

لقد جاء نسب عيسى عليه السلام من جهة أمه في إنجيل متى في الأصحاح الأول. وفي إنجيل لوقا في الأصحاح الثالث. وجاء ذكر هذا النسب ضمن بعض أسفار التوراة. وبين الجميع اختلاف كبير. نذكر منه:

١ - في متى: أن يوسف النجار خطيب مريم رضي الله عنها ابن يعقوب. وفي لوقا: أنه ابن هالي.

٢ - في متى: أن عيسى ينتهي نسبه إلى سليمان بن داود عليهما السلام. وفي لوقا: ينتهي إلى ناثان بن داود.

٣ - يقول متى من داود إلى يسوع المسيح ستة وعشرون جيلاً. ويقول لوقا: واحد وأربعون.

٤ - يقول متى: إن شألتئيل بن يكنيا. ويقول لوقا: أنه ابن نيري.

٥ - يقول متى: إن اسم ابن زربابل: أبيهود. ويقول لوقا: إن اسمه: ريسا. وأسماء بني زربابل مكتوبة في الأصحاح الثالث من سفر أخبار الأيام الأول، وليس منهم «أبيهود» ولا «ريسا»

ولو قرأت نسب المسيح في إنجيل متى وحده. لوجدت أ - من إبراهيم إلى داود عليهما السلام: أربعة عشر جيلاً ومن سليمان إلى يكنيا أربعة عشر جيلاً، ومن شألتئيل إلى يوسف النجار اثنا عشر جيلاً. في حين أن متى يذكر أربعة عشر. ب - يقول متى: «ويوشيا ولد يكنيا، وإخوته عند سبي بابل» ويعلم من ولادة يكنيا وإخوته من يوشيا أنه كان حيا في السبي وهو غلط بأربعة أدلة: الأول: أن يوشيا مات قبل هذا الجلاء باثني عشر عامًا. لأنه جلس بعد موته «ياهو آحاز» ابنه على سرير الملك ثلاثة أشهر، ثم جلس «يهويا قيم» ابنه الآخر إحدى عشرة سنة، ثم جلس «يهوياكين» بن يهوياقيم ثلاثة أشهر فأسره «نبوخذ نصر» وأجلاه مع بني إسرائيل الآخرين إلى بابل. الثاني: أن «يكنيا» هو ابن ابن «يوشيا» لا ابنه. وهو المسمى «يهوياكين» الثالث:

أن يكينا كان في الجلاء ابن ثماني عشرة سنة، فما معنى ولادته في السبي البابلي.

الرابع: أن «يكنيا» ما كان له إخوة [الملوك الثاني ٢٣ - ٢٥] ت - الأجيال في القسم الثاني من الأقسام الثلاثة التي ذكرها متى: ثمانية عشر، لا أربعة عشر. كما هو واضح من الأصحاح الثالث من سفر أخبار الأيام الأول وهم: أخزيا، ويوآش، وأمصيا، ويهوياقيم بن يوشيا ث - «يورام ولد عزيا» وهذا غلط من متى، لأنه يعلم منه أنه ابن «يورام» وليس كذلك لأنه ابن أمصيا بن يوآش بن أخزيا بن يورام، فثلاثة أجيال ساقطة هنا [الاخبار الثاني ٢٢، ٢٤، ٢٥] ج - في متى: أن زربابل بن شألتئيل، وهو غلط لأنه ابن فدايا، وهو ابن الأخ لشألتئيل [الاخبار الاول ٣] ج - في متى: أن أبيهود بن زربابل وهو غلط، أيضاً. لأن زربابل كان له خمسة بنين، وليس فيهم أحد مسمى بهذا الاسم [الاخبار الاول ٣:١٩]

هذا مثل بالنسبة لتناقض المعنى في الإنجيلين المتشابهين، وفي الإنجيل الواحد إذا ما أرجعنا فكره إلى كلام التوراة، أو إذا ما أرجعنا فكره إلى كلام الكاتب نفسه. يدلنا على أن هذا الذي هو مكتوب ليس من وحي الروح القدس حين كتابة الأناجيل.

وإذا ما استطاعوا أن يجيبوا على ذلك بتبريرات أيا كان شكلها وقت حدوث الكتابة بلفظ «أراته» أو بلفظ «يريوس، ريدنك» أي غلط الكاتب، أو اختلاف العبارة. فبماذا يمكنهم الإجابة على هذا السؤال؟

لفظ «بيراقليط» حينما يغير من ترجمة إلى أخرى على طول السنين، فهل ذلك التغيير من وحي الروح القدس وإلهامه؟ أعتقد أن ذلك لا يمكن أن يكون وحي من الروح القدس بحال من الأحوال، ولا يمكن تبريره بغلط الكاتب أو اختلاف العبارة أو بوسيلة أخرى من وسائل تبرير الخطأ.

«بيراقليط»: هو اسم أحمد نبي الإسلام ﷺ. وورد في تراجم إنجيل يوحنا بحروف مختلفة هكذا: (بارقليط - فارقليط - المعزّى - المحامي - المؤيِّد - باراكليت) وورد في التراجم الأجنبية هكذا [1].

---

(١) ص ٦١ - ٦٢ تعريب الأناجيل وأعمال الرسل وانظر St- John طبعة بيروت. 1961 (D.F) Arabic John With English (another Comforter)

- Paraclet - Advocate - Comforter

وفي الكتـاب المقدس: (Assistant - Le denfeseur - Consolateur Christ's College, Liverpool)

تعليق: Alexander Jones Ist March 1687

وجـدنا الكلـمـة هكذا: Advocate ويعلق فـي الهـامـش هكذا: (Greek Parakletos:Advocate or Counsellor or Protector)

والحق: أن المسـيح نطق بلفظ بـيرقليـط. وهو يترجـم: أحمـد. ويقـول النصـارى بالتـرجمـة. وبأن المسيح لم ينطـق بيرقليط. بل نطق باراقـليط. وعلى ذلك فليس هو أحمد، أي أن الخـلاف في الكسرة والفتـحة، فعلى الكسرة يكون اسم أحـمد. وعلى الفتحة لا يكون اسم أحمد، بل صفة هـي المعزى. وهم يعتمدون رواية الفتحة، ولا يعتمدون رواية الكسرة. لماذا لا يأتي الروح القدس الآن ليزيل هذا الإبهام؟

* * *

والدليل على أن «بيريكليت» اسم. والاسم هو «أحمد»:

١ - يقول الأب متى المسكين: «حسب مفهوم اللغة اليونانية القديمة، واستعمالاتها كما وردت في النصوص التفـسيرية نجد المعنى، ينحصر في الصفة الـقضائية للشخص الذي يمكنه القـانون من الدفـاع والمحـامـاة، والشـفاعـة عن آخـر، وقـد وردت في اصطلاحات الربيين اليهود بهذا المعنى. وبالذات في كتـابة العلامة فيلو اليهودي، وإنما كانت تنطق باللغة العبرية هكذا (البـيرقليط) وهذا النطق عينه هو الذي اشتق منه نطق الكلمة بالـلغة العربيـة البرقليط. لأن اللغـة العربية تميل إلى الأخـذ من اللغة العـبرية القديمة، أكثر من اللغة اليونانية كمـا رأينا سابقاً في كلمة العنصرة، ووردت أيضاً بهذا المعنى في كتـابات الآباء الرسوليين، وبالذات في رسـالة برناباس، وتوجد وثيـقة في كنيسة «فـينا» ليوسابيوس القـيصري وردت فيهـا كلمة البراقليط كصـفة أطلقت على شخص تبنى مسؤولية الدفاع عن المسـيحيين المتهمين بمسيحيتهم. وهي مقـالة ممتعة فيها ينعت المسيحيـون هذا الشخص، واسمه: (فيتوس أيب، أجـانوس) بالبراكليتي، لأنه حامي عنهم، وتشـفع لهم جهاراً معـرضاً حياتـه للهلاك. وهذه الوثيقة تصـور كلمة

الباراكليت تصويراً واقعياً حياً. إنما على مستوى بشري» [١] .

٢ - ومما يدل على أن لفظ بيرقليط: يعني نبياً آتياً من بعد عيسى عليه السلام أن مونتانوس: ادعى النبوة في القرن الثاني للميلاد، وزعم أنه البيرقليط الذي وعد بمجيئه عيسى، وكذلك ماني الفارسي في القرن الثالث. وهذا يدل على أن هذه اللفظة تعني شخصاً بشرياً، وإلا ما جرؤ هذان على هذا القول [٢] .

ويقول الانبا اثناسيوس: «أن لفظ باراقليط إذا حرف نطقه قليلاً يصير بيريكليت ومعناه الحمد أو الشكر وهو قريب من لفظ «أحمد» [٣]

٣ - الأوصاف التي جاءت في إنجيل يوحنا بعد هذا الاسم تدل على شخص بشري، وإذا دلت على شخص بشري، يكون اللفظ الذي نطق به المسيح هو بيرقليط، لا باراقليط، وإذا ترجم إلى اللغة اليونانية Greek يكون (بيركليتوس) لا (باراكلي طوس) ومما تجدر الإشارة إليه هنا: أن اليونانية تزيد حرف السين في آخر كل اسم والدليل على أن (بيركليتوس) اسم: مجيئها في اللغة اليونانية بالسين. مثل بومبي. يقولون: بومبيوس - تيطس، يقولون تيطوس - ويوسف، يقولون: يوسيفوس. وهكذا.

ومثل «بيركليتوس» في إضافة السين كلمة «باراكليتوس» إلى هذا الحين في التراجم اليونانية. ومما يدل على أنها اسم: أن حروف المد - وهي: الألف والياء والواو - لم تكن قبل القرن الخامس الميلادي. فباراكليتوس هي نفسها بيركليتوس في رسم الكلمة ولذلك فإن التراجم اليونانية تكتبها «باراكليتوس» بالسين، لأنها اسم، وليست صفة في نظر المترجمين.

وهذه فقرات من كلام يوحنا: «وأما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم» - «وقلت لكم الآن قبل أن يكون، حتى متى كان تؤمنون» - «ومتى جاء المعزى. . . فهو يشهد لي،

---

(١) ص ١٢ - ١٣ الباراكليت الروح القدس في حياة الناس.

(٢) تاريخ الارطقات ص ٣٤ .

(٣) ص ١١٩ دراسات في الكتاب المقدس - الانبا اثناسيوس - مطبعة دار العالم العربي ١٩٧٥ م بمصر.

وتشهـدون أنتم أيضاً، لأنكم معي من الابتـداء» وفي الأصل اليوناني وتُستشـهدون. «ومتى جـاء ذاك يبكِّت العالم على خطيِّـة وعلى بر وعلى دينونة» - «وأما مـتى جاء ذاك روح الحق فـهو يرشـدكم إلى جمـيع الحق، لأنه لا يتكلم من نفـسه بل كل مـا يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي، ويخبركم» [حنا ١٣، ١٤، ١٥، ١٦]

وهذه أوصاف لشـخص بشري كـما هو واضح. ولكن النصـارى يقولون: إن هذه الأوصاف للروح القـدس، الإله نفسه أو إلاه، ولو سـألناهم: هل نزل الروح القدس الإله الثالـث، أو الله نفسه: بعـد المسيح، وعلَّم كل شيء، وذكَّـر بكل شيء؟ وهل شهد للمسيح؟ وهل وبَّخ العالم على الخطايا؟ وهل أرشد إلى جميع الحق؟ وهل أخبر بأمور آتية؟ وهل موسى بن عمران وضح هذا عن الروح. وأخبر أن آلهة الكون ثلاثة، أو للكون إله سيحل في جسد المسيح؟ وإذا كان الروح القدس هو الله نفسه كما تقول الكنائس الشرقـية (الأرثوذكس) فمن أين كان سـيأخذ؟ ومن أين كان سـيسمع؟ هذه أسئلة مـا تجد إجابـة إلى عصرنا هذا. بل يقـولون: نزل الروح القدس يوم الخـمسين وبلبل ألسنة التـلامـيذ ولـم يفه بكلـمة واحـدة، ثم انصـرف. وهذا هو النص الذي يعتمدون عليه: «ولما حضر يوم الخمسين [1] كان الجميع معاً بنفس واحدة، وصار بغتة من السـماء صـوت، كمـا من هبوب ريح عـاصفـة، وملأ كل البـيت حيث كـانوا جالسين، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كـأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم، وامتلأ الجميع من الروح القدس، وابتـدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا» [أعمال الرسل ٢: ١-٤] إنه لم يتكلم، ولم يوبخ ولم يعلم ولم يذكر. وهكذا يبررون وحي الله وفكر الله. وما هكذا نزل وحي الله، ولا فكره.

ولفظ الروح على الحـقيقـة يعني «الريح» الذي هو الهواء، كـما يقول عـلماء بني إسرائيل أنفسهم. لا روح الذات الإلهية، كما يقول النصارى. ولفظ الروح على المجاز

(١) يوم الخمسين: يقول النصارى إنه بعد خمسين يومـا من وضع عيسى في القبر، وقيامه من الأموات. نزل الروح القدس على التلامـيذ في عليّة أورشليم «منزل» والحق أن يوم الخمسين: هو عـيد يهودي. يأتي بعد عيد الحصاد بخمسين يوماً «إلى غـد السبت السابع تحسبون خمسين يوماً» (لاويين ٢٣: ٩ - ١٦) ويسمى بعيد العنصرة.

يعني صفة القوة والإلهام والتأييد. وهكذا. فإذا ما قالوا: إن الروح القدس يعصم من الخطأ. فعليهم أن يبينوا، أي نوع من أنواع الروح هو الذي يعصم؟ هل لفظ الحقيقة، أم ألفاظ المجاز؟ فإذا كان اللفظ على الحقيقة. فإن الريح لا تبقى ولا تذر. وإذا كان اللفظ على المجاز. فأي معنى يقصدون؟ إن كان على معنى الإلهام. وهذا أفضل ما يمكن القول به لصلته بفكر الله ووحيه، فإن هذا الإلهام قد ثبت كذبه، للاختلافات الموجودة في التوراة والأناجيل الأربعة والأفركسيس - الذي هو سفر أعمال الرسل - والرسائل.

وإذا عاندوا وقالوا: إن ما ذكرنا ليس من الأمور الهامة بمكان. فإنا نذكر مثلاً يتعلق بوظيفة المسيح نفسه، والهدف من مجيئه. وهو: أن الروح القدس قد أوحى إلى «لوقا» أن يكتب أن جبريل - عليه السلام - لما بشر «مريم» - رضي الله عنها - بولادة «عيسى» - عليه السلام - قال لها: «ها أنت ستحبلين، وتلدين ابناً، وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيماً، وابن العلي يدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية» [لوقا ١:٣١ - ٣٣] لقد نص لوقا على أن المسيح سيكون ملكاً على كرسي داود. وأوحى الروح القدس إلى يوحنا أن يكتب هكذا: «وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً، انصرف أيضاً إلى الجبل وحده» [يوحنا ٦:١٥] لقد نص يوحنا على أنه لم يكن ملكاً. فأيهما الصادق: لوقا أم يوحنا؟ وإذا كذب واحد منهما، ألا يكون الروح القدس كاذباً؟ سواء كان هذا الروح شخص الإله نفسه [1] إله العالم، أو الإله الثالث - تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً - أو الصفة نفسها صفة الإلهام على معنى المجاز.

والحق أن المسيح محرم عليه بنص التوراة أن يكون ملكاً - حسب مفهوم النسب الذي ذكره متى عن المسيح - يقول إرمياء في سفره عن يهوياقيم ملك أورشليم، وكان قد أحرق كلام الله الذي أملاه إرمياء النبي على باروخ: «هكذا قال الرب: أنت قد أحرقت ذلك الدرج، قائلاً: لماذا كتبت فيه قائلاً: مجيئاً يجيء ملك بابل ويهلك

---

(١) هم يقولون بشخص الإله لكن على سبيل الوسوسة في النفس، اي ان الوسوسة او التأثير في ابن آدم كجري الدم في العروق.

هذه الأرض. ويلاشي منها الإنسان والحيوان لذلك هكذا قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا: لا يكون له جالس على كرسي داود» [إرمياء ٣٦: ٢٩ - ٣٠] وقد كتب متى في نسب المسيح: أنه ينتمي إلى يهوياقيم هذا [الاخبار الاول ٣ متى ١] وإذا قالوا: أن مملكة المسيح من السماء. وهي مملكة روحية على قلوب المؤمنين به في الدنيا أولاً. ثم تكون مملكته روحية بعد انتهاء الحياة الدنيا. وتدوم بدوام السماء والأرض. لأنه هو «الله» ديان الأحياء والأموات، وخالق السموات والأرض أو هو «إله» نقول لهم: إن الروح القدس قد وضح للوقا: أن ملك المسيح كملك داود. فهل كان ملك داود: روحياً أم أرضياً؟

الفصل الخامس عشر
في
نسخ شريعة موسى

اليهود لما حرفوا التوراة في «بابل» كان الباعث لهم على التحريف: أن ينكروا نبوة محمد ﷺ إذا ظهر، وأن تكون شريعة التوراة لهم إلى يوم القيامة. ذلك لأنهم يعلمون أن الله تعالى قد استجاب دعاء إبراهيم في أن يكون من نسل إسماعيل هداة للأمم. وأن الله وعد بمباركة الأمم في آل إسماعيل بنبي يظهر فيهم. في قوله لإبراهيم: «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه. وأثمره. وأكثره. كثيراً جداً. اثنى عشر رئيساً يلد. وأجعله أمة كبيرة» [تك ١٧: ٢٠] قال ذلك لإبراهيم، لما قال له إبراهيم، «ليت إسماعيل يعيش أمامك» [تك ١٧: ١٨] أي يحيا نسله في طاعتك، والدعاء لدينك وأكد موسى عليه السلام قرب موته على أن بركة إسماعيل ستتحقق من بعده في قوله: «وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله، بني إسرائيل قبل موته. فقال جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من ساعير، وتلألأ من جبل فاران. وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب، جميع قديسيه في يدك، وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك» [تث ٣٣: ١ - ٣] والتلألؤ من جبل فاران: يدل على شريعة كشريعة موسى تنزل على رجل من سكان فاران وإسماعيل من سكان فاران، وله بركة يفسرها بنو إسرائيل بالملك والنبوة. ففي سفر التكوين: «ونادى ملاك الله هاجر من السماء. وقال لها: ما لك يا هاجر لا تخافي. لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومي احملي الغلام وشدي يدك به، لأني

سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينيهـا، فأبصرت بئر ماء. فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام. وكان الله مع الغلام، فكبـر وسكن في البرية. وكان ينمو رامي قوس وسكن في برية فاران. وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر» [تك ٢١: ١٨ - ٢١] .

إن اليهود يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم. وحرفوا التوراة لينكروا نبوة النبي الذي سيظهر من إسماعيل عليه السلام، لتظـل التوراة شريعة لهم إلى يوم القيامة. والسبب في ذلك: أن إسمـاعيل من جـارية لإبراهيم، وهم من نسل «سارة» والشـيطان سول لهم أن لا يخضعوا لأوامر نبي من نسل الجـارية. لأنهم إذا خضعوا يكونون مرؤوسين له، وهم يودون أن يكونوا هم الرؤساء. وأن العرب بني إسماعـيل بعدما كانوا يهدون كرائم أموالهم إلى ملوك بني إسرائيل [١]، تخلوا عنهم لما أتاهم «نبوخذ نصر» بجنود لا قبل لهم بها، وسـباهم إلى بابل. واتحدوا مع سائر الأمم على أن يمنعـوا اليهود من بناء بيت المقدس [٢] .

وإذا أنكر اليهود هذا النبي العـربي من قبل ظهوره. فهل يتصور أحـد: أن يعترفوا بالنسخ في شرائع الله على يديه؟ إنهم لن يعترفوا قط بأنه سينسخ كتابهم ويغير عوائد موسى وطقوس دينه. فـاليهود ينكرون نبوة مـحمد ﷺ وينكرون أن تكون شـريعتـه ناسخة لشريعة موسى عليه السلام. وهذا لا جدال فيه.

لكن إذا رفعنا - جدلاً - اسم محمد ﷺ من الجدال وسـألناهم عن إمكان النسخ في شرائع الله. فبماذا يجيبون؟ سيجيبون بأن النسخ في شرائع الله ممكن عقلاً، وواقع فعلاً. وبأن شريعة موسى ستنسخ في يوم من الأيام. فهم إذا أنكروا النسخ ينكرونه إذا سمعوا اسم محمد، وإذا لم يسمعوا به؛ اعترفوا به.

وبيان ذلك:

١ - ينكر السامريون «قـدسية أسفار الأنبياء» بحـجة أن التوراة وصت على أنه لن يقوم نبي فـي بني إسرائيل مثل مـوسى، يشرع كـتشريع مـوسى، ويسمع له اليـهود

(١) انظر الأصحاح السابع عشر من سفر أخبار الأيام الثاني.

(٢) في سفر نحمـيا الأصحاح الرابع: «ولما سمع سنبلط وطوبيا والعرب والعـمونيون والأشدوديون: أن أسوار أورشليم قد رممت، والثغر ابتـدأت تسد، غضبوا جدًا وتآمروا جميـعهم معا أن يأتوا ويحاربوا أورشليم ويعملوا بها ضررا» {نح ٤: ٧ - ٨} .

ويطيعون. ولا حجة لليهود العبرانيين في قبولها: إلا أنها أسفار حكم ومواعظ وآداب وتواريخ. وليس فيها تشريع مخالف لتشريع موسى حتى ترفض بسببه. ولما تجادل السامريون والعبرانيون في شأنها في مدينة «الإسكندرية» من قبل ظهور المسيح عيسى عليه السلام. قال العبرانيون: إن النسخ جائز في الشرائع. ونحن نقبل أسفار الأنبياء لجواز النسخ، سواء كان فيها تشريع زائد على التوراة، أو لم يكن فيها تشريع زائد.

٢ - والسامريون والعبرانيون لا يرفضون النسخ. لأن في التوراة السامرية والعبرانية نَصٌّ على مجيء نبي مماثل لموسى، له يسمع اليهود ويطيعون. أي ينسخ شريعة موسى. ولذلك انتقل السامريون من الحجاج بالنص إلى الحجاج بالعقل، ليرفضوا «أسفار الأنبياء» من أول سفر «يشوّع» إلى آخر سفر «ملاخي». فقال السامريون: إن تحريم لحم «الجمل» مثلاً هو لعلة استوجبت تحريمه. وحيث إن «العلة» في الجمل إلى يوم القيامة. فإن حكم التحريم لا ينسخ أبداً بالحل. وعليه فإن شريعة موسى لا تنسخ إلى يوم القيامة، ورد العبرانيون: بأن مصالح الناس يعلمها الله وحده، وهو ينزل الشرائع رحمة بعباده. إلى آخر ما قالوا.

ويعلم مما قالوا: أن مجادلتهم في «النسخ» كانت من أجل «أسفار الأنبياء» لا من أجل «النسخ» في حد ذاته. وأن ذلك قبل ظهور النصرانية وقبل ظهور الإسلام، بسنوات طويلة. وهم جميعاً لا ينكرون النسخ في حد ذاته. لأن موسى عليه السلام قد نص في التوراة على نبي يظهر من بعده لينسخ شريعته. والنص مكتوب في توراة الفريقين. بألفاظ متشابهة. وهم ينتظرون هذا النبي الذي سينسخ شريعة موسى إلى هذا اليوم، واعترف بعضهم بأنه هو محمد ﷺ. ويدل على أن السامريين يرفضون النسخ لإنكار «أسفار الأنبياء» فقط: إن المؤرخ السامري الذي حكى مجادلتهم في «الاسكندرية» هو نفسه حكى في الصفحة العشرين من كتابه: بأن السلف من السامريين قد نبهوا على أن محمداً سيظهر من آل إسماعيل، وأن دينه سيظل إلى نهاية الزمان. وتنبيههم على مجيئه يدل على معرفتهم بأنه سيكون ناسخاً لشريعة موسى من دلالة النص عليه وهو: «له تسمعون في كل ما يكلمكم به» فرفضهم النسخ مع تصريحهم بمجيء نبي، معناه: أنهم يجادلون لرفض «أسفار الأنبياء» فقط.

وهذا هو النص من توراة السامريين - الذين أشيع عنهم أنهم ينكرون النسخ في حد ذاته. وهم لم ينكروه وإنما جادلوا بإنكاره ليرفضوا أسفار أنبياء بني إسرائيل، نكاية وغيظاً في اليهود العبرانيين.

ويبين النص: أن الله تعالى لما طلب اليهود أن يأتوا إلى جبل الطور، ليسمعوا صوت الله وهو يكلم موسى. وذهبوا وسمعوا. رأوا ناراً ودخاناً وشُهُباً. فخافوا وارتعبوا. وقالوا لموسى: إذا أراد الله أن يسمعنا صوته مرة أخرى، فليسمعنا بواسطتك. أي عن طريق نبي يكلمنا. ونحن نسمع لذلك النبي ونطيع. فخاطب الله موسى قائلاً: سمعت كلامهم الذي كلموك به. وسأرسل إليهم من بعدك نبياً.

النص: «وخاطب الله موسى قائلاً: سمعت صوت خطاب الشعب هذا الذي خاطبوك. أحسنوا في كل ما قالوا. ياليت يبقى ضميرهم هذا لهم، مخافة مني وحفظاً لوصاياي، كل الأيام، حتى يحسن إليهم وإلى بنيهم إلى الأبد.

نبياً. أقيم لهم من جملة إخوتهم. مثلك وجعلت خطابي بفيه فيخاطبهم بكل ما أوصيه. ويكون الرجل الذي لا يسمع من خطابه الذي يخاطب باسمي. أنا أطالبه. والمتنبئ الذي يتقح على الخطاب باسمي ما لم أوصه من الخطاب، ومن يخاطب باسم آلهة أخر. فليقتل ذلك المتنبئ.

وإذ تقول في سرك: كيف يتبين الأمر الذي لم يخاطبه الله؟ ما يقول المتنبئ باسم الله، ولا يكون ذلك الأمر ولا يأتي. هو الأمر الذي لم يقله الله. باتقاح قاله المتنبئ. لا تخف منه.

امض. قل لهم: عودوا إلى مضاربكم. وأنت ههنا أقم عندي لأخاطبك بكل الوصايا والسنن والأحكام التي تعلمهم ليمتثلوا» [خروج ٢٠:٢١] .

هذا هو النص على النبي الذي سيأتي لينسخ شريعة موسى، من توراة السامريين، وهو نفسه بنصه في توراة العبرانيين، في الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية. ويقولون: لم يأت إلى هذا اليوم. وإذا أتى فسوف يكون من بني إسرائيل. وعلى قولهم هذا. هل يقرون بالنسخ جميعاً أم لا يقرون؟ إنهم يقرون بالنسخ. لأن النبي المنتظر قد نصت التوراة على مجيئه ليسمع له اليهود ويطيعون، ومع ذلك وقعوا في

تناقض عظيم إذ قالوا: إن شريعة موسى «ميراثاً لجماعة يعقوب»

وقالوا: إن هذا النبي الآتي سيكون مبطلاً لشريعة موسى. إنه إذا كانت شريعة موسى إلى الأبد فلماذا نص موسى على مجيء آخر من بعده؟ وإذا نص موسى على مجيء آخر من بعده، فلماذا كتبوا أن شريعة موسى «ميراثاً لجماعة يعقوب»؟ وهم إذا فسروا «الأبد» بأنه يعني مدة محددة، هي إلى أن يأتي الناسخ، يزول هذا التناقض.

وسواء كان هذا النبي المنتظر من بني إسرائيل آتياً، أو من بني إسماعيل آتياً. فإنه سيكون ناسخاً لتوراة موسى. فلماذا يجادلون في إنكار النسخ؟ إنهم يشاغبون في نبوة نبي الإسلام محمد ﷺ لا أكثر ولا أقل.

* * *

والنصارى يعترفون بالنسخ صراحة مثل العبرانيين. وينكرون نبوة نبي الإسلام محمد ﷺ بنفس الحجج التي ينكره بها العبرانيون. فـ «بولوس» الذي شرع للنصارى دينهم يفتخر بأنه مثل العبرانيين سواء بسواء، ويقول محتجاً لدى اليهود الذين يضطهدونه: «أهم عبرانيون؟ فأنا أيضاً. أهم إسرائيليون؟ فأنا أيضاً. أهم نسل إبراهيم؟ فأنا أيضاً. أهم خدام المسيح؟ أقول - كمختل العقل -: فأنا أفضل» [كورنثوس الثانية ١١: ٢٢ - ٢٣] .

ويعترف «بولوس» بتغيير التوراة في قوله: «لأنه إن تغير الكهنوت، فبالضرورة يصير تغير للناموس أيضاً» [عبرانيين ٧: ١٢] و «بولوس» هذا نادى في النصارى بأن يبطلوا أحكام التوراة ولا يعملوا بها. في قوله: «فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت» [كولوسي ٢: ١٦] أي كل الطعام حلال للأميين وللعلماء بما فيه لحم الخنزير الذي حرمه موسى - عن أمر الله - في التوراة، وكل الأشربة حلال بما فيها الخمر. ولا يصح أن نحرم العمل في يوم السبت كما حرمه موسى، ولا نقدس عيداً، ولا نراقب الأهلة، لما يترتب عليها من مواقيت الصلاة والحج إلى الأماكن التي قدسها آباء اليهود. كل ذلك قد بطل لأن المسيح نفسه قد أبطله في زعمه. ويصرح بإلغاء فرائض التوراة كلها ويبين أن التوراة من عمل اليهود، وليست من الله تعالى. في قوله: «إذًا إن كنتم قد متم مع المسيح عن أركان العالم. فلماذا

كأنكم عائشون في العالم، تفرض عليكم فرائض؟ لا تمس، ولا تذق ولا تجس. التي هي جميعها للفناء في الاستعمال حسب وصايا وتعاليم الناس» [كولوسي ٢: ٢٠ - ٢٢] .

قال هذا «بولس» وهو يقرأ في الأناجيل الأربعة: أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام لم يصرح بأنه ناسخ للتوراة، ولم يصرح بأنه منشئ ديناً مستقلاً عن دين موسى عليه السلام. ففي إنجيل متى يقول المسيح عليه السلام: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس» [متى ٥:١٧] وروى عنه متى أيضاً: «حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً: على كرسي موسى، جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون» [متى ٢٣: ١- ٣] فقد أحال أتباعه إلى اليهود. ومنهم من يؤمن به، ومنهم من لا يؤمن به.

وصرح المسيح بأن ملكوت الله سينزع من اليهود - وهم منهم - ويعطي لأمة أخرى. «قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب: الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا؟ لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطي لأمة تعمل أثماره، ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه» [متى ٢١: ٤٢ - ٤٤] يريد أن يقول: أنتم يا علماء بني إسرائيل اتمنتم على شريعة الله فلم تعملوا بها، ولا عرفتموها غيركم ليعملوا بها. ولذلك سيأخذ الله شريعته منكم ويسلمها لقوم آخرين، أنتم تحتقرونهم، لأنهم من نسل جارية. ولم أقل أنا وحدي بذلك، بل قاله نبي الله داود في سفر المزامير. قال: إن الحجر الذي رفضه البناؤون - وهو كناية عن النسل المحتقر في أعين اليهود، وهم بنو إسماعيل بن هاجر جارية إبراهيم عليه السلام - سيكون رأس الزاوية. أي هو المطلوب لإتمام البناء. قال داود عليه السلام: «افتحوا لي أبواب البر. أدخل فيها وأحمد الرب. هذا الباب للرب. الصديقون يدخلون فيه. أحمدك لأنك استجبت لي، وصرت لي خلاصاً. الحجر الذي رفضه البناؤون، قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا» [مزمور ١١٨: ١٩ - ٢٣]

وهذه الأمة الأخرى هي أمة العرب بني إسماعيل، لأن الله تعالى بارك عليه، كما

بارك على إسحق أخيه. فقد جاء في التوراة السامرية: «قال إبراهيم لله: يا ليت إسماعيل يحيا في طاعتك. فقال الله: وفي إسماعيل استجبت منك. هوذا باركته، وأثمره وأكثره جداً جداً. اثنا عشر رئيساً يولد. وسأجعله شعباً عظيماً» [تك ١٧:١٨-٢٠]

* * *

وقد حدثت مباحثة بين اليهود السامريين والعبرانيين قبل ظهور الإسلام بشأن أسفار الأنبياء الذين أتوا من بعد موسى. فالعبرانيون سلموا بهم، والسامريون لم يسلموا بهم البتة. يقول أبو الفتح بن أبي الحسن السامري: إن الملك فلطمة سأل السامريين بحضرة العبرانيين في مدينة الاسكندرية «فقال لهم: ماذا تقولون في هؤلاء الذين قد ادعوا اليهود بأنهم أنبياء ولهم هذه الأسفار؟

فقالوا: أما هؤلاء فما نعرف بنبوتهم، ولا بأسفارهم لأنها أيها الملك إما أن تكون وردت على يد أنبياء أو غير أنبياء. فإن كانت على يد أنبياء ( )[1] ولو صادرناهم على ادعائهم مع منعها عندنا لكانت إما ترد بمثل ما في التوراة سواء فلا حاجة إليها. أو بأنقص مما فيها فاتباع الأفضل أوجب أو بأزيد مما فيها. وقد نهى الشرع عندنا، وعندهم من قبوله بمعنى أنها شريعة كاملة. أو بما ليس فيها فيكون ذلك نسخا. والنسخ فغير جائز عندنا.

فقال: يا من حضر عند الملك أن حجة اليونان في النسخ: أن ما حرم في وقت وما هو قبيح في وقت يجوز أن يصير حسناً في وقت آخر وذلك يتبع غرض الشارع وأخلاق المكلفين. وليست هذه الأشياء مما يكون الحكم قد تعلق بها بحيث يكون الوصف لازماً لها ما دامت تلك العين موجودة. بل هذا تكليف يتعلق بمصالح المكلفين في وقت ما بحسب أخلاقهم وأحوالهم.

فقالوا: تأمل الجواب. لو كان هذا كما ذكرتم لأجل الأخلاق والأحوال لكان يصح الاختلاف في العصر الواحد. لأن أخلاق أهل العصر الواحد ليست متساوية ولا

(١) ما بين القوسين نص عبري سامري قديم. ترجمته: «ولا يقوم أيضاً نبي في إسرائيل كموسى» [تث ٣٤: ١٠].

بمتشابهة بل مشـابهة ومختلفة. وأما قولكم: إنها ليـست من الأشياء التي يتعلق الحكم بها بحـيث يكون الوصف لازماً لها مـادامت العين. وإنما قصورنا وعـجزنا لا ينهض بمعرفة عللها وأسبابها وليست إذا امتنعت العقول من معرفة شيء مّا يكون ذلك الشيء مستحيلاً في ذاته. ولما علم الباري تعالى بسابق علمه عجزنا وقصور عقولنا عن إدراك معرفة علل ذلك وأسبابه كشفها لنا شرعاً ودلنا على حكمها وصفاتها دلالة كلية. ودلنا على بعضهـا تفصيلاً فلم يجـز نعتبر الحكم يتبع عنهـا كما حرم علينا الجـمل لعدمه بعض علامـات الطهر والخنزير كـذلك وغيـرهما. **وهذه العـلامات فـيهـا وهي علة الحـكـم**، والحكم يتبع العلة، والعلـة مؤبدة مادام النوع. فالحكم مـؤبد مادام الخلق ويكفينا مـا ورد من تأبيدها وذكر عـللها على الجملة كـالحيوانات المبـاحة والمحظورة مثلاً.

ومن التأبيد نعلم لزوم الحكم لها أبداً. وذلك إنما اتباع أوصافها. ولا يصح أن يتبع أغراض المتعـبدين بها، ولا أخلاقـهم ولا عاداتهم. وإنما يتبع الأعيـان منها والذوات تفصيلاً، والأوصاف المؤثرة في الحكم جملة ولزوم الحكم لها دائماً شرعاً» (١)

* * *

والسامري يغالط في «علة الحكم» لأن الجمل مثلاً الذي حرمت التوراة لحمه، كان مباحـاً للناس جميعـاً من يوم أن خلق الله الأرض ومن عليها إلى زمان مـوسى عليه السلام - والجمل هو هو من يوم أن خلقه الله وإلى يوم القـيامة - فالأوامر والنواهي لا تتبع العلة، وإنما تتبع غرض الشارع وأخلاق المكلفين.

* * *

وهذه أمثلة من التوراة نفسها تؤيد إمكان النسخ ووقوعه، بغض النظر عن العلة في التحريم أو في التحليل.

المثـال الأول: كان آدم عليه السـلام يزوج ابنه لابنته لتعمـر الأرض حيث لا نسل يأتي أيامه إلا منه وزوجه. وظل الحال كذلك حتى جاء موسى عليه السلام فحرم الله

(١) ص ٩٩ - ١٠١ التاريخ مما تقدم عن الآباء.

على يديه نكاح الأخت. فأصبح هذا التحريم ناسخاً لحل نكاحها في الشريعة السابقة. يقول موسى: «عورة أختك بنت أبيك، أو بنت أمك المولودة في البيت أو المولودة خارجاً لا تكشف عورتها. عورة بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك لا تكشف عورتها إنها أختك» [لاويين ١٨: ٩ و ١١]

المثال الثاني: أن يعقوب عليه السلام جمع بين الأختين في نكاح صحيح، فلقد تزوج من ليئة وراحيل ابنتي خاله لابان [التكوين ٢٩] وفي شريعة موسى تحريم الجمع بين الأختين، في هذا النص: «ولا تأخذ المرأة على أختها للضر. لتكشف عورتها معها في حياتها» [لاويين ١٨:١٨] .

المثال الثالث: أن عمران أبا موسى وهرون - عليهما السلام - كان متزوجاً من عمته يوكابد. تقول التوراة: «وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له فولدت له هرون وموسى» [خروج ٦:٢٠ - العدد ٢٦:٥٩] وفي شريعة موسى: تحريم نكاح العمة لقوله: «عورة أخت أبيك لا تكشف. إنها قريبة أبيك» [اللاويين ١٨:١٢]

المثال الرابع: بعد الطوفان «بارك الله نوحا وبنيه، وقال لهم: أثمروا واكثروا واملأوا الأرض. ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض، وكل طيور السماء مع كل ما يدب على الأرض وكل أسماك البحر. قد دفعت إلى أيديكم. كل دابة حية تكون لكم طعاماً. كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع» [التكوين ٩:١ - ٣] فقد أباح الله كل شيء لنوح وبنيه، أباح له الحيوانات كلها وكل طيور السماء، وكل أسماك البحر. وفي كتاب موسى تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير، وأنواع كثيرة من الحيوانات والطيور وأسماك البحر. ففيه هذه النصوص: «وأما الدم فلا تأكله. على الأرض تسفكه كالماء» [تث ١٢:١٦] «لا تأكل رجساً ما. هذه هي البهائم التي تأكلونها: البقر والضأن والمعز، والإيل والظبي واليحمور والوعل والرئم والثيتل والمهاة، وكل بهيمة من البهائم تشق ظلفاً وتقسمه ظلفين وتجتر فإياها تأكلون، إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف المنقسم: الجمل والأرنب والوبر لأنها تجتر لكنها لا تشق ظلفاً فهي نجسة لكم. والخنزير لأنه يشق الظلف لكنه يجتر فهو نجس لكم فمن لحمها لا تأكلوا، وجثتها لا تلمسوا، وهذا تأكلونه من كل ما في المياه: كل ما له زعانف

وحرشـف تأكلونه لكن كل ما ليس لـه زعانف وحـرشف لا تأكلوه. إنه نجس لكم. كل طيـر طاهر تأكلون. وهذا مـالا تأكلون منـه: النسـر والأنوق والعقـاب والحـدأة والباشق والشاهين على أجناسه، وكل غراب علـى أجناسه. والنعامة والظليم والسأف والبـاز على أجناسـه والبوم والكركي والـبجع والقـوق والرخم والغـواص واللقلق، والببـغا، على أجناسه، والهـدهد والخفاش. وكل دبيب الـطير نجس لكم. لا يؤكل. كل طير طاهر تأكلون. لا تأكلوا جثة ما» [التثنية ١٤: ٣ - ٢١ - اللاويين ١١] .

الفصل السادس عشر
في
الدعوات العالمية السَّماوية

اتفق علمـاء المسلمـين على أن الله عـز وجل أرسل الرسل مـبـشـرين ومنذرين. واتفـقوا على أن من الرسل رسـلاً كـانوا إلى أقوامـهم كشـعـيب - عليه السـلام - واختلف عـلماء المسلمين في دعـوة موسى وعيـسى - عليهـما السـلام - هل كانت دعوتهما خاصة إلى بني إسرائيل. أم كانت دعوتهما لبني إسرائيل وسائر الأمم؟ فمن علماء المسلمين من قال: كانت دعوة موسى وعيسى خاصة، ومن علماء المسلمين من قال: كانت دعـوة موسى وعيسى عـامة - وقولهم هو الصحـيح - والذين قالوا: إن دعوتهما خاصة استدلوا بمثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ [1] ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَـرْيَمَ يَا بَنِي إِسْـرَائِيلَ﴾ والذين قالوا: إن دعوتهـما عامة. قـالوا: جاء في القرآن الكـريم: أ - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ وهذا يدل على خصـوص الدعوة ب - وجاء فيه: ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ[2]﴾ وهذا يدل على عمومها. لأن الألف واللام في ﴿الناس﴾ للعموم. ويقوي العموم أن شرع من قبلنا شرع لنا، إذا لم يأت في شرعنا مـا ينسخه - على رأي القائلين بذلك - والذين قالوا بالعموم، وفقوا بين الآيتين بأن قالوا: الدعوة في بدئهـا كانت خاصة للقوم. ولما فـهم القوة الدعوة، أمرهم نبيهم بأن يدعوا الأمم. كما حدث في دعوة محمد ﷺ. فإن الله تعالى أمره بأن يدعو قومه أولاً، في قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ وفي قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا

---

(١) سورة الصف الآية ٥ . وفي سورة يونس: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾

(٢) على معنى أن الناس هم أهل العالم أجمع.

أتاهم مِن نذيرٍ من قبلك لعلهم يتذكرون﴾ ثم إنهم لما فهموا الدعوة، أمرهم بأن يدعوا الأمم. في قوله تعالى: ﴿وإنه لذكرٌ لك ولقومك وسوف تُسألون﴾ .

والذين قالوا إن دعوتهما عامة اختلفوا. فقال ابن كثير المفسر: إن دعوة موسى عامة لأهل الأرض جميعاً في زمان موسى. لليهود وللمصريين وسائر الأجناس. ورأيه مردود: بأن موسى طلب من قومه دخول الأرض المقدسة لنشر التوراة فيها حال حياته. كما في سورة المائدة. وقومه لم يدخلوها إلا من بعد موت موسى، مع طالوت وداود، كما في سورة البقرة.

والذين قالوا: إن دعوتهما خاصة. قالوا: إننا قرأنا في الأحاديث النبوية: «وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة» ورد عليهم القائلون بعالمية دعوتيهما[1] بقولهم: إن بعض المحدِّثين قد روى أن اليهود لم يحرفوا ألفاظ التوراة ولم يغيروها. وأن التحريف الذي شهد القرآن به، ما هو تغيير اللفظ ولا حذفه، بل هو التأويل الفاسد. مع أنه قد صح: أن اليهود حرفوا اللفظ عمداً، وغيّروا النصوص. فلعل بعث النبي إلى قومه خاصة - إن لم يكن له تأويل - يكون مما دُسّ على المحدثين من قبل أهل الأهواء والبدع. وسنرتضي في تأويله رأي الإمام «الداوودي» الشارح، الذي نقله عنه الشيخ ابن حجر في كتابه فتح الباري، في باب التيمم.

وقال هؤلاء القائلون بعالمية دعوتيهما: إن رسالة موسى بنص القرآن لم تكن لبني إسرائيل، بل كانت لهم وللمصريين آل فرعون - والمصريون ليسوا من قوم موسى - فقد قال تعالى:

١ - ﴿أنْ أدُّوا إليَّ عبادَ الله إني لكم رسولٌ أمينٌ﴾

٢ - ﴿ وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم بسلطانٍ مبينٍ﴾ فقد طلب موسى من فرعون أن لا يعلو على الله، وطلب منه أيضاً: أن يؤمن بالله رب العالمين الذي أرسله إليه، ولما طلب موسى ذلك ﴿ فما آمن لموسىٰ إلا ذريةٌ من قومه علىٰ خوفٍ من فرعون وملئهم أن يفتنهم﴾ وآمن به السحرة - وهم ليسوا من بني إسرائيل - وإن فرعون نفسه لما أدركه الغرق علم أن نجاته في إتباع دعوة موسى وقال: ﴿آمنتُ أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو

---

(١) دعوة عيسى ابن مريم هي نفسها دعوة موسى بن عمران ونحن نتكلم بحسب الشائع في الكتب.

إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ . وكان قبل غرقه قد أمر بقتل ﴿أبناء الذين آمنوا معه﴾ من المصريين، لأن بني إسرائيل كلهم قد آمنوا به، من قبل دخوله على فرعون. كما في (سورة غافر الآية ٢٥ وسورة يونس الآيتان ٨٤ - ٨٥) وكان فرعون يقتل أبناء اليهود الذكور من قبل ولادة موسى، ومن بعد ما صار نبياً.

* * *

والذين قالوا بأن دعوة موسى وعيسى كانتا عالميتين، يفسرون العالمية على النحو التالي:

أولاً: عالمية دعوة موسى:

إن الله عز وجل اصطفى إبراهيم من ذرية نوح لهداية الأمم. وجعل في ذريته النبوة والكتاب. وقسم هداية الأمم على إسماعيل وإسحق، ولدي إبراهيم. واصطفى موسى من نسل إسحق. ومن بعده يأتي محمد من نسل إسماعيل. ذلك ما تنص عليه التوراة وينص عليه القرآن. ففي التوراة أن الله قال لإبراهيم: «بإسحق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك» [تك ٢١: ١٢ - ١٣] وفي التوراة: أن الله استجاب دعاء إبراهيم، في أن يكون من نسل إسماعيل من يدعو إلى الله. فقد جاء في الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين على لسان الله تعالى: «وأما إسماعيل، فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره. كثيراً جداً. اثنى عشر رئيساً يلد. وأجعله أمة كبيرة» [تك ١٧: ٢٠] ولهذه البركة، نبه موسى على نبي من بعده، ناسخ لشريعته. في الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية. وهذا النبي هو محمد ﷺ للبركة التي وعد الله بها آل إسماعيل. وفي القرآن ما معناه: أن بني إسرائيل قد أمروا بدخول الأرض المقدسة لنشر التوراة فيها، وأنهم من بعد موسى طلبوا ملكاً يقاتلون تحت لوائه في سبيل الله، وأنهم دخلوا الأرض المقدسة لما طلبوا الملك وقاتلوا، وأن داود هو الذي دخل بهم الأرض المقدسة - وكان على شريعة موسى - وفي كتب التاريخ[1]: أنه هو الذي بنى أساس الهيكل في مدينة القدس، وفي القرآن أن سليمان ابنه دعا ملكة سبأ إلى الدخول معه في شريعة موسى. وأنها

(١) الحق: أن الهيكل قد أسس من بعد الرجوع من بابل. ليحج اليهود إليه بدل الكعبة في مكة. وهذا واضح من سفري عزرا ونحميا.

أطاعت وقالت: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

وعلماء بني إسرائيل انتشروا في الأرض بالتوراة، عالمين أنهم مكلفون بنشرها من قبل الله عز وجل إلى أن يأتي محمد ﷺ فيكفوا عن دعوة الأمم بالتوراة، وأثناء ظهور الإسلام كانوا في اليمن وفي المدينة المنورة (يثرب) وفي العراق وفي بلاد الشام وفي مصر وكان علماؤهم ﴿ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ اي يطلبون من اليهود الجهاد في سبيل الله. وفي نينوى من أرض العراق. أرسل الله يونس ليتوبوا.

وعلماء بني إسرائيل دعوا الأمم إلى الدخول في شريعة موسى، وكانوا يسمونها «دين الإسلام» وقاتلوا الأمم للدخول في دين الإسلام على شريعة موسى. ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾. وظلوا على الجهاد في سبيل الله من أيام موسى إلى زمان الأسر البابلي سنة ٥٦٨ ق.م. ومن زمان الأسر البابلي إلى هذا اليوم، **تركوا دعوة الأمم، وتخلوا عن الجهاد في سبيل الله [١] وسعوا في الأرض فساداً.** والله لا يحب المفسدين.

* * *

ثانياً: دعوة عيسى ابن مريم

وأنبياء بني إسرائيل من بعد موسى كانوا على شريعة موسى، لم يزيدوا عليها ولم ينقصوا منها، وكانوا يهدون بني إسرائيل ويهدون الأمم. فإلياس كان على شريعة موسى، وكان في مدن اليهود السامريين في «نابلس» وحارب عبادة «البعل» وقتل كهنته. ويونس كان على شريعة موسى في مدينة «القدس» ووجهه الله إلى أهل «نينوي» في العراق. ويحيى كان على شريعة موسى، وكان في مدن اليهود العبرانيين في «القدس» وعيسى [٢] كان على شريعة موسى. وكان في مدن اليهود العبرانيين في

(١) مع أن سليمان كان يتمنى أولادا من صلبه يجاهدون في سبيل الله، وفي الحديث: أنه طاف على نسائه ولو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون.

(٢) قال الألوسي في تفسيره المسمى بروح المعاني: إن العلماء قد اختلفوا في معنى قوله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ فذهب بعضهم: إلى أن الانجيل مشتمل على أحكام تغاير ما في التوراة. وذهب بعضهم: إلى أن الإنجيل لم يخص أحكاما ولا حوى حلالا ولا =

«القدس» معاصراً ليحيى، وقد ناديا معا في مدن بني إسرائيل بقولهما: «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٣:٢] ولما ظن بنو إسرائيل بأن عيسى ربما ينسخ شريعة موسى قال لهم: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس» [متى ٥: ١٧] وفي هذا المعنى يقول تـعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤] . فقد بيّن: أن الأنبيـاء الصادقين كـانوا على شريعة مـوسى، وأنهم حكموا بهـا كمـا حكم بها الربانيون من آل هرون، والأحبار من آل لاوي.

* * *

وعلماء بنـي إسرائيل - وهم الربانيـون والأحبار - من بعـد سبي «بابل» قـصروا التوراة على جنسهم، واستبعدوا الأمم من الدخول في دينهم إلا أمياً يرجون من ورائه مغنماً، وألغزوا نصوص نبوءات التوراة عن النبي الآتي من نسل إسماعيل عليه السلام لينسخ شريعة مـوسى، وظهر المسيح عيسى بن مريم وهم على هذا الحـال. فوبخهم بقوله: «ويل لكم أيها الكتـبة والفريسيون المراؤون. لأنكم تغلقـون ملكوت السموات قدام الناس، فـلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلـين يدخلون. ويل لكم أيها الكتـبة والفـريسيـون المراؤون لأنكم تأكلون بيـوت الأرامل ولعلّة تطيـلون صلواتكم. لذلك تأخذون دينـونة أعظم. ويل لكم أيها الكتـبة والفـريسيون المراؤون، لأنكـم تطوفون البحـر والبر، لتكسبـوا دخيلاً واحـداً. ومتى حصل تصنعـونه ابنا لجهنم أكـثر منكم مضاعفاً» [متى ٢٣: ١٣ - ١٥]

وأمر أتباعـه أن يخصوا بني إسرائيل بدعـوته التي هي: أن يؤمنوا بنبي الإسلام إذا ظهر، وشـريعة موسى يتـركونها إذا ظهـر شريعة نبي الإسـلام يلتزمونهـا إذا ظهر.

=حرامـا. ولكنه رموز وأمثال ومـواعظ وزواجر وما سـوى ذلك من الشرائع والأحكام فمـحالة على التوراة. وإلى أن عـيسى عليه السلام لم ينسـخ شيئاً مما في التـوراة. والذاهبون إلى هذا الأول أولوا الآية بأن المراد ما حرمـه علماؤهم تشهيًا أو خطأ فـي الاجتهاد. واستدلوا علـى ذلك بأن المسيح عليه السلام قال في الإنجـيل: «ما جئت لأبطل التوراة» وعلى راي البعـض هذا - وهو الصحيح - يكون ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾

معناه أنهم إذا حكموا بما فيه، فإن فيه أن يحكموا بالتوراة.

وأمرهم أن لا يذهبوا إلى مدن العالم بدعوته إلا إذا فرغوا من مدن بني إسرائيل. قال المسيح: «إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحريّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ١٠:٥ - ٧] - «ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى. فإني الحق أقول لكم: لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان» [متى ١٠: ٢٣]

فعالمية موسى عليه السلام عالمية ديانة [1]، إلى أن يأتي نبي الإسلام فينسخها ويبطلها، لتحقيق بركة إسماعيل في الأمم، كما جاء في التوراة، وعالمية عيسى عليه السلام عالمية خبر، باقتراب زمان النبي المنتظر الذي سينسخ ديانة موسى ويزيل أحكامها. ولأن دعوة نبي الإسلام عالمية للعرب ولبني إسرائيل ولسائر الأمم. كلف عيسى أتباعه بالانطلاق إلى الأمم بعد فراغهم من دعوة بني إسرائيل. وقال لله عز وجل: «أنا قد أعطيتهم كلامك والعالم أبغضهم، لأنهم ليسوا من العالم، كما أني أنا لست من العالم. لست أسأل أن تأخذهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرير. ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم. قدسهم في حقك. كلامك هو حق. كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم، ولأجلهم أقدس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضاً مقدسين في الحق. ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم» [يوحنا ١٧: ١٤ - ٢٠]

* * *

(١) قال الإمام ابن تيمية المتوفي سنة ٧٢٨ هـ في كتابه «النبوات»: «جميع مشركي العرب آمنوا به - أي بمحمد - فلم يحتج أحد منهم أن تؤخذ منه جزية، فإنهم لما عرفوا نبوته وأنه لابد من متابعته أو متابعة اليهود والنصارى، عرفوا أن متابعته أولى» (ص ٢٤ النبوات) فقد قرن هذا الإمام بين دين محمد ﷺ وبين أهل الكتاب في أنه «لابد» من متابعة أيهما.

نقد ابن تيمية: قوله «مشركي العرب» خطأ. لأن المشركين في جميع سور القرآن هم اليهود والنصارى. والعرب قد استجاب الله فيهم دعوة إبراهيم وهي: ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ والمراد ببنيه: نسل إسماعيل؛ لأنه لم يكن له وقت الدعوة إلا هو. وقوله بأخذ الجزية من العرب؛ خطأ. لأن الجزية لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب فقط. وقد وضحنا هذا كله في غير هذا الكتاب.

والنصارى من بعد رفع المسيح إلى السماء نادوا بالعالمية - كذباً وزوراً - على هذه المبادئ:

١ - إلغاء أحكام التوراة.

٢ - المسيح هو الله الخالق للعالم، أو هو إله مع الله الخالق للعالم .

٣ - النبي المنتظر الذي نصت التوراة على ظهوره ليسمع له اليهود ويطيعون، والذي عرّف المسيح الناس بأنه سيأتي من بعده. قال النصارى: إنه هو المسيح بن مريم. وقد جاء مرة قبل أن يقتل ويصلب، وسيجيء مرة أخرى في نهاية الحياة الدنيا، ولا نبي غيره إلى يوم القيامة ٤ - اليهودي إذا دخل النصرانية يلتزم بشريعة موسى، وغير اليهودي إذا دخل النصرانية يلتزم بعاداته التي نشأ عليها.

وأول نبي ذي شريعة عالمية لجميع البشر هو نوح عليه السلام. فقد قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا ﴾ وفي التوراة أن الله قال لنوح بعد الطوفان: «أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء. مع كل ما يدب على الأرض وكل أسماك البحر قد دفعت إلى أيديكم. كل دابة حية تكون لكم طعاماً. كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع. غير أن لحماً بحياته دمه لا تأكلوه. وأطلب أنا دمكم لأنفسكم فقط. من يد كل حيوان أطلبه. ومن يد الإنسان أطلب نفس الإنسان. من يد الإنسان لأخيه. سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه» [تك ٩: ١ - ٦] فشريعة نوح كما يتبين من هذا النص ما فيها إلا:

١ - الدعوة إلى الله وحده.

٢ - الدعوة إلى مكارم الأخلاق وحميد الصفات.

٣ - تحريم القتل ظلماً.

٤ - وجوب القصاص من القاتل.

وليس فيها تحريم أي شيء من المطعومات، ولا تحريم امرأة وإباحة أخرى.

ويقول أهل الكتاب: إن كل نبي جاء من بعد نوح إلى قومه أو إلى العالم إلى موسى عليه السلام. فقد جاء بما جاء به نوح بدون زيادة ولا نقصان. وليس في

القرآن ما يرد قولهم هذا، بل فيه ما يؤيده. فإن كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل من عهد نوح. إلى أن حرم موسى في التوراة أطعمة كثيرة منها الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذبح على النصب. كما سيأتي بيانه. وفي التوراة: أن إبراهيم عليه السلام كان متزوجاً بأخته سارة. لأن نكاح الأخت كان مباحاً في شريعة نوح عليه السلام وحرمه موسى. وأن عمران الذي اصطفى الله ذريته على العالمين كان متزوجاً من عمته. لأن نكاح العمة كان مباحاً في شريعة نوح عليه السلام وحرمه موسى. قال إبراهيم لملك جرار عن سارة: «إني قلت: ليس في هذا الموضع خوف الله البتة. فيقتلوني لأجل امرأتي. وبالحقيقة أيضاً: هي أختي ابنة أبي. غير أنها ليست ابنة أمي. فصارت لي زوجة» [تك ٢٠: ١١ - ١٢] وفي سفر الخروج: «وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له. فولدت له هرون وموسى، وكانت سنو حياة عمرام: مئة وسبعا وثلاثين سنة» [خر٦: ٢٠]

وكل نبي أتى من بعد موسى بن عمران - عليه السلام - إلى زمان محمد ﷺ كان على شريعة موسى. فالأنبياء المشرعون للناس عن أمر الله تعالى ثلاثة أنبياء. وهم نوح وموسى ومحمد عليهم السلام. وهذا واضح مما قرره القرآن في سورة يونس. فقد قال الله لنبيه محمد عليه السلام:

١ - ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ - ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾.

٢ - ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ - ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾.

٣ - ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ .

ولقد نشر موسى دعوته في العالم. هذا ما قرره القرآن. رغم أنف علماء بني إسرائيل. فإنهم كتموا هذا الأمر، ليقولوا: ديننا لنا وحدنا، والله لنا من دون الناس أجمعين.

فإن موسى - على رأي مفسرين - بعد غرق فرعون وهلاك جنوده، رجع إلى مصر وأقام فيها حاكماً مدة ثلاث عشرة سنة. وفي مدة حكمه ألغى عبادة الآلهة المتعددة، وبنى المساجد لعبادة الله وحده. ثم رحل عن مصر إلى صحراء سيناء ناحية جبل الطور. وترك واليه عنه ليدير شؤون المصريين وأمده بمن يعاونه من بني

إسرائيل[١] . ولما نزلت عليه التوراة في جبل الطور، أرسل إلى واليه في مصر بنسخة من أحكامها ليعمل بهـا المصريون. فقد قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

والتبوء: مـعناه الملك. والمراد بالبيوت: الملك على مدن في أرض مصـر وعبر عن المدن بأشهر ما فـيها وهو بيوت العبادة. أي المسـاجد. ومعنى ﴿ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي يعرفها الناس ليأتوا إليها من أجل العلم

وفي سورة الأعراف يقـول تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ ثم يقول بعد هذا في قصـة موسى عليه السلام ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾

وقـد تحقق وعـد الله باسـتخلاف بنـي إسرائيل في الأرض بعـد الانتقـام من آل فرعون. فقد قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ والأرض التي بارك الله فيـها لشريعة مـوسى، هي أرض مصر وأرض الحجـاز وأرض فلسطين. ففـيها شـرائع الله، ومنها تنتقـل إلى العالم. وإلى الأرض المباركـة في زمن شريعة القـرآن وهي مكة نجى الله إبراهيم ولوطا، فقد قـال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ وكانت الريح تجري لسليـمان إليها ولم تقبل فيها. فقد قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ الآية والمسجد الأقـصى في فلسطين يقول الله عنه: ﴿ بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ فالكعبـة

---

(١) قال الآلوسي في تفسيره المسمى بروح المعانـي في سورة الشعراء (أ) قال الواحدي: إن الله تعالى رد بني إسرائيل إلى مصر، بعدمـا أغرق فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كـان لقوم فرعون من الأموال والعقار والمساكن (ب) روى عن الحسن: كما عـبروا في البحر، رجعوا وورثوا ديارهم وأموالهم (ت) ويقول الآلوسي: رأيت في بعض الكتب أنهم رجعوا مع موسى عليه السلام وبقوا معه في مصر عشر سنين (ث) قيل: إنه رجع بعضهم بعد إغراق فرعون. وهم الذين أورثوا أموال القبط، وذهب الباقون مع موسى - عليه السلام - إلى أرض الشام. (ج) قيل: إنهم بعد أن جاوزوا البحر ذهبوا إلى الشام، ولم يدخلوا مصر في حياة موسى عليه السلام، وملكوها زمن سليمان عليه السلام.

المعظمة في مكة المكرمة يقول الله عنها: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾

وهل إرث بني إسرائيل للأرض إرث ملك، لاستغلال الشعوب وإذلالهم. أم هو إرث ديانة، للتمكين لدين الله في الأرض؟ إن بني إسرائيل من قبل سبي بابل ورثوا الشعوب للتمكين لدين الله في الأرض. فقد كانوا يجاهدون في سبيل الله ويسوسون الناس بشريعة موسى، ويبنون المساجد، ويقيمون معاهد للعلم، ويتقربون إلى الله بفتح البلاد، ونشر التوراة فيها، كدين الإسلام سواء بسواء. وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ - وهم بنو إسرائيل - ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾

وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ إن الإمام ابن كثير يقول في المعنى ما نصه: «يخبر - تعالى - عما أنعم به على بني إسرائيل من النعم الدينية والدنيوية. وقوله ﴿مبوأ صدق﴾ قيل: هو بلاد مصر والشام مما يلي بيت المقدس ونواحيه: فإن الله تعالى لما أهلك فرعون وجنوده، استقرت يد الدولة المرسومة على بلاد مصر بكمالها [1] كما قال الله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ وقال في الآية الأخرى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

وقال: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ الآيات وبعدما ذكر ابن كثير ملخص تاريخهم إلى ما بعد المسيح عليه السلام قال: «بسط هذا والغرض منه: أن يدهم لم تزل على هذه البلاد إلى أن انتزعها منهم الصحابة رضي الله عنهم، وكان فتح بيت المقدس على يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه».

وفي القرآن الكريم آية يدل ظاهرها على أن فرعون لم يغرق في البحر الأحمر، المعبر عنه في القرآن باليم - واليم هو الماء المالح - وهي قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ

(١) إني أعجب من هؤلاء الذين قالوا بالخصوص في دين موسي، ويصفون القائلين بالعموم في دينه بالكفر والمروق عن الإسلام. وهم يقرأون كلاماً مثل كلام ابن كثير هذا، ولا يلتفتون إلى معناه. فإنه قد فسر النبوة بالملك.

بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ فإن معنى النجاة في عرف اللغة: إنما يكون بخروج فرعون حياً ببدنه ونفسه، كما في إنجاء نوح ومن معه في الفلك. وفي القرآن آية يدل ظاهرها على أن فرعون قد غرق وهلك. وهي قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا﴾ وأنه إذا لم يمكن التوفيق بين الآيتين على أن يفسر الغرق بإضعاف القوة، فإن شهادة قدامى المؤرخين عن نجاة فرعون من الغرق لا تكون معتبرة. ويكون المعنى: أنجيناك من الغرق. وقد رأيت بنفسك أن قوتك قد زالت عنك، بغرق الجنود الذين كنت بهم تتقوى، وقد تخلت عنك آلهتك فلم تنفعك وقت الشدة. وهذه النجاة لتخبر في مدائن المصريين أن لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، وهو الله رب العالمين. إن لم يكن هذا هو المعنى وقد عبر عن إضعاف قوته بغرقه، مجاورة ومشاكلة لغرق جنوده - وهم كثرة - فإن ما جاء في تفسير المنار للسيد رشيد رضا عن قدامى المؤرخين يكون لغواً من القول - وكلام المؤرخين ليس بحجة - يقول صاحب التفسير في الجزء التاسع ما نصه:

«جاء في كتاب «الأصول البشرية» صفحة ٨٨ لمؤلفه «لينج» أن «يوسيفوس» - المؤرخ اليهودي الشهير - نقل عن «مانيثو» هذه الرواية المصرية القديمة التي ملخصها: «أن موسى بعد أن هزم فرعون مصر - الذي فر إلى بلاد الحبشة - حكم مصر ثلاث عشرة سنة، وبعد ذلك عاد إليه فرعون هو وابنه، ومعهما جيش عظيم فقهروه، وأخرجوه منها إلى بلاد الشام».

وجاء في قاموس الكتاب المقدس لجورج بوست المجلد الأول صفحة ٤١٠ أن «هيرودوتس» المؤرخ اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد قال: إن ابن «سيسوسترس» ضرب بالعمى مدة عشر سنين، لأنه رمى رمحه في النهر، وقد ارتفعت أمواجه وقت فيضه بسبب نوء شديد إلى علو غير اعتيادي» ويقول المؤرخون: إن ابن «سيسوسترس» هذا - وهو «منفتاح الثاني» - هو فرعون الخروج، ويتخذون هذه العبارة إشارة إلى غرقه في زمن موسى. ولكن يرى القارئ منها: أنها لو كانت إشارة إلى الغرق، لكان الغرق في النيل. ومن الرواية الأولى يعلم أن موسى حكم بعد فرعون ١٣ سنة في مصر وهاتان الروايتان هما من أقدم الروايات المصرية وأصحها «وأما مسألة حكم

موسى في مصر، والتمتع بها هو وقومه مدة من الزمن بعد الغرق، فهو أيضًا المتبادر من نحو قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ﴾ - أي فرعون - ﴿أن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ﴾ إلى قوله: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ﴾ وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

«فأنى لمحمد ﷺ على ما بيّناه من ذلك التاريخ. وهو أجنبي عنه، وعن قومه، ومغاير للتوراة ومخالف لما يعتقده جميع اليهود والنصارى من قديم الزمان، ولكنه موافق لأقدم الروايات المصرية وأصحها التي لا يعرفها - حتى الآن - إلا واسعو الاطلاع من محققي المؤرخين»؟

تعقيب:

لاحظ

١ - عدم غرق فرعون ليخبر المصريين بما رأى، وليأمرهم بالدخول في دين موسى.

٢ - غرق فرعون ونجاته بالطفو على وجه المياه.

والسؤال ههنا أي هاتين الملاحظتين أنفع في دخول المصريين في الإيمان؟

لاحظ:

أن هروب فرعون إلى الحبشة بعد غرق جنوده؛ أمر غير جائز عقلاً. لأنه رأى بعينيه قوة الله. ولن ينفعه الهرب في وقت الغضب في أي مكان. وتعقب موسى وبنو إسرائيل له لا ينص عليه القرآن والذي يخبر أنه لما جاوزوا البحر وجدوا قومًا يعكفون على أصنام لهم.

من المحتمل أن يوسيفوس - وهو مؤرخ يهودي، معاصر لعيسى عليه السلام - قد حرف رواية «مانثيو» لصالح اليهود الذين كانوا يقولون في زمانه بأن شريعة موسى لبني إسرائيل وحدهم وليست للأمم. والاحتمال قائم لأنه لم يدون شيئاً عن عيسى عليه السلام - وقد كان معاصراً له - خوفاً من اليهود الذين كانوا يكرهونه كراهة تحريم.

والتعبير عند «هيرودوت» برمي الرمح في النهر لا يدل على مكان الغرق. فإن الغرق كان في «اليم» لا في «النهر» واليم في اللغة العبرانية هو الماء المالح، والنهر هو الماء العذب، ومكان الغرق كان في البحر الأحمر عند منطقة «الدفرسوار» كما حددها بعض المؤرخين المعاصرين (انتهى التعقيب)

وجاء في تفسير المنار ما نصه:

«المرجح عند المتأخرين من المؤرخين الواقفين على العاديات المصرية: أن فرعون موسى: هو الملك «منفتاح» وكان يلقب بسليل الإله «رع» وقد جاء في آخر الأثر المصري الوحيد، الذي ذكر فيه بنو إسرائيل - وهو المعروف برقم ٣٤٠٥ المحفوظ في متحف مصر - أن مصر هي السليلة الوحيدة للمعبود «رع» منذ وجود الآلهة. وان «منفتاح» سليله أيضاً. وهو الجالس على سدة المعبود «شو» وأن الإله «رع» التفت إلى مصر، فولد «منفتاح» ملك مصر، وشيء له: أن يكون مناضلاً عنها، فتخنع له الولاة، ولا يرفع أحد من البدو رأسه. فخضع له القيروانيون والحيثيون والكنعانيون وعسقلان وجزال وينعام»

وفيه: «وانفك الإسرائيليون فلا بزر لهم، وأصبحت فلسطين خلية لمصر، والأراضي كلها مضمومة في حفظه، وكل اسم وعفه - أي أضعفه وأذله - الصيدن، لقب «منفتاح» سليل الشمس، معطي المعيشة كل نهار، مثل الشمس»

تعقيب:

من المؤكد أن هذا من قبل موسى عليه السلام، لأن الكنعانيين - وهم أهل فلسطين - لم يتركوا الأرض، إلا في عهد طالوت وداود - عليهما السلام - وقوله عن اليهود «وأنفك الإسرائيليون فلا بزر لهم» لا يدل على انقطاع نسلهم من أرض فلسطين وقتئذ، وإنما يدل على بؤسهم في مصر من قبل ظهور موسى ليخلصهم من عبودية آل فرعون. يريد أن يقول: مايزال الإسرائيليون تحت يدي لا قوة لهم (انتهى التعقيب)

* * *

وهذا حين البدء في إيراد الأدلة على عالمية دعوات الأنبياء السابقين على الإسلام:

الدليل الأول: في القرآن الكريم: أن كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل، إلا ما حرم

إسرائيل على نفسه، من قبل أن تنزل التوراة، ثم يتحدى الله علماء بني إسرائيل قائلا: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ يعني التوراة التي معهم في زمان محمد ﷺ والتي ما تزال معهم إلى هذا اليوم. ومعنى ذلك: أن ذلك الأمر مكتوب عنه في التوراة، وبالرجوع إلى نص التوراة وجدنا: أن الله أباح لنوح كل دواب الأرض له، ولمن آمن معه، ولذريته، وذرية من آمن معه، وظلت الإباحة قائمة إلى أن حرم إسرائيل شيئاً من الطعام. وتحريم إسرائيل على نفسه شيئًا من الطعام هو من تلقاء نفسه، أي أن الله لم يأمره بنسخ الأمر الصادر إلى نوح. ومن نوح إلى إسرائيل أنبياء كثيرون، منهم إبراهيم وإسماعيل وإسحق - عليهم السلام - وهذا يعني أن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب كانوا على شريعة نوح. ولم يخالف أحد منهم شريعة نوح، إلا يعقوب من قبل أن تنزل التوراة. يقول تعالى: ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

وفي التوراة عن نوح: «وبارك الله نوحًا وبنيه، وقال لهم: أثمروا واكثروا، واملأوا الأرض ولتكن خشيتكم، ورهبتكم على كل حيوانات الأرض، وكل طيور السماء، مع كل ما يدب على الأرض وكل أسماك البحر قد دفعت إلى أيديكم، كل دابة حية تكون لكم طعاماً كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع» [تكوين ٩: ١ - ٣]

وفي التوراة عن يعقوب: «فبقى يعقوب وحده، وصارعه إنسان[1]، حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لايقدر عليه، ضرب حق فخذه، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال: أطلقني. لأنه قد طلع الفجر. فقال لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له: ما اسمك؟ فقال يعقوب. فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب. بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النَّسا، الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا» [تكوين ٣٢: ٢٤ - ٣٢]

(١) يقصد بالإنسان ملك من الملائكة. يقول هوشع عن يعقوب: «في البطن قبض بعقب أخيه، وبقوته جاهد مع الله، جاهد مع الملاك وغلب» [هوشع ١٢: ٣ - ٤] وفي التوراة السامرية «ملاك الله»

ثم إن التوراة تصرح بتحريم موسى عليه السلام لبعض حيوانات كانت حلالاً في شريعة نوح عليه السلام منها لحم الخنزير ففي سفر الأحبار: «والخنزير لأنه يشق ظلفا، ويقسمه ظلفين. لكنه لا يجتر، فهو نجس لكم» [لا ١١: ٧] فالذي نسخ شريعة نوح هو موسى عليه السلام. ودعوة إبراهيم عليه السلام هي نفسها دعوة نوح عليه السلام، لم يأت بزيادة ولا نقص. ومرجعنا في هذا الأمر: هو القرآن والتوراة. ففي القرآن: أن إبراهيم دعا إلى وحدانية الله تعالى، وكذلك دعا نوح، وفيه: أن إبراهيم دعا إلى أن يوم القيامة حق لا ريب فيه، وكذلك دعا نوح، وفيه: أن إبراهيم دعا إلى أن كل إنسان مسؤول عن نفسه أمام الله، وأن العمل هو الذي يقرب الإنسان منه. وكذلك دعا نوح. وفيه: أن إبراهيم رفع قواعد البيت الحرام - الذي أسسه نوح بعد الطوفان - في مكة المكرمة. «روي أنه كان مؤسساً قبل إبراهيم فبنى على الأساس» [1] يقول تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾ ... إلخ ويقول تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾

وفي التوراة عن إبراهيم مثل ما في القرآن بالمعنى. فيها: أن إبراهيم قال لله لما عزم على إهلاك قرية قوم لوط: «حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر: أن تميت البار مع الأثيم. فيكون البار كالأثيم. حاشا لك. أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً»؟ [تك ١٨: ١٥] وفيها: أن الله قال عن إبراهيم: «هل أخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله؟ وإبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية، ويتبارك به جميع أمم الأرض. لأني عرفته لكي يوصي بنيه وبيته من بعده: أن يحفظوا طريق الرب ليعملوا برا وعدلاً» [تك ١٨: ١٧ - ١٩]

وليس في التوراة تشريعات أوحاها الله إلى إبراهيم. وإنما فيها: أن الله أوصاه بالختان- علامة على الجهاد في سبيله- فاختتن هو وأهل بيته [تك ١٧: ٢٦ - ٢٧] وأن الله أمره بذبح ابنه الوحيد[2] فامتثل للأمر، ولذلك كان عهد بين الله وبين إبراهيم ففيها على لسان الله تعالى: «بذاتي أقسمت بقول الرب: إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر، ولم تمسك ابنك وحيدك؛ أباركك مباركة، وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم

(١) تفسير الكشاف في سورة البقرة.

(٢) إسماعيل.

السمـاء، وكالرمل الذي على شاطئ البـحر، ويرث نسلك باب أعدائه، ويتـبارك في نسلك جميع أمم الأرض» (تك ٢٢ : ١٦ - ١٨) والتوراة لم تصرح ببناء إبراهيم للكعبة كما صـرح القرآن. وإنما صرحت بأن إبراهيم لما أخذ ابنه ليذبحـه، في موضع حدده الله له «بنى هناك إبراهيم المذبح» (تك ٢٢ : ٩).

والمذبح في لغـتهم يعني مكان العـبادة.- هي الحج- تقول التـوراة: «وبنى نوح مذبحًا للرب» (تك ٨: ٢٠) بعد الطوفان. وتقول التوراة عن إبراهيم «وسار في رحلاته من الجنوب إلى بيت إيل، إلى المكان الذي كانت خيمـته فيه في البداءة في بيت ايل، وعاد إلى مكان المذبح الذي عمله هناك أولاً ودعا هناك أبرام باسم الرب» (تك) ١٣: ٣ - ٤) وتقول التـوراة: إن إبراهيم لما أخذ ابنه ليذبحه «قـام وذهب إلى الموضع الذي قال له الله وفي اليوم الثالث رفـع إبراهيم عينيه، وأبصر الموضع من بعيـد، فقال إبراهيم لغلاميه: اجلسا أنتما ههنا مع الحمار. وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد، ثم نرجع إليكما» (تك ٢٢: ٣ - ٥) فإبصاره موضعًا معينًا معروفًا من مكان بعيد بعد سفر ثلاثة أيام من بئر سبع في أرض فلسطين (تك ٢٢ : ١٩)- كما يزعمون- وقوله لغلاميه «نسجد، ثم نرجع إليكما» يدل على أن مكانًا كان معدًا للسجود من قبل- أي للحج- والغلامين يعـرفانه والناس يعرفـونه. ولما كانت التـوراة مصرحة ببـناء نوح لمذبح بعد الطوفـان. - بينا من قبل أنـه في مكة المكرمة - فـإن بناء إبراهيم وإسـماعـيل يكون تجديدًا لهذا المذبح، لا تأسـيسًا. وعليه فإن إبراهيم لـم يأت بجديد على مـا كان عليه نوح. وأما ما جاء في القـرآن في قوله تعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ الذي يـدل ظاهره على أن في صـحف موسى أحكامًـا، وعليه يكون المثل في صـحف إبراهيم. فالجواب أن سـورة الأعلى تذكر تسبيـحًا لله وتمجيدًا لشـأنه، وتحث الإنسان على أن يقبل على الله ويتحـمل مسؤولية عمله، وأن يعمل للآخـرة. وهذا مذكور في صحف إبراهيم وموسى.

ونص المكتوب في صحف إبراهيم هو: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ وهذا النص بالمـعنى في قولـه: «حاشا لـك أن تفعل مـثل هذا الأمر أن تميت البـار مع الأثيم. فيكون الـبار كالأثيم. حاشا لك. أديان كل الأرض لا يصنع عدلا؟» [تك ١٨ : ٢٥ +]

الدليل الثاني: يقول تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ التقدير- على رأي القائلين بأن الناس للعموم: وأنزل الفرقان أي القرآن هدى للناس، حذف من الثاني لدلالة الأول عليه ولما كان لفظ ﴿الناس﴾ بالنسبة للقرآن للعموم، للعرب وغيرهم - فإن لفظ الناس بالنسبة للتوراة وللإنجيل، يكون للعموم أيضًا، لبني إسرائيل ولغيرهم. ويقوي هذا العموم ما يلي:

١ - في تفسير الكشاف أن فريقًا من العلماء قالوا بالعموم في لفظ «الناس» بدليل أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا لم يأت في شرعنا ما ينسخه. وشرع من قبلنا موجود في التوراة فقط، فكون المسلمين متعبدون بشرع من قبلهم ومنهم من هو من بني إسرائيل ومن هو من العرب وغيرهم، يدل على عالمية شريعة التوراة من قبل أن تنسخ بالقرآن، وإلا ما كلفنا بالأخذ فيما لم يرد فيه ناسخ. يقول هذا المفسر الكريم: «ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا. فسره على العموم» ويقول بعض العلماء بالعموم لزمانهما فقط ويلزمهم إثبات الناسخ لكل منطقة من بلاد العالم على حدة. كيف وفي القرآن الكريم أن المقارنة حاصلة بين كتاب موسى وكتاب محمد عليهما السلام؟

٢ - يقول تعالى عن القرآن: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ فقد قرن بين الشريعتين الكبيرتين، ولما كانت شريعة القرآن التي نسخت التوراة للعموم. يكون كتاب موسى الذي كان من قبل القرآن ﴿إمامًا ورحمة﴾ لعموم الناس.

٣ - يقول تعالى - عن الجن: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

فقد قرن الله بين التوراة وبين القرآن في الشريعة، ولو كان لعيسى شريعة منفصلة عن شريعة موسى، لقال الجن: من بعد عيسى، لأنه في الزمن بين موسى ومحمد - عليهما السلام - ولو فسرنا العالمية بأنها للإنس والجن. كما يقول كثيرون من العلماء في قوله تعالى: ﴿رب العالمين﴾ ، فالقرآن للإنس والجن، وكذلك كانت التوراة من

قبل القرآن.

٤ - يقول تعالى عن العرب[1]: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

والمعنى: أن العرب - على رأي المفسرين- كانوا مكلفين بكتاب موسى - عليه السلام - ولقد دعاهم علماء بني إسرائيل الأوائل، ثم إنه في مدينة بابل بالعراق سنة ٥٨٦ق. م حرف بنو إسرائيل التوراة وقصروها على جنسهم واستبعدوا الأمم ومنهم العرب من الدخول في دينهم، ومنعوا العلماء من أن تصل إلى بلادهم. أي أنه إلى مدة ١١٥٦ سنة بحسب تواريخهم لم يصل إليهم عالم يهودي لنشر الشريعة. ولذلك فسد الكفار - على رأي هؤلاء المفسرين- وعبدوا الأصنام من دون الله لتقربهم إلى الله الذي يعرفونه من زمن بعيد. يقول الدكتور فيليب حتى، والدكتور إدوارد جوجي، والدكتور جبرائيل جبور مؤلفو «تاريخ العرب المطول»: وفي أيام نحميا (٢ : ١٩ / ٤ : ٧) في متوسط القرن الخامس قبل الميلاد كان اليهود قد أخذوا يحسبون جيرانهم الذين يسكنون الجنوب الشرقي منهم أعداءً لهم، وهذا يفسر لنا قصر اليهود للدعوة على جنسهم واستبعاد الأمم من الدخول في دينهم، ومنهم العرب أيام عزرا ونحميا»[2].

ووجه الشاهد من الآيات - على رأي هؤلاء المفسرين-: أن العرب كانوا مكلفين بكتاب موسى بدليل: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾، فكفرهم بكتاب موسى

---

(١) قولنا عن العرب هو بحسب كتب التفسير فإن فيها من يقول عن العرب. والحق: أن الكلام عن اليهود الذين ما أتاهم من نذير من العرب من قبل محمد ﷺ.

(٢) ص ٥٠ «تاريخ العرب المطول»

دليل على أنهم كانوا مكلفين به، وإلا ما وصفهم الله بالكفر، لأنه كيف يصفهم بالكفر، وهو لم يرسل إليهم برسول؟ وإذا ثبت أن العرب كانوا مكلفين بكتاب موسى. يثبت أن لفظ ﴿الناس﴾ في ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ للعموم.

ملاحظة: هذا الدليل على طريقة إلزام الخصم بما يقول به.

٥ - يقول تعالى عن قوم فرعون: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾، والمعنى: فما آمن لموسى إلا ذرية من قوم فرعون، ؛ لأن جميع بني إسرائيل آمنوا بموسى، وكانوا فرحين جداً للخروج معه من أرض مصر؛ لأن فرعون كان يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، وهذه الذرية التي آمنت من قوم فرعون - وفيهم السحرة الذين رفع الله قدرهم، وأعلى شأنهم - تثبت أن دعوة موسى كانت للعموم، وفي التوراة ما يفيد اختلاط المصريين ببني إسرائيل، وأن فريقًا منهم خرج من مصر مع موسى، تقول التوراة: «وخرج ابن امرأة إسرائيلية، وهو ابن رجل مصري، في وسط بني إسرائيل» (لا٢٤: ١٠).

وقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾

واللفيف: هم الغرباء عن بني إسرائيل. وفي التوراة أنهم وهم خارجون من مصر، خرج معهم اللفيف الذي آمن، ولم يكن من بني إسرائيل.

وأيضًا قوله تعالى: ﴿اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ يدل على قتل أبناء المصريين الذين آمنوا بموسى لأن فرعون يقتل ذكور بني إسرائيل من قبل ولادة موسى، ومن بعد نبوته.

وقول الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٨٧]يشير إلى أن يبني بنو إسرائيل - إذا فتح الله عليهم مستقبلاً مدارس للعلم، ومساجد للعبادة لمن يؤمن بدينهم في المدة التي يملكون عليها. وهذا ما قد حدث. كما هو مفهوم من الإرث في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ

الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يقصد بالوراثة: نشر العلم والدين، كما حصل لبني إسماعيل عليه السلام في ظهور الإسلام فقد جاء عنهم في الزبور: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ وراثة لنشر الدين والتمكين للحق وللعدل. وفي القرآن أن الله وعد المسلمين من اليهود بالخلافة في الأرض مع المسلمين من العرب، كما وعد بني إسرائيل من قبل. وأنفذ وعده. فقد قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ .

٦ - يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

فقوله عن كتاب موسى أنه بعد إهلاك القرون الأولى كان ﴿بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾ يدل على أنه بصائر لعموم الناس الذين أتوا من بعد إهلاك القرون الأولى. وقوله عن القرآن ﴿بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾ والقرآن للعموم يدل على أن بصائر للناس في كتاب موسى للعموم. والوصف بهدي، ورحمة في كتاب موسى، هو نفسه الوصف للقرآن الكريم.

وهل أمر الله علماء بني إسرائيل بأن ينطلقوا بالدعوة إلى غير بني إسرائيل؟ ذلك واضح من قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ [غافر:٥٣] ومن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة:٢٤]

ففي تفسير الكشاف: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾ الناس، ويدعونهم إلى ما في التوراة من دين الله، وشرائعه لصبرهم، وإيقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل إليك هدى ونوراً، ولنجعلن من أمتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية، ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين.

وفي تفسير القرطبي: ﴿هُدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي يدعون الخلق الى طاعتنا ﴿بِأَمْرِنَا﴾ أي أمرناهم بـذلك .وقيل ﴿بِأَمْرِنَا﴾ أيَ لأمرنا.أي يهدون الناس لديننا،ثم قيل :المراد الأنبياء عليهم السلام قاله قتادة. وقيل:المراد :الفقهاءوالعلماء ﴿ لَمَّا صَبَرُوا﴾ وهذا الصبر على الدين،وعلى البلاء ،وقيل صبروا عن الدنيا»

ويقول الإمام أبو الحسن على بن محمد الماوردي المتوفي سنة٥٤٠هـ:

«وذهب بعض المتكلمين، وأكثر الفقهاء من أصحاب الشافعي وأبي حنيفة الى أنه - أي الرسول ﷺ-كان متعبداً بشريعة من تقدمه من الأنبياء، لأنهم دعوا الى شرائعهم من عاصرهم، ومن يأتي بعدهم . ما لم تنسخ بنبوة حادثة. فدخل الرسولﷺ في عموم الدعاء قبل مبعثه، لأن اللّه تعالى لا يخلي زماناً من شرع متبوع،ولامتديناً من تعبد مسموع.واختلف من قال بهذا.فيما كان متعبداً به من الشرائع المتقدمة؟ فذهب بعضهم:إلى أنه كان متعبداً بشريعة جده إبراهيم عليهما السلام لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ لأنه كان في الحج والعمرةعلى مناسكه.وذهب آخرون:إلى أنه كان متعبدًا بشريعة موسى ا.هـ.[1]

وقد تبدل الحال من بعد بابل.فكف العلماء أيديهم عن دعوة الأمم،وحتى يومنا هذا.يقول المسيو «جوليان ويل» حاخام باريس في كتابه «اليهودية»:«يجب على كل رباني،أن يرد كل طالب للدخول في عهد إبراهيم ثلاث مرات،لافتا نظره إلى الصعوبات التي سيصادفها والتكاليف الشاقة التي سيتحملها،والأخطار التي سيتعرض لها، فإذا أصر على طلبه،وتحقق الرباني أن الدواعي التي تحدوه للتهود طاهرة ونزيهة، فيمكنه أن يقبله في حظيرة البيعة»[2]

٧ - يقول تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

«الأميين» هم الأمم من غير اليهود، وقدكذبهم الله في هذا الادعاء،وهذا يعني أن

(١) ص ٢١٣ - ٢١٥ أعلام النبوة.

(٢) مجلة الأزهر - المجلد ٨ ص ٢٤١ ومجلد ١٠ ص ٤٨٧ .

الله أمرهم باحترام الأمم، ومعاملتهم بالحسنى. وأرشدهم إلى المساواة بين جميع الناس ففي التوراة على لسان الله تعالى: «مثلكم يكون مثل الغريب أمام الرب، شريعة واحدة، وحكم واحد» [عدد ١٥:١٦] وفي التوراة على لسان الله تعالى: «لا تكره أدوميا لأنه اخوك، لا تكره مصرياً لأنك كنت نزيلاً في أرضه، الأولاد الذين يولدون لهم في الجيل الثالث يدخلون منهم جماعة الرب» [تث ٢٣:٧ - ٨] فدخول الأولاد في الجيل الثالث الدين اليهودي، ومساواتهم باليهود: دليل على أن دعوة الأمم كانت في شريعتهم وحرفوها. وإلا فما هو الفرق بين الجيل الأول والجيل الثالث؟ أليس الجميع عباد لله؟

٨ - أن داود وسليمان - عليهما السلام -كانا يحكمان في الأرض من بعد موسى - عليه السلام - وليس معهما شريعة إلا شريعة موسى، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرسل﴾ [البقرة: ٨٧] وفي القرآن: أن ملكة «سبأ» أسلمت مع سليمان. و﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهذا يعني: أن أمماً غير يهودية قد اتبعت شريعة سليمان التي هي التوراة. ويقال: إن «مصر» دخلت في طاعة سليمان والتزمت بشريعة التوراة في عهد سليمان عليه السلام. نقل هذا «الآلوسي» في تفسيره لسورة الشعراء. والمرجح: أن «مصر» دخلت في دين موسى، في حياة موسى نفسه، بعد ضياع قوة فرعون. ولما نزلت التوراة في طور سيناء، عرفهم بها موسى وعلماء بني إسرائيل.

٩ - قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ؟﴾ ولم يرد في القرآن: أمر صريح، أو شبه صريح، بقبلة كانت، ثم نسخت. فدل ذلك: على أن القبلة الأولى هي القبلة التي ارتضاها فريق من بني إسرائيل لأنفسهم. ولقد كانت وجهة داود عليه السلام إلى بيت المقدس- على رأي من يقول بذلك- في «القدس» وقد التزم المسلمون بها، حتى أمروا بالاتجاه إلى الكعبة المعظمة، في«مكة المكرمة»

وهذا على الرأي الذي حكاه الإمام «الماوردي» عن قوم: أن نبي الإسلام كان قبل بعثه، متعبداً بشريعة موسى.

الدليل الثالث: قوله تعالى عن جهاد بني إسرائيل في سبيل الله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ ﴾

وقال تعالى للمسلمين قبل هذه الآية: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ولما ثبت أن القتال في سبيل الله عندنا نحن المسلمين يفيد العموم. أي قتال العرب الذين يصدون عن دين الإسلام، وغير العرب. كذلك يثبت أن القتال في سبيل الله عند بني إسرائيل: يفيد العموم. أي قتال بني إسرائيل الذين يصدون عن كتاب موسى، وغير بني إسرائيل. ولما ثبت أن قتال المسلمين للذين يصدون عن الإسلام، الغرض منه: نشر الدعوة، يثبت بالضرورة: أن قتال بني إسرائيل للذين كانوا يصدون عن دينهم، الغرض منه: نشر الدعوة. وفي القرآن الكريم أن الربانيين كانوا يجاهدون مع الأنبياء في سبيل الله. وهذا يدل على أن بني إسرائيل نظموا جيوشاً مدربة، وأمدوها بأدوات الحرب، وأرسلوها لفتح البلاد. وكان أمير الجيش الذي يكون ملكاً، أو نبياً، يعرض دين موسى - عليه السلام - على أهل البلاد، ويفهمهم إياه، ويطلب منهم أن يسلموا. فإذا أبوا ورفضوا، قاتلهم الجيش بشجاعة نادرة. وقد كف بنو إسرائيل عن تنظيم الجيوش والمرابطة في سبيل الله من بعد سبي بابل، وتركوا الأمم في طغيانهم يعمهون. ذلك هو المفهوم من قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

والربي، أو الرباني هو العالم بالدين في بني إسرائيل، من نسل هرون عليه السلام. وكانوا يلازمون الجيوش الغازية لتشجيع اليهود على القتال.

ولا يمكن القول بتفسير ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ في دائرة بني إسرائيل وحدهم. لأنه يلزم عليه المثل في شريعة الإسلام. كيف وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ وهذا الوعد موجود حقاً. ففي التوراة مكتوب: «عندما تقربون من الحرب يتقدم الكاهن ويخاطب الشعب، ويقول لهم: اسمع يا إسرائيل. أنتم قربتم اليوم من الحرب على

أعدائكم. لا تضـعف قلوبكم، لا تخافـوا، ولا ترتعدوا، ولا ترهبـوا وجوههم لأن الرب إلهكم سائـر معكم. . . إلخ» [التثنية:٢٠] وفي الإنجيل يقول عيـسى عليه السلام لتلامـيذه: «من له كيس فليـأخذه. ومذود كـذلك. ومن ليس له، فليبع ثوبه، ويشـتر سيفا» [لوقا ٢٢: ٣٦]

«وكل من ترك بيوتاً أو أخـوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حـقولاً من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية» [متى ١٩:٢٩] «فقال بطرس: ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك. فقـال لهم: الحق أقول لكم: أن ليس أحد ترك بيتاً أو والدين أو إخـوة أو امرأة أو أولاداً من أجل ملكـوت الله. إلا ويأخذ في هذا الزمـان أضعافاً كثيرة، وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية» [لوقا ١٨:٢٨ - ٣٠]

الدليل الرابع: قال موسى عليه السلام: ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ... ﴾ إلخ.

لماذا أمرهم الله بالدخول في الأرض المقدسـة التي كتب الله لهم؟ هل ليقتلوا أهل الأرض، ويسكنوا ديارهم كما يفعل المـستعمرون أعداء الشعوب؟ أم كـان القتال لنشر الدعوة فإن أسلموا فقد عصموا دماءهم وأموالهم؟ إن القتال كان لنشر الدعوة. لأنه ما ذنب الرجـال والنساء والأطفـال، أهل الأرض، حتى يقـتلهم اليهـود، ويسكنون في أرضهم؟ وإذا سكن اليـهود مع الكنعانيـين أهل الأرض، فهل يتركـونهم على ما هم عليه من عبادة غـير الله؟ وأطفالهم إذا ما كبروا، هل يظلون على مـا كانوا عليه حال الصغـر، لا يتعلـمون ديناً، ولا يعـرفون رباً؟ كـيف وبينهم الذين يتلون كتـاب الله ويقيمون الصلاة ويحجون إلى مكان مقدس؟

الحق يقال: إن الله كان قد أمر علماء بني إسرائيل بأن يحاربوا أهل الأرض المقدسة لنشر الشريعة. ومن الأرض المقدسـة ينطلق العلماء إلى أي مكان من بلاد العالم لنشر الشـريعة، وإليـها يرجـعون. وذلـك لأنها منطقـة تتوسـط بلاد العالم وإخـوتهم بنو إسماعـيل في جنوب الأرض ينصرونهم. ولكن علماء بني إسـرائيل أساءوا إلى أهل الأرض إساءة بالغـة، وبلغت بهم الإساءة إلى أن قـالوا: إن شريعتنـا لنا وحدنا. ومن حقنا قـتل أهل الأرض إذا ما تغلبنا عليهم. وكـتبوا في التـوراة هكذا على لسان الله

تعالى: وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما. بل تحرمها تحريماً - تقتلها قتلاً- الحثيين والأموريين والكنعانيين، والفرزيين، والحويين، واليبوسيين. كما أمرك الرب إلهك، لكي لا يعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم التي عملوا لآلهتهم فتخطئوا إلى الرب إلهكم»

ولما قعد بنو إسرائيل عن الجهاد في سبيل الله في كل الأرض؛ أرسل الله إليهم أنبياء ورسلاً، منهم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وأمره أن يصحح لبني إسرائيل ما كانوا فيه يختلفون. وكان من تصحيح المسيح لهم مسألة دعوة الأمم. فوبخ الربانيين والأحبار قائلاً: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون. لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس، فلا تدخلون أنتم، ولا تدعون الداخلين يدخلون» [متى ٢٣: ١٣] «ويل لكم أيها الناموسيون، لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة. ما دخلتم أنتم، والداخلون منعتموهم» [لوقا ١١:٥٢] ثم أمر تلاميذه أن ينطلقوا إلى بلاد العالم لدعوة الأمم، ليُقبلوا على نبي الإسلام إذا جاء. قال لهم المسيح عليه السلام: «اذهبوا إلى العالم أجمع، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» [مرقس ١٦:١٥] وعرفهم اسم نبي الإسلام إذا جاء. وإنه «بِيركليت» باللغة العبرانية، ويكتب أحياناً: «بيرقليط» أو «فيرقليط» وأنه «بيريكليتوس» باللغة اليونانية. وكانوا يعرفون الناس بالاسم المبارك، ويأمرونهم بالعمل بشريعة موسى، إلى أن يظهر محمد ﷺ.

لقد قام أتباع عيسى - عليه السلام - فعلا بدعوة الأمم. فقد ذهب «بطرس» إلى «روما» و«فليبّس» ذهب إلى «القيروان» و«أفريقية» و«يعقوب» ذهب إلى «إيلياء» - القدس - و«سمعان» و«أندراوس» و«متى» إلى «الحبشة» و«توما» إلى «أرض بابل»[١]

ولقد كان هذا قبل تحريف النصرانية بزمان. ولما حرفت النصرانية، حرفوا اسم «أحمد» من «بيركليت» إلى «باركليت» ومعناها: الذي يأتي من بعد المسيح عوضاً عنه، ليعزي بني إسرائيل في فقدهم الملك والنبوة. يقول الأنبا اثناسيوس: «إن لفظ «بارقليط» إذا حرف نطقه قليلاً، يصير «بيركليت» ومعناه: الحمد والشكر. وهو قريب من لفظ «أحمد» [٢]

(١) ص ١١٩ دراسات في الكتاب المقدس - الأنبا اثناسيوس.

(٢) المرجع السابق.

وإن اعترض من لا علم له بالأديان. وقال: قد صرح القرآن في أكثر من آية بأن دعوة موسى عليه السلام كانت لقومه. ومن تلك الآيات ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ وهذا يعني الخصوص لا العموم. نقول حقاً ذلك موجود في القرآن. ولكنه - على رأي- نظير قوله تعالى عن دعوة الإسلام ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ الأولى خصوص والثانية عموم. وآيات أخر بيّن فيها: أن الدعوة للعرب أولاً، وبيّن ثانياً: أنهم سوف يسئلون عن تبليغها للناس. فإن العرب مكلفون بحمل الشريعة إلى كل مكان. كما هو واضح من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾- على معنى أن الناس لفظ يدل على العالمين.

ولقد أمر موسى قومه أولاً. ولما تفهموا الدعوة أمرهم بالانطلاق إلى الأمم.

والرأي الآخر في﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ هو أن العشيرة هذه هي عشيرة اليهود. لأنها لو كانت العرب لما كان يعبر بالأقربين منهم وهم نسل إسحق الذي هو الأخ التالي لإسماعيل.

وأمر عيسى تلاميذه أولا أن يبشروا في قرى اليهود العبرانيين، ولا يذهبوا إلى الأمم، ولا إلى اليهود السامريين، بقوله: «إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحريّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. وفيما أنتم ذاهبون، اكرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ١٠: ٥ - ٧] ثم إنه بعد ذلك، أمرهم أن ينطلقوا إلى العالم أجمع بقوله: «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» [مرقس ١٦: ١٥]

* * *

وإن اعترض مُحَدِّث، فقال: إن في صحيح البخاري: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر. وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل. وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي. وأعطيت الشفاعة. وكان النبي قبلي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»[١] وفي صحيح مسلم «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم،

(١) البخاري - باب التيمم.

ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم. وجعلت لي الأرض مسجداً طهوراً. وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون»[(١)] وهذا يعني: أن دعوة موسى - عليه السلام - خاصة لا عامة. وكذلك دعوة عيسى - عليه السلام -.

نقول لهذا المحدث: ما تقول في دعوة إبراهيم عليه السلام وهو نبي من قبل محمد ﷺ؟ هل كانت دعوته خاصة أم كانت دعوته عامة؟ إنه لن يقدر لا هو ولا غيره على القول بالخصوص في دعوة إبراهيم عليه السلام لأن إبراهيم دعا قومه في العراق - في أور الكلدانيين - قبل أن يقدم يحرق بالنار، ودعا في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين بعد هجرته عن قومه. دعا في أرض الحجاز، وأذن محمد ﷺ في الناس بالحج. كما جاء في كتاب الله تعالى. وما تقول في «يونس» عليه السلام، فإنه كان من اليهود، في «القدس» - وهو واليهود كانوا على شريعة موسى - وغضب لما أرسله الله إلى أهل «نينوي» في العراق؟ وما تقول في الخطاب الذي وجهه سليمان عليه السلام - وهو نبي يهودي على شريعة موسى إلى ملكة «اليمن» يدعوها فيه إلى الإسلام؟ ونصه بعد البسملة التي تدل على أنه مثل نبي الإسلام ﷺ في الدعوة إلى الله الرحمن الرحيم: ﴿أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾

وروى القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ أن المراد بالإيتاء - على قول - **إحلال الغنائم والانتفاع بها**. وروى المحدثون: أن اليهود لم يغيروا ألفاظ التوراة، مع أن القرآن يصرح بأنهم غيروا الألفاظ عمداً، ولبسوا الحق بالباطل، ونسوا حظاً مما ذكروا به، وحرفوا الكلم من بعد مواضعه، وحرفوا الكلم عن مواضعه من بعد ما عقلوه. وهم يعلمون.

وفوق ذلك كله. فالمحدثون يصرحون بأن أحاديث الآحاد، ليست حجة في أمور العقائد. ولأنه من الآيات الدالة على عالمية دعوة موسى من قبل أن تنسخ بالقرآن الكريم، قوله تعالى عن العرب: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ؟﴾ . . . إلخ؛ فإن كفر العرب بكتاب موسى

(١) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه.

-على رأي- يدل على أنهم كانوا مكلفين به. وإذا ثبت أنهم كانوا مكلفين به، يثبت أن كتاب موسى لم يكن لبني إسرائيل على الخصوص، وإنما كان لهم وللعرب ولفرعون أيضاً. ففي تفسير الآلوسي البغدادي «بناء على ما روي عن الحسن: من أنه كان للعرب أصل في أيام موسى عليه السلام: أن المعنى: أولم يكفر آباؤهم، من قبل أن يرسل محمد ﷺ، بما أوتي موسى»؟

واختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ فإن إسماعيل عليه السلام كان مرسلاً للعرب. وقال الآلوسي البغدادي: «وقيل: إن موسى وعيسى - عليهما السلام - كما أرسلا لبني إسرائيل، أرسلا للعرب. فالمراد بنفي هذا الإتيان: الفترة التي بين عيسى ونبينا - عليهما الصلاة والسلام - » أي ما أتاهم من نذير من قبلك بمدة طويلة. ولذلك عقب على عدم الإتيان بـ ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾: ما كان قبل المدة الطويلة. وهذا رأي قوي، وأقوى منه قليلاً أن التأويل: ﴿ مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ منهم، أي ما أتي في العرب نبي مشرع إلا محمد ﷺ. فيكون هو النبي الذي أخبر عنه موسى من إخوتهم.

فإن قال بنو إسرائيل: إن رسالتنا لا تنسخ بالقرآن لأن التوراة تصرح ببقائها إلى الأبد في هذا النص «فريضة دهرية في أجيالكم» [لاويين ٢٣: ٤١] نقول: إن لفظ «الأبد» في التوراة لا يفيد الدوام الأبدي، بل يفيد الدوام إلى مدة طويلة بدليل: أن اليهودي إذا اشترى عبداً عبرانياً أو أمة عبرانية ففي السنة السابعة يطلقه حراً. ويُطلِق الأمة، إلا إذا رضيا بالبقاء فيبقيا إلى الأبد. وهذا الأبد مقدر بخمسين سنة، وهذا يعني أن لفظ «الأبد» ليس على الدوام المطلق. ففي سفر الخروج: «إذا اشتريت عبداً عبرانياً فست سنين يخدم وفي السابعة يخرج حرًا مجانًا. إن دخل وحده فوحده يخرج. إن كان بعل امرأة تخرج امرأته معه، إن أعطاه سيده امرأة، وولدت له بنين أو بنات فالمرأة وأولادها يكونون لسيده وهو يخرج وحده، ولكن إن قال العبد أحب سيدي وامرأتي وأولادي، لا أخرج حراً. يقدمه سيده إلى الله، ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة ويثقب سيده أذنه. بالمثقب فيخدمه إلى الأبد» [خروج ٢١: ٢ - ٧] وفي سفر التثنية:

«فيكون لك عبداً مؤبداً» [تثنية ١٥: ١٧] ثم تقول التوراة عن خروج العبد والأمة سنة اليوبيل: «وإذا افتقر أخوك عندك، وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد، كأجير أو كنزيل يكون عندك. إلى سنة اليوبيل يخدم عندك، ثم يخرج من عندك هو وبنوه، ويعود إلى عشيرته، وإلى ملك آبائه يرجع» [لاويين ٢٥: ٣٩ - ٤١]

فمعنى «فريضة دهرية» أي إلى مجيء النبي المماثل لموسى عليه السلام.

* * *

وبعدما فرغنا من إثبات غرضنا في الدعوات العالمية السماوية، نضع أمام العالم العاقل: اختلاف شراح الأحاديث في «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي» وتعدد ألفاظه، كما رواها المحدِّثون؛ ليكون معي على بينة من الأمر.

هذا الحديث اختلف في تفسيره المفسرون. فقال «الداوودي» الشارح إن الخمسة لم تجمع كلها لأحد قبل النبي ﷺ. لأن نوحا بعث إلى كافة الناس. وأما الأربع فلم يعط أحد واحدة منهن. يريد أن يقول: إن العموم في رسالة النبي ﷺ ليس له وحده من سائر النبيين. فإن دعوة نوح - عليه السلام - كانت عامة.

ولما اعترض بحديث الشفاعة وفيه عن نوح عليه السلام «أنت أول رسول إلى أهل الأرض» أجاب الإمام «ابن حجر» بقوله ويحتمل أن يكون معنى الخصوصية لنبينا ﷺ في ذلك: بقاء شريعته إلى يوم القيامة، ونوح وغيره بصدد أن يبعث نبي في زمانه أو بعده، فينسخ بعض شريعته»

وقال ابن حجر: «ولا يعترض على امتياز الرسول ﷺ بعموم الرسالة، بأن نوحا عليه السلام كان مبعوثاً إلى أهل الأرض بعد الطوفان» وقد دفع ابن حجر هذا الاعتراض بقوله: إن عموم دعوة نوح - عليه السلام - لم تكن في أصل بعثته، وإنما اتفق بالحادث الذي وقع.

ومع الاختلاف في تفسيره، يوجد اختلاف في نصه. هذا ذكر ما تيسر منه:

١ - لم يعطهن أحد قبلي - وفي رواية: «من الأنبياء» فمن الأنبياء سقطت من

بعض الروايات.

٢ - وفي حديث ابن عباس «**لا أقولهن فخراً**»

٣ - روى مسلم: «**فضلت على الأنبياء بست**» وذكر أربعا من هذه الخمس، وزاد اثنتين. وهما «واعطيت جوامع الكلم، وختم بي النبيون»

٤ - نصرت بالرعب. زاد أبو أمامة «يقذف في قلوب أعدائي» وفي رواية: : «**ونصرت على العدو بالرعب، ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر**»

٥ - **وجعلت لي الأرض مسجداً**. وفي رواية: : «**وكان من قبلي إنما كانوا يصلون في كنائسهم**» وفي رواية: : «**ولم يكن من الأنبياء أحد يصلي، حتى يبلغ محرابه**» وفي رواية: : «جعلت لي كل أرض طيبة مسجداً وطهوراً» وفي رواية: «وجعلت لي الأرض كلها ولأمتي مسجداً وطهوراً» وفي رواية: «فأيما رجل من أمتي، أتى الصلاة، فلم يجد ماء، وجد الأرض طهوراً ومسجداً» وفي رواية: «فعنده طهوره ومسجده» وفي رواية: «فأينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت» وفي رواية: «وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجعلت تربتها لنا طهوراً، إذا لم نجد الماء» وفي رواية: «وجعل التراب لي طهوراً»

٦ - وأحلت لي الغنائم. وفي رواية: المغانم.

٧ - وأعطيت الشفاعة. وفي رواية: «وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتي، فهي لمن لا يشرك بالله شيئاً» وفي حديث آخر: «فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله»

٨ - وبعثت إلى الناس عامة. وفي رواية: «وبعثت إلى كل أحمر وأسود» وفي رواية: «وأرسلت إلى الخلق كافة»

٩ - وحديث أبي هريرة فضلت على الأنبياء بست. ذكر الخمس المذكورة وفي حديث جابر إلا الشفاعة، وزاد خصلتين وهما «وأعطيت جوامع الكلم، وختم بي النبيون» فتحصل منه ومن حديث جابر: سبع خصال.

١٠ - ولمسلم أيضاً من حديث حذيفة: فضلنا على الناس بثلاث خصال، جعلت

صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض مسجداً وأعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة، من كنز تحت العرش.

١١ - ولأحمد من حديث علي: أعطيت أربعا لم يعطهن أحد من أنبياء الله: أعطيت مفاتيح الأرض، وسميت أحمد، وجعلت أمتي خير الأمم. وذكر خصلة التراب فصارت الخصال ثنتي عشرة خصلة.

١٢ - وعند البزار: فضلت على الأنبياء بست: غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وجعلت أمتي خير الأمم، وأعطيت الكوثر، وإن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة، تحته آدم فمن دونه. وذكر ثنتين مما تقدم.

١٣ - فضلت على الأنبياء بخصلتين: كان شيطاني كافراً فأعانني الله عليه فأسْلَم.

قال الراوي: ونسيت الأخرى.

١٤ - وقد ذكر أبو سعد النيسابوري في كتاب شرف المصطفى أن عدد الذي اختص به نبينا ﷺ على الأنبياء: ستون خصلة. ا. هـ.

هذا هو الحديث برواياته المتعددة. وهي روايات مختلفة في المعاني - كما هو الظاهر منها - والمفسرون لم يتفقوا على معناه. **ونحن نرتضي في معناه قول الإمام «الداوودي» الشارح، الذي حكاه عنه الإمام «ابن حجر العسقلاني» المتوفى سنة ٨٥٢ هـ في كتابه «فتح الباري» ولا نلزم غيرنا برأينا، ولا يلزمنا أحد برأيه ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾** [البقرة:١٤٨] - **كما قال عزّ وجل.**

الفصل السابع عشر
في
وحدة الدين وتعدُّد شرائع النبيِّين

قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ ﴾ فما هو هذا الإسلام؟ كلمة «الإسلام» في أصل اللغة تعني: الاستسلام والانقياد. أي إلغاء المرء إرادته، لإرادة غيره. فالجندي إذا أسر في المعركة - مثلاً - وصار مغلوباً على أمره، لا حول له ولا طول؛ فإنه يلغي إرادته، وينفذ إرادة آسره. ولذلك يقال عن الجندي المغلوب: إنه استسلم ورفع راية التسليم. هذا هو معنى الإسلام في أصل اللغة. وهذا هو معنى «الإسلام» في كل ملة من الملل. فلو أن إنساناً عرف الله - عز وجل - وعرف أنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وعرف صدق النبي الذي أرسله الله إليه، واستسلم هذا الإنسان لأوامر الله التي كلفه بها عن طريق هذا النبي وألغى إرادته، ونفذ إرادة الله. فإنه يقال لهذا الإنسان: إنه أسلم وجهه لله، أي استسلم له، وانقاد له. وهذا هو معنى «الإسلام» في اصطلاح أهل الأديان.

ففي تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن في قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ [البقرة: ١١٢] أن الإسلام له معنيان:

الأول هو الاستسلام[١].

(١) الاستسلام: هو تنفيذ الأمر برضا به أو بغير رضا. والإخلاص: هو تنفيذ الأمر حبًا في الله وهذان =

والثاني: هو إخلاص العمل لله.

يقول القرطبي: «ومعنى «أسلم»: استسلم وخضع. وقيل: أخلص عمله. وخص الوجه بالذكر، لكونه أشرف ما يرى من الإنسان، ولأنه موضع الحواس، وفيه يظهر العز والذل. والعرب تخبر بالوجه عن جمل الشيء، ويصح أن يكون الوجه في هذه الآية: المقصد»(١)

وشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني في كتابه «النبوات» يقول: «إن المسلم يجمع هذا وهذا» أي الاستسلام والإخلاص. ويقول: «الاستسلام له يتضمن الاستسلام لقضائه وأمره ونهيه، فيتناول فعل المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور»(٢)

ولقد كان نبي الإسلام ﷺ والذين اتبعوه مسلمي الوجه لله، أي مستسلمين لأوامره وخاضعين لشريعته حبًا في الله. وكان النبي موسى عليه السلام والذين اتبعوه، والمسيح عيسى بن مريم عليه السلام والذين اتبعوه، كانوا مسلمي الوجه لله على هذا المعنى. فقد قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾

وقال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

وقال تعالى حكاية عن سحرة فرعون أنهم قالوا لفرعون: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾

وقال تعالى عن شريعة موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾

=الأمران هما معنى الإسلام في مصطلح الشرائع. لأن المسلم يفعل المأمور به حبًا في الله. أما في أصل اللغة بعيدًا عن الشرائع. فالإسلام هو الاستسلام للأمر كرهًا. كاستسلام الجندي لأوامر آسره.

(١) تفسير القرطبي - في البقرة ١١٢ .

(٢) النبوات - لابن تيمية ص ٦٩ - ٧٠ مطبعة السنة المحمدية ١٣٤٦ هـ بمصر.

وقال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

* * *

ولا تختلف الملل في أن «الإسلام» هو الاستسلام لأمر الله و الإخلاص له. وإنما تختلف الملل في «أمر الله» الذي هو «افعل أو لا تفعل» فلو أمر الله المرء الذي استسلم له وخضع له، بأن لا يفعل أمراً ما في يوم «السبت» ويفعل الأمر ذاته في يوم «الجمعة» يجب على المرء تنفيذ الأمر، ولا يخاطب الله بقوله: لماذا حرمت في السبت، وأبحت في «الجمعة»، وأنا أرى أن اليوم والوقت هو اليوم والوقت، والفعل هو الفعل؟

لماذا؟ ولو قدر بقاء هذا المرء، إلى أن أراد الله، إلغاء تحريم هذا الأمر في «السبت» فإنه سيستسلم أيضاً للأمر الثاني، الناسخ للأمر الأول.

والأمر الإلهي الذي يستسلم له المرء، يستسلم له، إما لخوفه من الآمر، و إما لأنه يرجو رحمته. وإما حبًا في الآمر. لا لأنه فهم وجه المصلحة له في تنفيذ الأمر. فالجندي المستسلم في أرض العدو - مثلاً - إذا صدرت له الأوامر بالرحيل إلى مكان ما، فإنه ينفذ، ولا يسأل عن سبب الرحيل، ولا ما يكون من بعده.

وقد بيّن الله - عز وجل - وجه الحكمة في «الأوامر الإلهية» بقوله: ﴿ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ﴾ وبيّن وجه الحكمة في إنزاله الشرائع على البشر، بقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وبقوله: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ وبيّن أن التوراة كانت من قبل القرآن ﴿ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [الانعام:٩١] وأنه نسخها بالقرآن. **وأن الغرض من نسخها هو تخفيف الأوامر الإلهية** على الناس، على يد محمد ﷺ. وأن أهل الكتاب يعلمون ذلك. بقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا

﴿النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

وقد غفل بعض المسلمين عن تعليل الأوامر الإلهية بقوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ وأجهدوا أنفسهم في تعليل أحكام الله والبحث عن وجوه المصلحة في الأمر المباح، والبحث عن وجوه الضرر في الأمر المكروه. وخرجوا بتعليلات تضاد كلام الله تعالى وتشوش على شرائعه. ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [آل عمران: ٩٣] ومن الطعام الذي أحله: الميتة والدم ولحم الخنزير. فهل كانت الميتة خالية من الديدان القاتلة أيام بني إسرائيل، ولذلك أباحها. واليوم في الميتة ديدان تضر بأبدان المسلمين ولذلك حرمها؟ وهل كان الدم كالماء العذب لبني إسرائيل، وصار اليوم سماً قاتلاً للمسلمين؟ وهل كان لحم الخنزير لبني إسرائيل خالياً من الديدان الشرطية واليوم فيه ديدان شرطية تفتك بالآكل له من المسلمين؟ وهل لحم الخنزير يضيع مروءة المسلم اليوم لو أكله، وما كان يضيع مروءة الإسرائيلي لو أكله؟

لقد كان الطعام كله مباحاً لبني إسرائيل بما فيه الميتة والدم ولحم الخنزير والنسر والأنوق والعقاب والحداة والباشق والغراب والنعامة والظليم والسأف والباز والبوم والغواص والكركي والبجع والقوق والرخم واللقلق والببغاء والهدهد والخفاش. وابن عرس والفأر والضب والجرذون والورل والوزعة والعظاية والحرباء.

وخلقة الحيوان وهو مباح غير محرم، هي خلقته نفسها في عهد التحريم لم تتغير. فالغراب الذي كان مباحاً، ثم صار محرماً، ثم صار مباحاً، هو نفسه الغراب الذي كان في أيام «هابيل» و«قابيل» ابني «آدم» - عليهما السلام - وهو الذي تتناسل سلالته إلى يومنا هذا، فما هو وجه الحكمة في إباحة لحمه في شريعة نوح عليه السلام؟ وما وجه الحكمة في تحريم لحمه في شريعة موسى عليه السلام؟ ولماذا أبيح لحمه في شريعة محمد عليه السلام؟ والغراب هو هو، لم تتغير خلقته طوال أيام الشرائع الثلاث.

لقد كان الغراب مباحاً في شريعة نوح عليه السلام لقوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ

حلاً لِبَني إِسْرَائِيلَ﴾ والغراب من الطعام. ولما جاء في التوراة: أن الله خاطب نوحاً بعد الطوفان بقوله: «كل دابة حية تكون لكم طعاماً. كالعشب الأخضر. دفعت إليكم الجميع»، [تك ٩:٣] والغراب يطير بجناحيه، ويدب على الأرض برجليه، فما وجه المصلحة في تحريم الغراب في شريعة موسى، وما وجه المصلحة في إباحة لحمه في شريعة نوح؟ إنه لا وجه للمصلحة، وإنه لا تعليل للحكم، **إلا امتثال الأمر الإلهي** وحده. كما قال تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾.

والطعام الذي كان حلاً لبني إسرائيل، حرم منه «إسرائيل على نفسه، شيئاً من تلقاء نفسه. لا من أمر إلهي، صدر إليه بتحريمه. فإن في التوراة في الأصحاح الثاني عشر من سفر هوشع، وفي الأصحاح الثاني والثلاثين من سفر التكوين، أن «ملاك الله» ضرب إسرائيل على «حق فخذه» ولما ضربه على حق فخذه، حرم إسرائيل على نفسه، أكل اللحم الذي على حق الفخذ، مما يذبح من الحيوانات، وحرمه بنو إسرائيل أيضاً على أنفسهم، وعللوا التحريم بقولهم: إن ملاك الله ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النَّسا. ففي الأصحاح الثاني والثلاثين من سفر التكوين: «لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا، الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم، لأنه ضرب حق فخذ يعقوب، على عرق النسا» [تك ٣٢:٣٢].

وتحريم إسرائيل لعرق النسا، ليس لعلَّة في عرق النسا هي ضرر يوجب التحريم، بل تحريمه لشيء في نفسه. كما إذا حرم رسول الله ﷺ شيئاً أباحه الله ابتغاء لمرضاة أزواجه، لا لعلة في الشيء نفسه، وقد نهاه الله عن ذلك - ونهى المسلمين في شخصه في قوله تعالى: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ أي لا يحل لك ذلك. لأنك مشرع عن الله، والناس تقتدي بك. وقد أحل لإسرائيل، لأنه لم يكن مشرعاً. لا لأبنائه ولا للناس.

* * *

ونفهم من قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أربعة أمور:

الأول: أن الأطعمة كلها، كانت مباحة لبني إسرائيل. وقد جاء في التوراة أن هذا الحكم كان في شريعة نوح التي بقيت طويلاً إلى زمان موسى، وأن بني إسرائيل التزموا بها إلى زمان موسى. ونص هذا الحكم هو: «كل دابة حية تكون لكم طعاماً» [تك ٩:٣].

الثاني: أن إسرائيل حرم على نفسه من تلقاء نفسه، لحم حق الفخذ من أي حيوان. وهذا مذكور في التوراة - كما أشار القرآن - ففيها: «لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم» [تك ٣٢:٣٢] وهم لا يأكلون سنّة عن أبيهم، أي كما فعل كذلك يفعلون.

الثالث: أن موسى في التوراة نسخ هذا الحكم وألغاه، لقوله تعالى: ﴿ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ﴾ أي أن إباحة كل الأطعمة، كانت مستمرة إلى نزول التوراة. ولما نزلت التوراة، حرمت أطعمة، وأباحت أطعمة. ومن الأطعمة المحرمة: الجمل والأرنب والوبر والخنزير والميتة والدم وما ذُبح على النصب. ومن الأطعمة المباحة: البقر والضأن والماعز والإيل والظبي واليحمور، والوعل والرئم والثيتل والمهاة. كما في سفر اللاويين وسفر التثنية.

الرابع: أنه لا استبعاد في نسخ القرآن لأحكام التوراة. فإن الحكم في الأطعمة قد تغير من الحل للكل - ما عدا الإنسان - إلى الحل في البعض. وكتب أهل الكتاب شاهدة على ذلك. فلماذا يعترضون على نبوة محمد ﷺ بحجة أنه صرح بنسخ شريعتهم التي يزعمون أنها لا تنسخ (١)؟

* * *

وفي الوقت الذي نزلت فيه شريعة القرآن من الله، كان في الدنيا أناس من البشر مشركين بالله لأنهم يجهلونه، وكان في الدنيا أناس من البشر كافرين بالله وهم يعرفونه. فالذين أشركوا عن جهل: وضعوا لهم تشريعات حسنتها عقولهم، والذين كفروا عن علم - وهم أهل الكتاب - حرفوا شريعة الله وحذفوا منها وأضافوا إليها.

(١) انظر تفسير ابن كثير في سورة آل عمران.

وانظر أيضًا: كتاب لا نسخ في القرآن - تأليف أحمد حجازي السقا - نشر دار الفكر العربي بالقاهرة.

فكان في العالم وقتئذ تشريعات وضعية متعددة. نبه الله عليه بقوله: ﴿شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ شريعة سماوية محرفة، نبه الله عليها بقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ وإذا قلنا: إن الشرائع متعددة. فإنما نعني الشرائع الإلهية من لدن نوح إلى محمد، وهي شريعة نوح وموسى ومحمد - عليهم السلام - ولا نعني الشرائع الوضعية، لأنها ليست من عند الله. والقول بتعدد الشرائع هو باعتبار ما سلف على طول الزمان. وأما من بعد نزول القرآن، فإنه لا شريعة تعد معه، سواء كانت إلهية أو هي وضعية.

* * *

وإذا عملنا مقارنة بين الشرائع وبين القرآن. فإن المقارنة تكون على نصوص التوراة - والتوراة كانت من قبل القرآن نوراً وهدى للناس - وعلى نصوص القرآن الذي نسخ التوراة وأصبح هو النور الهادي. وتكون المقارنة معها، على أساس الموجود من أحكامها. بغض النظر عن تحريفه أو سلامته من التحريف. وقبل أن نبدأ المقارنة فيها، يجب على المقارن أن يعرّف بالتوراة من عهد موسى عليه السلام إلى زمان تحريفها على يد «عزرا» في «بابل» ومن عهد «عزرا» إلى هذا اليوم. ويفرق بين تحريف اللفظ والتأويل الفاسد للفظ، الذي نبه الله عليه بقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾

ولا تدخل النصرانية في الوسط بين التوراة والقرآن، في مجال المقارنة، لأن التشريعات في النصرانية، تشريعات وضعية من عمل «بولس» وليست تشريعات سماوية جاء بها المسيح عيسى عليه السلام. والدليل على ذلك:

١ - أن إنجيل عيسى عليه السلام مفقود: والدليل على أنه مفقود: أن النصارى يقدسون أناجيل هي لأربعة من أتباع عيسى عليه السلام. وهم متى ومرقس ولوقا ويوحنا. فالذي يريد أن يدخل الإنجيل في المقارنة كما يدخل التوراة، عليه أن يعثر عليه أولاً.

٢ - أن الأناجيل الأربعة خالية من تشريع مستقل عن تشريع التوراة. ففيها: أن المسيح قال: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس» [متى ٥:١٧] وفيها: أنه لما شفي

الأبرص، قال له: «اذهب أر نفسك للكاهن. وقدم القربان الذي أمر به موسى: شهادة لهم» [متى ٨:٤] وفيها طبقاً لرواية متى: «حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً: على كرسي موسى، جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا. لأنهم يقولون ولا يفعلون. فإنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل، ويضعونها على أكتاف الناس، وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم» [متى ٢٣: ١ - ٤] وفيها: أن المسيح كان يحل لليهود ما حرمه الربانيون والأحبار عليهم من تلقاء أنفسهم مثل تحريمهم الأكل بأيد غير مغسولة، وتحريمهم عمل الخير في يوم السبت، لأنه عمل. وفيها: أن المسيح كان يبين لعلماء اليهود الصواب فيما اختلفوا فيه، مثل اختلافهم في طلاق المرأة المنصوص عليه في شريعة موسى أنه مباح، هل يكون لأي سبب، أو يكون لسبب قوي مثل الزنا؟

٣ - أن التشريع في النصرانية، ابتدأ بخرافة من بطرس، مكتوبة في الأصحاح العاشر من سفر أعمال الرسل. وهي أنه «رأى السماء مفتوحة، وإناء نازلاً عليه، مثل ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف ومدلاة على الأرض. وكان فيها كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء، وصار إليه صوت: قم يا بطرس اذبح وكل. فقال بطرس: كلا يا رب. لأني لم آكل قط شيئاً دنساً أو نجساً. فصار إليه أيضاً صوت ثانية: ما طهره الله لا تدنسه أنت. وكان هذا على ثلاث مرات، ثم ارتفع الإناء أيضاً إلى السماء» [اع ١٠: ١١ - ١٦] فرجل كان يصفه المسيح نفسه بأنه «شيطان» وبأنه يرائي الناس في عمله، يدعي أنه رأى السماء مفتوحة ورأى ملاءة عليها لحم خنزير وغراب وأرنب ونسر، وما شابه ذلك من الأطعمة التي حرمتها التوراة في الأصحاح الحادي عشر من سفر اللاويين. ويدعي أن الله ناداه بأن يأكل من الأطعمة التي حرمتها التوراة. ويعلل له الحكم بأن الذي طهره الله، لا يدنسه بطرس. هل يقبل قوله هذا الذي هو مبدأ التشريع الوضعي في النصرانية؟ إنه لا يُقبل؛ لأن بطرس لم يكن نبيّاً من بني إسرائيل، أو من غير بني إسرائيل. وإنما هو رجل قال له المسيح: «اذهب عني يا شيطان. أنت معثرة لي. لأنك لا تهتم بما لله، لكن بما للناس» [متى ١٦: ٢٣]

٤ - ولم يتم التشريع الوضعي في النصرانية على يد «بولس» بل إلى اليوم

يتخذون الرهبان محرمين ومحللين من دون الله. ومع أنهم يشرعون للرعايا مالم يأذن به الله، يقولون للرعـايا: إن المسيح قد قتل وصلب عـوضاً عن خطايا بني آدم. ومن يعمل ومن لا يعمل بالشـريعة فهو داخل تحت الرحمـة، لأن المسيح يحمي من يؤمن به، ويدخله الجنة، ولو لم يعمل أي عـمل صالح، يقول بولس: «المسيـح افتدانا من لعنة الناموس. إذ صار لعنة لأجلنا» [غلاطية ٣:١٣]

هذه هي النصرانية باعتـراف المسيح نفسه، وباعتراف أتباعـه من بعده. لقد صارت شريعة وضـعية مسـتقلة عن التوراة ومستـقلة عن القرآن. ولا تعد النصـرانية مع تعدد الشـرائع. فإن الوضـعيـة تُعد مع تعـدد الشرائع التي يصـطلح عليهـا البشـر لتنظيم حياتهم، تعد مع قانون الرومانيين والشيوعيين والبوذيين، والعِلمانيين، وغيرهم.

وإن سأل سائل وقـال: لماذا أحال المسيح أتباعه إلى تشـريعات التوراة، وهو يعلم أنها محرفة؟ في قوله: «على كرسي موسى».. إلخ.

فالجواب: أن المسيح يعلم أن التوراة محرفة. بدليل أن السامريين يتعبدون لله على حسب المكتوب في توراتهـم، ويتجهون إلى جبل «جـرزيم» في صلواتهم، ويحجون إليه. وأن العبرانيين يتعبدون لله على حـسب المكتوب في توراتهم ويتجهون إلى جبل «صهـيون» في صلواتهم. ويحجـون إليه. المسيح يعلم ذلك. ولما سـئل عن الصواب؛ أجاب بأنه سيـأتي اليوم الذي لا يقدس فيـه هذا الجبل، ولا ذاك الجبل. فهل سـمعوا قوله؟ ففي إنجيل يوحنا: «قالت له المرأة: يا سيد أرى أنك نبي. آباؤنا سجدوا في هذا الجبـل، وأنتم تقولون: إن في أورشليم الموضع الذي يـنبغي أن يسـجد فـيه. قال لـها يسوع: يا امرأة صدقيني. إنه تأتي سـاعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب. أنتم تسجدون لـما لستم تعلمون. أما نحن فنسجـد لما نعلم، لأن الخلاص هو من اليهـود. ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين السـاجدون الحقـيقيون يسـجدون للآب بالروح والحق. لأن الآب طـالب مـثـل هؤلاء السـاجـدين له. الـله روح. والذين يسجدون له، فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» [يو ٤:١٩ - ٢٤]

هل سمع السـامريون قـوله وتركوا قبلتـهم؟ وهل سمع العـبرانيون قـوله وتركوا قبلتهم؟ مع أنهم يشهدون بأن موسى عليه السلام لم يحدد لهم هذا الموضع ولا ذاك.

بل قال لهم: أي جهة تتجهون إليها وتدعون الله؛ يسمع لكم. ما سمع السامريون قوله، وما سمحوا له بدخول مدنهم. ففي إنجيل لوقا: «وأرسل أمام وجهه رسلاً. فذهبوا ودخلوا قرية للسامريين، حتى يعدّوا له، فلم يقبلوه» [لو٩:٥٢ - ٥٣] وما سمع العبرانيون قوله، ورجموه بالحجارة. ففي إنجيل يوحنا: «فتناول اليهود أيضاً حجارة، ليرجموه» [يو ١٠: ٣١]

فالمسيح - عليه السلام - ليس له قوة ولا سلطان، حتى يقر التوراة بعد تصحيحها في الأرض. ولأنه ليس له قوة ولا سلطان قال: «أعطوا ما لقيصر لقيصر. وما لله لله» [مرقس ١٢:١٧] ولو كان له سلطان. فإنه نبي من أنبياء بني إسرائيل. وفي التوراة: أن شريعة موسى لا ينسخها نبي من بني إسرائيل [تث ٣٤:١٠] فهو بحكم التوراة غير مسموع الكلمة إن خالفها . وعوام اليهود يعتقدون أنها غير محرفة. ولذلك كان مكلفاً من الله بإصلاح ما حرفه العلماء من النصوص، وببيان الحق فيما كانوا فيه يختلفون ومن يسمع؛ يفعل.

ولقد فعل المسيح ما كلفه الله به، حال الوعظ، وحال الدرس، وأثناء أحاديثه الشفاهية مع الناس. ومن المؤكد أنه ترك ذلك كله في كتاب، لا نعلم إلى اليوم مكانه. فالمسيح لما أحال أتباعه إلى تشريعات التوراة؛ أحالهم وقد صحح لهم. وعرفهم أن زمان نسخها قد اقترب على يد نبي من بني إسماعيل، هو محمد ﷺ. هذا من ناحية تشريعات التوراة. وأما من ناحية ما ابتدعه الربانيون والأحبار، من تشريعات ليس لها ذكر في التوراة الأصلية أو المحرفة. فإن المسيح وبخهم عليها، ومنع أتباعه من أن يعلّموا بها. ففي الأناجيل أنه نقد السنة النبوية المدونة في التلمود، وسماها بسنة الشيوخ أو تقاليد البشر.

ومن الأمثلة على تصحيح المسيح لتشريعات التوراة:

أنه لما استبعد اليهود الأمم من الدخول في شريعة موسى معهم، بقولهم يحل لليهودي أن يقرض الأجنبي بالربا، لأن الأجنبي كالكلاب النجسة، أباح المسيح للأمم الدخول في شريعة موسى. ودخول الأممي في شريعة موسى مع اليهود، يدل على مساواته مع اليهودي، وعلى أنه ليس نجساً كالكلب، ويلغي إباحة الربا على الأمم

لهذه المساواة.

ومن الأمثلة على أن المسيح رد ما ابتدعه الربانيون والأحبار:

أنهم قالوا من حلف بالهيكل الذي بناه سليمان عليه السلام وحنث في يمينه فلا كفارة عليه. ومن حلف بذهب الهيكل وحنث فعليه الكفارة. وقالوا: من حلف بالمذبح فليس بشيء، ولكن من حلف بالقربان الذي عليه يلتزم.

قال المسيح ما نصه: «ويل لكم أيها القادة العميان القائلون: من حلف بالهيكل، فليس بشيء. ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم. أيها الجهال والعميان. أيما أعظم: الذهب أم الهيكل. الذي يقدس الذهب؟ ومن حلف بالمذبح فليس بشيء، ولكن من حلف بالقربان الذي عليه يلتزم. أيها الجهال والعميان. أيما أعظم: القربان أم المذبح. الذي يقدس القربان»؟ [متى ٢٣: ١٦ - ١٩]

ومن الأمثلة على أن المسيح بيّن لهم بعض الذي كانوا يختلفون فيه:

أن التوراة أباحت طلاق المرأة إذا وجد الزوج فيها «عيب شيء» أو حسب النص السامري «عيبا ما» [تث ٢٤: ١] وإذا طلقت المرأة وتزوجت بغير زوجها ثم طلقها الثاني أو مات عنها. وأراد الزوج الأول أن يتزوجها، فإنها لا تحل له. وهذا حكم قد جاء القرآن بتخفيفه، فإنه قد أباح للزوج الأول أن يتزوج امرأته المطلقة إذا كانت خالية من زوج. وعلماء بني إسرائيل قد اختلفوا في تفسير «عيب شيء» التي تترجم في العبرانية «ارفت دابهور» فقال بعضهم معناها: أي عيب، حتى ولو كان قد رأى امرأة تسره أكثر من امرأته. وقال بعضهم معناها: الزنا. ولما سئل المسيح عن الطلاق أجاب بأنه لا يكون إلا للزنا. استحساناً لا إلزاماً. وعلل الزواج بالمطلقة أو من المطلق بقوله: «إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني. والذي يتزوج بمطلقة يزني» والدليل على أن إجابته للاستحسان: ما حكاه متى وهو: «قال له تلاميذه: إن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة، فلا يوافق أن يتزوج. فقال لهم: ليس الجميع يقبلون هذا الكلام» ثم قال: «من استطاع أن يقبل؛ فليقبل» [متى ١٩: ٩ - ٢]

* * *

وعلماء المسلمين ألزموا اليهود والنصارى بإمكان النسخ ووقوعه

وبينوا لهم : أن نبي الإسلام ﷺ هو النبي الذي أخبر عن مجيئه موسى في التوراة لينسخ شريعته. وأن من لا يؤمن به من أهل الكتاب، لا يكون من أهل الإيمان، الناجين في الآخرة من هول جهنم. وأنهم إذا لم يسلموا، ولكن سالموا المسلمين، ولم يصدوا الداخلين في الإسلام عن الدخول فيه. فعليهم أن يدفعوا الجزية للمسلمين، دليلاً على الهوان والمسالمة؛ لقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة : ٢٩]

وقوله تعالى ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يبين أن الجزية لا يأخذها المسلمون إلا من اليهود والنصارى والصابئين. ولا يأخذونها من المجوس ولا من . وقوله تعالى: ﴿عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ هو تعليل للسبب في دفعهم الجزية للمسلمين. أي يكونوا مرءوسين للمسلمين، لا رؤساء. لأنهم يستنكفون عن الدخول في الإسلام، بسبب أن نبي الإسلام - في زعمهم - من نسل جارية لإبراهيم عليه السلام، وهم من نسل سارة الحرة. والمناسب للاستنكاف والكبر هو إذلالهم بدفع الجزية. وفي الحديث النبوي الذي رواه مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ : «**وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه**»

ولقد بث أهل الكتاب في المسلمين أن الجزية هي في مقابل حماية المسلمين، واليوم لا حماية. فإن المسلمين ضعفاء بجانب الروس الكفرة وبجانب الأمريكان النصارى. وعليه فإن الجزية تسقط ويحل محلها الدعوة إلى الأخوة في الوطن، والأخوة في الإنسانية، والمساواة في الحقوق والواجبات. ويكون الدين لله. ولا يعلو أحد على أحد. وهؤلاء المارقون الذين بثوا هذا الكلام في المسلمين. أما كان يجب عليهم إسقاط الجزية عن أنفسهم بدخولهم في الإسلام، بدل الكبر الذي يؤدي بهم إلى التهلكة، وبدل المجادلة التي لن تفيدهم شيئًا. كما يقول تعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]

وقد حكم الله على اليهود والنصارى بأنهم كفار، وبأنهم مشركون. في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾[البينة: ١]، وقد أباح للمسلمين الأكل من طعامهم والتزوج من نسائهم الإماء لا الحرائر. بشرط الإحصان والعفة. في قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥]

وقد انخرط اليهود والنصارى في سلك الجندية، في بعض الدول الإسلامية، ليثبتوا دعوى الإخاء والمساواة بين دينهم ودين الإسلام، وليفلتوا من الإذلال بدفع الجزية. ويجب على المسلمين أن يبعدوهم عن الجندية معهم، وأن يمنعوهم من أن يحاربوا عدوهم معهم. وأن يلتزموا بنص القرآن في الحكم عليهم إذا قدروا على ذلك.

* * *

ولننتقل بعد هذا التمهيد إلى وحدة الدين، وتعدد شرائع النبيين:

أولاً: وحدة الدين:

في القرآن الكريم: إن إقامة الدين في الملل كلها على ثلاثة أصول: الأول: هو الإيمان بالله والثاني: هو الإيمان بأن يوم القيامة حق لا ريب فيه. والثالث: العمل الصالح الذي يعمله المسلم ليتقرب به إلى الله عز وجل. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]

والمعنى: أن الذين آمنوا على شريعة موسى. واليهود،والنصارى والصابئون من آمن منهم على شريعة محمد ﷺ لا خوف عليهم مشتركون جميعًا في الأصول الثلاثة. وليس الاختلاف بينهم في الأصول الثلاثة، بل في الشرائع. لأنه جعل لكل أمة شريعة ومنهاجًا. والعمل الصالح المتفق عليه بين الملل ينقسم إلى: ١ - عبادات ٢ - وأخلاق ٣ - وتشريعات.

فالعبادات كالصلاة والزكاة لا اختلاف في فرضها على الملل. وإنما الاختلاف في

كيفية الأداء. وهي مفروضة. لأنها قربات إلى الله. تطهر النفس وتزكي القلب وتظهر ولاء المرء للخالق عز وجل. والأخلاق كالصدق والوفاء لا اختلاف فيها بين الملل. لأن الغرض من أي شريعة هو معاملة الناس بعضهم بعضًا بالحسنى. وليس من الحسن أن يكذب أي إنسان منتسب إلى ملة من الملل. ولنفصل الكلام فنقول:

أولاً - الإيمان بالله:

أ - يعترف المسلمون بأن الله واحد، ويعترف المسلمون بأن هذا الإله الواحد ليس كمثله شيء؛ لقوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ (الصمد : ١) ولقوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ (الشورى: ١١) ويعترف المسلمون بأن هذا الإله الواحد يعلم ما خفي في الضمائر . لقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ**﴾ (الأنعام: ٣)

ب - وفي التوراة آيات تدل على أن : أ - الله واحد ب- وليس كمثله شيء

جـ - ويعلم ما خفي في الضمائر. ففي سفر الخروج: «ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً: أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالاً منحوتًا ولا صورة ما، مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن» (خروج : ٢٠ : ١ - ٥) وفي سفر التثنية : «ليس مثل الله» (تث ٢٣ : ٢٦) وفي سفر التثنية: «فاعلم أن الرب إلهك هو الله الإله الأمين الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل. والمجازي الذين يبغضونه بوجوههم ليهلكهم» (تث ٧ : ٩ - ١٠) وقال سليمان - عليه السلام - لله عز وجل: «أعط كل إنسان حسب كل طرقه كما تعرف قلبه. لأنك أنت وحدك تعرف قلوب بني البشر» (٢ أخ ٦ : ٣٠)

ت - وفي الأناجيل مثل ما في التوراة ففي إنجيل يوحنا: أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام قال: إن الله واحد، وقال إنه رسول هذا الإله الواحد إلى بني إسرائيل. قال المسيح: «وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفونك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يوحنا ١٧ : ٣) وفي إنجيل مرقس أن عالمًا من

علمـاء بني إسرائيل سـأل المسيح عن أعظم وصـية في التـوراة. وأجاب المسـيح بأن الوصيـة العظمى هي أن الله واحد كما هو مكتـوب في الأصحاح السادس مـن سفر التثنيـة. يقول مرقس: «فجـاء واحد من الكتبة وسـمعهم يتحـاورون. فلما رأى أنه أجابهم حسنًا. سـأله: أية وصية هي أول الكل؟ فأجـابه يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسـمع يا إسرائيـل. الرب إلهنا رب واحد. وتحب الـرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك. هذه هي الـوصية الأولى. وثـانية مـثلها: هي تحب قـريبك كنفسك. ليس وصيـة أخـرى أعظم من هاتين. فقـال له الكاتب: جيدًا يا مـعلم. بالحق قلت. لأنه الله واحد وليس آخر سواه. ومحـبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفـس ومن كل القدرة. ومحبة القـريب كالنفس هي أفضل من جميـع المحرقات والذبائح. فلما رآه يسوع أنه أجـاب بعقل. قال له: لست بعيدًا عن ملكوت الله» (مرقس ١٢ : ٢٨ – ٣٤)

ومن هذا يعلم: أن الله الخالق للسمـوات والأرض هو الذي أرسل الأنبياء لدعوة الناس إليه. هو الذي أرسل موسى وعيسى، وهو نفسه الذي أرسل محمدًا فإنه لا إله إلا الله.

ثانيًا: الإيمان بيوم القيامة:

أ – يؤمن المسلمون بيوم القيامة لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾

ب – وفي التوراة نصـوص على أن يوم القيـامة حق لا ريب فيـه. يقول اليـهود السامريون إن في توراة موسى، نص على يوم القيـامة، وأن العبرانيين حرفوه إلى يوم لجزاء، قد يكون يوم القـيامة وقد يكون يومًا من أيام هذه الحـياة الدنيا. والنص على لسان الله تعـالى: «أليس ذلك مكنوزًا عندي، مختـومًا عليه في خزائني. لي النـقمة والجزاء. في وقت تزل أقدامهم» (تث ٣٢ : ٣٤). ويقول أيوب عليه السلام: «أما أنا فـقد علمت أن وليـي حي، والآخر على الأرض يقـوم، وبعـد أن يفنى جلدي هذا وبدون جسـدي أرى الله» (أي ١٩ : ٢٥ – ٢٦)، وفي بعض التـراجم: «ومن خـلال جسدي أعاين الله» وقال نصراني إن نصًا في سـفر العدد يدل على يوم القيامة، هو: «وأما النفس التي تعـمل بيد رفيعة من الوطنيين أو من الغـرباء، فهي تزدري بالرب، فتقطع تلك النفس من بين شعبها. لأنها احـتقرت كلام الرب ونقضت وصيته. قطعًا

تقطع تلك النفس. ذنبها عليها» (عدد ١٥ : ٣٠ ، ٣١) فقوله: «ذنبها عليها» يدل على على المجازاة قطعًا. هذا قوله. والنص لا يدل على المجازاة في يوم القيامة كما فهم. بل يدل على مجازاة في الحياة الدنيا لأنه يقول: «فتقطع تلك النفس من بين شعبها» كالقاتل أو السارق. أو ما شابه ذلك[1].

ت - وفي الأناجيل نصوص على يوم القيامة. منها قول المسيح عليه السلام: «قد سمعتم: أنه قيل للقدماء لا تزن. وأما أنا فأقول لكم: إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه. فإن كانت عينك اليمنى تعثرت فاقلعها وألقها عنك. لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم، وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك. لأنه خير لك، أن يهلك أحد أعضائك، ولا يلقى جسدك كله في جهنم» (متى ٥ : ٢٧ - ٣٠) والنصارى لا يقرون ببعث الجسد مع الروح. بل يقرون ببعث الروح دون الجسد، لكلام صدر عن «بولوس» في رسالته الأولى إلى أهل «كورنثوس» في الأصحاح الخامس عشر. وبقولهم قال بعض فلاسفة المسلمين. وجمهور المسلمين، وجمهور اليهود مقرون ببعث الجسد والروح وقولهم هو الصحيح للنصوص الدالة على بعث الجسد والروح ومنها: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ

(١) وعلماء اليهود يصرحون بيوم القيامة يقول مراد فرج اليهودي في كتابه اليهودية. ينقد رجلاً نقد عقيدة القرائين من اليهود:

«وزعم المؤلف: أن القرائين لا يؤمنون بالآخرة. وعجيب منه يذكر لهم من جملة انتقاداته عقيدة الإيمان بضرورة علم اللغة والنحو والصرف والبيان وغيره ويبتلع الثامنة عقيدة إحياء الموتى والثواب والعقاب. ورضي الله عن المنصفين من الربانيين فلم ينكروا، بل أقروا صريحًا بهذه العقيدة للقرائين مع كراهتهم لهم» (ص ١٢٤ - ١٢٥).

ويقول مراد فرج أيضًا:

«فالتوحيد والجهاد ومقاتلة الإشراك والمشركين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإكرام الوالدين والصلاة والصوم والطهارة وتوقي النجاسة والعدوى والنهي عن المحارم وغير الحلال من المطعومات. كل ذلك في التوراة قبل القرآن... واجتناب الطمث ومنع الجنب من المسجد وغسل الميت وتكفينه ومواراته التراب وخلود الروح والثواب والعقاب. كل ذلك في التوراة قبل القرآن» (اليهودية ص ٤٥ - ٤٦) مطبعة التوفيق بمصر ١٩٢٠م).

وفي التلمود في الفصل الحادي عشر من سفر سنهدريم: «كل إسرائيلي له نصيب في العالم الآتي أما هؤلاء فلا نصيب لهم فيه: من يزعم أن القيامة ليست عقيدة توارتية ... إلخ».

بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (النساء : ٥٦) ومنها : «ولا يلقى جسدك كله في جنهم» (متى ٥ : ٢٩)

ثالثًا - الأعمال الصالحة:

وهي: ١ - عبادات ٢- وأخلاق ٣- وتشريعات.

أولاً - العبادات:

من المتفق عليه بين جميع الملل التوجه إلى الله بالعبادة؛ لأنه ما خلقهم إلا للعبادة. فالصلاة - مثلاً - عبادة يؤديها اليهود والنصارى ويؤديها المسلمون أيضًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (المائدة ١٢) واليهود اليوم يصلون ثلاث مرات والنصارى سبع مرات والمسلمون خمس مرات على اختلاف بينهم في كيفية الأداء وفي القبلة. فإن المسلمين يتجهون إلى الكعبة واليهود السامريون يتجهون إلى جبل جرزيم، واليهود العبرانيون يتجهون إلى جبل صهيون. مع أن الله لم يحدد لهم في التوراة قبلة معينة. وفي حياة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام كان اليهود على هذا الحال. ولقد سألته امرأة من يهود السامرة عن الحق في شأن القبلة. وأجاب بأنه قد حان الوقت الذي يمتنع فيه السجود ههنا أو ههنا «قالت له المرأة: يا سيدي أرى أنك نبي. آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون: إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يُسجد فيه. قال لها يسوع: يا امرأة صدقيني. إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب» (يوحنا ٤ : ٢٠ - ٢١).

والأرثوذكس والكاثوليك يتجهون إلى جبل صهيون، والبروتستانت إلى أي جهة.

ثانيًا - الأخلاق:

أ - الهدف من التخلق بالأخلاق الفاضلة هو أن يعامل الناس بعضهم بعضًا بالحسنى. وهذا هو الهدف نفسه الذي تأتي الأنبياء من أجله. فأهل مدين لما طففوا المكيال والميزان - وهذا خلق سيىء لأنه يؤدي إلى أن يظلم الناس بعضهم بعضًا- أرسل الله إليهم شعيبًا النبي عليه السلام ليقول لهم: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ

بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (هود : ٨٥)

وقد أمر الله بني إسرائيل بحسن الخلق فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (البقرة : ٨٣)

ب - وفي التوراة آيات تدل على أن بني إسرائيل أمروا بحسن الخلق. منها:

«لا تضطهد الغريب ولا تضايقه . . . لا تسيء إلى أرملة ما ولا يتيم. . . إن ارتهنت ثوب صاحبك، فإلى غروب الشمس ترده له» لأنه هو وحده غطاؤه، هو ثوبه لجلده، في ماذا ينام؟ فيكون إذا صرخ إلى، إني اسمع. لأني رؤوف. لا تقبل خبراً كاذباً. ولا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم. لا تتبع الكثيرين إلى فعل الشر. ولا تجب في دعوى، مائلاً وراء الكثيرين للتحريف. ولا تحاب مع المسكين في دعواه. إذا صادفت ثور عدوك أو حماره شارداً: ترده إليه. إذا رأيت حمار مبغضك واقعاً تحت حمله، وعدلت عن حله، فلابد أن تحل معه. ولا تحرف حق فقيرك في دعواه. ابتعد عن كلام الكذب. ولا تقتل البريء والبار، لأني لا أبرر المذنب. ولا تأخذ رشوة، لأن الرشوة تعمي المبصرين وتعوج كلام الأبرار» [خروج ٢٢، ٢٣] «لا تشتم الأصم وقدام الأعمى. لا تجعل معثرة» [لاويين ١٩:١٤]

ت - وفي الإنجيل آيات تدل على أن النصارى أمروا بحسن الخلق. والفرق بين كلام موسى وكلام عيسى - عليهما السلام - هو: أن موسى مثلاً يحرم الزنا. وعيسى يحرم مقدمات الزنا ويحرم الزنا أيضا. وموسى يحرم القتل وعيسى يحرم الغضب الذي يؤدي إلى التفكير في القتل، ويحرم القتل أيضاً. وموسى يقول: القريب قريب النسب. وعيسى يقول: القريب هو الذي ينفع وقت الحاجة إليه، فموسى يعطي العقوبة على ذات الفعل، وعيسى يقول ينبغي أن تعطي العقوبة على ذات الفعل، وعلى المذنب أيضاً وزر على أنه حصّل في نفسه المقدمات التي تؤدي إلى ارتكاب ذات الفعل. يقول المسيح طبقا لرواية متى: «قد سمعتم: إنه قيل للقدماء: لا تزن. وأما أنا فأقول لكم: إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه» [متى ٥:٢٧] فالقائل للقدماء لا تزن هو موسى صاحب التوراة. والمسيح حرم الزنا كما حرمه موسى، وزاد على موسى تحريم النظر للشهوة، مبالغة منه في المنع من الشر قبل

حدوثه. ويقول المسيح: «قد سمعتم: أنه قيل للقدماء لا تقتل. ومن قتل يكون مستوجب الحكم. وأما أنا فأقول لكم: إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم» [متى ٥: ٢١-٢٢]

لقد قال المسيح: إن من يغضب على أخيه باطلاً، يستحق عقوبة القتل في نظري. وموسى لم يوجب هذا الحكم، للغضبان، بل أوجبه للقاتل الذي ارتكب ذات الفعل. فموسى يعطي العقوبة إذا حدث الفعل المخالف للشريعة، وعيسى يقترح إعطاء العقوبة لمجرد التفكير في المخالفة، مبالغة منه في المنع من الشر قبل حدوثه. وهو لا يشرع عقوبة على التفكير، وإنما هو يبالغ في منع القتل. ذلك لأن التوراة تنص على أنه لا عقاب إلا بشاهدين أو ثلاث. ومن يقدر على أن يشهد على فكر في ضمير الإنسان؟ والمسيح أقر حكم التوراة في الشهود [متى ١٨: ١٦]

ثالثاً - التشريعات:

والتشريعات هي التي تميز الملة عن الملة، وهي التي تجعل الملل متعددة - لأنه لا نسخ في العقائد ولا في القصص - وقد بيّن الله تعالى في القرآن الكريم أنه جعل للمسلمين شريعة في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ وأنه كان قد أنزل التوراة شريعة للناس في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا** ﴾

وبيّن الله تعالى: أن عيسى ابن مريم عليه السلام كان مصدقاً لما بين يديه من التوراة غير ناسخ لها. وأتباعه من بعده قد اختلفوا في أمره وجعلوا لهم من الشرائع مالم يأذن به الله في قوله تعالى: ﴿ **وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾

وفي قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا** ﴾

وتتفق التشريعات في أمور، وتختلف التشريعات في أمور. ومن الأمور المتفق عليها في التشريعات تحريم القتل ظلماً، والبغي في الأرض بغير الحق. ففي شريعة

نوح «سافك دم الإنسان، بالإنسان يسفك دمه» [تث ٩:٦] وفي شريعة موسى: «من ضرب إنساناً فمات، يقتل قتلاً. ولكن الذي لم يتعمد، بل أوقع الله في يده، فأنا أجعل لك مكاناً يهرب إليه. وإذا بغى إنسان على صاحبه ليقتله بغدر، فمن عند مذبحي تأخذه للموت» [خروج ٢١:١٢ - ١٤] وفي شريعة موسى عن المقتول الذي لم يعلم قاتله: «إذا وجد قتيل في الأرض التي يعطيك الرب إلهك لتمتلكها واقعاً في الحقل، لا يعلم من قتله يخرج شيوخك وقضاتك ويقيسون إلى المدن التي حول القتيل. فالمدينة القربى من القتيل يأخذ شيوخ تلك المدينة عجلة من البقر، لم يحرث عليها، لم تجر بالنير، وينحدر شيوخ تلك المدينة بالعجلة إلى واد دائم السيلان، لم يحرث فيه ولم يزرع ويكسرون عنق العجلة في الوادي. ثم يتقدم الكهنة بنو لاوي. لأنه إياهم اختار الرب إلهك ليخدموه ويباركوا باسم الرب، وحسب قولهم تكون كل خصومة وكل ضربة ويغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبين من القتيل أيديهم على العجلة المكسورة العنق في الوادي، ويصرحون ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم وأعيننا لم تبصر، اغفر لشعبك إسرائيل الذي فديت يا رب، ولا تجعل دم بريء في وسط شعبك إسرائيل. فيغفر لهم الدم. فتنزع الدم البريء من وسطك إذا عملت الصالح في عيني الرب» [تث ٢١: ١ - ٩]

وفي الإنجيل يقول المسيح: «لا تظنوا إني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء» [متى٥: ١٧] أي الأحكام التي شرعها موسى - عن أمر الله - لا أحلها ولا أنسخها ولا أغيرها ولا أبطلها. وبالغ المسيح في نفي القتل بقوله: ينبغي أن يقدم للمحاكمة من يغضب على أخيه: «قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل. ومن قتل يكون مستوجب الحكم. وأما أنا فأقول لكم: إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم. ومن قال لأخيه: رقا. يكون مستوجب المجمع. ومن قال: يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم. فإن قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك فاترك هناك قربانك؛ قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك، وحينئذ تعال وقدم قربانك» [متى ٥: ٢١ - ٢٤]

والله تعالى ذكر في القرآن الكريم: أنه كتب على بني إسرائيل في التوراة: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾

وهذا هو نص المكتوب فيها: «وإن حصلت أذية تعطي نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ويداً بيد ورجلاً برجل وكيّاً بكي وجرحاً بجرح ورضاً برض» [خروج ٢١: ٢٣ - ٢٥]

وحكى الله في القرآن حكم القتل العمد والدية المذكورة في التوراة في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾

وشرع الله في القرآن: حكم القتل الخطأ. في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

❊ ❊ ❊

ثانياً: تعدد شرائع النبيين:

وقد اختلفت الشرائع في أحكام. وبيّن القرآن الكريم: أن التوراة مع أنها كانت نوراً وهدى للناس، كانت صعبة وثقيلة. ولصعوبتها: أنزل الله القرآن هدى للناس، بأحكام خفيفة سهلة لا مشقة فيها. وسأذكر هنا أمثلة يتبين منها اختلاف الشرائع، ويتبين منها الصعوبة والخفة:

المثال الأول: حكم الجنابة:

١ - في سفر اللاويين: «وإذا حدث من رجل اضطجاع زرع، يرحض جسده بماء، ويكون نجساً إلى المساء، وكل ثوب وكل جلد يكون عليه اضطجاع زرع، يغسل بماء، ويكون نجساً إلى المساء، والمرأة التي يضطجع معها رجل، اضطجاع زرع، يستحمان بماء، ويكونان نجسين إلى المساء» [لا ١٥: ١٦ - ١٨]

٢ - وفي القرآن الكريم: ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ [المائدة: ٦] وليس فيه أن المؤمن

ينجس بالجنابة ولا بغيرها حياً أو ميتاً [١] .

المثال الثاني: حكم الحائض:

١ - في سفر اللاويين: «وإذا كانت امرأة لها سيل، وكان سيلها دماً في لحمها، فسبعة أيام تكون في طمثها، وكل من مسها يكون نجساً إلى المساء. وكل ما تضطجع عليه في طمثها يكون نجساً، وكل ما تجلس عليه يكون نجساً. كل من مس فراشها، يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء. وكل من مسّ متاعاً تجلس عليه، يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجساً إلى المساء. وإن كان على الفراش أو على المتاع الذي هي جالسة عليه، عندما يمسه، يكون نجساً إلى المساء. وإن اضطجع معها رجل، فكان طمثها عليه، يكون نجساً سبعة أيام. وكل فراش يضطجع عليه يكون نجساً» [لا ١٥ : ١٩ - ٢٤]

٢ - وفي القرآن الكريم: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾

وحكم الحيض في الشريعة الإسلامية هو حكم الجنابة. (أ) وقال بعض الفقهاء: ويحل للرجل الاستمتاع بامرأته وهي حائض إلا الاستمتاع بالجماع. لحديث أم سلمة: «نال مني ما ينال الرجل من امرأته، إلا ما تحت الإزار»[٢] (ب) وروي عن ابن عباس: أنه يجب أن يعتزل الرجل فراش[٣] زوجته إذا حاضت. وهذا الرأي على ظاهر الآية- وأيضًا منقول من التوراة- وهو خطأ؛ لأن الاعتزال معناه: أن لا يقربها لا بتحسيس ولا بجماع. وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ يعني عند بعض الفقهاء: أ - انقطاع دم الحيض. فيحل الوطء وإن لم تغتسل. فقد قال مجاهد وعكرمة وطاووس: انقطاع الدم يحلها لزوجها، ولكن بأن تتوضأ. وقال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد: إن انقطع دمها بعد مضي عشرة أيام، جاز له أن يطأها قبل الغسل، وإن كان

(١) راجع في الأحكام الفقهية عند المسلمين: سبل السلام - نيل الأوطار - المغني - تفسير القرطبي.

(٢) هذا معارض بمن حام حول الحمى يوشك فيه.

(٣) اعتزال الفراش في شريعة التوراة المقصود منه اعتزال المكان الذي تجلس فيه لأنها تشبه الكلب العقور في الابتعاد عنها. واعتزال الفراش الذي تجلس عليه والمتاع. أما في القرآن فالاعتزال عن الجماع فقط.

انقطاعه قبل العشرة، لم يجز حتى تغتسل أو يدخل عليها وقت الصلاة. ب - أو يعني الغسل بالماء بعد انقطاع دم الحيض. وكل ذلك خطأ. فإن الاعتزال يظل قائما إلى انقطاع الدم سواء اغتسلت أم لم تغتسل. ومعنى يطهرن: هو أنه لا يطأ مسلم امرأة زوجة أو مملوكة له إلا إذا كانت عفيفة؛ لأن الزانية محرمة على المسلم. وقد وردت الطهارة بهذا المعنى في القرآن

المثال الثالث: حكم العبد والأمة:

١ - في شريعة اليهود: أن العبد إذا أعطاه سيده؛ امرأة من عنده، هي جارية، وولدت للعبد بنين أو بنات، وأراد العبد أن يخرج من بيت سيده إلى الحرية؛ فإنه يترك المرأة والأولاد لسيده، ويخرج وحده. والأولاد ينسبون للسيد نسباً. لا ولاء. ففي سفر الخروج: «إذا اشتريت عبداً عبرانياً. فست سنين يخدم، وفي السابعة يخرج حراً مجاناً إن دخل وحده، فوحده يخرج، إن كل بعل امرأة تخرج امرأته معه. إن أعطاه سيده امرأة وولدت له بنين أو بنات. فالمرأة وأولادها يكونون لسيده. وهو يخرج وحده» [خر ٢١: ٢-٤] في السنة السابعة حرا مجاناً

٢ - وفي شريعة المسلمين: أ - أن السيد لا يجبر على عتق عبده في نهاية الست سنين، إلا في حديث نصه: «من ملك ذا رحم محرم، فهو حر» وقد ضعفه النسائي وحكى في الفتح عن داود الظاهري: أنه لا يعتق أحد على أحد. (ب) أن السيد إذا وهب لعبده وحده الحرية، وصار العبد حراً، فإن أولاد العبد يكونون أحراراً، تبعاً لأبيهم، رضي السيد أم لم يرض، ويخرجون معه - إذا أرادوا - من بيت سيده إذا خرج. (ت) وتخرج المرأة معه شاء العبد أم أبى. ولا تكون العصمة بيد السيد، بل بيد العبد. والطلاق من حق العبد لا من حق السيد. لأن الجارية إذا أنجبت ولداً، لا تباع ولا تشترى. لقوله عليه السلام: «أم الولد لا تباع، وتعتق بموت سيدها» (رواه الدارقطني) وهذا الحديث صحيح، لمصلحة الولد. (ث) وفي الحديث: «ومن مثّل بعبده؛ عتق عليه» وقال النووي في شرح مسلم: أجمع العلماء على أن ذلك العتق ليس واجباً، وإنما هو مندوب رجاء الكفّارة وإزالة إثم اللطم. (ج) وإذا اشترك اثنان في ملك عبد وباع أحدهما نصيبه في العبد، أو وهبه؛ عتق العبد، وسقط حق

الشريك الثاني فيه - على رأي - نص عليه حديث سمرة أن رجلاً أعتق شقصاً له في مملوك. فقال النبي ﷺ :«هو حر كله، وليس لله شريك» والإمام الحنفي «زفر» أفتى بأن يعتق كله، وتقوّم حصة الشريك، فتؤخذ إن كان المعتق موسراً، وتبقى في ذمته إن كان معسراً (ح) ومن قال لعبده: أنت حر بعد موتي؛ يصير حراً بعد موته. ولا يباع في حياة السيد ولا يوهب. ويكون من الثلث الذي تجوز فيه الوصية على رأي من يشترط أن لا تزيد الوصية على الثلث. (خ) وللعبد أن يكاتب السيد على مال يؤديه إليه في مقابل حريته. وللأمة أيضاً. لقوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾

٣ - وفي شريعة اليهود: أن العبد إذا فضل العبودية على الحرية بعد الست سنين، يقدمه سيده إلى الكاهن ويخرز أذنه بالمخراز في باب المعبد (المذبح) فيكون عبدًا مؤبدًا. ففي سفر الخروج: «ولكن إن قال العبد: أحب سيدي وامرأتي وأولادي، لا أخرج حرًا. يقدمه سيده إلى «الله» ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة، ويثقب سيده أذنه بالمثقب. فيخدمه إلى الأبد» (خر ٢١ : ٥ - ٦).

٤ - وهذا الحكم ليس في شريعة المسلمين.

٥ - وفي شريعة اليهود: أن العبد إذا بقي إلى الأبد. فإن الأبد محدد بسنة اليوبيل.

وهي تأتي بعد نهاية خمسين سنة. وفيها يُعتق العبد ويرجع إلى أهله، رغم أنفه. ففي سفر اللاويين: «وتقدسون السنة الخمسين، وتنادون بالعتق في الأرض لجميع سكانها» (لا ٢٥ : ١٠).

- وليس في شريعة المسلمين هذا الحكم.

المثال الرابع: حكم التبني:

(أ) في شريعة اليهود: أن الأخ إذا مات وليس له ابن، وله أخ، يتزوج الأخ امرأة أخيه الميت، وأول ولد ينجبه منها ينسبه إلى أخيه لكي لا يُمحى اسم الميت من إسرائيل. ففي سفر التثنية: «إذا سكن إخوة معًا، ومات واحد منهم، وليس له ابن، فلا تصر امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبي، أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها

لنفسه زوجـة ويقوم لها بواجب أخي الزوج والبكر الذي تلده يقـوم باسم أخيه الميت لئلا يمحى اسمه من إسرائيل. وإن لم يرض الرجل أن يأخذ امـرأة أخيه، تصعد امرأة أخيـه إلى الباب إلى الشيـوخ وتقول: قد أبى أخو زوجي أن يـقيم لأخيه اسـمًا في إسرائيل. لم يشأ أن يقـوم لي بواجب أخي الزوج. فيدعوه شيوخ مـدينته ويتكلمون معه. فإن أصـر وقال: لا أرضى أن أتخذها تتقدم امرأة أخيه إليـه أمام أعين الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتبصق في وجهه وتصرخ وتقول: هكذا يفعل بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه. فيدعى اسمه في إسرائيل بيت مخلوع النعل» (تث ٢٥ : ٥ - ١٠).

(ب) وفي شريعة المسلمين إلغاء التبني لقوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ أي أن الولـد لا يُنـسب إلـى السيدوينسب إلى العبد. وابن الأخ يُنسب إلى الأخ لا إلى الميت

المثال الخامس: حكم سب الأب والأم:

١ - في اللاويين: «كل إنسان سب أباه، أو أمه، فإنه يقتل. قد سب أباه أو أمه، دمه عليه» (٢٠ : ٩).

٢ - وليس في القرآن الحكم بقتل الولد إذا سب أباه أو سب أمه ولا بقتل البنت. وإنما في القـــرآن: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ وللقاضي أن يحكم بالتعزير.

المثال السادس: حكم قتل الساحر والساحرة:

١ - في سـفر اللاويين: «والـنفس التي تلتـفت إلى الجان وإلى الـتوابع، لتـزني وراءه، أجعل وجهي ضـد تلك النفس وأقطعها من شعـبها» (لا ٢٠ : ٦) وفي سـفـر الخروج «لا تدع ساحرة تعيش» (خر ٢٢ : ١٨).

٢ - وليس في القـرآن قتل السـاحر والسـاحرة. وفي الحـديث عن ابن شـهاب: «أعلى من سحر من أهل العهد: قتل؟ قال : بلغنا أن رسول الله ﷺ قد صنع له[1] ذلك فلم يقـتل من صنعه، وكـان من أهل الكتاب» رواه البـخاري. واسـتـدل به من

(١) أحاديث سحر النبي ﷺ مروية بخبر الواحد وهي كلها ضعيفة.

قال: إنه لا يقتل الساحر. وحكي عن العترة - كما في نيل الأوطار - وأكثر الفقهاء على أن السحر لا حقيقة له، ولا تأثير - وهو الصحيح.

المثال السابع: حكم الثور النطاح:

(أ) في شريعة اليهود: «وإذا نطح ثور رجلاً أو امرأة، فمات، يرجم الثور ولا يؤكل لحمه. وأما صاحب الثور فيكون بريئًا. ولكن إن كان ثورًا نطاحًا من قبل وقد أشهد على صاحبه ولم يضبطه، فقتل رجلاً أو امرأة، فالثور يرجم وصاحبه أيضًا يقتل. إن وضعت عليه فدية يدفع فداء نفسه كل ما يوضع عليه. أو إذا نطح ابنًا أو نطح ابنة، فبحسب هذا الحكم يفعل به. إن نطح الثور عبدًا أو أمة يعطي سيدة ثلاثين فضة والثور يرجم» (خر ٢١ : ٢٨ - ٣٢).

(ب) في هذا النص:

١ - أن الثور النطاح لا يؤكل لحمه. وفي شريعة المسلمين أن الثور النطاح يؤكل لحمه؛ لقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ ، وليس الثورالنطاح مذكور في التحريم مع «الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به»

٢ - أن صاحب الثور لم يضبطه وهو يعلم به. ولذلك يضمن إذا قتل رجلاً أو امرأة أو ابنة أو عبدًا أو أمة. والضمان:

(أ) إما أن يقتل صاحب الثور في غير قتل العبد أو الأمة.

(ب) وإما أن يدفع الدية بحسب حكم الشيوخ. وفي شريعة المسلمين: القصاص - سواء قتل عبدًا أو حرًا. ولا دية في الإسلام لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ولقوله تعالى ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾

المثال الثامن: حكم السرقة:

(أ) في شريعة اليهود: «إذا سرق إنسان ثورًا أو شاة، فذبحه أو باعه، يعوض عن الثور بخمسة ثيران وعن الشاة بأربعة من الغنم. إن وجد السارق وهو ينقب فضرب ومات فليس له دم. ولكن إن أشرقت عليه الشمس فله دم، إنه يعوض، إن لم يكن

له بيع بسرقته. إن وجدت السرقة في يده حية، ثورًا كانت، أم حمارًا أم شاة يعوض باثنين» (خر ٢٢ : ١ - ٤).

(ب) في هذا النص: أن السارق لا يقتل ولا تقطع يده بل يعوض عن الثور المذبوح أو المباع بزيادة عن قيمة المسروق وكذلك يعوض عن الشاة. وفي شريعة المسلمين تقطع يد السارق ويرد المسروق إن وجد - على رأي مالك - ولا يرد إن وجد - على رأي أبي حنيفة - وهو الصحيح. لأن الله ذكر القطع ولم يذكر غرمًا.

٢ - أن السارق إذا قتل ليلاً فلا يقتل به القاتل. لأن القاتل يدفع عن نفسه من تعرض لأذاه، والناس نيام لا يقدرون على نجدته. وإذا قتل نهارًا؛ يقتل به القاتل لأنه كان يقدر على إمساكه.

٣ - إذا كان المسروق لم يذبح ولم يبع ولم يتلف؛ يعوض السارق عن المسروق بضعف القيمة.

٤ - إذا لم يقدر السارق على أن يدفع ضعف القيمة، فمن حق المسروق منه أن يبيعه عبدًا، لأنه قد صار له عبدًا. وفي شريعة المسلمين: أن السارق تقطع يده والسارقة تقطع يدها. لقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وإذا قُطعت اليد فلا غرم على السارق ولا يباع.

المثال التاسع: حكم الزنا:

في شريعة اليهود:

١ - إذا زنى رجل بعذراء لم تخطب، فإنه يتزوجها. ولا يقام عليهما الحد. ولا يطلقها إلى الأبد. ففي سفر الخروج «وإذا راود رجل عذراء لم تخطب، فاضطجع معها، يمهرها لنفسه زوجة. إن أبى أبوها أن يعطيه إياها، يزن له فضة كمهر العذارى» (خر ٢٢ : ١٦ - ١٧) هذا حكم العذراء التي لم تخطب.

٢ - فإن كانت العذراء مخطوبة، وزنى بها غير خطيبها في المدينة. فإنها ترجم بالحجارة حتى تموت، ويرجم الزاني أيضًا.

٣ - وإن كانت العذراء حرة مخطوبة، وزنى بها غير خطيبها في الحقل، لا ترجم العذراء وإنما يرجم الزاني وحده.

٤ - «وإذا اضطجع رجل مع امـرأة، اضطجـاع زرع. وهي أمة مـخطوبة لرجل، ولـم تفد فداء، ولا أعطيت حريتهـا، فليكن تأديب. لا يقتلا. لأنها لم تعتق» (لا ١٩ : ٢٠).

٥ - «وإذا اتخذ رجل امـرأة وأمها فـذلك رذيلة. بالنار يحرقـونه وإياهما لكي لا يكون رذيلة بينكم» (لاويين ٢٠ : ١٤).

٦ - «وإذا جعل رجل مضجعـه مع بهيمة فإنه يقتل والبهيمة تميـتونها. وإذا اقتربت امرأة إلى بهيمة لنزائها تميت المرأة والبهيمة. إنهما يقتلان دمهما عليهما» (لا ٢٠ : ١٥- ١٦).

٧ - «وإذا اضطجع رجل مع ذكـر، اضطجاع امرأة، فـقد فعل كـلاهما رجـسًا. إنهما يقتلان دمهما عليهما» (لاويين ٢٠ : ١٣).

٨ - وإذا زنى رجل بامرأة متزوجة يقتل الاثنان معًا.

٩ - وإذا اتخذ رجل امرأة وحين دخل عليها، لم يـجد لها عذرة، وثبت يقينًا أنه لا عذرة لها، ترجم بالحجارة حتى تموت.

١٠ - وإذا خطب رجل عذراء وزنى بها غيره، قبل أن يجتمع معها، فإنها تقتل، لأنه لم يزل هو بكارتها، وتحرق إن كانت من الهارونيين. ففي سفر اللاويين عن بني هرون خاصة: «امرأة زانية أو مدنسة لا يأخـذوا ولا يأخذوا امرأة مطلقة من زوجها. لأنه مقدس لإلهه، فتـحسبه مقدسًا لأنه يقرب خبـز إلهك. مقدسًا يكون عندك لأني قدوس. أنا الرب مـقدسكم. وإذا تدنست ابنة كـاهن بالزنى فقـد دنست أباها بالنار تحرق» (لا ٢١ : ٧- ٩).

وفي شريعة المسلمين:

أولاً: على رأي من يأخـذ في هذا الحكم بالقـرآن وحده، يجلد الزاني مـائة جلدة وتجلد الزانية مـائة جلدة، إذا شهد شهـود - أربعة من خيار المسلمـين عدول - سواء أكان الزاني متـزوجًا أو غير متـزوج، وسواء أكانت الزانية مـتزوجة أو غير مـتزوجة للأدلة الآتية:

١ - ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ ، والألف واللام للعموم.

٢ - قال تعالى في حق الإماء: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ ، والحد الذي يقبل التنصيف هو الجلد، وليس الرجم.

٣ - ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾، والإمساك في البيوت بعد إقامة الحد، يدل على أن الحد هو الجلد، لأن الرجم بعده القبر لا البيت.

٤ - أن الله تعالى ذكر حكم القذف وهو الجلد ثمانون جلدة، ولو كان الرجم مشروعًا لكان أولى الذكر، لأنه إزهاق روح.

ثانيًا: وعلى رأي من يأخذ بالأحاديث - غير المفسرة للقرآن - مع القرآن: يرجم المتزوج والمتزوجة، إذا كانت الزوجية قائمة. فإذا كان متزوجًا، ثم طلق، وزنى وليست عنده زوجة فإنه يأخذ حكم غير المحصن لأن وصف الإحصان منتف عنه في هذه الحالة.

المثال العاشر: حكم الشاهد واليمين:

١ - في سفر التثنية: «على فم شاهدين أو ثلاثةشهود، يقتل الذي يقتل. لا يقتل على فم شاهد واحد. أيدي الشهود تكون عليه أولاً لقتله، ثم أيدي جميع الشعب أخيرًا. فتنزع الشر من وسطك» (تث ١٧ : ٦ - ٧).

٢ - وفي القرآن الكريم: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾

وفي الأحاديث النبوية حديث نصه: «**شاهداك أو يمينه**» وهو موافق للقرآن في الإشهاد. وحديث نصه: «**قضى بيمين وشاهد**» وأبو حنيفة وأصحابه لم يروا اليمين مع الشاهد. وقالوا: إن الله - سبحانه - قسم الشهادة وعددها، ولم يذكر الشاهد واليمين، فلا يجوز القضاء به، لأنه يكون قسمًا زائدًا على ما قسمه الله. وهذه زيادة على النص، وذلك نسخ. وممن قال بهذا القول: الثوري والأوزاعي وعطاء والحكم بن عيينة وطائفة.

المثال الحادي عشر: حكم القسامة:

١ - في سفر التثنية: «إذا وجد قتيل في الأرض التي يعطيك الرب إلهك، لتمتلكها واقعًا في الحقل، لا يعلم من قتله، يخرج شيوخك وقضاتك ويقيسون إلى المدن التي حول القتيل . . . إلخ» (تث ٢١).

٢ - وفي شريعة المسلمين: أن يحلف المدعي خمسين يمينًا على أن القاتل هو فلان. وهو يحلف لأنه لم يقدر على الإثبات بالشهود. هذا رأي. والرأي الآخر: أنه لابد من الإثبات بالشهود. والأيمان الخمسون لا تحل محل الشهود - وعليه فلا قسامة في الإسلام - لقوله ﷺ : «**البينة على من ادعى واليمن على من أنكر**» ومنهم من يعتبر البينة ملزمة للمدعي. وليس على المنكر يمين في أي حال. لأن المدعي هو المطالب بإثبات الدعوى.

* * *

وبعدما فرغنا من ذكر أمثلة على تعدد شرائع النبيين واختلافها في الأحكام وصعوبتها وخفتها، نبين طرفًا من تحريف علماء كل ملة لمعاني في الشريعة. على معنى قوله تعالى عن اليهود: ﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ**﴾

المثال الأول: موسى ليس خاتم النبيين:

١ - صرح القرآن الكريم بأن محمدًا ﷺ خاتم النبيين، في قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾

٢ - وصرحت التوراة بأن موسى لم يصرح بأنه خاتم النبيين: وصرح بنبي يأتي من بعده.

في قوله لبني إسرائيل: «نبيًا من جملة إخوتك. مثلي. يقيم لك الله إلهك. ومنه تسمعون» وجعل علاماته: أنه يخبر عن غيوب وتقع. فـ «ما يقوله المتنبئ باسم الله، ولا يكون ذلك الأمر ولا يأتي. هو الأمر الذي لم يقله الله» فهذا النص من التوراة السامرية، يثبت أن موسى ليس خاتم النبيين. والمراد بالنبي في هذا النص: النبي صاحب الشريعة. والنص القرآني يثبت أن محمدًا خاتم النبيين على الإطلاق. وبعض علماء اليهود حرفوا نص التوراة بقولهم: إن موسى خاتم النبيين. لأنه قال: إن

شريعتي باقيـة إلى الأبد. وبعض علماء المسلمين حرفوا معنى النص بقـولهم سيظهر مُهْدِي منتظر - هو عيسى. على حديث ورد في مقدمة ابن خلدون.

ومن هؤلاء المسلمين الـضالين: أتبـاع الميـرزا غـلام أحمـد القـادياني (١٨٣٦ - ١٩٠٨) فقد زعم أن مـعجزته هي التحدي بتفـسير سور للقرآن يعجـز الراسخون في العلم عن تفسيرها. فـقد جعل لزعيم أعدائه وهو «السيد مهـر علي شاه» في رمضان من سنة ١٣١٨هـ خمسمائة روبية إن فسر سورة الفـاتحة باللغة العربية في بحر سبعين يومًا. ونص كلامه هو: «الذي يعجز عن نشر تفسيره في المدة من ١٥ ديسمبر ١٩٠٠ إلى ٢٥ فبـراير ١٩٠١م فليس من حاجـة إلى دليل آخر لإثبـات كذبه» وفي يوم ٢٠ فبراير ١٩٠١ نشر أحمـد القادياني كتابه المسمى «إعجاز المسيح» وقال فـيه في صفحة (٢٢):

«وإني أريت مبـاشرة في ليلة الثلاثاء، إذ دعوت الـله أن يجعله معجـزة للعلماء، ودعوت أن لا يقـدر على مثله أحـد من الأدباء، ولا يعطي لهم قدرة عـلى الإنشاء، فأجيب دعائي فـي تلك الليلة المباركة من حضرة الكبرياء. وبشـرني ربي وقال: منعه مانع من السـماء. ففهمـت أنه يشير إلى أن العدا، لا يقـدرون عليه، ولا يأتون بمثله ولا كصفته»

المثال الثاني : الحلف بالله:

١ - في الأصحاح الخامس من سفر التثنية: لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً. لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً» (تث ٥ : ١١).

٢ - وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

وبعض اليهود نطقوا باسم الرب باطلاً، لأنهم حلفوا به كذبًا. واليهود حلفوا أيضًا باسم آلهة غير الله. فـقد قال إرمياء النبي في الأصحـاح السابع من سفره: «ها أنكم متكلون على كـلام الكذب الذي لا ينفع. أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحـلفون كذبًا. وتبخرون للبعل، وتسيرون وراء آلهة أخـرى لم تعرفوها. ثم تأتون وتقفون أمامي في هذا البـيت الذي دعي باسمي عليـه. وتقـولون: قد أنقـذنا. حتى تعـملوا كل هذه

الرجاسات؟ هل صار هذا البيت الذي دعي باسمي عليه مغارة لصوص في أعينكم؟ ها أنذا أيضًا قد رأيت: يقول الرب» (إر ٧: ٨ - ١١).

وبعض المسلمين حلفوا بغير الله وأسمائه وصفاته. فقد قال «أحمد بن حنبل»: «إذا حلف بالنبي ﷺ انعقدت يمنيه، لأنه حلف بما لا يتم الإيمان إلا به. فتلزمه الكفارة. كما لو حلف بالله» وهذا يرده ما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب، وهو يحلف بأبيه. فناداهم رسول الله ﷺ: «**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**» وهذا حصر - كما يقول القرطبي في تفسيره - في عدم الحلف بكل شيء سوى الله تعالى وأسمائه وصفاته. وكثيرون من المسلمين جعلوا الطلاق يمين، وجعلوه أعلى من الحلف بالله.

الفصل الثامن عشر
في
الأحكام الفقهية بين القرآن والتوراة

أنزل الله التوراة على موسى عليه السلام. وهي كتاب أحكام فقهية، وعقائد هي إثبات وجود الله وملائكته وكتبه ورسله. والغرض من إنزال هذا الكتاب: هو أن يعمل بنو إسرائيل بما فيه، ليعملوا الأمم ليعلموا بما فيه. إلى أن يظهر محمد رسول الله ﷺ فإن الله نبَّه في التوراة على ظهوره ليبلغهم عن الله شريعة جديدة غير التوراة ليعمل الكل بما فيها. ذلك قوله: «يُقيم لك الرب إلهك نبيا. من وسطك من إخوتك. مثلي. له تسمعون... أُقيم لهم نبيا من بين إخوتهم. مثلك، وأجعل كلامي في فمه؛ فيكلمهم بكل ما أُوصيه به»

ولم تنزل التوراة جملة واحدة. وإنما نزل منها قسم في سيناء على جبل الطور، وقسم في أرض موآب عند الأردن. والقسم الثالث نزل بحسب الوقائع والأسئلة والأحداث وحكاية حال مضى. ففي التوراة: أن رجلا احتطب حطبا في يوم السبت ونزلت آيات في شأنه، وأن بنات صَلُفْحاد طلبوا من موسى عليه السلام ميراثهن في أبيهن، وأن رجلا سب اسم الله؛ فنزلت فيه آيات من التوراة.

١ - ففي سفر العدد: «ولما كان بنو إسرائيل في البرية؛ وجدوا رجلا يحتطب حطبا في يوم السبت. فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطبا إلى موسى وهرون وكل الجماعة؛ فوضعوه في المحرس؛ لأنه لم يُعلن ماذا يُفعل به. فقال الرب لموسى: قتلا يُقتل الرجل. يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة؛ فأخرجه كل الجماعة إلى

خارج المحلة، ورجموه بحجارة؛ فمات. كما أمر الرب موسى» [عدد ١٥:٣٢+]

٢ - وفي التوراة: أن الابن والبنت إذا اجتمعا معا؛ فإن البنت لا ترث والابن هو الذي يرث. وإذا أراد الابن أو أرادت البنت الزواج؛ فليكن الزواج من العشيرة نفسها لئلا ينتقل الميراث من سبط إلى سبط. ومن يفعل غير ذلك؛ فإنه لا يرث في أرض بني إسرائيل.

وقد مات صَلُفحاد وليس له ابن. ولذلك طلبت بناته من موسى أن يعطيهن نصيب أبيهن. ذلك قوله: «فتقدمت بنات صلفحاد بن حافر بن جلعاد بن مِاكير بن منَسَّي من عشائر مَنَسَّي بن يوسف. وهذه أسماء بناته: مَحلة ونوعة وحُجْلة ومِلكة وترصة. ووقفن أمام موسى والعازار الكاهن وأمام الرؤساء وكل الجماعة لدى باب خيمة الاجتماع قائلات: أبونا مات في البرية ولم يكن في القوم الذين اجتمعوا على الرب في جماعة قورح، بل بخطيته مات، ولم يكن له بنون. لماذا يُحذف اسم أبينا من بين عشيرته؛ لأنه ليس له ابن؟ أعطنا ملكا بين إخوة أبينا. فقدم موسى دعواهن أمام الرب.

فكلم الرب موسى قائلا: بحق تكلمت بنات صلفحاد فتعطيهن ملك نصيب بين إخوة أبيهن وتنقل نصيب أبيهن إليهن. وتُكلّم بني إسرائيل قائلا: أيما رجل مات وليس له ابن، تنقلون ملكه إلى ابنته. وإن لم تكن له ابنة، تعطوا ملكه لإخوته. وإن لم يكن له إخوة تعطوا ملكه لإخوة أبيه. وإن لم يكن لأبيه إخوة تعطوا ملكه لنسيبه الأقرب إليه من عشيرته فيرثه. فصارت لبني إسرائيل فريضة قضاء كما أمر الرب موسى» [عدد ٢٧]

«وتقدم رؤوس الآباء من عشيرة بني جلعاد بن ماكير بن منسي من عشائر بني يوسف وتكلموا قدام موسى وقدام الرؤساء رؤوس الآباء من بني إسرائيل. وقالوا: قد أمر الرب سيدي أن يعطي الأرض بقسمة بالقرعة لبني إسرائيل. وقد أُمر سيدي من الرب أن يعطي نصيب صلفحاد أخينا لبناته. فإن صرن نساء لأحد من بني أسباط بني إسرائيل يؤخذ نصيبهن من نصيب آبائنا ويضاف إلى نصيب السبط الذي صرن له. فمن قرعة نصيبنا يؤخذ. ومتى كان اليوبيل لبني إسرائيل يضاف نصيبهن إلى نصيب

السبط الذي صرن له ومن نصيب سبط آبائنا يؤخذ نصيبهن.

فأمر موسى بني إسرائيل حسب قول الرب قائلا: بحق تكلم سبط بني يوسف. هذا ما أمر به الرب عن بنات صلفحاد قائلا: من حسن في أعينهن يكن له نساء ولكن لعشيرة سبط آبائهن يكن نساء. فلا يتحول نصيب لبني إسرائيل من سبط إلى سبط بل يلازم بنو إسرائيل كل واحد نصيب سبط آبائه. وكل بنت ورثت نصيبا من أسباط بني إسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها لكي يرث بنو إسرائيل كل واحد نصيب آبائه. فلا يتحول نصيب من سبط إلى سبط آخر بل يلازم أسباط بني إسرائيل كل واحد نصيبه.

كما أمر الرب موسى كذلك فعلت بنات صلفحاد. فصارت محلة وترصة وحجلة وملكة ونوعة بنات صلفحاد نساء لبني أعمامهن. صرن نساء من عشائر بني منسي بن يوسف فبقى نصيبهن في سبط عشيرة أبيهن» [عدد ٣٦]

والقسم الذي نزل من التوراة في سيناء يُعرف بالتوراة السينائي. والقسم الآخر يُعرف بالمؤابي، وما نزل بين المكانين بحسب الوقائع والفُتيا يُعرف بأنه بين سيناء وموآب.

والأحكام الفقهية ليست كلها في مكان واحد. ففي سفر الخروج جزء، وهو النازل في سيناء. وفي سفر اللاويين جزء. وفي سفر العدد جزء. وأما سفر التثنية فإنه إعادة الشريعة وشرحها على ما حرفه اليهود وهم عائدون من سبي «بابل»

وأحكام التوراة صعبة. ولذلك خففها الله بأحكام القرآن الكريم. ومما يدل على ذلك:

١ - «وإذا نطح ثور رجلا أو امرأة؛ فمات؛ يُرجم الثور، ولا يُؤكل لحمه»

٢ - «من شتم أباه أو أمه؛ يُقتل قتلا»

٣ - «والأرض لا تُباع بتّة؛ لأن لي الأرض، وأنتم غرباء ونزلاء عندي»

٤ - ومن يعمل خطأ سهوا يُقرِّب لله عنزا حولية ذبيحة خطية؛ فيكفر الكاهن عن النفس التي سهت عندما أخطأت بسهو أمام الرب للتكفير عنها؛ فيصفح عنها»

ومن عمل خطأ خفية عن أعين الجماعة سهوا «يعمل كل الجماعة ثورا واحدا ابن بقر؛ مُحَرقة. وتيسا واحدا من المعز؛ ذبيحة خطية»

وقد ذكر الله في القرآن الكريم كثيرا مما شرعه للناس في التوراة؛ ليبين به أن الله خفف عنهم، وأن محمدا هو النبي الأمي المكتوب عندهم. من جهة أنه وهو أمي، لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان؛ قد ذكر مما عندهم. وهذا يدل على أن الله هو الذي أوحى إليه هذا القرآن.

ونوضح ذلك بأمثلة

المثال الأول : الأطعمة والذبائح

في سورة الأنعام:

﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨) وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾

البيان:

الخطاب من الله لليهود عن طريق النبي ﷺ والمسلمون والعالم أجمع مخاطبون بالحكم من خلالهم. وسياق الآيات يدل على ذلك. وفيه **﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾**

والمراد بالمشركين: اليهود لا كفار العرب أهل مكة. فإن أهل مكة لم يكن فيهم كافر بالله. استجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام فيهم **﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾** ولم يكن له حال الدعاء إلا إسماعيل عليه السلام. وضمّن الدعاء أن يَبعث فيهم رسولا منهم. وقد ظهر محمد ﷺ منهم فيهم؛ فيكون تجنيبهم عبادة الأصنام مؤكد من الله. وإن الله وصف اليهود والمسيحيين بالشرك في قوله تعالى: **﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾**

ومعنى الآية: أيها اليهود مكتوب لكم في كتاب التوراة أن تأكلوا مما ذكر اسم الله

عليه. فلا تأكلوا مما ذكر عليه اسم الأصنام. ويدل على أن الله فصّل لليهود ما حرم عليهم من المطعومات: قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ولم يقل «عليكم» أي أن محمدا رسول الله يبلغ إليكم ما أنزل الله عليه. والتفصيل هو في المطعومات لا في المشروبات؛ لأن الخمر غير محرمة إلا على العلماء في أوقات تقديم القرابين. والمنذورين لله والمنذورات. والتفصيل ما يزال موجودا في التوراة. وفيها: ﴿إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ وبيانه: أن يوم السبت محرم فيه الأعمال المعتادة في الزراعة والتجارة والصناعة. وإن وقع خروف في حفرة يوم السبت؛ فإنه يجب على من يراه أنه سيهلك؛ أن يخرجه من الحفرة. والإخراج عمل. وهذا العمل يحل للضرورة. كذلك فرك السنابل في الحقول في يوم السبت مباح لضرورة الجوع. وهكذا.

ثم يقول لليهود: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ أي ما تعملونه سهوا أمام الجماعة، وما تعملونه في الخفاء.

ثم قال للمسلمين: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ﴾ وهم علماء اليهود ﴿لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ وهم النصارى. فإن النصارى أحلوا الميتة والدم ولحم الخنزير وسائر ما حرم من المطعومات ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ في تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير والمذبوح للأوثان ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ العلماء مع الله في التحليل والتحريم كما أشركوا الأحبار والرهبان مع الله.

نصوص من التوراة والإنجيل في الأطعمة:

- «لا تلتفتوا إلى الأوثان. وآلهة مسبوكة لا تصنعوا لأنفسكم. أنا الرب إلهكم»
- «ولكن إن قال لكم أحد: هذا مذبوح لوثن؛ فلا تأكلوا»
- «فماذا أقول»؟ أإن الوثن شيء، أو ما ذُبح للوثن شيء؟ بل إن ما يذبحونه للشياطين لا لله. فلست أريد أن تكونوا أنتم شركاء الشياطين. لا تقدرون أن تشربوا كأس الرب وكأس شياطين. لا تقدرون أن تشتركوا في مائدة الرب وفي مائدة شياطين. أم نغيّر الرب؟ ألعنا أقوى منه؟»

لاحظ: الشياطين في نص الإنجيل.

- «أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا. التي إن حفظتم أنفسكم منها. فنعما تفعلون»

- «بل يُرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم» [تك ٢:٣٥ وخر ٢٠: ٣و ٢٣ وحز ٢٠: ٣٠ واكو٨: ١و ١٠: ٢٠و٢٨ ورؤ٢: ١٤و٢٠]

- «فلا تنجسوا اسمي القدوس بعدُ، بعطاياكم وبأصنامكم»

- «فمن جهة أكل ما ذُبح للأوثان: نعلم أن ليس وثن في العالم وأن ليس إله آخر: إلا واحدا»

- «أن يُلقِي معثرة أمام بني إسرائيل: أن يأكلوا ما ذُبح للأوثان ويزنوا»

- «تُعلِّم وتُغوي عبيدي: أن يزنوا ويأكلوا ما ذُبح للأوثان»

تفصيل المحرمات من الأطعمة:

«لا تأكل رجسا ما. هذه هي البهائم التي تأكلونها. البقر والضأن والمعز والإيّل والظبي واليحمور والوعل والرئم والثيتل والمهاة. وكل بهيمة من البهائم تشق ظلفا وتقسمه ظلفين وتجتر فإياها تأكلون. إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف المنقسم. الجمل والأرنب والوبر لأنها تجتر لكنها لا تشق ظلفا فهي نجسة لكم. والخنزير لأنه يشق الظلف لكنه لا يجتر فهو نجس لكم. فمن لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوا.

وهذا تأكلونه من كل ما في المياه. كل ماله زعانف وحرشف تأكلونه. لكن كل ما ليس له زعانف وحرشف لا تأكلوه. إنه نجس لكم.

كل طير طاهر تأكلون. وهذا مالا تأكلون منه: النسر والأنوق والعقاب والحدأة والباشق والشاهين على أجناسه. وكل غراب على أجناسه. والنعامة والظليم والسأف والباز على أجناسه. والبوم والكركي والبجع. والقوق والرخم والغواص واللقلق والببغاء على أجناسه والهدهد والخفاش. وكل دبيب الطير نجس لكم لا يؤكل. كل طير طاهر تأكلون.

لا تأكلوا جثة ما. تعطيها للغريب الذي في أبوابك فيأكلها أو يبيعها لأجنبي لأنك شعب مقدس للرب إلهك. لا تطبخ جديا بلبن أمه» [تثنية ١٤]

﴿ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾

في الأصحاح الثاني عشر من إنجيل متى:

«في ذلك الوقت ذهب يسوع في البيت بين الزروع. فجاع تلاميذه وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون. فالفرّيسيين لما نظروا قالوا له هوذا تلاميذك يفعلون مالا يحل فعله في السبت. فقال لهم: أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو ومن معه. كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لم يحل أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط. أوما قراتم في التوراة أن الكهنة في السبت في الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياء؟ ولكن أقول لكم: إن ههنا أعظم من الهيكل. فلو علمتم ما هو. إني أريد رحمة لا ذبيحة. لما حكمتم على الأبرياء. فإن ابن الإنسان هو رب السبت أيضا.

ثم انصرف من هناك وجاء إلى مجمعهم. وإذا إنسان يده يابسة. فسألوه قائلين: هل يحل الإبراء في السبوت. لكي يشتكلوا عليه. فقال لهم: أي إنسان منكم يكون له خروف واحد فإن سقط هذا في السبت في حفرة أفما يمسكه ويقيمه؟ فالإنسان كم هو أفضل من الخروف. إذاً يحل فعل الخير في السبوت. ثم قال للإنسان: مد يدك. فمدها. فعادت صحيحة كالأخرى» [متى ١٢]

ويُعلم مما تقدم:

أن الله فصّل لليهود - والمسيحيون طائفة منهم - أسماء المحرمات من الأطعمة وهي نحو عشرين اسما، بالإضافة إلى المحلل المذبوح باسم الأوثان[١]. وفصّل لهم أسماء المحللات من الأطعمة وهي أكثر من أن تُحصى، بالإضافة إلى ما أبيح من المحرمات في حالة الاضطرار.

وهذه المحللات والمحرمات لغير علماء بني إسرائيل؛ فإن الله يقول: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾

وأما في الشريعة الإسلامية. فإن المحرم على الأميين والعلماء أربعة لا غير. فقد أمر الله النبي أن يقول لليهود وللأمم: ﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ

(١) الماعز: محلل. وإذا ذبح باسم الأصنام يكون محرمًا

يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ولكن علماء بني إسرائيل المتظاهرين بالإسلام أيام تدوين الأحاديث النبوية؛ رووا عن النبي ﷺ أنه حرم كل ذي ناب وكل ذي مخلب. ورووا أيضا أنه لم يحرم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطيور. وأشاعوا في المسلمين أن الله أعطى نبيه القرآن ومثله معه. وأن السُنة المنشئة من المثل. وكيف تكون المنشئة من المثل. والله يقول: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾

جعل التحدي بالقرآن كله أو بعشر سور أو بسورة. ولم يجعل من مثل السُنة حديثا واحدا للتحدي؟

وأشاعوا أيضا: أن السُنة مبينة للقرآن. ولئن سألتهم عن الدليل من القرآن على أن السُنة مبينة له؟ فإنهم سيقولون: قوله تعالى:

أ - ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

ب - ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾

ج - ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

فلنقرأ ما قبل الآيات، وما بعدها. وسوف نجد أن ما قبل وما بعد في بني إسرائيل. ويؤكد هذا: قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

فهو يبين لهم ما اختلفوا فيه من معنى الآيات.

أدلة الإمام مالك ومن وافقه في الأطعمة من ظاهر الكتاب والسُنة:

١ - لقد ورد ذكر المحرمات من المطعومات في أكثر من موضع في كتاب الله عز وجل، وكل ما ورد في ذلك إنما جاء بأسلوب الحصر الحقيقي، ففي قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ مبالغة في التأكيد أنه لا يحرم إلا هذه الأصناف الأربعة، وقد بينت الآية أنّ التحليل والتحريم إنما يكون بطريق الوحي، وأن الوحي لم يخبر بزيادة عما ورد في الآية الكريمة.

وقد ورد مثل ذلك في سورة النحل وهي مكية وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ

﴿الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

وكلمة ﴿إِنَّمَا﴾ تفيد الحصر، فقد أفادت آيتان مكيتان حصر المحرمات في هذه الأربعة المذكورة.

وقد ورد مثل ذلك في الآيات المدنية، ففي سورة البقرة ورد قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾

وكلمة ﴿إِنَّمَا﴾ تفيد الحصر فأصبحت هذه الآية مطابقة في دلالتها لما ورد في الآيتين المكيتين.

وفي سورة المائدة ورد قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾

وأجمع المفسرون على أن المراد بقوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ هو ما جاء ذكره بعد هذه الآية بقليل وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

وكل ما ذكر في هذه الآية من المنخنقة والموقوذة والمتردية إنما هو أقسام للميتة، وقد خصت الآية هذه الأصناف من الميتة بالذكر؛ لأن أهل الجاهلية[1] كانوا يستحلونها، ولدفع توهم الفرق بين هذه الأصناف وبين الميتة؛ فجاءت الآية تؤكد أن كل هذه الأصناف إنما هي من الميتة.

٢ - أما من الآثار فقد استدلوا بأدلة عديدة نذكر منها ما يلي [2]:

أ) أخرج عبد بن حميد عن طاووس قال: إن أهل الجاهلية[3] كانوا يحرمون أشياء

---

(١) لا يصح لقيه أن يقول «لأن أهل الجاهلية» في أي موضوع. وذلك لأن العرب كانوا على شريعة موسى. ويجب أن يكتب بده هذه العبارة «لأن اليهود»

واعلم: أن المنخنقة والموقوذة والمتردية لم يكن أحد يستحل واحدة منهم؛ لأن الميتة محرمة في التوراة.

(٢) تفسير المنار المجلد الرابع جـ ٨ ص ١٣٢، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب. فتح القدير جـ ٢ ص ١٧٣ الشوكاني.

(٣) يجب تصحيح العبارة بما نصه: «إن اليهود»

ويستحلون أشياء فنزلت: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ...﴾ الآية .

ب) أخرج عبد بن حميد وأبو داود وابن أبـي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهل الجـاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرا فبعث الله نبيه وأنزل كتابه وأحل حلاله وحرم حرامه ثم تلا هذه الآية: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمٌ...﴾ الآية .

ج) أخرج البـخاري وأبو داود عن ابن عباس رضي اللـه عنهما أنه استـدل بقوله تعـالى: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ...﴾ الآية. في عدم تحريم لحـوم الحمر الأهلية .وقد أجابوا عن اعتراض الجمهور على هذا الرأي بأن القول بحصر المحرمات هو في قوله بعدم تحريم القنفذ.

د) أخرج ابن المنذر وابن أبي حـاتم وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنـها أنها كانت إذا سئلت عن كـل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير؛ تـلت قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾

هـ) أخرج أبو الشـيخ عن الشعبي أنه سـئل عن لحم الفيل والأسد؛ فـتلا الآية: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾

و) روى عن ابن عمـر أنه سئل عن لحوم السبـاع فقال: لا بأس بها. فـقيل له: حديث أبي ثعلبة الخشني فقال: لا ندع كتاب ربنا لحديث أعرابي يبول على عقبيه.

ز) أخـرج البخـاري من رواية عـمرو بن دينار قـال: قلت لجـابر بن زيد: إنهم يزعمون أن رسول الله ﷺ نهى عن لحوم الحمر الأهلية.

فقـال: قد كان يقـول ذلك الحكم بن عمرو الغـفاري ولكن أَبَى ذلك البـحر ابن عباس، وقرأ قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾

وقد أجابوا عن اعتـراض الجمهور على هذا الرأي بأن القول بحـصر المحرمات في هذه المحرمات الأربعة، يلزمـه تحليل النجاسات والمستقذرات وتحليل الخـمر. فقالوا: هذا لا يلزمنا من وجوه [1] :

(١) التفسير الكبير جـ ص ٢٢٠ الفخر الرازي.

ومن اللافت للنظر أن الفخـر الرازي وهو شافعي المذهب قـد أيد مذهب الإمام مالك بينمـا القرطبي المالكي قد أيد مذهب الجمهور.

أ) لقد وصف سبحانه وتعالى الخنزير بأنه رجس، وهذا يقتضي أن النجاسة علّة للتحريم. فكل نجس يحرم أكله.

ب) في قوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ ثبت تحريم كل النجاسات لأنها خبائث.

ج) أجمعت الأمة على تحريم النجاسات، فإذا خصصنا هذه الآيات بما أجمعت عليه الأمة، نوجب أن يبقى ما سوى ذلك على وفق الأصل تمسكا بعموم الآيات.

د) أما الخمر - وهي من المشروبات لا من الأطعمة - فالجواب عنه واضح فقد ورد فيها النص بالحرمة من كتاب الله في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

وهي كذلك رجس ومن الخبائث ؛ فتبقى الآيات على عمومها فيما لم يرد به التخصيص.

* * *

نقد المفسرين:

اضطرب المفسرون في تفسير الآيات التي ذكرناها من سورة الأنعام ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨) وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾

١ - فقد اختلفوا في سبب النزول. فمنهم من قال: إن اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ ومنهم من قال: إن مشركي مكة هم الذين جاءوه. ومنهم من قال: إن أهل فارس هم الذين أرسلوا إلى قريش للسؤال.

٢ - ابتدعوا قراءات أ - للبناء للمعلوم ﴿فَصَّلَ﴾ ب - للبناء للمجهول «فُصِّلَ»

٣ - وأين تم هذا التفصيل؟ ومتى؟

أ - قال بعضهم: إن التفصيل في آخر سورة الأنعام في قوله: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا

أوحي إليّ مُحَرَّمًا ﴾

ب - وقال بعضهم: إن التفصيل في سورة المائدة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخنزير ومَا أُهِلَّ لغيْرِ اللَّه به وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْموقُوذَةُ والْمُتَردِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ ومَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وأَن تَسْتَقْسِمُوا بالأَزْلامِ ذَلكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا من دينكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

ج - وقال بعضهم: إن التفصيل بالسُّـنَّة النبوية.

د - وقال أبو حيان الأندلسي إن ﴿مَا﴾ في ﴿مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ نافية

واختلفوا في الاستثناء في ﴿إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾

أ - منقطع   ب - أم متصل . مع أن التفصيل مختلف في وقت نزوله.

* * *

وقال الله تعالى: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وجعلنا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

البيان:

كان لليهود مملكة عظيمة عاصمتها أرض فلسطين في زمن طالوت وداود - عليهما السلام - وكانوا أحرارا في هذه المملكة، وأحياء على شريعة التوراة. فلما زاغوا عنها وقعوا تحت العـبودية والجزية لملك بابل. وصاروا أمواتا - مجـازا - لأن الميت يحركه محرك، ولا يتحرك هو من تـلقاء نفسه. ومثله العبد يحركـه سيده بإرادته ولا يتحرك هو من تلقـاء نفســه. ولذلك لما خـربت «أورشليم» ووقـعت تحت حكم ملك بابل؛ تعجب الذي مرّ عليها وقال: ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي هذه اللَّهُ بعْدَ مَوْتِهَا ﴾؟ أي بعد خرابها ووقوعها في سبي أهل فارس ثم صاروا يؤدون الجزية لملوك اليونان. ثم أهل الروم من بعدهم. ولم يحررهم من ذل الأجانب إلا مـحمد رسول الله ﷺ . في موقعـة اليارموك [١] التي هي «هَرْمَجَدُّون»

(١) راجع كتابنا هرمجدون ونزول عيسى والمهدي المنتظر - نشـر مكتبة النافذة بالقاهرة وهو الكتاب المسمى بأزمنة الأمم أو نفي علامات الساعة. نشر دار الكتاب العربي - شارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة.

وفي هذه الآية يقول الله لـليهود: كنتم أمـواتا تحت نفوذ الأجانب فـحررناكم من العبـودية بمحمـد رسول الله، وجعلـنا لكم القرآن نورا تمشون فـي ضوئه وسط بلاد اليهود. فـهل من يمشي في نوره ويكون حرا يكون مثل الذي يبقـى في العبودية وفي تعاليم التوراة المحرفة وفي خطايا الكفر بآيات الله؟

إن البقاء في العبودية هو المكث في الظلمة، والتوراة المحرفة هي ظلمة، والإصرار على الكفر هو إصرار على المكث في الظلمات. فآمنوا بالنور الذي أنزلنا.

هذا هو المعنى. وله من التوراة والإنجيل شواهد:

١ - «لا يعلمون ولا يفهمون. في الظلمة يتمشون»

٢ - «الشعب السالك في الظلمة؛ أبصر نورا عظيما»

٣ - «من يتبعني فلا يمشي في الظلمة»

٤ - «أنا قد جئت نورا إلى العالم، حتى كل من يؤمن بي؛ لا يمكث في الظلمة»

٥ - «ليكن طريقهم ظلاما وزلقا»

٦ - وعبر الله عن هول «يوم الرب» وهو يوم معـركة اليارموك بقوله: «يوم ظلام وقتام»

٧ - «يوم الرب هو ظلام لا نور»

٨ - «وأعداؤه يتبعهم ظلام»

وقد تكلمنا عن يوم الرب في كتابنا «يوم الرب العظيم» و«البداية والنهاية لأمة بني إسرائيل»

ولأن مفسري القرآن ليسوا على علم بالتوراة والإنجيل. قالوا: إن الآية في مشركي العرب، وإنهم هم الكافـرون. والحق: أن لفظي الإشراك والكفـر لا يردان في القرآن إلا على اليهود. والنصارى والصابئين فقط.

ثم اختلفوا في سبب النزول:

١ - قيل: إن الآية نزلت في عـمار بن ياسر وأبي جهل ٢ - وقيـل: في عمر بن

الخطاب وأبي جهل ٣ - وقيل: في حمزة بن عبد المطلب وأبي جهل.

* * *

قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦) وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾

البيان:

الذين جعلوا هم اليهود. والجعل هو للأصنام التي كانوا يعبدونها مع الله.

وجعلوا القرابين قسمين. قسم لله وقسم للأصنام. ومعنى ذلك: زين الشيطان لكثير من اليهود، المعبر عنهم بالمشركين أن يقتلوا أولادهم ذكورا وإناثا لكي ترضى عنهم الأصنام.

وهذا مسجل عليهم في التوراة. وقد أدخله سفهاء الرواة في العرب للحط من شأنهم. وتناقله المفسرون وهم يعتقدون أنه هو الحق. وهذا هو مجمل ما تناقلوه:

١ - قالوا: إن الجاعلين هم العرب. ولم يفطنوا إلى قوله تعالى: ﴿ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ - ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ - ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ - ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ ولم يقل إنهم نقضوا العهد.

٢ - قالوا: إن الشركاء هم السدنة الذين كانوا يزينون لهم دفن البنات أحياء. والصحيح: أن المزين لهم هو الشيطان نفسه. وهو فاعل زين. وحذف من الله للعلم به؛ لأن التزيين لا يكون إلا منه. وقتل مفعول به. وقتل مضاف وأولادهم مضاف إليه. وكأن سائلا سأل من هم أولادهم؟ وأجاب: الذين هم شركاؤهم في إرث الله والعمل بدينه. والشيطان وذريته زينوا لهم ليوردوهم موارد الردى وهو الهلاك، وليلبسوا عليهم دينهم. أي يخلطوا الحق بالباطل لئلا يتميزان.

أنا ابن الذبيحين

وروى الرواة: أن عبـد المطلب جد النبي ﷺ نذر في الجاهلية إن وهبـه الله عشرة أولاد أن يذبح أحدهم قـربانا للآلهة. فلما وهبـه الله العشرة عـزم على ذبح أحدهم وفاء بنذره. وخرجت القرعة على «عبـد الله» وهو الولد الأخير منهم. فلما خرجت عليه القـرعة أرسلوا إلى الكهنـة يطلبون حيلة وكـانت أن يُعمل قـرعة بين عـبد الله وعشرة من الإبل. فإن خرجت القرعـة على عبد الله يزيدون عشرا. فلما وافت المائة خرجت القرعـة على الإبل فذبحها وفـدى ابنه عبد الله. الذي هو والد النبي مـحمد ﷺ وقالوا في ذلك: إن النبي كان يقول: «أنا ابن الذبيحين»

نقد الرواية:

قد بينا أن التـوراة كانت لليهود وللأمم. والعـرب من الأمم. وفي التوراة: أن من نذر لله نذرا أو حلف بالله حلفا أنه يلزمه الوفـاء بلا بَدَل. وفي القرآن أن أيوب عليه السلام كـان قد حلف وبر بالحلف ولم يجعل الله له بدلا. ومكتـوب في التوراة: أن من نذر قتل ولده؛ يلزمـه قتله. وليس له أن يتحلل من عدم قتـله ببدل. وفي القرآن أن العرب لم يكونوا عبّاد أصنام، ولم يكونوا من أهل الفترة. وقوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ معناه: لتنذر قوما مـثلما أنذرنا آباءهم. لقوله: ﴿إِنَّـا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾

فعلى أن العرب كانوا على شريعـة موسى، وأنهم لم يكونوا من أهل الفترة؛ يلزم أنه إذا نذر عبد المطلب نذرا؛ أن يوفي به. ولا يطلب من كهنـة اليهود حيلة. وحيث إن عبـد الله قد بقى حـيا حتى أنجب ابـنه محمـد رسول الله. فـإن حديث «أنا ابن الذبحيين» يكون حديثًا موضوعًا، وتكون رواية نذر عبد المطلب باطلة.

والسبب في أن اليهود قد وضعـوا هذه الرواية في الكتب الإسلامية: هو أن التوراة تصف العرب بأنهم أبرار وتصف اليهود بأنهم أشرار. وفي التوراة أن الله سينزع الملك من اليهود لأن اليـهود عبدوا الأصنام. فـوضع اليهود وصفهـم على العرب، وأخذوا وصف العرب لهم؛ ليقولوا: إن النبوة لا تكون إلا فينا.

ففي سفر إشعياء. وهو يتكلم عن مجد مكة بقوله: «قومي استنيري؛ لأنه قد جاء نورك، ومجد الرب أشـرق عليك» يقول: «وشعبك كلهم أبرار» وفي سفـر إشعياء أن اليهود قتلوا أولادهم إرضاء للأصنام، وجعلوا للأصنام نصيبا من الحرث والأنعام.

ونص الأصحاح الخامس والستون:

«أصغـيتُ إلى الذين لم يسألوا. وُجدت من الذين لم يطلـبوني. قلت هأنذا هأنذا لأمّة لم تسم باسمي. بسطت يدي طول النهار إلى شعب مـتمرد سائر في طريق غير صالح وراء أفكاره. شعب يـغيظني بوجهي دائما يذبح في الجنات ويبـخر على الآجر يجلس في القبور ويبيت في المدافن يأكل لحم الخنزير وفي آنيته مرق لحوم نجسة. يقول قف عندك لا تدن مني لأني أقدس منك. هؤلاء دخان في أنفي نار متقدة كل النهار. ها قد كتب أمامي. لا أسكت بل أجـازي. أجازي في حضنهم. آثامكم وآثام آبائكم معا قال الرب الذين بخروا على الجبال وعـيروني على الآكام فأكيل عملهم الأول في حضنهم.

هكذا قال الرب. كما أن السلاف يوجد في العنقود فيقول قائل: لا تهلكه لأن فيه بركة. هكذا أعـمل لأجل عبيدي حـتى لا أهلك الكل. بل أخرج من يعقـوب نسلا ومن يهوذا وارثا لجبالي فـيرثها مختاري وتسكن عبيـدي هناك. فيكون شارون مرعى غنم ووادي عخور مربض بقر لشعبي الذين طلبوني

أما أنتم الذين تركـوا الرب ونسوا جبل قدسي ورتبـوا للسعد الأكبـر مائدة وملأوا للسعد الأصغر خمرا ممزوجة. فـإني أعيّنكم للسيف وتجثون كلكم للذبح لأني دعوت فلم تجيـبوا. تكلمت فلم تسمـعوا بل عملتم الشـر في عيني واخترتم مـالم أُسرّ به. لذلك هكذا قال السـيد الرب. هوذا عبـيدي يفرحـون وأنتم تخربون. هوذا عبـيدي يترنمون من طيبة القلب وأنتم تصرخون من كآبة القلب. ومن انكسار الروح تولولون. وتخلفون اسمكم لعنة لمختاري فيميتك السيد الرب ويسمى عبيده اسما آخر»[إش ٦٥]

وفي المزمور المائة والسادس:

«لم يستأصلوا الأمم الذين قال لهم الرب عنهم بل اختلطوا بالأمم وتعلموا أعمالهم وعبدوا أصنامهم فصارت لهم شركا. وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان. وأهرقوا دما زكيا دم بنيـهم وبناتهم الذين ذبحـوا لأصنام كنعـان وتدنست الأرض بالدمـاء. وتنجسـوا بأعمالهم وزنوا بأفعالهم. فحمى غضب الرب على شـعبه وكره ميراثه. وأسلمهم ليد

الأمم وتسلط عليهم مبغضوهم. وضغطهم أعداؤهم؛ فذلوا تحت يدهم» [مزمور١٠٦]

وأما شريعة النذر لله:

فهذا نص يبين أن رجلا قتل ابنته وفاء لنذره.

ففي الأصحاح الحادي عشر من سفر القضاة:

«فكان روح الرب على يفتاح فعبر جلعاد ومنسّي وعبـر مصفاة جلعاد ومن مصفاة جلعاد عبر إلى بني عمون. ونذر يفتـاج نذرا للرب قائلا: إن دفعت بني عمون ليدي فالخارج الذي يخرج من أبواب بيتي للقائي عـند رجوعي بالسلامة من عند بني عمون يكون للرب أُصعده محـرقة. ثم عبر يفتاح إلى بني عمّون لمحاربـتهم. فدفعهم الرب ليده. فضربهم من عـروعير إلى مجيئك إلى منيت. عـشرين مدينة وإلى آبل الكروم ضربة عظيمة جدا. فذل بنو عمون أمام بني إسرائيل.

ثم أتى يفتاح إلى المصفاة إلى بيته. وإذا بابنته خارجة للقائه بدفوف ورقص. وهي وحيدة. لم يكن له ابـن ولا ابنة غيرها. وكان لما رآها أنه مزق ثيـابه وقال: آه يا بنتي قد أحـزنتني حزنا وصـرت بين مكدريّ لأني قد فـتحتُ فـمي إلى الرب ولا يمكنني الرجوع. فقالت له: يا أبي هل فتحت فـاك إلى الرب؟ فافعل بي كما خرج من فيك بما أن الرب قد انتـقم لك من أعدائك بني عمـون. ثم قالت لأبيها: فليـفعل لي هذا الأمر. اتركني شـهرين فـاذهب وانزل على الجبال وابكي عـذراويتي أنا وصاحـباتي. فقال: اذهبي وارسلها إلى شهرين فذهبت وصاحـباتها وبكت عذراويتها على الجبال. وكان عند نهـاية الشهرين أنهـا رجعت إلى أبيـها ففعل بـها نذره الذي نذر. وهي لم تعـرف رجلا فصـارت عادة في إسـرائيل. أن بنات إسـرائيل يذهبن من سنة إلى سنة لينحن على بنت يفتاح الجلعادي أربعة أيام في السنة» [قضاة ١١]

* * *

القـراءات في قوله تعـالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾

قال المفسرون وليتهم ما قالوا:

١ - قرأ جمهور العلماء ﴿زَيَّنَ﴾ مبنيًا للفاعل. والفاعل ﴿شُرَكَاؤُهُمْ﴾ و ﴿قَتْلَ﴾

مفعول به.

وإعرابهم خطأ. وذلك لأن الشركاء في الآية هم الأولاد. والأولاد لم يزينوا لهم أن يقتلوهم. وفي القرآن ما يدل على أن الشركاء هم الأولاد. وهو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ فقد جعل ملك اليمين شركاء السادة في الرزق. فأولى أن يكون الأولاد مكان ملك اليمين. وعلى فرض أن الشركاء هم السدنة، وأنهم زينوا. فإن المزين الأصلي للشركاء هو الشيطان. فيكون الفاعل هو الشيطان. وحذف من الله للعلم به.

٢ - قرأ ابن عامر: ﴿زُيِّنَ﴾ - «قتلُ» - «أولادهم شركائهم» فأين النائب عن الفاعل؟ لابد أنه الشيطان. لأنه وصف الأولاد بالشركاء، ولم يجعل الشركاء فاعلا.

وقد رد الإمام الزمخشري رضي الله عنه هذه القراءة، ولكنه لم يحسن تأويل ردها. وتأويل ردها هو ما ذكرناه.

وقد وقع بعض المفسرين في خطأ لن يغفره الله لهم. وهو أنهم قالوا: إن ابن عامر وجد في بعض المصاحف مكتوبة بالياء. فقرأها سبعية على ما وجد.

فكيف مع هذا تقولون إنها سبعية متواترة؟

ولو كانت قراءة ابن عامر سبعية متواترة؛ ما قرأ السلمي والحسن وأبو عبد الملك قاضي الجند صاحب ابن عامر بقوله: «زُين» . «قتلُ» - «أولادِهم» - «شركاؤُهم» بجر الأولاد ورفع الشركاء. على إضمار فعل محذوف تقديره زينه شركاؤهم. أو فاعلا بالمصدر. أي قتل أولادهم شركاؤهم.

ملاحظة:

إن الزمخشري الإمام - رضي الله عنه - لم يقل وحده إن ابن عامر وجدها في بعض المصاحف مكتوبة بالياء فنقلها وقرأ بها وزعم أنها سبعية. فقد قال معه بذلك شيخ الإسلام محمد بن عمر. فخر الدين الرازي. وشيخ المفسرين ابن جرير الطبري. وقد رأيت في كتاب «في اللاهوت والسياسة» أن سبب اختلاف ألفاظ في التوراة هو أن الكاتب الآتي بعد الكاتب الأول ما كان يحسن قراءة كلمة فيضعها في الهامش كما

هي. ويجيء مَنْ بعده فيكتب الكلمتين.

ملاحظة:

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: من أراد أن يعلم جهل العرب؛ فليقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام إلى قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ وقد بينا أن الذين قتلوا هم اليهود، وأن القتل كان إرضاء للأصنام. وعلى ذلك فإن ما نسب إلى ابن عباس ليس صحيحا.

* * *

قال الله تعالى: ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

البيان:

في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: أن سبب النزول في مشركي العرب. وقوله باطل، لأن سياق الآيات في اليهود، ولأن العلم بالتوراة في اليهود، ولأن النص المشار إليه في التوراة.

وهذا هو البيان:

١ - الضأن منه ذكر وأنثى

٢ - والمعز منه ذكر وأنثى

وفي الذكر أمعاء ومصارين وطحال وكبد وقلب. والأنثى مثله. ولكن السؤال ههنا هو عما في بطن الأنثى. إذ هي قد تكون حاملا بجنين. اضبط هذا.

٣ - الإبل منه ذكر وأنثى.

٤ - والبقر منه ذكر وأنثى.

وفي كل أمعاء. . .

أ - فما هو المحرم على علماء بني إسرائيل الهارونيين واللاويين من دون الناس؟

ب- وما هو المحرم على الناس؟

واعلم: أن هذا الموضوع في القرابين التي يقدمها الناس لتحرق على المذبح تقربا إلى الله. والمقربون للقرابين هم الكهنة علماء بني إسرائيل.

١ - أما الإبل فإنها محرمة على العلماء وعلى الناس، ولا تصح منها القرابين. فالذكر منها والأنثى وما اشتملت عليه رحم الأنثى؛ محرم أكله في القربان وفي الطعام العادي.

٢ - وأما البقر «فذكرا صحيحا يقربه» في قربان المحرقة.

٣ + ٤ «وإن كان قربانه من الغنم. الضأن والمعز. محرقة. فذكرا صحيحا يقربه» «وأما الأحشاء والأكارع فيغسلها بماء ويقرب الكاهن الجميع ويوقد على المذبح» - «ويرتب بنو هرون الكاهن؛ القِطع مع الرأس والشحم فوق الحطب الذي على النار التي على المذبح»

وهذا في الأصحاح الأول من سفر اللاويين. ومعناه: أن القرابين للمحرقة لا تجوز من الإبل وتجوز من ذكور الأنواع الثلاثة وأن الشحم يحرق بالنار، ولا يجوز للمحرقة من الإناث .أما قربان ذبائح السلامة فيجوز من البقر ذكرا أو أنثى. ويحرق الشحم الذي يغشي الأحشاء وسائر الشحم الذي على الأحشاء والكليتين والشحم الذي عليهما الذي على الخاصرتين. وزيادة الكبد مع الكليتين ينزعها، ويوقدها بنو هرون على المذبح فوق الحطب.

وإن كان قربان السلامة من الغنم فذكرا أو أنثى صحيحا يقربه.

وإن كان قربانه للسلامة من المعز؛ يقدمه أمام الرب. ذكرا كان أو أنثى.

وهذا في الأصحاح الثالث من سفر اللاويين.

وذبيحة المحرقة: تحرق كلها. وذبيحة السلامة هي من أجل النذر.

وذبيحة الخطية: هي عن أخطاء عملها الإنسان خطأ. ورآه الناس وذبيحة الإثم: عن أخطاء عملها الإنسان خُفية عن أعين الناس.

وقربان الخطايا: ثور من البقر لرئيس الكهنة إذا أخطأ. وللجماعة. والتيس من المعز لخطية رئيس في اليهود أو ملك. وقربان عن خطية أي إنسان هو عنز من المعز أو أنثى من الضأن.

ونرجع إلى تفسير الآيات: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

١ - إنه حرم الإناث من الضأن والمعز في قرابين المحرقة، وتحريم الإناث يستتبعه تحريم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين. وعلم هذا من التوراة من سفر اللاويين. وأباح الإناث في قربان السلامة من الضأن والمعز، وفي قربان الخطية لأي إنسان من اليهود.

٢ - إنه حرم الإبل ذكورا وإناثا في القرابين وغير القرابين.

٣ - إنه حرم أنثى البقر في ذبيحة المحرقة، ولم يحرمها في قربان السلامة.

ولما لم يكن اليهود المعاصرون للنبي ﷺ حاضرين وقت نزول القرآن. ومع عدم حضورهم يعترفون بصحة هذه الأحكام. قال لهم فلماذا لا نعترفون بصحة ما جاء في التوراة عن محمد ﷺ؟

ثم أمر نبيه ﷺ أن يعلن لهم أن الله خفف عليهم في المطعومات بقوله: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾

ثم ذكر دليلا على نبوة محمد ﷺ يشبه الدليل المستنبط من ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ فقال: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦) فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾

البيان:

١ - إنه حرم على الأميين والعلماء كل ذي ظفر. وهذا هو النص:

«وكلم الرب موسى وهرون قائلا لهما: كلما بني إسرائيل قائلين: هذه هي الحيوانات التي تأكلونها من جميع البهائم التي على الأرض. كل ما شق ظلفا وقسمه ظلفين ويجتر من البهائم فإياه تأكلون. إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف. الجمل. لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا؛ فهو نجس لكم. والوبر. لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا؛ فهو نجس لكم. والأرنب. لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم. والخنزير. لأنه يشق ظلفا ويقسمه ظلفين لكنه لا يجتر؛ فهو نجس لكم. من لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوا. إنها نجسة لكم. وهذا تأكلونه من جميع ما

في المياه. كل ما له زعانف وحرشف في الميـاه. في البحار وفي الأنهار فإياه تأكلون. لكن كل ما ليس له زعـانف وحرشف في البحار وفي الأنهـار من كل دبيب في المياه ومن كل نفس حيـة في المياه ؛فـهو مكروه لكم. ومكروها يكون لكم. من لحـمه لا تأكلوا وجثته تكرهون. كل ما ليس له زعانف وحرشف في المياه؛ فهو مكروه لكم.

وهذه تكرهونهـا من الطيور. لا تؤكـل. إنها مكروهة. النسـر والأنوق والعقـاب والحدأة والباشق على أجنـاسه. وكل غراب على أجناسه. والنعامـة والظليم والسأف والباز على أجناسـه. والبوم والعغاص والكُركِي. والبـجع والقوق والرخم. واللقلق والببغا على أجناسه والهدهد والخفاش. وكل دبيب الطير الماشي على أربع فهو مكروه لكم. إلا هذا تأكلونه من جـميع دبيب الطيـر الماشي على أربع. مـاله كراعـان فوق رجليـه يثب بهمـا على الأرض. هذا منه تأكلون. الجـراد على أجناسـه والدبا على أجناسه والحرجوان على أجناسـه والجندب على أجناسه. لكن سائر دبيب الطير الذي له أربع أرجل فهو مكروه لكم. من هذه تـتنجسون. كل من مس جثتهـا يكون نجسا إلى المساء. وكل من حـمل من جثتـها يغسل ثيابه ويـكون نجسا إلى المساء. وجـميع البهائم التي لها ظلف ولكن لا تشقه شقا أو لا تجـتر؛ فهي نجسة لكم. كل من مسها يكون نجسا. وكل ما يمشي على كـفوفه من جميع الحيوانات الماشـية على أربع؛ فهو نجس لكم. كل من مس جثتهـا ؛ يكون نجسا إلى المساء. ومن حمل جثـتها؛ يغسل ثيابه ويكون نجسا إلى المساء. إنها نجسة لكم.

وهذا هو النجـس لكم من الدبيب الذي يدب عـلى الأرض. ابن عـرس والفـأر والضب على أجناسه. والحرذون والورل والوزعة والعظاية والحرباء. هذه هي النجسة لكم من كل الدبيب. كل من مسهـا بعد موتها يكون نجسـا إلى المساء. وكل ما وقع عليه واحـد منها بعـد موتهـا يكون نجسـا. من كل متاع خـشب أو ثوب أو جلد أو بلاس. كل متاع يعمل به عمل يلقى في الماء ويكون نجسا إلى المساء ثم يطهر» [لاويين: ١١]

٢ - وحـرم على العلماء المقـربين للقـرابين من البقـر والغنم أ - الشحـوم ب - والحوايا التي هي الأمعاء ج - والشحم المختلط بالعظم.

وهذا هو النص:

في بدء سفر اللاويين:

«ودعا الرب موسى وكلمه من خيمة الاجتماع قائلا: كلم بني إسرائيل وقل لهم: إذا قرب إنسان منكم قربانا للرب من البهائم فمن البقر والغنم تقربون قرابينكم. إن كان قربانه محرقة من البقر فذكرا صحيحا يقربه. إلى باب خيمة الاجتماع يقدمه للرضا عنه أمام الرب. ويضع يده على رأس المحرقة فيرضى عليه للتكفير عنه. ويذبح العجل أمام الرب ويقرب بنو هرون الكهنة الدم ويرشون الدم مستديرا على المذبح الذي لدى باب خيمة الاجتماع. ويسلخ المحرقة ويقطعها إلى قطعها. ويجعل بنو هرون الكاهن نارا على المذبح ويرتبون حطبا على النار. ويرتب بنو هرون الكهنة القطع مع الرأس والشحم فوق الحطب الذي على النار التي على المذبح. وأما أحشاؤه وأكارعه فيغسلها بماء ويوقد الكاهن الجميع على المذبح محرقة وقود رائحة سرور للرب.

وإن كان قربانه من الغنم. الضأن أو المعز، محرقة؛ فذكرا صحيحا يقربه. ويذبحه على جانب المذبح إلى الشمال أمام الرب. ويرش بنو هرون الكهنة دمه على المذبح مستديرا ويقطعه إلى قطعه مع رأسه وشحمه ويرتبهن الكاهن فوق الحطب الذي على النار التي على المذبح. وأما الأحشاء والأكارع فيغسلها بماء ويقرب الكاهن الجميع ويوقد على المذبح. إنه محرقة وقود رائحة سرور للرب.

* * *

وإن كان قربانه للرب من الطير محرقة يقرب قربانه من اليمام أو من أفراخ الحمام. يقدمه الكاهن إلى المذبح ويحز رأسه ويوقد على المذبح ويعصر دمه على حائط المذبح. وينزع حوصلته بفرثها ويطرحها إلى جانب المذبح شرقا إلى مكان الرماد. ويشقه بين جناحيه. لا يفصله. ويوقده الكاهن على المذبح فوق الحطب الذي على النار. أنه محرقة وقود رائحة سرور للرب» [لاويين ١]

وبعد ذكر الوصايا. وهي: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلا

تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون (١٥٢) وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾

قال: ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون (١٥٤) وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾

وبيّن عن التوراة أنها: ﴿ تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء ﴾ ومن تفصيل كل شيء محرم أو محلل قوله: ﴿ وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾ - ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب ﴾ - ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك ﴾ وأمر باتباع الكتاب الأخير بقوله: ﴿ فاتبعوه ﴾

ثم قال لليهود المعاصرين للنبي ﷺ: لقد بينا لكم حتى جعلكم بياننا كآبائكم الأقدمين في معرفة ما في التوراة: ﴿ أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين ﴾ [الانعام:١٥٦] والمراد بالطائفتين: السامريين والعبرانيين.

ثم هدد اليهود المعاصرين بقوله: ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون ﴾ والمراد بالملائكة: أصحاب محمد ﷺ فإنهم مشبهون بالملائكة في نبوءة فاران[1] [تث ٣٣: ١ - ٣] وإنهم سيأتون في فلسطين للملك عليها في معركة الساعة التي ستكون في «يوم الرب» كما في الأصحاح الرابع والعشرين من إنجيل متى: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة؛ فلا يعلم بهما أحد. إلخ» ﴿ أو يأتي ربك ﴾ أي سيدك إلى قتالك في فلسطين. يعني إتيانه مع أصحابه ملائكته بنفسه، في حال حياته، أو إتيان أصحابه من بعده من بعد وفاته. كما قال: ﴿ وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ والمراد ببعض آيات ربك: و الحرب لخراب أورشليم. فإذا أنت شاهدت بعينيك هؤلاء الأصحاب وأردت أن تسلم؛ لن ينفعك الإسلام.

(١) «... جاء محاطًا بعشرات الألوف من الملائكة» وقد سبق ذكر هذا النص

هذا باختصار تفسير يفهمه بسهولة أهل الكتاب. وقد ذكرته لأبين به أن الخطاب في سورة الأنعام بآيات الأطعمة لليهود، الذي هم بربهم يعدلون به آلهة أخرى. وليست للعرب.

* * *

وهذا مثال أذكره أيضا لأصحح به حكما فقهيا في الكتب الإسلامية

وهو حكم القصاص أو الدية:

نبين ههنا: أن المسلمين جميعا قد أخطأوا في ترك القصاص من القاتل عمدا، ببدل هو التصالح على الدِّية، أو بغير بدل هو العفو؛ ذلك بأنهم قالوا: إن الدية مشروعة في الشريعة الإسلامية، وما كانت الدية في بني إسرائيل. هذا هو قولهم الذي اتفقوا عليه. وعليه فسروا قوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ** ﴾ بقولهم: إن من كان قبلنا لم يفرض الله عليهم غير النفس بالنفس. فتفضل الله على هذه الأمة الإسلامية بالدية، إذا رضى بها ولي الدم. والحق في هذا الموضوع: هو العكس. وهو أن الدية كانت في بني إسرائيل. أو القصاص. وقد أوجب الله في القرآن على المسلمين القصاص، وحرم عليهم الدية، وحرم عليهم العفو عن القاتل، ببدل أو بغير بدل، ونسخ القرآن حكم الدية المذكور في التوراة.

ففي الأصحاح الحادي والعشرين من سفر الخروج:

«وإذا تخاصم رجلان فضرب أحدهما الآخر بحجر أو بلكمة ولم يقتل بل سقط في الفراش. فإن قام وتمشى خارجا على عكّازه يكون الضارب بريئا. إلا أنه يعوض عطلته وينفق على شفائه. وإذا ضرب إنسان عبده أو أمته بالعصا فمات تحت يده ينتقم منه. ولكن إن بقى يوما أو يومين لا ينتقم منه لأنه ماله. **وإذا تخاصم رجال وصدموا امرأة حبلى فسقط ولدها ولم تحصل أذية؛ يغرم كما يضع عليه زوج المرأة ويدفع عن يد القضاة.** وإن حصلت أذية تعطي نفسا بنفس. وعينا بعين وسنا بسن ويدا بيد ورجلا برجل. وكيا بكي وجرحا بجرح ورضا برضّ. وإذا ضرب إنسان عين عبده أو عين أمته فأتلفها يطلقه حرا عوضا عن عينه. وإن أسقط سن عبده أو سن أمته؛ يطلقه حرا عوضا عن سنه.

وإذا نطح ثور رجـلا أو امرأة فمـات يرجم الثور ولا يؤكل لحـمه. وأمـا صاحب الثور فيكون بريئا. ولكن إن كان ثورا نطاحا من قبل وقد أشـهد على صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلا أو امرأة فالثور يرجم وصاحبه أيضا يقتل. إن وضعت عليه فدية يدفع فداء نفسه كل ما يوضـع عليه. وإذا نطح ابنا أو نطح ابنة فبحـسب هذا الحكم يفعل به. إن نطح الثور عبدا أو أمة يعطى سيده ثلاثين شاقل فضة والثور يرجم»

البيان:

أولا: الحر بالحـر والأنثى بالأنثى في شريعـة التوراة لا في شريعـة القرآن. وليس الحر بالعـبد وليست الأنثى الحـرة بالأمة. هذا هو حكم التوراة. وقـوله: «ينتقم منه» معناه: يدفع الدية. وإن مات العبد المـضروب أو الأمة المضروبة «لا ينتقم منه» أي لا قصاص بين الأحرار والعبيد. فإن قلت: هذا الحكم بين الحر وبين عبده. وإذا قتل الحر عبدا ليس له. فهل يقتص من الحر بعبد غيره أم يدفع الدية؟ إن المذكور في هذا النص هو الدية. ذلك قوله: «إن وُضعت عليه فدية يُدفع فداء نفسه كل ما يوضع عليه»

وبسبب الجهل بهذا الحكم اضطربت أقـوال فقهائنا في ﴿الْحُرُّ بِالْحُـرِّ﴾ حـتى أن بعضهم لما أعيـتهم الحيلة في فهم المعنى؛ نسبوا إلى ابن عبـاس رضي الله عنهما أنها منسوخـة وقالوا بعد إثبات النسخ: «وهو قـول أهل العراق» ونسوا ما نسـبوه إلى ابن عباس في النسخ، ونسبوا إليه أن الآية محكمة بدليل أن النبي ﷺ قتل يهوديا بامرأة.

وواضع هذا الحديث علـى فم رسول الله ﷺ لم يفطن إلى حكم الله في اليـهود وهو أنهم إذا دفعوا الجزية يتحاكمون فـيما بينهم على شريعتهم. وإذا قتل واحد منهم مسلما؛ يشكوه المسلمون إلى رئيسـه؛ لأنه أخلّ بشرط الجزية وهو المسالمة. فإن اقتص منه. وإلا تُنتقض أحكام الجزية ويقاتلهم المسلمون جميعا. لغدرهم بالعهود والمواثيق.

وقال القرطبي المفسـر: إن الإجماع منعقد فيمن قـتل عبدا خطأ؛ أنه ليس عليه إلا القيمة. وحكايـته الاجماع منقوضة بقول ابن أبي ليلـى وداود بالقصاص بين الأحرار والعبيد في النفس وفي جميع الأعضـاء. واستدل داود بقوله عليه السلام: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم»

وبقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ

بالأُذُن وَالسِّنَّ بالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

واستدلال داود الظاهري في غير محله.

أما الحديث فلأنه آحاد لا يصح الاحتجاج به في الفقه وخاصة في الدماء. وفيه ما يدل على أن ناسبه إلى المعصوم عليه السلام له غرض سيء منه وهو: أن يهودا لو أغاروا على مسلمين. فمن المحتمل أن يظهر يهودي بمظهر المسلمين ويكبر بأعلى صوته: قائلا: أنا أسعى بذمة هؤلاء. وينوب عنهم في المفاوضات. ولن تكون في صالح المسلمين؛ لأن الحرب خدعة. وأما الآية القرآنية. فإنها حكاية عن مكتوب في التوراة. لا يلزمنا الأخذ به. بدليل قوله: ﴿ **فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ** ﴾ وليس في القرآن دية ولا عفو عن القصاص. والقصاص ثابت في الإسلام من قوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ ومفهومه أن تركه موت. والدية تنجي من الموت. فلا تكون في الدِّين. ومن قوله تعالى: ﴿**مَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا**﴾

وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا قصاص بين الأحرار والعبيد إلا في النفس. لا في سائر الأعضاء. وقوله هذا لا يعتد به إذ لا دليل على التفرقة. ولئن قال: إن التفرقة مأخوذة من قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً**﴾ فإن العلماء لا يدخلون العبيد فيه. فقوله مردود عليه؛ لأن المؤمن لفظ عام يطلق على الحر والعبد والذكر والأنثى ولا يخصص العام إلا بدليل قرآني. أما الحديث فإنه لا يصلح مخصصا للعام؛ لأنه ليس في قوة القرآن. إذ الحديث مروي بالمعنى، وفي الأحاديث تلبيس وتدليس من الرواة. وهذا لا ينكره إلا خائن لدينه.

وقال ابن العربي: «ولقد بلغت الجهالة بأقوام إلى أن قالوا: لا يقتل الحر بعبد نفسه»

أعد قراءة قول ابن العربي، ودقق النظر فيها؛ تجدها هي حكم التوراة. أدخله في المسلمين، ووصفهم بالجهل. لأن قتل الحر بعبد نفسه هو شريعة الإسلام ومن يفتي بهذا الحكم لا يعدّ جاهلا. أما الذي يفتي بعدم قتل الحر بعبده؛ فإن الشبهة في أنه

يهودي متظاهر بالإسـلام واضحة فيه - إذْ هذا هو حكم التوراة المنسـوخ - كما يقول الله تعـالى عن هؤلاء المنافـقين: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ ولم يكتـفـوا بوصف المسلمين بالجهالة. بل أضافـوا إلى هذا الوصف قولا لم يقله رسول الله ﷺ وهـو: «من قتل عبده؛ قتلناه» وهو حديث ضعيف. ولم يكتفوا بالوصف والإضافة بل أوّلوا الآيات القرآنية تأويلا سيئـا فإنهم قالوا: «ودليلنا قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ والولي ههنا هو السيد فكيف يجـعل له سلطانًا على نفسه» وتأويلهم هذا باطل، لأن الولي ههنا هو رئيس المسلمين نيابة عن النبي ﷺ.

وفي سورة الأحزاب بعدما نفى انتسـاب أولاد العبد إلى سيده، وقال: ﴿ادْعُـوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ وهم العبيد.

قال: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾

والكتاب: هو التوراة. ومايزال الحكم فيها لم يحذفه اليهود منها.

ثانيا: قد بينا أن الدية يدفعها الحر عن قتل عبده حال الضرب.

ونبين: أن المرأة الحبلى إذا سقط ولدها في مشاجرة فمات وهي لم تمت؛ فإن الدية تكون في مـقابل موت الـولد. وإذا مات الولد وحصـلت أذية لأمّه بأن مـاتت. فإن النفس بالنفس. وإذا تلف عضو منها فإن العين بالعين.

والحالة الثـالثة للدية هي: حالة الثـور النطاح الذي نبه الناس صاحـبه على خطره ولم يحبسه.

ثالثا: مـعنى آية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

المعنى: يا أيها الذين آمنوا على شـريعة التوراة من اليهـود والأمم من قبل أن ينزل القرآن كُتب عليكم في التـوراة القصاص في القتلى. وكـتبت عليكم الدية. فإن عفي

عن القصـاص - وهو أحد الشيئين - أي إن عـفي عن شيء من الشيئـين. فالشيء الآخر يؤدي إلى أهل المقتول بإحسان.

ولم يعلل الحكم بالدية بأنه تخفيف عليهم من الله ورحمة.

والضمير وهو ﴿كُمْ﴾ في ﴿ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ يدل على أن الآية في اليهود. والمعنى : ذلك القرآن تخـفيف من ربكم ورحمة. لا الدية. والدليل على أن ﴿ذلك﴾ للقرآن قوله ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ وبعدما ذكر القصاص أو الدية علل بقوله عنه: ﴿ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾

وسيـاق الكلام يدل على أنها في اليـهود خاصـة ومن كان معـهم على دينهم من الأمم؛ فإنـه قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وهـم علماء اليـهود. ثم قال: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ﴾ ثم قال: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾. والنص موجود في التوراة. ولم يعلل الحكم عليهم بقوله: ﴿ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ لأن التوراة شريعة صعبة والتخـفيف في شريعة القرآن. ولأن الإشارة بقوله: ﴿ ذَلِكَ تَخْفِـيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْـمَـةٌ﴾ إلى القرآن الكريم؛ فإنـه تكلم عن كتابين كتاب أنزله الـله يكتمونه ويشترون به ثمنا قـليلا؛ وكتاب أنزله الله بالحق وهو القرآن. ولـما نزل بالحق اختلفوا فيه ولم يقبلوه. كما قال في سورة أخرى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ① عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ② الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ فكأنه يقول: ذلك الكـتاب الذي نزل بالحق وهو القرآن؛ تخـفيف فاقبلوه ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ﴾ نزول ﴿ذَلِكَ﴾ الكتاب النازل بالحق ﴿ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

وبيـان ذلك: أن كل مدينة من المدن اليـهودية قـبل نزول القرآن؛ كـانت تتعـامل بالتوراة. ومـنهم من له علاقة بـينه وبين الله، ومنهم من له علاقـة بينه وبين الناس. فإذا بلغهم القرآن. فإنهم مكلفون من التوراة بالسماع له والعمل به.

وكيف يعـملون به وبينهم حقـوق ومعامـلات لابد من أدائها، وبعضـها سيـسقط بموجب الشريعة الجديدة؟

والإجابة هي: جاء في القرآن الكريم: إن كل الحقوق التي لله والتي للعباد؛ تسقط

عن اليهودي إذا دخل في دين الإسلام. ذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ وإذا لم يدخل في دين الإسلام؛ فإنه يكون متعديا على الشريعة ليس على القرآن وحده، بل على القرآن والتوراة معا. والمتعدي في هذه الحالة يكون مستوجبا لعذاب أليم [1]. وهو العذاب في «يوم الرب»

وقوله تعالى: ﴿ مِنْ أَخِيهِ ﴾ قرينة تدل على أن الكلام في بني إسرائيل. فإن التوراة: تعبر عن العبد اليهودي بالأخ. ففي الأصحاح الخامس عشر من سفر التثنية: «إذا بيع لك أخوك العبراني، أو أختك العبرانية، وخدمك ست سنين؛ ففي السنة السابعة تطلقه حرا من عندك، وحين تطلقه حرا من عندك؛ لا تطلقه فارغا. تزوده من غنمك ومن بيدرك ومن معصرتك. كما باركك الرب إلهك؛ تعطيه»

وهذا هو معنى ﴿ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ أي التوراة

وروى الرواة في إسقاط القصاص بالدية: أن أخت الربيع أم حارثة جرحت إنسانا فاختصموا إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «القصاص القصاص» فقالت أم الربيع: أتقتص من فلانة؟ والله يقتص منها. فقال النبي ﷺ: «سبحان الله يا أم الربيع. القصاص كتاب الله» قالت: لا والله لا يقتص منها أبدا. قال: فمازالت حتى قبلوا الدية» «مسلم والنسائي»

ومن أوجه النقد في هذه الرواية: أن المؤمنة ردت حكم الله. وهذا يخرجها من الإيمان. فلماذا لم يقم عليها حد الردة؟ يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾

وقوله إنهم قبلوا الدية. يدل على نفي القصاص. الذي قال الله في حقه: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ولم يقل ولكم في الدية حياة. ويستتبع إسقاط القصاص بالدية أن يتجرأ الأغنياء على الفقراء. ويقتلونهم بأموالهم. وهذا

---

(١) راجع كتابنا «يوم الرب العظيم في التوراة والإنجيل والقرآن» - نشر دار الكتاب العربي بالقاهرة ودمشق. وكتابنا «البداية والنهاية لأمة بني إسرائيل» - نشر دار الكتاب العربي

ضد مقاصد الشريعة. وقد كانت الدية في اليهود إصرا وأغلالا من هذه الجهة.

ومما يدل على معرفة الرواة المنافقين بأحكام التوراة: ما نسبوه إلى أبي هريرة رضي الله عنه وهو: «اقتتلت امرأتان في هذيل. فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها؛ فاختصموا إلى رسول الله ﷺ فقضى بأن دية جنينها غرة عبد أو وليدة، وقضى بدية المرأة على عاقلتها، وورثها ولدها ومن معهم» [مسلم - كتاب القسامة]

ودية الجنين مذكورة في التوراة وهي تكون بتقدير أباه.

وأما المقتولة - وهي الأم - ففيها القصاص. وغرض الراوي: أن يبين للناس أن محمدا ﷺ ينقل أحكامه من التوراة بلا تثبت. وهو غرض خبيث. ففي سفر الخروج :«وإذا تخاصم رجال وصدموا امرأة حبلى فسقط ولدها، ولم تحصل أذية؛ يُغْرَّم كما يضع عليه زوج المرأة ويدفع عن يد القضاة. وإن حصلت أذية - أي لأمه - تُعطى نفسا بنفس وعينا بعين. . .» [خر ٢١:٢٢ - ٢٤]

وتجرأ الرواة على رسول الله ﷺ فنسبوا إليه إسقاط القصاص بغير دية. وإذا سقط القصاص وسقطت الدية. وحل العفو محلهما فأي حياة تكون لأولي الألباب؟ روى عن أبي شريح الخزاعي أن النبي ﷺ قال: «إما يعفو، وإما أن يأخذ الدية» [سنن ابي داود، وابن ماجه].

أي أنهم أضاعوا القصاص الذي هو حق المجتمع وأولوا آية القصاص تأويلا فاسدا.

ورووا عن النبي ﷺ أنه أزاد على أحكام الله أحكاما لم ينص الله عليها في القرآن. ونحن نعلم أن السُنة النبوية ليست سُنة منشئة، وإنما هي سُنة مفسرة.- على رأي- ففي سنن ابن ماجه وحسنه الترمذي: «أتى رسول الله ﷺ السارق فقطعت يده، ثم أمر بها فعلقت في عنقه» والعقوبة الإلهية هي القطع وحده.

وفرق الفقهاء بين عقوبة القصاص وبين الحدود في العفو.

فقالوا: يجوز العفو عن القاتل ويجوز التصالح قبل إعلام الحاكم بالقاتل والمقتول أو بعد إعلامه. ويجوز العفو في الحدود قبل إعلام الحاكم وأما من بعده فلا يجوز.

أي أنهم جوّزوا إفساد المجتمع بالعفو الذي هو التصالح بالدية. وضيّعوا بهما

مقصد القرآن من حفظ النفس والمال والنسل والدين والعقل.

ورووا في ذلك: «تعافوا الحدود فيما بينكم. فما بلغني من حد؛ فقد وجب» [ابن ماجه وسنن أبي داود]

والعفو في اصطلاح الفقهاء هو قبول الدية في العمد. عند ابن عباس.

وعند الحنفية والمالكية أنه التنازل عن حق القصاص بلا بدل.

الفصل التاسع عشر
في
تـحـريف النصـارى في مُـلك
محـمـد ﷺ على اليهود والأمم

١ - قال الله تـعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾

٢ - وقال الله تـعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾

وفي الإنجيل عن الكلمة:

«فدخل إليها الملاك وقال: سلام لك أيتهـا المنعم عليها. الرب معك. مباركة أنت في النساء.

فلما رأته؛ اضطربت من كلامه، وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية. فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم؛ لأنك قد وجدت نعمة عند الله، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا، وتسمينه يَسُـوع. هذا يكون عظيما، وابن[1] العلي يُدعى، ويعطيـه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقـوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية. فقالت

(١) يقصد تطبيق المزمور الثاني على المسيح.

مريم للملاك: كيف يكون هذا، وأنا لست أعرف رجلا؟ فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحلّ عليك، وقوة العلي تظللك؛ فلذلك أيضا القدوس المولود منك يُدعَى ابن الله». وهو ذا أليصابات نسيبتك هي أيضا حُبْلى بابن في شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا؛ لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله. فقالت مريم: هو ذا أنا أمة الرب؛ ليكن لي كقولك. فمضى من عندها الملاك» [لوقا ١: ١-٢٦ ٣٨]

المراد بالكلمة:

المراد بالكلمة ههنا هو: «ليكن لي كقولك» فإنه لما قال لها: ها أنت ستحبلين.. إلخ.. وهذا هو كلام الملاك نيابة عن الله. ردت عليه بقولها له: «ليكن لي كقولك» ومجمل كلام الملاك هو: «كوني حاملة بيسوع» وردت بقولها: إني لا أمتنع عن قولك.

والنص من إنجيل بَرْنابا هو:

«بينما كانت هذه العذراء العائشة بكل طهر بدون أدنى ذنب المنزهة عن اللوم المثابرة على الصلاة مع الصوم يوما مّا وحدها، وإذا بالملاك جبريل قد دخل مخدعها وسلّم عليها قائلا: ليكن الله معك يا مريم. فارتاعت العذراء من ظهور الملاك، ولكن الملاك سكّن روعها قائلا: لا تخافي يا مريم؛ لأنك قد نلت نعمة من لدن الله، الذي اختارك لتكوني أمّ نبي يبعثه إلى شعب إسرائيل ليسلكوا في شرائعه بإخلاص.

فأجابت العذراء: وكيف ألد بنين وأنا لا أعرف رجلا؟ فأجاب الملاك: يا مريم. إن الله الذي صنع الإنسان من غير إنسان؛ لقادر أن يخلق فيك إنسانا من غير إنسان؛ لأنه لا محال عنده. فأجابت مريم: إني لعالمة أن الله قدير؛ فلتكن مشيئته. فقال الملاك: كوني حاملا بالنبي الذي ستدعينه يسوع. فامنعيه الخمر والمسكر وكل لحم نجس؛ لأن الطفل قدوس الله. فانحنت مريم بِضِعَة قائلة: ها أنا ذا أمة الله؛ فليكن بحسب كلمتك.

فانصرف الملاك. أما العذراء فمجدت الله قائلة: اعرفي يا نفس عظمة الله،

وافخـري يا روحي بالله مخلّـصي؛ لأنه رمق ضِعَة أمـته، وسـتدعـوني سائر الأمم مباركة؛ لأن القدير صيرني عظيمة فليتـبارك اسمه القدوس؛ لأن رحمته تمتد من جيل إلى جيل للذين يتقونه. ولـقد جعل يده قوية فبدّد المتكبر المعـجب بنفسه، ولقد أنزل الأعزاء من عن كراسيِّهم ورفع المتضعين. أشبع الجائع بالطيبات، وصرف الغني صفر اليدين؛ لأنه يذكر الوعود التي وعد بها إبراهيم وابنه إلى الأبد» [برنابا ١]

في هذا النص:

١ - إنه بشرها بنبي يبعثه الله إلى شـعب إسرائل؛ ليسلكوا في شرائعه بإخلاص. أي ليعملوا بالتوراة التي من أحكامها: الإيمان بمحمد ﷺ صاحب «ملكوت السموات»

٢ - إن المسيح صار منذورا لله من البطن. وعلامة نذره: منع المسكر والخمر.

٣ - تواضعت مريم لله.

٤ - وقالت: إن الله وعـد إبراهيم بنبي من نسل ابنه إسـماعيل. وهـذا هو معنى «كلمة الرب» الموضوعـة لقبا على النبي الآتي الذي سيعزّي بني إسـرائيل. في ضياع ملكهم ونسخ شريعتهم.

وقد جرت عادة الله في كونه أنه إذا أراد أمرا أن يخلقه بكلمة ﴿كُـنْ﴾ كما أُريد ﴿فَيَكُون﴾ كما أراد.

ومثـال ذلك: «لتخش الربَّ كل الأرض. ومنه لـيـخف كل سكان المسكونة؛ لأنه قال؛ فكان. هو أمر؛ فصار» [مزمور ٣٣:٨ - ٩]

وهذا هو النص بتمامه:

«اهتفوا أيهـا الصديقّون بالرب. بالمستقـيمين يليق التسبيح. احـمدوا الرب بالعود بربابة ذات عشـرة أوتار. رنموا. غنوا له أغنية جـديدة. أحسنوا العزف بهـتاف. لأن كلمة الرب مـستقيـمة وكل صنعه بالأمـانة. يحب البر والعدل. امـتلأت الأرض من رحمـة الرب. بكلمة الرب صُنعت السـموات وبنسمـة فيه كل جنودهـا. يجمع كندّ أمـواه اليم، يجـعل اللجج في أهراء. لتـخش الرب كل الأرض. ومنه ليـخف كل سكان المسكونة. لأنه قال فكـان. هو أمر فصار. الرب أبطل مـؤامرة الأمم. لا شَي أفكار الشعوب. أما مؤامرة الرب فإلى الأبد تثبت. أفكار قلبه إلى دور فدور

طوبى للأمة التي الرب إلهها. الشعب الذي اختاره ميراثا لنفسه. من السموات نظر الرب. رأى جميع بني البشر. من مكان سكناه تطلع إلى جميع سكان الأرض. المصور قلوبهم جميعا المنتبه إلى كل أعمالهم. لن يخلص الملك بكثرة الجيش. الجبار لا ينقذ بعظم القوة. باطل هو الفرس لأجل الخلاص وبشدة قوته لا ينجي. هوذا عين الرب على خائفيه الراجين رحمته. لينجي من الموت أنفسهم وليستحييهم في الجوع.

أنفسنا انتظرت الرب. معونتنا وترسنا هو. لأنه به تفرح قلوبنا لأننا على اسمه القدوس اتكلنا. لتكن يا رب رحمتك علينا حسبما انتظرناك» [مزمور ٣٣]

البيان:

هذا المزمور من المزامير الدالة على مجيء الأمة الإسلامية. وقد رمز إلى الشريعة الجديدة بقوله: «غنوا له أغنية جديدة» ورمز إلى حروب الأمم لمحمد ﷺ بقوله: «طوبى للأمة التي الرب إلهُها. الشعب الذي اختاره ميراثا لنفسه»

وعبر عن أن محمدًا ﷺ سيأتي بكلمة ؛ بقوله: «لأن كلمة الرب مستقيمة»

وبيان أن محمدًا ﷺ هو الكلمة:

هو أن الله وعد بني إسرائيل به على لسان موسى رسول الله. والوعد لا يُعرف إلا بالكلام. وهو «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون» [تث ١٨: ١٥]

وقد أوحى الله إلى نبيه إشعياء بقوله: إن بني إسرائيل جاهدوا مع الله. والآن سينقطع جهادهم؛ لأن النبي الموعود به قد أظلّ زمانه. وإذا هو أتي؛ فإنه سينزع الملك منهم، وسيسلمه إلى أمته. وفي هذه الحالة سيكون بنو إسرائيل كأموات. فمن يعزّيهم؟ يعزيهم من الآن أنبياء بني إسرائيل. والنبي الآتي. ويقولون لهم: قد كمل جهادكم مع الله، وسوف تأخذون أجركم مرتين بما صبرتم. واعلموا: أن وعد الله آت لا ريب فيه، هذا الوعد الذي عرفتموه من كلامه. وأنتم ترون الزهور تسقط، وعشب الأرض يزهر وييبس ويسقط. وليس مثل هذا كلام الله ووعده «وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد»

وإذا جاء هذا النبي. فإن أمته الوضيعة سترتفع، وأمة بني إسرائيل ستنخفض، التي كان لها الملك من قبله. وفي زمانه ستظهر الاستقامة وسيُعلن «مجد الرب» ومجد الرب: هو ملك النبي الآتي، وسوف يراه كل بشر في جميع أنحاء العالم.

يقول إشعياء:

«عزُّوا عزوا شعبي يقول إلهكم. طيّبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل إن إثمها قد عُفي عنه أنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها

صوت صارخ في البرية: أعدوا طريق الرب. قوِّموا في القفر سبيلا لإلهنا.

كل وطاء يرتفع وكل جبل وأكمة ينخفض ويصير المعوج مستقيما والعراقيب سهلا. فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر لأن فم الرب تكلم.

صوت قائل ناد. فقال: بماذا أنادي؟ كل جسد عشب. وكل جماله كزهر الحقل. يبس العشب ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبَّت عليه. حقًّا الشعب عشبٌ. يبس العشب ذبل الزهر وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد.

على جبل عال اصعدي يا مبشرة صهيون. ارفعي صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم. ارفعي لا تخافي. قولي لمدن يهوذا : هو ذا إلهك. هوذا السيد الرب بقوة يأتي وذراعه تحكم له. هوذا أجرته معه وعملته قدامه. كراع يرعى قطيعه. بذراعه يجمع الحملان وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات» [إشعياء ٤٠:١ – ٨]

ولما ظهر نبي الله يحيى عليه السلام؛ كان مأمورا من الله بأن يبشر بمجيء الكلمة من بعده «كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية» وقد تحمل البشارة به ﷺ وقال: إنه سيأتي من بعدي من هو أقوى مني.

وهذا هو النص:

«وفي السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر إذا كان بيلاطس البُنطي واليًا على اليهودية وهيرودس رئيس ربع على الجليل وفيلبّس أخوه رئيس ربُع على ايطورية وكُورة تراخونيتس وليسانيوس رئيس ربع على الأبليّة. في أيام رئيس الكهنة حنّان وقيافا ؛ كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية. فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكْرِز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا. كما هو مكتوب في سفر

أقوال إشعياء النبي القائل: «صـوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيـمة. كل واد يمتلئ وكل جبـل وأكمة ينخـفض وتصير المعـوجات مسـتقيـمة والشعاب طرقا سهلة، ويبصر كل بشر خلاص الله»

وكان يقـول للجمـوع الذين خرجـوا ليعـتمدوا منه: يا أولاد الأفـاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي. فاصنعوا أثمارا تليـق بالتوبة. ولا تبتدئوا تقولون في أنفسكم : لنا إبراهيم أبا. لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادًا لإبراهيم. والآن قد وضعت الفاس على أصل الشجر فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار. وسأله الجموع قائلين: فماذا نفعل؟ فأجاب وقال لهم: من له ثوبان فليعط من ليس له ومن له طعام فليفعل هـكذا. وجاء عشّارون أيضا ليعتمـدوا فقالوا له: يا معلم ماذا نفعل؟ فـقال لهم: لا تستوفوا أكـثر مما فُرض. وسأله جُنديون أيضـا قائلين: وماذا نفعل نحن؟ فقال لهم: لا تظلموا أحدا ولا تشوا بأحد واكتفوا بعلائفكم.

وإذ كان الشعب ينتظر والجميـع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح؟ أجاب يوحنا الجميع قائلا: أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلا أن أحل سيور حذائـه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذي رَفْشُه في يده وسينقِّي بيدره ويجمع القمح إلى مخزنه. وأما التبن فيحـرقه بنار لا تطفأ. وبأشياء أخر كثيرة كان يعظ الشعب ويبشرهم» [لوقا ٣:١ - ١٩]

وكان المسيح عيسى عليه السلام يبشر بمحمد ﷺ بلقب «الكلمة» كما كان يبشر به يحيى، وعـزّي بني إسرائيل. وقال لـهم: ومن بعدي سيـأتي «معزيا آخـر؛ ليمكث معكم إلى الأبد»

ففي إنجيل مرقس: أنه وهو في كفر ناحوم. كان يكرز «بالكلمة» والنص هو: «ثم دخل كفر ناحوم أيضـا بعد أيام؛ فسمع أنه في بيت وللوقت اجتمع كـثيرون حتى لم يعد يسع، ولا ما حول الباب؛ فكان يخاطبهم بالكلمة» [مرقس ٢:١-٢]

وفي إنجـيل يوحنا: «إن كنتم تحبـونني فـاحفظوا وصـاياي، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر؛ ليمكث معكم إلى الأبد» [يوحنا ١٤:١٥-١٦]

والآخر يدل على أول قبله.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، الكلمة: ههنا نكرة. وهي تدل على مولود مجهول. سوف يولد، وسوف يعرف بالمسيح عيسى بن مريم وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾[النساء: ١٧١]، الكلمة ههنا معرفة. وهي تدل على أنه أعلمها بأن ابنها سوف يكون ممهدا الطريق للنبي محمد ﷺ الذي عبر عنه إشعياء بالكلمة، والذي كَرَزَ بها يوحنا المعمدان. فكأنه يقول: والقينا الكلمة إلى مريم وقلنا لها: هل ستوافقين على الحبل بالممهد له؟ وردت بقولها: «ليكن لي كقولك»

وقوله ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ معطوف على الكلمة؛ لأن محمدًا رسول الله ﷺ معروف بالكلمة من سفر إشعياء،ومعروف بالروح من سفر إشعياء. فكأنه يقول: إنه ألقى إليها نبوءة الكلمة ونبوءة الروح «روح الرب»

* * *

نبوءة روح الرب:

في الأصحاح الحادي والستين من سفر إشعياء:

يقول النبي الأمي الآتي عن نفسه: «روح السيد الرب عليّ» أي أن الله معي وسينصرني على أعدائي. إنه «مسحني» أي اصطفاني «لأبشر المساكين. . . .إلخ»

ولما ألقى الملاك على مريم - رضي الله عنها - معنى هاتين النبوءتين. نبوءة الكلمة، ونبوءة أنه روح من الله. وسألها هل توافقين على أن تكوني أم نبي يبعثه الله إلى شعب إسرائيل ليبشر بصاحب هاتين النبوءتين، وأجابته بالموافقة؛ انصرف من عندها الملاك.

والإلقاء:

يأتي على الحقيقة والمجاز. مثل «وأنت قد أبغضت التأديب، والقيت كلامي خلفك» [مز ٥٠:١٧] «ألقيت تضرعي أمام الملك» [إر ٣٨:٢٦] «ألق على الرب همك» [مز ٥٥:٢٢]

لغو المسيحيين في ١ - رسول الله ٢ - كلمته الملقاة ٣ - وروح منه. إنه على معنى ﴿لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ﴾ ويسكتون عن ﴿وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ يجادل المسيحيون في

الكلمة، ويغـمضون عيـونهم عن رسول الله. ومن أصول الجـدل: الجدال في النص كله، لا في بعضه. حتى لا يشتبه الكلام.

وإذا سلّموا بأنه رسول الله؛ فلهم الحق في الجدال في معنى الثانية والثالثة.

وإذا قالوا: سلّمـنا بأنه رسول بالناسوت لا بـاللاهوت. نقول لهم: كلمـونا بلغة قرآننا وليس فـيها من ناسـوت ولا لاهوت. أو كلمونا بلغة التـوراة والإنجيل. وليس فيهما ناسوت ولاهوت

وإذا جادلوا في الكلمة. نقول لهم: إننا سنلتزم بتفسير المسيح عيسى نفسه للكلمة. وهو أنه كان يكرز بالكلمة، كما كان المعمدان يكرز بها.

وإذا جادلوا في روح منه. نقول لهم: إن المسيح عـيسى نفسه وضع نبوءة روح الرب على المعزِّى الآخر الذي سيأتي من بعـده. فقال: «وأما المُعَزِّى الروح القدس» أي أنه من الله لا من الشيطان الرجيم.

١ - نص نبوءة روح الرب:

«روح السـيد الرب عليّ لأن الرب مـسـحني لأبشر المسـاكين. أرسلني لأعـصب منكسري القلب . لأنادي للمسبين بالعتق وللماسورين بالإطلاق. لأنادي بِسَنَة مقبولة للرب وبيوم انتقام لإلهنا لأعزِّي كل النائحين. لأجعل لنائحي صبيون لأعطيهم جمالا عوضـا عن الرماد ،ودهن فـرح عوضا عن النوح، ورداء تسـبيح عـوضا عن الروح اليائسة؛ فيدعون أشجار البر غرس الرب للتمجّد.

ويبنون الخـراب القـديم ،يقيـمـون الموحـشات الأول، ويجـددون المدن الخـربة، موحشـات دور فدور. ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الـغريب حراثيكم وكرامـيكم. أنتم فتدعـون كهنة الرب تسمَّون خُـدام إلهنا. تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتأمّرون

عوضا عن خزيكم ضعفان وعوضا عن الخجل يبتهجون بنصيبهم. لذلك يرثون في أرضهم ضعفين. بهجة أبدية تكون لهم. لأني أنا الرب محب العدل مبغض المختلس بالظلم. وأجـعل أجـرتهم أمينة وأقطـع لهم عهـدا أبديا. ويُعـرف بين الأمم نسلهم وذريتهم في وسط الشعوب. كل الذين يرونهم يعرفونهم أنهم نَسل باركه الرب.

فرحا أفرح بالرب. تبتهج نفسي بإلـهي؛ لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص. كساني رداء البر مثل عريس يتزين بعمامة ومثل عروس تتزين بحليّها. لأنه كما أن الأرض تخرج نباتها، وكما أن الجنة تنبت مزروعاتها؛ هكذا السيد الرب ينبت برا وتسبيحا أمام كل الأمم» [إشعياء ٦١]

٢ - نص نبوءة الروح القدس:

«إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي. وأنا أطلب من الآب فيعطيكم مُعَزِّيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله؛ لأنه لا يراه ولا يعرفه. وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم. لا أترككم يتامى. إني آتٍ إليكم. بعد قليل لا يراني العالم أيضا وأما أنتم فترونني. إني أنا حي فأنتم ستحيون. في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم. الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني. والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأُظهر له ذاتي.

قال له يهوذا ليس الإسخريوطي: يا سيد ماذا حدث حتى أنك مزمع أن تُظهر ذاتك لنا وليس للعالم؟ أجاب يسوع وقال له: إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلا. الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي. والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني. بهذا كلمتكم وأنا عندكم. وأما المعزّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي؛ فهو يعلمكم كل شيء ويذكّركم بكل ما قلته لكم.

سلاما أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا. لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب. سمعتم أني قلت لكم أنا أذهب ثم آتي إليكم. لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني قلت أمضي إلى الآب. لأن أبي أعظم مني. وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان؛ تؤمنون. لا أتكلم أيضا معكم كثيرا لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيّ شيء. ولكن ليفهم العالم أني أحب الآب. وكما أوصاني الآب هكذا أفعل. قوموا ننطلق من ههنا. . . إلخ» [يوحنا ١٤]

تحريف الإنجيل في كلمته التي ألقاها إلى مريم:

نص الإنجيل: «سلام لك أيتها المنعم عليها. الرب معك. مباركة أنت في النساء.

فلما رأته؛ اضطربت من كـلامه، وفكرت ما عسى أن تكون هـذه التحية. فقـال لها الملاك: لا تخافي يا مريم؛ لأنك قد وجدت نعمة عند الله.

وها أنت ستـحبلين وتلدين ابنا وتسمِّينه يَسُوع. هذا يكون عظيـما، وابن العليّ؛ يُدعَى. ويعطيـه الرب الإله كرسي داود أبـيه. ويملك على بيت يعـقـوب إلى الأبد،ولا يكون لملكه نهاية» [لوقا ١:٢٨ - ٣٣]

التحريف في النص:

إنه بشرها بيسوع. ولـم يقل إنه سيكون ممهدا للنبي الآتي الملقب بالكلمة وبالروح.

وقال عن يسوع: إنه سيكون عظيما. وقوله هذا يدل على أنه سرق الكلام الخاص بمحمد ﷺ ووضعه على يسوع؛ لأن العظيم في نبوءة العبد المتألم هو «الملك المحارب الذي يقسم غنائم أعدائه على جنوده المنتصرين» [إش: ٥٣] ولم يكن المسيح محاربا ولا ملكا.

وقال عن يسوع: «وابن العلي يدعى» أي أن عيسى هو «ابن الله»

وقوله هذا باطل. فـإن «ابن الله» اصطلاح خاص عن المَسِـيَّا، وهو محـمد ﷺ وبيان ذلك:

١ - أن الله قال لليهود: «أنتم أولاد للرب إلهكم» [تث ١٤:١]

أي أنهم شعبه المؤمنون به، لا شعب الشيطان الرجيم

٢ - وأن داود عليه السلام تكلم عن محمد ﷺ بلقب «ابن الله» بحسب العادة في بني إسرائيل فـقال: «إني أخبر من جـهة قضاء الرب. قـال لي: أنت ابني. أنا اليوم ولدتك. اسـألني فـأعطيك الأمم مـيـراثا لك وأقـاصي الأرض ملكا لك. تُحطمـهم بقضيب من حديد مثل إناء خزّاف تُكسِّرهم» [مزمور ٢]

٣ - وفي إنجيل يوحنا أن البنوة على المجاز «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله. أي المؤمنون باسمه» [يوحنا ١:١٢]

٤ - وقال المعمدان: إن «ابن الله» سوف يأتي من بعده [يوحنا ٣:٣٦]

٥ - وقال المسيح: إن «ابن الله» سوف يأتي من بعده [يوحنا ٥:٢٣]

٦ - وأول رجل طبق نبوءة «ابن الله» على المسيح عيسى هو بولس في سفر أعمال الرسل. [اع ٩:٢٠]

وقول المحرف إن كرسي داود سيكون لعيسى عليه السلام. ومراده بالكرسي أنه سيملك على بني إسرائيل. هو قول باطل؛ لأن المسيح لم يكن ملكا.

وقوله داود أبيه هو قول باطل. لأن أم المسيح من نسل هرون والمسيح لا أب له.

ومحمد ﷺ ملك على العرب بني إسماعيل وملك على اليهود بيت يعقوب. ولا يكون لملكه نهاية.

ومعنى هذا: هو أن المحرف ألقى وراء ظهره ما ألقاه الملاك على مريم، ووضع بدله كلاما لا ينطبق على المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

تأليه الابن والروح
في المجامع النصرانية:

إلى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م ما كان أحد يقول: إن المسيح هو «ابن الله» المكتوب عنه في المزمور الثاني. وقد أقر المجمع وضع نبوءة الابن على المسيح عيسى - عليه السلام - ومعنى وضعها عليه في المجمع: هو أن المسيح عيسى قد تعين منذ الآن مكان محمد ﷺ .ولنسأل المسيحيين هذا السؤال: وهو أن النصارى من زمن المسيح إلى زمن مجمع نيقية هل كانوا على الحق، وأنتم أيها المسيحيون من مجمع نيقية إلى هذا اليوم تكونون على باطل. أم أنكم أيها المسيحيون على حق وهم كانوا على باطل؟ من المؤكد أن الباطل معكم أيها المسيحيون؛ لأن الأوصاف في النبوءات لا تنطبق على المسيح؛ فهو لم يحارب أعداءه ولم ينتصر عليهم.

الفصل العشرون
في
الصِّلَة بين التَّوراة والإنجيل

التوراةُ في اليهــود. تُشبه القرآنَ في المسلمين. من جهــة أن اي نبي من قَبْل ظهور محمد ﷺ وأي عالم من علماء بني إسرائيل؛ إذا أفتى بفتوى أو نطق برأي في مسألة من مسائل الدين؛ يجب عليــه وجوبا مؤكدا أن يذكر الدليل من التــوراة على فتواه أو على رأيه. وهذا هو شأن العالم المسلم فإنه لكي يقنع أحــدا بفتوى، أو بصحة رأي؛ فإنه يتحتم عليه أن يذكر نصا قرآنيا على صحة فتواه أو على صحة رأيه.

ويستمر الاستدلال بالتــوراة إلى ظهور النبي الأمي المماثل لموسى - عليه السلام - فإنه إذا جاء؛ يسمع له بنو إسرائيل ويطيــعون. ذلك قوله: «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي. له تسمعون. .» [تث ١٨: ١٥ -]

والمراد من وسطك: أنه سيكون من جــماعة المؤمنين بالله. عشــيرة إبراهيم. والمراد من إخوتك: أنــه سيكون من بني إســماعيل - علــيه السلام - وفي القــرآن الكريم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أي أمة مؤمنة. وفي القرآن الكريم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي من نسل إبراهيم - عليه الســلام - من بني إسماعيــل، لا من أمة من الأمم الوثنية، ولا من جمــاعة مؤمنة لا تنتسب إلى إبراهيم - عليه السلام .

وعلى هذا الذي قلناه في الــفتــوى وفي الرأي؛ نجد ١ - المســيح عــيسى - عليــه

السلام - يستدل على فتاواه وعلى آرائه بنصوص من التوراة ٢ - وكُتَّاب الأناجيل الأربعة المقدسة عند المسيحيين، والأناجيل غير المقدسة؛ يستدلون على آرائهم. بنصوص من التوراة وأسفار الأنبياء؛ ليقنعوا الناس بصحة آرائهم وعلى هذا الذي قلناه تكون الصلة قوية بين التوراة والإنجيل تشبه الصلة بين المعلم وطالب العلم.

وهذان مثلان للإيضاح:

أولا: استدلال المسيح عيسى بالتوراة وأسفار الأنبياء:

في يوم من الأيام ذهب يسوع وتلاميذه إلى ناحية حقل مزروع، في يوم السبت. فقطف التلاميذ سنابل وأكلوا. فلما رآهم علماء بني إسرائيل يأكلون في يوم السبت ما قطفوه. والقطف؛ عمل، والعمل محرم في يوم السبت. شكوهم إلى معلمهم قائلين له: «هوذا تلاميذك يفعلون مالا يحل فعله في السبت» ورد عليهم المسيح بقوله: إن داود - عليه السلام - اضطر إلى الأكل من خبز الكهنة، وأن الكهنة أنفسهم في يوم السبت في الهيكل يدنِّسون السبت وهم أبرياء.

ورد المسيح عليهم بما في التوراة معناه أنه استشهد على صحة فعلهم بنص منها. وهذا مذكور في الأصحاح الثاني عشر من إنجيل متى.

ثانيا:استدلال كُتَّاب الأناجيل بالتوراة وأسفار الأنبياء:

يقول متى: إن المسيح بن مريم وأمه. ويوسف خطيب أمه - وهكذا كتب - رجعوا من مصر إلى فلسطين، وسكنوا في «الناصرة» وهي مدينة من مدن الجليل «لكي يتم ما قبل بالأنبياء: إنه سيُدعى ناصريا» [متى ٢ : ٢٣]

وليس في أسفار الأنبياء نبوءة بهذا المعنى. ومريم كانت من بيت لحم وهي مدينة من مدن سبط يهوذا. وأما الناصرة فإنها مدينة من مدن سبط زبولون. وهو سبط من أسباط السامريين. والعداء شديد جدا بين العبرانيين - الذين هم سبطي يهوذا وبنيامين - وبين السامريين. فكيف مع هذا العداء أن تسكن مريم في مدينة من مدن السامريين. وهي من بيت لحم يهوذا؟

إن هذا خطأ وقع فيه كاتب إنجيل متى. ولسنا ههنا بصدد إظهار خطأ وإنما بصدد ذكر مثال يُعلم به الصلة بين الإنجيل والتوراة. وهذه الصلة سنثبت بها أن المسيح

عيسى لم يقتل ولم يصلب بنصوص من الأناجيل التي روت أنه قتل وصلب.

ونمهد لعدم قتل المسيح وصلبه بهذا التمهيد:

محمد رسول الله ﷺ مكتوب عنه في التوراة وفي الأناجيل: أنه سيتعرض لأذى من كثير من يهود لم يؤمنوا به لدرجة أنه سيصرخ إلى الله طالبا نصرته عليهم. ومحرفو الأناجيل وضعوا فيها: أن في التوراة نبوءات عن نبي سيأتي مثل موسى، وأن هذه النبوءات هي عن عيسى وليست عن محمد ﷺ

ولكي يؤكد المحرفون المسيحيون أن عيسى هو النبي الأمي الآتي لا محمدا ﷺ قالوا في ما جاء في التوراة[1] من أن النبي الآتي سيحزن وسيتألم من إحاطة الأعداء به؛ إن الحزن والتألم كانا من المسيح عيسى، لما أراد اليهود قتله. وهم يعرفون أن الحزن والتألم من النبي الآتي هما من أجل أن أعداءه لا يريدون الإيمان به، وأنهم يتآمرون لإبطال دعوته.

هذا عن الحزن والتألم. وقد بالغوا مبالغة ممقوتة في إثباتهما للمسيح - على الحقيقة - وهو ميت على خشبة الصلب. مع أنهم يعرفون أنهما كناية عن تألم نفسي. كما يتألم الإنسان من رؤية منظر لا تسره رؤيته. ولما جعلوا التعبير الكنائي حقيقة في موته على خشبة الصلب. فكروا في ما يبررون به انتصار النبي الآتي على أعدائه في المعارك الحربية. ولقد قالوا في التبرير: إنه لما مات ودفن في القبر؛ حيي في القبر، وقام، ودفع الحجر بكلتا يديه، وخرج من القبر، وارتفع إلى السماء. ثم قالوا: وارتفاعه هو الانتصار على أعدائه؛ لأنهم غلبوه بقتله وصلبه، وآلموه إيلاما شديدًا. وها هو يحي وينتصر عليهم ويجلس بجوار أبيه.

وفات على هؤلاء المحرفين أن الانتصار ليس انتصارًا على الموت. وإنما هو - بحسب نصوص التوراة - انتصار على أعداء في معارك حربية. والمسيح بن مريم لم يحارب ولم ينتصر على أعدائه.

في سفر إشعياء:

«هوذا عبدي يعقل يتعالى ويرتقي ويتسامى جدًا. كما اندهش منك كثيرون. كان

(١) نبوءة التألم للنبي الآتي مذكورة في الأصحاح الثاني والخمسين من سفر إشعياء.

منظره كذا مفسدًا أكثر من الرجل وصورته أكثر من بني آدم. هكذا ينضح أممًا كثيرين. من أجله يسد ملوك أفواههم لأنهم قد أبصروا ما لم يخبروا به وما لم يسمعوه فهموه.

من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب؟ نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة. لا صورة له ولا جمال فتنظر إليه ولا منظر فتشتهيه. محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمُستَّر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به.

لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصابًا مضروبًا من الله ومذلولاً. وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه وبحُبُرِه شفينا. كلنا كغنم. ضللنا. ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا. ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه. من الضغطة ومن الدينونة أخذ. وفي جيله من كان يظن أنه قُطع من أرض الأحياء أنه ضرب من أجل ذنب شعبي. وجُعل مع الأشرار قبره ومع غني عند موته. على أنه لم يعمل ظلمًا ولم يكن في فمه غش.

أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن. إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلاً تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح. من تعب نفسه يرى ويشبع. وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها. لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصى مع أثمَةٍ. وهو حمل خطية كثيرين. وشفع في المذنبين» [إش ٥٢ و ٥٣]

وتفسيرهم باطل؛ لأن الانتصار من بعد التألم؛ يدل على انتصار بغير قتال، ولأن الله في السموات وفي الأرض. وليس هو في السماء حالة كونه في الأرض، وليس هو في الأرض حالة كونه في السماء. ففي التوراة يقول الله تعالى عن «يوم الرب» في سفر النبي إرمياء:

«ها زوبعة الرب. غيظ يخرج ونوء هائج. على رؤوس الأشرار يثور. لا يرتد غضب الرب حتى يجري ويقيم مقاصد قلبه. **في آخر الأيام تفهمون فهمًا**. لم أرسل الأنبياء بل هم جروا. لم أتكلم معهم بل هم تنبأوا . ولو وقفوا في مجلسي لأخبروا

شعبي بكلامي وردوهم عن طريقهم الرديء وعن شر أعمالهم. **ألعلي إله من قريب يقول الرب ولست إلهًا من بعيد؟ إذا اختبأ إنسان في أماكن مستترة أفما أراه أنا؟ يقول الرب. أما أملأ أنا السموات والأرض؟ يقول الرب»** [إر ٢٣]

ومما يدل على أن غرض المحرفين: هو فتح الباب لمجيء محمد ﷺ أنهم شبهوا عيسى بموسى: ليفهم الأميون أن عيسى هو النبي الآتي على مثال موسى. لا محمدًا رسول الله. لأن في التوراة عن النبي الآتي: «أُقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به»

فيكون المحرفون قد احتالوا على إظهار الحق بقولهم:

١ - للأميين: إن النبوة قد خُتمت بعيسى.

٢ - للعلماء: إن النبوة لم تختم به.

أي أن إثبات القتل للمسيح عيسى عليه السلام ينفي أنه هو الآتي مثل موسى عليه السلام.

ففي سفر إشعياء عن العبد المتألِّم

«هو ذا عبدي يعقل يتعالى ويرتقي ويتسامى جدًا. . . لذلك أقسم له بين الأعزاء، ومع العظماء يقسم غنيمة» [إش: ٥٢]

النبي الأمي الآتي إلى العالم

لا يُقتل ولا يُصلب:

وفي التوراة عن النبي الأمي الآتي إلى العالم أنه لا يُقتل بيد أعدائه. ذلك قوله: «وأما النبي الذي يُطغى فيتكلم باسمي كلامًا لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى؛ فيموت ذلك النبي» [تث ١٨: ٢٠]

ومحرفو الأناجيل لما قسا عليهم اليهود وأهل الروم لينكروا أن النبي الأمي الآتي هو محمد ﷺ فتحوا الباب لمجيء محمد ﷺ بقولهم: إن عيسى ابن مريم قد قُتل وصلب. وذلك ليفهم العلماء أنه ليس هو النبي الأمي الآتي إلى العالم؛ لأن من أوصاف النبي الأمي أنه لا يقتل.

ومما يدل على أن المسيحيين قد قالوا بقتل المسيح لئلا يعلم العالم أن المسيح هو

النبي الأمي الآتي: أن النبــوءات الدالة على النبي الأمي الآتــي التي في سفــر الزبور وغيره. كلهــا تدل على تألمه وضيقه من عدم إيمان اليــهود به. وتدل على أنه لن يقتل بيد أعدائه، وعلى أنه سوف ينتصر عليهم «ومع العظماء يقسم غنيمة»

ومن يقرأ روايات صلب المسيح في الأناجيل؛ يجد أن المحرفين للأناجيل قد نسبوا إلى المسيح وهو على الصليب أنه طبق نبوءات من نبوءات التوراة الدالة على أ- الألم ب- والانتصــار . على نفسه . وفســروا الألم بالقتل، وفسروا الانتــصار بالرفع إلى السماء من بعد القتل.

* * *

وإذا جاء في إنجيل:

١ - أن النبي الآتي اسمه محمد ﷺ

٢ - وأن المقتول والمصلوب ليس هو عيسى بن مريم.

فإنه يكون بقوله هذا غير قافل لباب النبوة في وجه محمد رسول الله ﷺ لأنه قد ذكر اسمه.

* * *

الأدلة الكتابية من الأناجيل على أن المسيح عيسى لم يُقتَل ولم يصلب:

والآن. نذكر من نُبــوءات التوراة التي وضــعوها على فم المسيح، حال الصلب؛ لنعلم منها أنها نبــوءات عن محمد ﷺ قد وُضعت على فم المســيح؛ ليقولوا - كذبا -: إن المسيح نفسه هو الذي طبّق النبوءات على نفسه.

في إنجيل متى:

«ومن الساعة الســادسة كانت ظلمة عــلى كل الأرض إلى الساعة التاســعة. ونحو الساعــة التاســعة؛ صــرخ يسوع بصــوت عظيم قائلا: «إيلي. إيلــي لما شبَقْــتني» أي «إلهي. إلهي. لماذا تركتني»؟ [متى ٢٧: ٤٥ - ٤٦ مزمور ٢٢: ١]

البيان:

قالوا: وقت عصر الجمعة - وهو التاسعة من شروق الشمس - أسلم المسيح الروح. وقال لله عز وجل: «إلهي. إلهي. لماذا تركتني»؟

وجملة: «إلهي. إلهي. لماذا تركتني» هي بدء المزمور الثاني والعشرين لداود - عليه السلام - والمزمور كله نبوءة عن النبي الأمي الآتي. وفيه يقول النبي لله بظهر الغيب: إن أعدائي أعدوا الجيوش لقتلي وأنا متضايق من فعلهم. فلماذا تركتني لأعدائي؟ أنقذني من أيديهم وانصرني عليهم.

وتكلَّم عن الضيق بعبارات مجازية مثل: إن الأشرار استهزؤا بي. واعتقدوا أنني مغلوب من قبل أن تنتهي الحرب. ولذلك جلسوا يقتسمون ثيابي ويقترعون عليها لمن تكون؟ وهذا كناية عن اعتقادهم بهزيمتي من قبل أن تضع الحرب أوزارها.

وصرح النبي ﷺ بأن الله نصره: **«لأنه لم يحتقر، ولم يرذل مسكنة المسكين، ولم يحجب وجهه عنه، بل عند صراخه إليه؛ استمع»**

وتكلم عن جيلين الجيل الحاضر: وهو جيل الملك والنبوة في بني إسرائيل. والجيل الآتي: وهل جيل النبي ﷺ فقال: «يخبَّر عن الرب؛ الجيل الآتي. يأتون ويخبرون ببره. شعبا سيولد، بأنه قد فعل» وبيَّن أن ضيقه وألمه هما بسبب إحاطة الأعداء به في معارك حربية فقال: «يا قوتي أسرع إلى نصرتي. أنقذ من السيف نفسي» وشبه قوة أعدائه في المعارك بقوة الأسد فقال: «خلِّصني من فم الأسد، ومن قرون بقر الوحش» وكرر طلبه بانتصاره فقال: «استجب لي» واستغاث بالله بقوله: «لا تتباعد عني؛ لأن الضيق قريب؛ لأنه لا معين» وعبر عن كثرة أعدائه وقوتهم بقوله: «أحاطت بي ثيران كثيرة، أقوياء باشان؛ اكتنفتني. فغروا عليَّ أفواههم كأسد مفترس مزمجر»

ونسأل المسيحيين الذين يأخذون بالمعنى الحرفي: هل كان عند صليب المسيح ثيران، تفغر أفواهها كالأسود المفترسة؟ وهل أحاطت به كلاب؟ إنه يصف اليهود بالأشرار وبالكلاب. ويعبر عن فعلهم به وهوانه بقوله: «ثقبوا يدي ورجليّ» أي أنهم منعوني من الحركة، كما تعلق كوز ماء من أذنه على الحائط؛ فإن تعليق الكوز يمنع من دورانه

بالماء على الشاربين.

وعبر عن معرفة أعدائه بكل ما عنده بقوله: «أحصى كل عظامي» وهذا تعبير كنائي عن معرفة دعوته، واستعداده للحرب. ولا يمكن أن يكون تعبيرا حقيقيا؛ لأنه لا أحد يقدر على عدّ كل عظامه، فضلا عن عد عظام غيره. وعبر عن تجسسهم عليه بقوله: «وهم ينظرون ويتفرسون فيّ» أي في دعوته وفي استعداده للحرب.

إن هذا هو المزمور المَسِيَّاوي(١)، الذي وضعه محرفو الأناجيل على فم المسيح عيسى - عليه السلام - وهو على خشبة الصلب - كما يزعمون - وغرضهم من وضعه هو منع دلالته على صلب المسيح وإذا ثبت أنه ليس للمسيح عيسى؛ يثبت أن

---

(١)نص المزمور ٢٢:

«إلهي. إلهي. لماذا تركتني. بعيدا عن خلاصي عن كلام زفيري. إلهي في النهار أدعو فلا تستجيب، في الليل أدعو فلا هُدو لي. وأنت القدوس الجالس بين تسبيحات إسرائيل. عليك اتكل آباؤنا. اتكلوا فنجيتهم. إليك صرخوا فنجوا. عليك اتكلوا فلم يخزوا. أما أنا فدودة لا إنسان. عار عند البشر ومحتقر الشعب. كل الذين يرونني يستهزؤن بي. يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين: اتكل على الرب فلينجه. لينقذه لأنه سربه. لأنك أنت جذبتني من البطن. جعلتني مطمئنا على ثديي أمي. عليك أُلقيت من الرحم. من بطن أمي أنت إلهي. لا تتباعد عني لأن الضيق قريب. لأنه لا معين. أحاطت بي ثيران كثيرة. أقوياء باشان اكتنفتني. فغروا عليَّ أفواههم كأسد مفترس مزمجر. كالماء انسكبت. انفصلت كل عظامي. صار قلبي كالشمع. قد ذاب في وسط أمعائي. يبست مثل شقفة قوتي ولصق لساني بحنكي. وإلى تراب الموت تضعني. لأنه قد أحاطت بي كلاب جماعة من =الأشرار اكتنفتني. ثقبوا يديَّ ورجلي. أحصي كل عظامي. وهم ينظرون ويتفرسون فيَّ. يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون.

أما أنت يا رب فلا تبعد. يا قوتي أسرع إلى نصرتي. أنقذ من السيف نفسي. من يد الكلب وحيدتي. خلصني من فم الأسد ومن قرون بقر الوحش استجب لي. أخبر باسمك إخوتي. في وسط الجماعة أسبحك. يا خائفي الرب سبحوه. مجدوه يا معشر ذرية يعقوب. واخشوه يا زرع إسرائيل جميعا. لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين ولم يحجب وجهه عنه بل عند صراخه إليه استمع. من قِبَلك تسبيحي في الجماعة العظيمة. أوفي بنذوري قدام خائفيه. يأكل الودعاء ويشبعون. يسبح الرب طالبوه. تحيا قلوبكم إلى الأبد. تذكر وترجع إلى الرب كل أقاصي الأرض. وتسجد قدامك كل قبائل الأمم. لأن للرب الملك وهو المتسلط على الأمم. أكل وسجد كل سميني الأرض. قدامه يجثوا كل من ينحدر إلى التراب ومن لم يحيي نفسه. الذرية تتعبَّد له. يخبر عن الرب الجيل الآتي. يأتون ويخبرون ببره شعبا سيولد بأنه قد فعل» [مزمور٢٢]

المسيح عيسى لم يقتل ولم يصلب. ويثبت أيضًا أن محمدًا سوفي يأتي من بعده

ثانيا: في إنجيل لوقا:

كتب محرفو إنجيل لوقا: أن المسيح وهو على خشبة الصلب؛ لم ينطق المزمور الثاني والعشرين، وإنما نطق المزمور الحادي والثلاثين. ذلك قوله: «ونادى يسوع بصوت عظيم، وقال: يا أبتاه في يديك أستودع روحي، ولما قال هذا؛ أسلم الروح» [لو ٢٣: ٤٦]

وهذا المزمور هو نبوءة عن محمد ﷺ. وفي بدئه يقول لله: «عليك يارب توكلت. لا تدعني أخزى مدى الدهر. بعدلك نجني. أمل إليّ أذنك. سريعا أنقذني» ومعنى هذا: أنه يطلب النصر على أعدائه من الله. وقد استجاب الله له، ولم تدم معاركه مع أعدائه أياما طويلة. وعبر عن إحاطتهم به بالشبكة التي تحيط بالأسماك. وطلب من الله أن يخرجه من مؤامراتهم «أخرجني من الشبكة التي خبأوها لي. لأنك أنت حِصني. في يدك أستودع روحي»

وصرح النبي ﷺ بأن الله نصره «أبتهج وأفرح برحمتك؛ لأنك نظرت إلى مذلتي، وعرفت في الشدائد نفسي، ولم تحبسني في يد العدو، بل أقمت في الرحب رجلي»

وتكلم عن ضيقه وآلامه بأساليب كنائية بديعة فقال: «صرت مثل إناء متلف؛ لأني سمعتُ مذمة من كثيرين»

وكرر على أن الله نصره «ولكنك سمعت صوت تضرعي؛ إذ صرختُ إليك»

فهل هذه النبوءة [١] تنطبق على عيسى عليه السلام؟ هل كانت شبكة الصياد عند

---

(١) نص المزمور ٣١:

«عليك يارب توكلت. لا تدعني أخزى مدى الدهر بعدلك نجني. أمل إليّ أذنك. سريعا أنقذني. كن لي صخرة حصن بيت ملجإ لتخليصي. لأن صخرتي ومعقلي أنت. من أجل اسمك تهديني وتقودني. أخرجني من الشبكة التي خبأوها لي. لأنك أنت حِصني. في يدك أستودع روحي. فديتني يارب إله الحق. أبغضت الذين يراعون أباطيل كاذبة. أما أنا فعلى الرب توكلت. أبتهج وأفرح برحمتك لأنك نظرت إلى مذلتي وعرفت في الشدائد نفسي. ولم تحبسني في يد العدو بل أقمت في الرحب رجلي. ارحمني يارب لأني في ضيق. خسفت من الغم عيني. نفسي وبطني. لأن حياتي قد فنيت بالحزن وسنيني بالتنهد. ضعفت بشقاوتي قوتي وبليت عظامي. عند كل أعدائي صرت عارا. =

خشبة الصَّلْب. وكان المسيح فيها مثل سمكة؟

* * *

وسفـــر الزبـــور هو كلام محمد رسول الله
بـظـهـر الـغـيـــب، وقـــد أظـهـره الله
عـــلـــى لســـان داود - علـــيه السلام -

وقد مثّل الله محمدا في الأزل إنساناً يتكلم عن نفسه، عن أوصافه، وعن شريعته كأنه موجود على الأرض. وأخذ كلامه وتلاه على داود، وأمر داود بكتابته في قطع، تُتلى على آلات الغناء والموسيقى في الحفلات الدينية. فكتبه. على أنه في الظاهر كلام داود، وهو في الحقيقة كلام محمد على لسان داود.

والغرض من ذلك: أنه إذا بُعث وصرح بأنه هو النبي المنتظر، ينظر علماء اليهود في أوصافه وفي شريعته. فإن كانت أوصافه هي المذكورة في الزبور، وإن كان من شريعته كلام فيه؛ يعلمون أنه هو النبي المنتظر.

ومن ذلك: أن الله في القرآن يقول: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾ واللاعن لهم على لسان داود: هو النبي المنتظر. محمد ﷺ وهذا اللعن مكتوب في المزمور المائة والتاسع عشر.

=وعند جيراني بالكلية ورعبا لمعارفي. الذين رأوني خارجا هربوا عني. نسيت من القلب مثل الميت. صرت مثل إناء متلف؛ لأني سمعتُ مذمة من كثيرين. الخوف مستدير بمؤامراتهم معًا عليُ. تفكروا في أخذ نفسي.

أما أنا فعليك توكلت يارب. قلت إلهي أنت. في يدك آجالي. نجني من يد أعدائي ومن الذين يطردونني. أضيء بوجهك على عبدك. خلصني برحمتك. يارب لا تدعني أخزى لأني دعوتك. ليخز الأشرار. ليسكتوا في الهاوية. لتبكم شفاه الكذب المتكلمة على الصديق بوقاحة بكبرياء واستهانة.

ما أعظم جودك الذي ذخرته لخائفيك. وفعلته للمتكلين عليك تجاه بني البشر تسترهم بستر وجهك من مكايد الناس. تخفيهم في مظلة من مخاصمة الألسن. مبارك الرب لأنه قد جعل عجبا. رحمته لي في مدينة محصنة. وأنا قلت في حيرتي: إني قد انقطعت من قدام عينيك. ولكنك سمعت صوت تضرعي إذ صرختُ إليكَ. أحبوا الرب يا جميع أتقيائه. الرب حافظ الأمانة ومجاز بكثرة العامل بالكبرياء. لتتشدد ولتتشجع قلوبكم يا جميع المنتظرين الرب» [مزمور ٣١]

صلب يهوذا الإسخريوطي:

وفي الأناجيل أن الذي خان المسيح وهو يهوذا الإسخريوطي. قد انشقت بطنه ومات. واستدل المحرفون على ذلك بنبوءتين في سفر الزبور. هما لمحمد ﷺ . وغرضهم من هذا الاستدلال: هو تضييع نبوءتين من نبوءات التوراة على محمد، لئلا ينطبقا عليه ﷺ .وإن نحن ذكرناهما وبيّنا من نصوصهما أنهما لا ينطبقان على يهوذا الإسخريوطي؛ نكون مبينين بالدليل أن الشبيه للمسيح وهو يهوذا؛ لم يقتل ولم يصلب.

وهذا هو البيان:

أولاً: في سفر أعمال الرسل عن يهوذا:

«وفي تلك الأيام قام بطرس في وسط التلاميذ وكان عدة أسماء معا، نحو مئة وعشرين. فقال: أيها الرجال الإخوة كان ينبغي أن يتم هذا المكتوب الذي سبق الروح القدس. فقاله بفم داود عن يهوذا، الذي صار دليلا للذين قبضوا على يسوع. إذ كان معدودا بيننا، وصار له نصيب في هذه الخدمة. فإن هذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم. وإذ سقط على وجهه؛ انشق من الوسط، وانسكبت أحشاؤه كلها، وصار ذلك معلوما عند جميع سكان أورشليم، حتى دُعي ذلك الحقل في لغتهم حَقَلْ دَما. أي حَقْل دمٍ.

لأنه مكتوب في سفر المزامير: «لتصر داره خرابا ولا يكن فيها ساكن» و«ليأخذ وظيفته آخر» [أع ١: ١٥-٢٠]

البيان:

استدل محرفو الأناجيل الأربعة على انشقاق بطن يهوذا. بثلاث نبوءات في سفر الزبور:

(أ) مزمور ٤١ : ٩ «أيضا رجل سلامتي، الذي وثقت به، آكل خبزي؛ رفع عليّ عقبه»

(ب) مزمور ٦٩ : ٣٥ «لتصر داره خرابا، ولا يكن فيها ساكن»

(ج) مزمور ١٠٩ : ٨ «وليأخذ وظيفته آخر»

وكل نبوءة من هذه النبوءات الثلاث تدل على محمد رسول الله ﷺ .والمحرفون أبعدوها عنه، ووضعوها على يهوذا، كما فعلوا في مسألة صلب المسيح.

والذين قالوا بصلب يهوذا بخيانته بدل المسيح؛ استدلوا على صلبه بثلاثة مزامير:

المزمور الأول: هو المزمور ٧: ١٥

والمزمور الثاني: هو المزمور ٢٢: ١

والمزمور الثالث: هو المزمور الثاني

فيكون المجموع ست نبوءات:

(د) مزمور ٧: ١٥ «كرَا جبًا. حفره. فسقط في الهوة التي صنع»

(هـ) مزمور ٢٢: ١ «إلهي. إلهي. لماذا تركتني؟» وهذا المزمور قد طبقه المحرفون على المسيح حالة صلبه. وقد تكلمنا فيه.

(و) المزمور الثاني: «لماذا ارتجت الأمم، وتفكر الشعوب في الباطل، قام ملوك الأرض. وتآمر الرؤساء معا على الرب ومسيحه. . .»

(ز) المزمور الحادي والثلاثين: «في يديك أستودع روحي» وهو موضوع في لوقا بدل المزمور الثاني والعشرين في متى.

(ح) والمزمور الثاني والعشرين موضوع في إنجيلٍ على يهوذا، وموضوع في إنجيل على المسيح.

ثانيا: الكلام في المزمور ٤١:

يتكلم النبي بظهر الغيب فيقول: «طوبى للذي ينظر إلى المسكين. في يوم الشر ينجيه الرب» ثم يقول: «أعدائي يتقاولون عليّ بشر. . أيضا رجل سلامتي الذي وثقت به؛ آكل خبزي؛ رفع عليّ عقبه»

كناية عن اليهود الكافرين به جميعا. والدليل على أنه لا يعني مفردا: قول النبي: «أما أنت يارب فارحمني، وأقمني؛ فأجازيهم» ولم يقل فأجازيه بالمفرد.

والمجازاة لا تكون إلا على يد النبي في معركة حربية؛ لقوله: «وأقمني فأجازيهم» وليس في النص أن الرجل الذي وثق به؛ هو الذي سيجازي نفسه بشق بطنه أو بأية وسيلة من وسائل الانتحار. فإذا نصر الله نبيه وجازى نبيه أعداءه بالهلاك بالسيف.

ففي هذه الحالة يعلم النبي أن الله فرح به ولم يجعل أعداءه يشمتون به. ويكون النبي إلى الأبد داعيا إلى الله. وشريعته تحل محله من بعد موته «أما أنا فبكمالي دعوتني، وأقمتني قدامك إلى الأبد» (١)

ثالثا: الكلام في المزمور ٦٩:

يقول النبي لله بظهر الغيب: «خلّصني يا الله؛ لأن المياه قد دخلت إلى نفسي» وقوله هذا كناية عن إحاطة أعدائه به في أرض المعارك الحربية.

ويقول: «أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب» أي أنه مظلوم.

ويقول: «صرت أجنبيا عند إخوتي، وغريبا عند بني أمي» أي أن اليهود الذين هم أولاد عمي إسحق. رفضوا قرابتي، واعتبروني كوثني. ويقول لله: «لأن غَيْرة بيتك أكلتني» أي أنني ما قمت بالدعوة إليك وما تحملت الأذى إلا من أجل الكعبة المعظمة. ودعا الله أن ينصره على أعدائه بقوله: «استجب لي» - «استجب لي لأن رحمتك صالحة» - «استجب لي سريعا» لا ينصرني عليهم إلا أنت. فإنني انتظرت منهم رقة ولم أجد فيهم من رق قلبه عليّ، وانتظرت من يقول لي منهم: أنت على حق. فأتعزّى بقوله. ولم أجد منهم مُعزّى. ولم يُقسُّو على قلوبهم فحسب. بل نغّصوا عليّ حياتي، ومرّروا عليّ عيشي. وكنّى عن سوء معاملتهم له بقوله: «ويجعلون في طعامي علقما، وفي عطشي يسقونني خلا» وهو لا يعني بقوله هذا أن اليهود يتربصون له في ساعات طعامه وشرابه؛ ليضعوا له المر في الطعام حتى لا

(١) المزمور ٤١:

«طوبى للذي ينظر إلى المسكين. في يوم الشر ينجيه الرب. الرب يحفظه ويحييه يغتبط في الأرض ولا يسلمه إلى مرام أعدائه. الرب يعضده وهو على فراش الضعف. مهدت مضجعه كله في مرضه. أنا قلت يارب ارحمني. اشف نفسي لأني قد أخطأت إليك. أعدائي يتقاولون عليّ بشر. متى يموت ويبيد اسمه. وإن دخل ليراني يتكلم بالكذب. قلبه يجمع لنفسه إثما. يخرج في الخارج يتكلم. كل مبغضي يتناجون معا عليّ. عليّ تفكروا بأذيتي. يقولون أمر رديء قد انسكب عليه. حيث اضطجع لا يعود يقوم. **أيضا رجل سلامتي الذي وثقت به آكل خبزي رفع عليّ عقبه.**

أما أنت يارب فارحمني وأقمني فأجازيهم. بهذا علمت أنك سررت بي أنه لم يهتف عليّ عدوي. أما أنا فبكمالي دعمتني وأقمتني قدامك إلى الأبد. مبارك الرب إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد. آمين فآمين» [مزمور ٤١]

يستسيغه، وليبدلوا الماء الذي أعده لشرابه بخل. وإنما هو يعني به: أنهم مرروا عيشه بمضايقاته في رزقه، وبمنعه من أداء دعوته. ومثل هذا كثير في التوراة. ففي الكناية عن العيش في أيام الضيق يقول داود عليه السلام: «قد أطعمتهم خبز الدموع» [مز ٨٠:٥] وفي الكناية عن العيش في أيام الرخاء: «أطعمه من شحم الحنطة» [مز ٨١:١٦]

ولما ضاقت نفسه من اليهود؛ شرع في استنزال لعنة الله عليهم فقال: «لتصر مائدتهم قدامهم فخا، وللآمنين شركا. لتظلم عيونهم عن البصر. وقلقل متونهم دائما. صب عليهم سخطك، وليدركهم حمو غضبك. لتصر دارهم خرابا. وفي خيامهم لا يكن ساكن...» (١)

(١) المزمور ٦٩:

«خلصني يا الله لأن المياه قد دخلت إلى نفسي. غرقت في حمأة عميقة وليس مقر. دخلت إلى أعماق المياه والسيل غمرني. تعبت من صراخي. يبس حلقي. كلَّت عيناي من انتظار إلهي. أكثر من شعر رأسي الذين يبغضونني بلا سبب. اعتز مستهلكي أعدائي ظلما. حينئذ رددت الذي لم أخطفه.
يا الله أنت عرفت حماقتي وذنوبي عنك لم تخف. لا يخزبي منتظروك يا سيد رب الجنود. لا يخجل بي ملتمسوك يا إله إسرائيل. لأني من أجلك احتملت العار. غطَّى الخجل وجهي. صرتُ أجنبيا عند إخوتي وغريبا عند بني أمي. لأن غيرة بيتك أكلتني وتعبرات معيريك وقعت عليَّ. = =وأبكيت بصوم نفسي فصار ذلك عارا عليَّ. جعلت لباسي مسحا وصرت لهم مثلا. يتكلم فيَّ الجالسون في الباب وأغاني شرابي المسكر.
أما أنا فلك صلاتي يا رب في وقت رضى يا الله بكثرة رحمتك استجب لي بحق خلاصك. نجني من الطين فلا أغرق. نجني من مبغضي ومن أعماق المياه. لا يغمرني سيل المياه ولا يبتلعني العمق ولا تُطبق الهاوية عليَّ فاها. استجب لي يارب لأن رحمتك صالحة. ككثرة مراحمك التفت إليَّ. ولا تحجب وجهك عن عبدك. لأن لي ضيقا. استجب لي سريعا. اقترب إلى نفسي. فكها. بسبب أعدائي افدني. أنت عرفت عاري وخزيي وخجلي. قدامك جميع مضايقي. العار قد كسر قلبي فمرضت. انتظرت رقة فلم نكن ومعزِّين فلم أجد. ويجعلون في طعامي علقما وفي عطشي يسقونني خلا. لتصر مائدتهم قدامهم فخا وللآمنين شركا. لتظلم عيونهم عن البصر وقلقل متونهم دائما. صُبَّ عليهم سخطك وليدركهم حمو غضبك. لتصر دارهم خرابا وفي خيامهم لا يكن ساكن. لأن الذي ضربته أنت هم طردوه وبوجع الذين جرحتهم يتحدثون. اجعل إثما على إثمهم ولا يدخلوا في برك. ليمحوا من سفر الأحياء ومع الصديقين لا يُكتبوا.
أما أنا فمسكين وكئيب. خلاصك يا الله فليرفعني. أسبح اسم الله بتسبيح وأعظمه بحمد. فيستطاب عند الرب أكثر من ثور بقر ذي قرون وأظلاف. يرى ذلك الودعاء فيفرحون وتحيا قلوبكم يا طالبي =

ويعلم اليهود من كتبهم أن الذي دعا عليهم بالخراب: هو محمد رسول الله ﷺ ومن دعائه عليهم: «لتصر دارهم خرابا. وفي خيامهم لا يكن ساكن» ولذلك صرفوا - عن طريق رواة الأحاديث - دعوته عليهم، بقولهم: إن دعوته كانت على العرب أهل مكة.

وقالوا: إن لفظ «المشركين» في القرآن هو للعرب أهل مكة؛ فإنهم كانوا يعبدون الأوثان. والحق: أن المشركين في القرآن هم اليهود والمسيحيون؛ لأنهم أشركوا الأحبار والرهبان في التحليل والتحريم. والحق: أن العرب بني إسماعيل أهل مكة لم يكن فيهم من زمان إبراهيم إلى زمن محمد، من عبد الأصنام وقرب لها القرابين وسجد لها. ولم يدع على ديارهم بالخراب، ولم يدع على أحد من أهل مكة بالإبادة.

والسبب في قول الرواة الكذابين هذا الكلام: هو أن الله علّل في التوراة نزع الملك من اليهود ونسخ الشريعة بمساواة أنفسهم مع الوثنيين وعبادتهم للأوثان معهم. فوضعوا مافيهم في العرب. حتى إذا قال أحد لهم: إن الله أهانكم لالتفاتكم إلى الأوثان، يقولون له: فإن نبوة محمد تكون كاذبة لأن قومه كانوا مثلنا.

ولنذكر الآن ما يدل على أن الرواة وضعوا اللعن على العرب؛ ليتخلص اليهود من إهانة محمد لهم:

في صحيح البخاري - باب الدعاء على المشركين- ما نصه:

وقال ابن مسعود: قال النبي ﷺ :«اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» وقال: «اللهم عليك بأبي جهل» وقال ابن عمر: دعا النبي ﷺ في الصلاة:«اللهم العن فلانا وفلانا» حتى أنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ حدثنا ابن سلام أخبرنا وكيع عن ابن أبي خالد قال: سمعت ابن أبي أوفى - رضي الله عنهما - قالا: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهدم الأحزاب. اهزمهم وزلزلهم» حدثنا معاذ بن فضالة، حدثنا هشام عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا قال: «سمع الله لمن حمده» في الركعة

=الله. لأن الرب سامع للمساكين ولا يحتقر أسراه. تسبحه السموات والأرض. البحار وكل ما يدب فيها. لأن الله يخلّص صهيون ويبني مدن يهوذا؛ فيسكنون هناك ويرثونها. ونسل عبيده يملكونها ومحبو اسمه يسكنون فيها» [مزمور ٦٩]

الأخيـرة من صلاة العشاء؛ قنت: «اللهم انج عـياش بن ربيعـة، اللهم انج الوليد بن الوليد، اللهم انج سلمـة بن هشام، اللهم انج المستضعـفين من المؤمنين. اللهم اشدد وطأتك على مضر. اللهم اجعل سنين كسنيٍّ يوسف» أ. هـ

ولما أراد محرفو الأناجيل صرف هذا المزمور عن محمد ﷺ ابتدعوا بدعة هي:

أن يهوذا الاسـخريوطي الذي خان عيـسى عليه السلام هو المراد بهـذا المزمور وأن الدعاء كان عليه واستجيب فيه «لأنه مكتوب في سفر المزامير: «لتصر داره خرابا، ولا يكن فيها ساكن» [اع ١:٢٠] وليس في سفر المزامير: داره بالمفرد، وجاء في الأناجيل: أنه لم يسقط على وجهه، وإنما «مضى وخنق نفسه» [متى ٢٧:٥]

وبعدما شـرح النبي حاله قال لله تعـالى: «أما أنا فمسكين وكئـيب. خلاصك يا الله فـيلرفـعني[١]. أسبح اسم الله بتـسبيح وأعظمه بحـمد» وعلى هذا لا يدل هذا المزمور. لا على المسيح عيسى بن مريم، ولا على يهوذا الإسخريوطي.

المزمور ١٠٩:

يبدأ النبي كلامـه بالاستغاثة بالله أن ينصره على أعـدائه في الحروب، وفي الجدال والحجج على صحة نبوته «يا إله تسبيحي؛ لا تسكت»

وتكلم عن أعدائه بصـيغة الجمع «أحـاطوا بي» - «قاتلوني» -«يخاصـمونني» ولما كانوا يتلقون كذبهم من رئيس الحاخامات الذي باع نفسه للشيطان، وصار مماثلا له في الشر. عبر عنه بقـوله: «فأقم أنت عليه شريرا» ودعا عليه وعلـى الأحبار التابعين له بقوله: «ووظيفتـه ليأخذها آخر» [٢] لأنه موظف لدعوة الناس إلـى الله. وقد انتهت

---

(١) في القرآن الكريم: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾

(٢) نص المزمور ١٠٩:

«يا إله تسبيحي لا تسكت. لأنه قد انفتح عليَّ فـم الشرير وفم الغش. تكلموا معي بلـسان كذب. بكلام بغض أحاطوا بي وقاتلوني بلا سبب. بدل محبتي يخـاصمونني. أما أنا فصلاة. وضعوا عليَّ شراً بدل خير وبغضا بدل حبي.

فأقم أنت عليه شريرا وليقف شيطان عن يمينه. إذا حُوكِم فليخرج مذنبا وصلاته فلتكن خطية. لتكن أيامـه قـليلة ووظيفتـه ليأخـذها آخر. ليكن بنوه أيتاما وامـرأته أرملة. ليته بنوه تيهـانا ويستعطوا. ويلتمسوا خبزا من خربهم. ليصطد المرابي كل ماله ولينهب الغرباء تعبه. لا يكن له باسط رحمة ولا =

وظيفته بظهور النبي الجديد وأتباعه.

ورجع إلى الكلام عن اليهود بصيغة الجمع فقال: «في الجيل القادم ليمح اسمهم» والجيل الحاضر هو جيل بني إسرائيل، والجيل القادم هو جيل بني إسماعيل. وأكد على الجمع بقوله: «وليقرض من الأرض ذكرهم»

ثم قال لله تعالى: «نجني» وعبر عن حزنه وضيقه بعبارات مجازية كناية عن الضيق. ثم قال: «أعني يا ألله» وصرح بأن الله نصره بقوله: «قاموا وخزوا. أما عبدك فيفرح»

وكل هذا لا ينطبق على يهوذا الإسخريوطي. فلا يكون هو المصلوب.

المزمور ٢

«لماذا ارتجت الأمم، وتفكر الشعوب في الباطل. قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه. قائلين: لنقطع قيودهما...»

ينبئ عن هيجان أهل الباطل ضد ١ - الله ٢ - ومسيحه. الذي هو النبي الأمي محمد بن عبد الله بحسب لسان أهل الكتاب. ومعنى المسيح: المصطفى من الله لأداء رسالة سامية. والمسيح كلمة مرادفة لكلمة «المَسِيًّا» وهذا الهيجان من أجل أنهم لا

=يكن مترأف على يتاماه. لتنقرض ذريته. **في الجيل القادم ليمح اسمهم**. ليذكر إثم آبائه لدى الرب ولا تمح خطية أمه. لتكن أمام الرب دائما وليقرض من الأرض ذكرهم. من اجل أنه لم يذكر أن يصنع رحمة بل طرد إنسانا مسكينا وفقيرا والمنسحق القلب ليميته. وأحب اللعنة فأتته ولم يسر بالبركة فتباعدت عنه. ولبس اللعنة مثل ثوبه فدخلت كمياه في حشاه وكزيت في عظامه. لتكن له كثوب يتعطف به وكمنطقة يتنطق بها دائما. هذه أجرة مبغضي من عند الرب وأجرة المتكلمين شرا على نفسي.

أما أنت يارب السيد فاصنع معي من أجل اسمك. لان رحمتك طيبة. نجني. فإني فقير ومسكين أنا وقلبي مجروح في داخلي. كظل عند ميله ذهبت. انتفضت كجرادة. ركبتاي ارتعشتا من الصوم ولحمي هزل عن سمن. وأنا صرت عارا عندهم. ينظرون إليَّ وينغضون رؤوسهم.

اعني يارب إلهي. خلّصني حسب رحمتك. وليعلموا أن هذه هي يدك. أنت يارب فعلت هذا. أما هم فيلعنون. وأما أنت فتبارك. قاموا وخزوا. أما عبدك فيفرح. ليلبس خصمائي خجلا وليتعطّفوا بخزيهم كالرداء. احمد الرب جدا بفمي وفي وسط كثيرين أسبحهُ. لأنه يقوم عن يمين المسكين ليخلصه من القاضين على نفسه» [مزمور ١٠٩]

يريدون العمل بشريعته.

والمسيح عيسى بن مريم عليه السلام لم يكن معه شريعة مستقلة عن شريعة التوراة. لقوله: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء» [متى ٥:١٧] ولم يكن محاربا لأحد. وأوصاف المسيح الآتي تدل على أنه محارب ومنتصر وفاتح بلاد. ذلك قوله: «اسألني فأعطيك الأمم ميراثا لك، وأقاصي الأرض ملكا لك. تحطمهم بقضيب من حديد. مثل إناء خزّاف تكسرهم»

ولا ينطبق هذا المزمور [1]. لا على المسيح بن مريم، ولا على يهوذا الإسخريوطي.

المزمور ٧

يقول النبي ﷺ لله بظهر الغيب: «يا رب إلهي عليك توكلت» ويقول: إنني لم أظلم أحدا. وإن أنا ظالم يارب فلا تنصرني على أعدائي.

وطلب من الله أن ينصره «قم يارب بغضبك؛ ارتفع على سخط مضايقي. وانتبه لي» وعدّد مساوئ أعدائه «هوذا يمخض بالإثم..»

وقال: إن أعداءه سينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله «كرًا جبًا. حفره» وقال: إنها ستكون عليهم حسرة ثم يغلبون «يرجع تعبه على رأسه» وفي هذا المعنى. جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

---

(١) المزمور الثاني:

«لماذا ارتجت الأمم، وتفكر الشعوب في الباطل. قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه. قائلين: لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما.

الساكن في السموات يضحك. الرب يستهزئ بهم. حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه. أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي.

إني أخبر من جهة قضاء الرب. قال لي: أنت ابني. أنا اليوم ولدتك. اسألني فأعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصي الأرض ملكا لك. تحطمهم بقضيب من حديد. مثل إناء خزّاف تكسرهم.

فالآن يا أيها الملوك تعقلوا. تأدبوا يا قضاة الأرض. اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة. قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق لأنه عن قليل يتقد غضبه. طوبى لجميع المتكلين عليه» [مزمور ٢]

وهذا المزمور لا ينطبق على المسيح عيسى عليه السلام ولا على يهوذا الإسخريوطي لأن كلا منهما لم يكن معدا لجيوش لفتح البلاد.

لغـــو المسيحيـــين في المزمور الثاني

- وهو أصل الكلام في أقنوم الابن

في مجمـع نيقية سنة ٣٢٥ م تعـيّن أن المسيح هو الابن. وفي مجمع القـسطنطينية سنة ٣٨١م تعين أن المسـيح هو الروح القدس. فـقبل المجـمع الأول؛ توحـيد، وأن عيسى رسول. وبـعد المجمع الأول اعتقدتم في إلهين اثنين همـا: الله والمسيح. وبعد المجـمع الثاني اعـتـقدتم في ثلاثة آلهـة هم: الله والمسـيح والروح. وبعـد مجـمع خليقـدونيه سنة ٤٥١م صـرتم أرثوذكس وكاثوليك. وإلى اليوم لسـتم متـفقين على تثليث التجسد وتثليث التعدد.

ففي المجمع الأول:

«نؤمن بالله الآب ضـابط الكل خـالق ما يُرى ومـالا يُرى، وبرب واحد؛ يسـوع المسيح. ابن الله. مولود غير مخلوق»

وفي المجمع الثاني:

«ونؤمن بالروح القدس المنبثق من الآب»

واتـفـق [1] النصارى على هذه الأمـانة - التي هي قانون الإيمان - بعد اجـتماع ثلاثمائة وثمانية عشر نقيبا عليها في زمن قسطنطين الملك. ومعناها هو هذا:

«نؤمن بالإله الواحد، الآب، ماسك الكل. صـانع السموات والأرض وكل ما يُرى ومالا يُرى. وبالواحد الرب أيشوع المسيح. ابن الله الوحـيد. بكر جميع الخلائق الذي ولد من أبيـه قبـل كل العوالم وليـس بمصنوع. نور من نور. إلاه حـقيـقي من إلاه حقيقي، من جوهر أبيه الـذي به أُتقنت العوالم وخُلق كل شيء. الذي لأجلنا، معشر البشـريين، ولأجل نجاتنا؛ هبط من السمـاء وتجسم من روح القدس، وصـار إنسانا، وحُـمل به وولُد من مـريم البتـول وتألم وصُلب في أيـام فنليوس فـيـلاطوس ودُفن

---

(١) النص من تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث.

وانبعث لثلاثة أيام. كما كُتب وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه. وهو مزمع لأن يأتي ليـدين الأموات والأحـياء. وبالواحـد روح القدس روح الحق المنبـثق من الأب. الروح المحيي. وببيعة واحدة مقدسة سليحية جاثليقية.

ونؤمن بمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبانبعاث أجسادنا وبالحياة الأبدية»

* * *

الفصل الواحد والعشرون
في
تفسير المسيح عيسى
عليه السلام للتوراة

جاء في الأناجيل الأربعة وغيرها: أن عيسى - عليه السلام - كان يدخل مجامع اليهود، ويؤمهم في الصلاة، ويفسر لهم آيات من التوراة. شأنه في ذلك شأن علماء بني إسرائيل وأنبيائهم. ففي الأصحاح الرابع من إنجيل لوقا أن المسيح كان بحسب عادته في الناصرة في أيام السبوت؛ يدخل المجمع في يوم السبت؛ فيقدم له مقيم الشعائر درج التوراة؛ فيفتحه على نص، ويفسره..

١ - ومن نصوص التوراة هذا النص:

يقول النبي المنتظر بظهر الغيب عن نفسه:

«روح السيد الرب علي لأن الرب مصحني لأبشر المساكين أرسلني لأعصب منكسري القلب لأنادي للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق. لأنادي بسنة مقبولة للرب وبيوم انتقام لإلهنا لأعزي كل النائحين. لأجعل لنائحي صهيون لأعطيهم جمالا عوضا عن الرماد ودهن فرح عوضا عن النوح ورداء نسيج عوضا عن الروح اليائسة فيدعون أشجارد البرغرس الرب للتمجيد...» [إشعياء ٦١]

٢ - وفي إنجيل لوقا:

«وجاء إلى الناصرة حيث كان قد تربى. ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ. فدفع إليه سفر إشعياء النبي. ولما فتح السفر وجد الموضع الذي كان

مكتوبا فـيه «روح الرب علي لأنه مسـحني لأبشر المساكين أرسلني لأشـفي المنكسري القلوب لأنادي المأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية وأكرز بسنة الرب المقبـولة». ثم طوى السفر وسـلمه إلى الخادم وجلس. وجـميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصة إليـه. فابتدأ يقول لهم إنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم» [لوقا: ٤]

شك علماء بني إسرائيل
في نبوة محمد ﷺ

ويقول الله تعالى في القرآن الكريم:

١ - ﴿ ولَقَدْ بوَّأْنا بني إسْرائيل مُبوَّأَ صدْقٍ ورزقْناهم مّن الطَّيّبات فمَا اخْتَلفُوا حتَّىٰ جاءَهُمُ الْعلْمُ إنَّ ربَّكَ يقْضي بيْنهُمْ يوْمَ الْقيامة فيما كانُوا فيه يخْتلفُون (٩٣) فإن كُنت في شكٍّ مّمَّا أنزلْنا إليْك فاسْأل الَّذين يقْرءُون الْكتاب من قبْلك لقدْ جاءك الْحقُّ من رَّبّك فلا تكُوننَّ من الْمُمْترين ﴾

٢ - وفي نفس السورة: ﴿ قُلْ يا أيُّها النَّاسُ إن كُنتُمْ في شكٍّ مّن ديني فلا أعْبُدُ الَّذين تعْبُدُون من دُون اللَّه ولكنْ أعْبُدُ اللَّه الَّذي يتوفَّاكُمْ وأُمرْتُ أنْ أكُون من الْمُؤْمنين (١٠٤) وأنْ أقمْ وجْهك للدّين حنيفًا ولا تكُوننَّ من الْمُشْركين (١٠٥) ولا تدْعُ من دُون اللَّه ما لا ينفعُك ولا يضُرُّك فإن فعلْت فإنَّك إذًا مّن الظَّالمين (١٠٦) وإن يمْسسْك اللَّهُ بضُرٍّ فلا كاشف لهُ إلاَّ هُو وإن يُردْك بخيْرٍ فلا رادَّ لفضْله يُصيبُ به من يشاءُ منْ عباده وهُو الْغفُورُ الرَّحيمُ (١٠٧) قُلْ يا أيُّها النَّاسُ قدْ جاءكُمُ الْحقُّ من رَّبّكُمْ فمن اهْتدىٰ فإنَّما يهْتدي لنفْسه ومن ضلَّ فإنَّما يضلُّ عليْها وما أنا عليْكُم بوكيلٍ (١٠٨) واتَّبعْ ما يُوحىٰ إليْك واصْبرْ حتَّىٰ يحْكُم اللَّهُ وهُو خيْرُ الْحاكمين ﴾

والخطاب في قوله تعالى: ﴿ولقدْ بوَّأْنا بني إسْرائيل﴾ هو للعالم من علماء بني إسرائيل في زمان محمد ﷺ وإلى أن تقوم القيامة. وهو مخاطب من الله عن طريق القرآن. الذي يوصله المسلمون إلى جميع الأمم.

والذي يدل على أن الخطاب للعالم من علماء بني إسرائيل من نفس السورة: ما قبل آية الخطاب وما بعدها. وهو: - ﴿ قُلْ يا أيُّها النَّاسُ إن كُنتُمْ في شكٍّ مّن ديني﴾ والمراد بالناس: جميع بني إسرائيل.

والأدلة القرآنية من غير السورة:

أ - ﴿قُل الْحمْدُ للَّه وسلامٌ علىٰ عباده الَّذين اصْطفىٰ آللَّهُ خيْرٌ أمَّا يُشْرِكُون﴾ إلى أن قال: ﴿ بل ادَّارك علْمُهُمْ في الآخرة بلْ هُمْ في شكٍّ مّنْها بلْ هُم مّنْها عمُون ﴾

والمشركون هم اليهود والمسيحيون. والمراد بالآخرة مدة الشريعة الإسلامية. لأنها

هي الآخرة في مقابل الأولى وهي مدة شريعة التوراة. وهم يشكون في أنها مدة شريعة محمد ﷺ .

ب - وفي سورة سبأ بعدما تكلم عن سليمان عليه السلام استأنف كلاما جديدا عن سبأ؛ لأنها دخلت في الإسلام على دين موسى بواسطته. فكأن يتكلم عن سليمان ولم يقطع الكلام بالاستئناف. وبعدما فرغ من الكلام عن أهل سبأ. عاد إلى الكلام الصريح في سليمان واليهود. كأنه يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ من اليهود ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾

وقوله ﴿بِالآخِرَةِ﴾ يعني به شريعة القرآن؛ فإن شريعة موسى هي الأولى. وشريعة محمد هي الآخرة ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَىٰ﴾

ب - وفي سورة ص: بدأ بقوله: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ والذكر يدل على التذكر. والتذكر يدل على شيء معروف من قبل قد غُفل عنه أو نُسي. والتوراة من قبل القرآن هي كتاب فيه أشياء عرفها علماء بني إسرائيل عن محمد ﷺ وغيره، وهو يُريد أن يُذكرهم بها، بذكر ما يدل عليها في هذه السورة. ووصفهم بالكفر به ﷺ فقال: ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ به من اليهود ﴿ فِي عِزَّةٍ﴾ أي لهم الملك على الأمم حال نزول هذه السورة ﴿وَشِقَاقٍ ﴾ أي أن السامريين والعبرانيين مختلفون في نبوة محمد ﷺ. وهددهم بالعقاب في يوم الرب بقوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ وحكى آرئهم في نبوة محمد ﷺ فقال: ﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ أي من سلالة إبراهيم عليه السلام. وحكى استبعادهم الإيمان به فقال: ﴿ أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ أي اقترب زمان عذابهم في يوم الرب. وعبر عن الاقتراب بـ ﴿لَمَّا ﴾ وإذا رأوا العذاب في يوم الرب يزول الشك.

ج - في سورة الدخان: ﴿حم ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ۝٨ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ

مُبِينٍ ⑩ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ⑪ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ⑫ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ⑬ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ⑭ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ⑮ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾

يشير بهذا الكلام إلى أنهم كافرون بمحمد ﷺ وأنه سيكون هلاكهم على يديه في يوم الرب [(١)]. وعبر عن شدة المعركة وقسوتها بالنار والدخان. شبه ما جاء عنها في سفر النبي يوئيل. وهو:

«كلمة الرب التي كانت إلى يوئيل بن فتوئيل

إسمعوا هذا أيها الشيوخ وأصغوا يا جميع سكان الأرض: هل حدث هذا في أيامكم أو في أيام آبائكم؟ أخبروا به أبناءكم وليخبر أبناؤكم أبناءهم وأبناؤهم الجيل الآتي. فضل القارض أكلها الجراد وفضلة الجراد أكلها اللاحس وفضلة اللاحس أكلها القاضم (يدور الكلام على غزو الجراد. وفي الآية ثلاثة ألفاظ (القارض، اللاحس، القاضم) تدل على الجراد ومعناها موضوع نقاش، فهي تدل، إما على أنواع مختلفة من الجراد. وإما على المراحل المتعاقبة لنمو الحشرة) إستيقظوا أيها السكارى وأبكوا وولولوا يا جميع شراب الخمر على العصير فإنه انقطع عن أفواهكم. لأن أمة صعدت على أرضي مقتدرة ولا عدد لها أسنانها أسنان الأسد ولها أنياب اللبؤة فحولت كرمتي إلى خراب وتيني إلى حطام قشرتها ونبذتها فابيضت أغصانها نوحي (يوجه النبي

---

(١) أصل موضوع يوم الرب:

في التوراة في صفات النبي الأمي الآتي على مثال موسى عليه السلام [تث ١٨: ١٥ - ٢٢] أن يهلك الكافرين به من اليهود والأمم في الأيام الأولى لظهوره في معركة حربية في منطقة «هرمجدون» في فلسطين. ذلك قوله: «ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي؛ تُباد من الشعب» - وفي ترجمة: «ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي؛ أنا أطالبه» وقد أنذر أنبياء بني إسرائيل اليهود والأمم بهذه المعركة. وأطلقوا عليها معركة يوم الرب، لأن الحرب لله من أجل سيادة شريعته على الأرض. وقد حدثت هذه المعركة. وهي المعروفة في التاريخ بمعركة اليارموك. وقد جاء في الأناجيل عنها أنها تقع بعد زمان المسيح عيسى عليه السلام. وعبروا عنها بتعبيرات كنائية تدل على شدتها.

وسورة الدخان في القرآن الكريم تتكلم عن معركة يوم الرب. شبه ما جاء عنها في سفر النبي يوئيل. وما جاء عنها في كلام بطرس في الأصحاح الثالث من سفر أعمال الرسل.

كلامه إلى الجماعة.) كعذراء متحزمة بالمسح على زوج صباهـا. قد انقطعت التقدمة والسكيب (لباس الحزن والتوبة.) (كانت التقدمة (راجع ١ ح٢) والسكيب (ما يُسكب من الخمر والزيت على التقدمة) يـقومان على غلال الأرض، من طحين وخمر وزيت (راجع خر ٢٩ / ٣٨ - ٤٢ وعد ٢٨ / ٣ - ٨ .)

عن بيت الرب وانتحب الكهنة خـداء الرب. خربت الحقول وانتـحبت الأرض لأن القمح خرب والنبيذ جف والزيت نضب. حجلوا أيها الحراثون وولولوا أيها الكرامون عن الحنطة والشعيـر لأن حصاد الحقل قد تلف. الكرمة جـفت والتينة ذبلت والرمان وحتى النخيل والتفاح وجميع أشجار الحقول يبست سوى السرور عن بني البشر.

تخرموا ونوحوا أيها الكهنة ولولوا يا ختام المذبح تعالوا فيس بالمسوح وخدام إلهي لأنه قد امتنع عن بيت إلهكم التقدمة والسكيب أوصوا بصوم مقدس. ونادوا باحتفال إجمعـوا الشيوخ وجميع سكان الأرض إلى بيت الرب إلـهكم وأصرخوا إلى الرب يا لليوم! فـإن يوم الرب قريب فـيأتي كالدمـار من عند القدير. ألم ينقطع الطعـام أمام عيـوننا والفرح والابتـهاج من بيت إلهنا؟ قـد يبست الحبـوب تحت أطيانهـا وخربت المخازن وانهدمت الأهراء لأن القمح قد ذوي كم أنت البهيمة. وهامت قطعان البقر. إذ ليس لهن مـرعى. وحـتى قطعـان الغنم هـلكت. إليك يا رب أصـرخ. لأن النار التهـمت مروج البرية. واللهب أحرق جـميع أشجار الحـقول. وبهائم الحقـول أيضا تشتاق إليك لأن مجاري المياه قد جفت والنـار التهمت مروج البرية. انفخوا في البوق في صهيون واهتـفوا في جبل قدسي. وليرتعد جـميع سكان الأرض. فإن يوم الرب آت وهو قريب. يوم ظلمة وديجور. يـوم غيوم وغمام مظلم. كما يشـير الفجر على الجبال شعب كـثير مقتدر. لم يكن له شبـيه منذ الأزل. ولن يكون له من بعد. إلى سني جيـل وجيل. قدامـه النار تأكل. وخلفه الـلهب يحرق. قدامـع الأرض كجنة عدن. وخلفه قفر خراب. ولا ينجـو منه شيء. كمنظر الخيل منظره. ومثل الفرسان يسرعون. كصـوت المركبات. على رؤوس الجبال يقفـزون. كصوت لهب النار الآكلة القش. وكشعب مقتدر مصطف للقتال. من وجهه يرتعد الشعوب. وجميع الوجوه قد شحبت. كـالأبطال يسرعون. وكرجـال الحرب يتسلقون السور. وكل منـهم يسير في طريقه. ولا يحيد عن سبله. ولا يزاحم أحد أخاه. بل يسيرون كل واحد في طريقه.

ومن خللا السهام يهجمون. ولا يتبـددون. يثبون إلى المدينة. ويسرعون إلى السور. ويصعدون إلى البيوت. ويدخلون من النوافـذ كالسارق. من وجهه ارتعدت الأرض. ورجفت السمـوات. وأظلمت الشمس والقمـر. وسحبت الكواكب ضيـاءها. وجهر الرب بصوته أمـام جيشه لأن عسكره كـثير جدا مـقتدر ينفذ كلمـته. لأنه عظيم يوم الرب وهائل جدا. فمن الـذي يطيقه؟ فالآن يقول الرب: «ارجـعوا إلي بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والانتحاب». مزقـوا قلوبكم لا ثيابكم. وارجعوا إلى الرب إلهكم. فإنه حنـون رحيم. طويل الأناة كثـير الرحـمة. ونادم على الشـر. لعله يرجع ويندم ويبقي وراءه بركـة وتقدمة. وسكيـبا الرب إلهكم. أنفخـوا في البوق في صهـيون. وأوصوا بصوم مقدس. ونادوا باحتفال. إجمعـوا الشعب وقدسوا الجماعة. وأجمعوا الشيوخ. وأجمعوا الأطفال وراضعي الأثداء ولـيخرج العريس من مخدعه. والعروس من خدرها. بين الرواق والمذبح. لـبـيك الكهنة خدام الرب وليقـولوا: «أشفق يا رب على شعبك ولا تجـعل ميراثك عارا فـتسخر منهم الأمم لماذا يقـال في الشعوب: أين إلههم».

لقد غار الرب على أرضه. وأشفق على شعبه. وأجاب الرب وقال لشعبه: «هاءنذا مرسل لكم القمح والنبيذ والزيت فتشبعون منها. ولا أجعلكم بعد اليوم عارا في الأمم بل أبعد الشمـالي عنكم وأدحره إلى أرض قاحلة مقـفرة ومقدمتـه إلى بحر الشرق. ومؤخرته إلى بحـر الغرب فيصـعد نتنه ورائحته الخـبيثة (لأنه قد تعـاظم في عمله). رؤبة الخيرات

لا تخافي أيتـها الأرض بل افـرحي وابتهجي فـإن الرب قد تعـاظم في عمله. لا تخافي يا بهـائم الحقول فـإن مراعي البرية قـد اخضرت والشـجر حمل ثمـره والتينة والكرمة أعطيتا ثروتهـما. يا بني صهيون افرحوا وابتـهجوا بالرب إلهكم لأنه أعطاكـم مطر الخـريف لأجل البر وأنزل لكم المطر مطر الخـريف ومطر الربيع كـما في الشـهر الأول. فستـمتلئ البيادر قـمحا وتفيض المعـاصر نبيذا وزيتـا وأعوضكم السنين التي التـهمـها الجـراد واللاحس والقاضم والقـارض جيـشي العظيم الذي أرسلتـه عليكم فتأكلـون أكلا وتشبعون وتـسبحون اسم الرب إلهكم الذي صنع العـجائب لكم (ولا يخزي شـعبي للأبد). فتـعلمون أني في وسط إسـرائيل وأني أنا الرب إلهكم وليس

هناك غيري ولا يخزي شعبي للأبد. وسيكون بعد هذه أني أفيض روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاما ويرى شبانكم رؤى. وعلى العبيد والإماء أيضا أفيض روحي في تلك الأيام وأجعل الآيات في السماء وعلى الأرض دما ونارا وأعمده دخان فتنقلب الشمس ظلاما والقمر دما قبل أن يأتي يوم الرب العظيم الرهيب. ويكون أن كل من يدعو باسم الرب يخلص لأنه في جبل صهيون وفي أورشليم يكون ناجون. كما قال الرب، وفي الباقين أحياء من يدعوهم الرب.

فها أنا في تلك الأيام وفي ذلك الزمان حين أرد أسرى يهوذا وأورشليم أجمع جميع الأمم وأنزلهم إلى وادي يوشافاط وأحاكمهم هناك في شان شعبي وميراثي إسرائيل الذي شتتموه بين الأمم واقتسموا أرضي وألقوا القرعة على شعبي واستبدلوا بالصبي الزانية وباعوا الصبية بالخمر وشربوا.

فما أنتم لي يا صور وصيدون ويا جميع مناطق فلسطين؟ أمني تنتقمون؟ ولكن إن انتقمتم مني فسرعان ما أرد انتقامكم على رؤوسكم. وبما أنكم أخذتم فضتي وذهبي وأدخلتم ثمين نفائسي إلى هياكلكم وبعتم بني يهوذا وبني أورشليم لبني الياوانيين لتبعدوهم عن أرضهم فهاءنذا أنهضهم من المكان الذي بعتموهم فيه وأورد انتقامكم على رؤوسكم وأبيع بنيكم وبناتكم بأيدي بني يهوذا فيبيعونهم للشبئيين لأمة بعيدة. لأن الرب قد تكلم.

نادوا بهذا في الأمم أعلنوا حربا مقدسة وأنهضوا الأبطال ليتقدم جميع رجال القتال ويصعدوا. أطرقوا سككم سيوفا ومناجلكم رماحا وليقل الضعيف: «إني بطل». أسرعوا وهلموا يا جميع الأمم من كل ناحية واجتمعوا هناك(أنزل يا رب أبطالك) لتنهض الأمم وتصعد إلى وادي يوشافاط فإني هناك أجلس لأدين جميع الأمم من كل ناحية. أعملوا المنجل فإن الحصاد قد بلغ وهلموا دوسوا فإن المعصرة ملأى والدنان فائضة لأن شرهم قد كثر. في وادي القرار جماهير جماهير فإن يوم الرب قريب في وادي القرار. قد أظلمت الشمس والقمر وسحبت الكواكب ضياءها يزأر الرب من صهيون ويجهر بصوته من أورشليم فترتجف السموات والأرض ويكون الرب معتصما لشعبه وحصنا لبني إسرائيل. «فتعلمون أني أنا الرب إلهكم الساكن في صهيون جبل قدسي وتكون أورشليم قدسا ولا يمر فيها الغرباء من بعد».

وفي ذلك اليوم تقطر الجبال نبيذا وتفيض التلال لبنا حليبا وجميع مجاري يهوذا تفيض مياها ويخرج ينبوع من بيت الرب ويسقي وادي شطيم. وتكون مصر خرابا وأدوم قفر خراب لأنهم عنفوا بني يهوذا وسفكوا الدم البرئ في أرضهم فيسكن يهوذا للأبد وأورشليم من جيل إلى جيل. ولا أتغاضى عن دمهم الذي تغاضيت عنه ويسكن الرب في صهيون» [تم سفر يوئيل]

﴿ فَاسْأَلْ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾

إشارة إلى نبوءة عن محمد في التوراة:

نبوءة نشيد موسى:

في هذا النشيد حثّ من الله تعالى لليهود على الطاعة، والسماع من النبي الأمي الآتي على مثال موسى. وهو محمد رسول الله ﷺ. وبيان أنه أنعم عليهم بنعم لا تعد ولا تحصى، وأنهم لن يشكروا الله على نعمه؛ لأنهم سوف يعبدون الأصنام من دون الله، ولن يؤدوا رسالته إلى الأمم. وبسبب ذلك سوف يأخذ الله منهم الملك والنبوة. وسوف يختار بدلهم أمة من الأمم هي أمة «غبية» وإذا ما ظهر النبي الآتي من هذه الأمة؛ فإنه سيهلك اليهود الكافرين به هلاكا رديا في الأيام الأولى لظهوره.

ولأن الله قد وعدهم بأشياء، وأتم لهم هذه المواعيد في حينها؛ فإنه قادر على أن يتم مواعيده. ومن لم يصدق هذا «اسأل أباك فيخبرك وشيوخك فيقولوا لك» لأن كلامهم مدون في كتب التوراة. فإن أنت قرأتها فكأنك سألتهم، وكأنهم أجابوا. ففي مقدمة هذا النشيد: «ألرب تكافئوا بهذا يا شعبا غير حكيم؟ أليس هو أباك ومقتنيك. هو عملك وأنشأك. أولا أيام القدم وتأملوا سِنِيَّ دَوْر فدور. اسأل أباك فيخبرك، وشيوخكك فيقولوا لك»

ثم تكلم في آخر هذا النشيد عن أمر الأمم بالفرح بهذا النبي مع شعبه. وبين أن الملائكة ستنصره على أعدائه. ثم تكلم عن تقسيم البركة بين موسى ومحمد عليهما السلام فقال: «وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله.... إلخ»

وهذا هو النص بتمامه من ترجمة دار المشرق بلبنان ومن ترجمة كتاب الحياة

نشيد موسى

أصغي أيتها السموات فأتكلم ولتستمع الأرض لأقوال فمي. ليهطل كالمطر تعليمي وليقطر كالندى قولي وكالغيث على الكلأ وكالرذاذ على العشب. لأيني باسم الرب أدعو. أدوا تعظيما لإلهنا. هو الصخر الكامل صنيعه لأن جميع سبله حق. الله أمين لا ظلم فيه هو بار مستقيم. فسد الذين ولدهم بلا عيب جبل شرير معوج. أبهذا تكافئ الرب أيها الشعب الأحمق الخالي من الحكمة؟ أليس هو أبوك الذي خلقك الذي صنعك وأقامك؟ أذكر الأيام الغابرة واعتبروا السنين جيلا فجيلا. سل أباك يخبرك وشيوخك يحدثوك. حين أورث العلي الأمم ووزع بني آدم وضع حدود الشعوب على عدد بني الله. لكن نصيب الرب شعبه ويعقوب حصة ميراثه. يجده في أرض برية وفي صياح خواء وحشي. يحيط ويعتني به ويحفظه كإنسان عينه. كالعقاب الذي يثير عشه وعلى فراخه يرفرف. يبسط جناحيه فيأخذه وعلى ريشه يحمله. الرب وحده يهديه وليس معه إله غريب. يركبه على مرتفعات الأرض فيطعمه من غلات الحقول ويرضعه من الصخر عسلا ومن صوان الجلمود زيتا ولبن البقر وحليب الغنم مع شحم الحملان وكباشي بني باشان والتيوس مع دسم لب الحنطة ودم العنب تشربه شربا. أكل يعقوب فشبع وسمين يشورون فرفس (سميت وبدنت واكتسيت شحما) فنبذ الإله الذي صنعه واستخف بصخرة خلاصه. أغاروه بالغرباء وأسخطوه بالقبائح. ذبحوا لشياطين ليست الله ولآلهة لم يعرفوها آلهة جديدة أتت حديثا آباؤكم لم يهابوها. (الصخر الذي ولدك أهملته والإله الذي وضعك نسيته). الرب رآه وفي غضبه استهان ببنيه وبناته. فقال: «أحجب وجهي عنهم وأرى ماذا تكون آخرتهم لأنهم جيل متقلب بنون لا أمانة فيهم، هم أغاروني بمن ليس إلها وأغضبوني بأباطيلهم وأنا أغيرهم بمن ليسوا شعبا وبأمة حمقاء أغضبهم لأن نارا شبت في أنفي فتشتعل إلى أسفل مثوي الأموات وتأكل الأرض وغلاتها وتحرق أسس الجبال. أحشد شرورا عليهم وسهامي أفرغها فيهم. يخورون جوعا وتفترسهم حمى ووباء مر. أنياب البهائم أطلقها فيهم مع سم زحافات التراب. السيف من خارج

يثكلهم والرعب في داخل المخادع يصيبهم الفتى والعذراء والرضيع والشائب».

قلت: «إني أشتتهم ومن بين الأنام أبيد ذكرهم لولا أني أخشى صلف العدو لئلا يغتر خصومهم ويقولوا: يدنا قد علت وليس الرب صنع هذا كله. لأنهم أمة تائهة بمشورتها وليس فيهم فهم. ليتهم يعقلون ويفهمون هذا فيتبصرون في عاقبتهم! كيف يطارد الواحد ألفا ويهزم الأثنان ربوة لولا أن صخرهم باعهم والرب أسلمهم؟ لأن صخرتهم ليست كصخرتنا وبذلك أعداؤنا حاكمون. من جفنة سدوم جفنتهم ومن كروم عمورة. عنبهم عنب سم وعناقيدهم عناقيد مرارة. حمة الثعابين خمرهم وسم الأعى الأليم. ألا إنه محفوظ عندي ومختوم عليه في ذخائري ليوم الانتقام والثواب حين تعثر أرجلهم لأنه قد اقترب يوم نكبتهم وأسرع ما أعد لهم (لأن الرب ينصف شعبه ويرُ بعبيده) إذا رأى أن القوة قد ذهبت ولم يبق عبد ولا حر.

ويقول أين آلهتهم الصخر الذي إليه التجأوا هي التي كانت تأكل شحوم ذبائحهم وتشرب خمر سكرهم؟ فلتقم وتنصركم وتكن لكم ملجأ أنظروا الآن، إنني أنا هو ولا إله معي أنا أميت وأحيي وأجرح وأشفي (وليس من ينفذ من يدي) أرفع يدي إلى السماء وأقول: حي أنا للأبد إذا صقلت بارق سيفي وأمسكت بالقضاء يدي رددت بالانتقام على خصومي وجازيت مبغضي أسكر سهامي من الدماء وسيفي يأكل لحما: من دماء الضحايا والسبايا ومن رؤوس العدو الشعراء (١) . واسجدوا يا جميع الآلهة. تهللي أيتها الأمم مع شعبه ولتعلن قوته ملائكة الله جميعا لأنه يثأر لدم عبيده ويرد الانتقام على خصومه ويجازي مبغضيه ويكفر عن أرض شعبه» (٢) .

تقسيم البركة:

وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته. فقال: أقبل الرب من سيناء وأشرف عليهم من سعير، وتألقّ في جبل فاران. جاء محاطا بعشرات الألوف من الملائكة، وعن يمينه يُومض برق عليهم. حقا إنك أنت الذي

(١) نتبع هنا النص اليوناني. وهو يختلف عن النص العبري هذا: «اهتفي لشعبه أيتها الأمم؛ لأنه يثأر لدم عبيده، ويرد الانتقام على خصومه، ويطهر شعبهُ أرضهَ» عن أبناء الله: راجع الآية ٨ +

(٢) راجع: خروج ٢٥: ١٧ +

أحببت الشعب. وجميع القديسين في يدك. ساجدون عند قدميك يتلقون منك أقوالك» [تث ٣٣: ١ -]

الفرق بين المفرد والجمع:

في تفسير السنن القويم من نصه:

«اذكر أيام القدم، وتأملوا سني دور فدور. اسأل أباك فيخبرك، وشيوخك فيقولوا لك»

هذه الآية أيضا أربعة أشطر هكذا:

اذكر أيام القدم تأملوا جيل فجيل

اسأل أباك فيخبرك وشيوخك فيقولوا لك

قال في الشطر الأول: اذكر. معتبرا الشعب جمعا واحدا. وفي الشطر الثاني تأملوا معتبرا الشعب أفرادا. والكلام في الشطر الأول والثاني للشيوخ الذين شاهدوا الحوادث، فأمرهم بذكرها والتأمل فيها. وفي الشطر الثالث والرابع للشبان والأحداث الذين لم يشاهدوا تلك الحوادث؛ فأمرهم أن يسألوا الآباء والشيوخ عنها.

فإذا طال الزمان فإن الكلام المدون في الكتاب عن الشيوخ يكون بديلا عن آباؤنا أخبرونا بعمل عملته في أيامهم في أيام القدم. أنت استأصلت الأمم وغرستهم، حطمت شعوبا ومددتهم.. إلخ» [مز ٤٤: ١ - ٢]

وفي سفر الخروج:

«ويكون متى سألك ابنك غدا قائلا ما هذا تقول له بيد قوية أخرجنا الرب من مصر من بيت العبودية. وكان لما تقسى فرعون عن إطلاقنا أن الرب قتل كل بكر في أرض مصر من بكر الناس إلى بكر البهائم. لذلك أنا أذبح للرب الذكور من كل فاتح رحم. وأفدي كل بكر من أولادي. فيكون علامة على يدك وعصابة بين عينيك. لأنه بيد قوية أخرجنا الرب من مصر» [خر ١٣: ١٤ - ١٦]

وأخيرًا. فنقول عن أمة بني إسرائيل، وأمة بني إسماعيل: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

تم الكتاب بحمد الله تعالى

فهـــــرس الكتـــــاب

فهرس الكتاب